

١

مكتبة المحرّوب الصليبيّة

العرب والروم واللاتين

في

الحرب الصليبية الأولى

دكتور محمد زيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

①

مكتبة المحرّوب الصليبيّة

العرب والرّوم واللاتين

في

الحرب الصليبيّة الأولى

دكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ المصنوع والوساط
كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربيّة
للطباعة والنشر
بيروت ٧٨١ DL

طبقات الكتاب

الطبعة الأولى ١٩٦٣

الطبعة الثانية ١٩٦٧

الطبعة الثالثة ١٩٨١

مقدمة الطبعة الثالثة

في عام ١٩٦٣ صدرت انطبعة الأولى من كتابي « العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى » ، وفي عام ١٩٦٧ صدرت طبعته الثانية . واليوم يسعدني أن أقدم لقراء العربية طبعته الثالثة في سلسلة « مكتبة الحروب الصليبية » التي تصدرها دار النهضة العربية ببيروت بلبنان ، باعتبارها المجلد الأول فيها . ويتناول الكتاب أولى حلقات الحروب الصليبية التي شغلت ثلاثة قرون من الزمان ، هي القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادية (القرون السادس والسابع والثامن للهجرة) ، والتي تعتبر بدورها مرحلة رئيسية من مراحل الصراع العتيق بين الشرق والغرب منذ القدم وحتى يومنا هذا . وهو يلقي الضوء على طبيعة العلاقات المعقدة المتشابكة التي قامت بين أطراف الصراع وقتها ، وهم أهل الغرب اللاتيني وأهل الشرق البيزنطي وأهل الشرق الاسلامي .

والله أسأله التوفيق .

المؤلف

بيروت (لبنان) يناير ١٩٨١

مقدمة الطبعة الثانية

حين صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب (يونيو ١٩٦٣) ، كنا نهدف إلى غرضين ، أولهما أن تشارك - جهد الطاقة - في دراسة جوانب من العدوان الصليبي لم تكن قد أخذت حتماً من البحث ، وثانيهما أن تقدم دراسة مركزة واضحة للحملة الصليبية الأولى وما شابها من علاقات بين العرب والروم واللاتين .

واليوم ، وبعد ما يقرب من أربع سنوات ونصف ، قدم للقارىء العربى الطبعة الثانية من هذا الكتاب . وغنى عن البيان أنه يعرض لموضوع قديم جديد . فهو قديم لأنه يعود بنا إلى عصر التوسع الصليبي الذي تعرض له العالم العربى من محيطه إلى مخيلته منذ عدة قرون .. وهو موضوع جديد لأن الوقت الآن أكثر تطلبا لمثل هذا الدرس ، ذلك أن المأساة البشرية التى ماوسها الاستعمار فى فلسطين بإنكسار إسرائيل هناك فى هذا القرن العشرين ، إنما تمثل امتداداً طبيعياً للعدوان الصليبي ، ولعله لا يختلف عنه إلا فى الأسلوب الذى يتفق والأوضاع العالمية الجديدة والتيارات للتمسرحة فيها . ولقد أثبتت الواقع والتاريخ ، كما أثبتت الأحداث التى كان مسرحها العالم العربى منذ القدم حتى يومنا هذا أن كلا من الحركتين : الحركة الصليبية والحركة الصهيونية فى فلسطين ، إنما تمثل حلقة من حلقات الاستعمار الذى تعرضت له المنطقة العربية على مر العصور . وكانت التجربة الأولى هى التجربة الصليبية موضوع هذا البحث ، والتجربة الثانية هى التجربة الصهيونية . وهذه حقيقة كشفت عنها أحدث البحوث التاريخية المعاصرة المزمرة من الميول والأمور .

وتأتى هذه الطبعة الجديدة مزودة بمتعة .. متعة بما تلافينا من مئات

مطلبة تكشف بعد الطبعة الأولى ... ومزينة بما أحفظناه إليها من
مصادر ومراجع أخرى عديدة أقدنا منها ويبدو أثرها واضحا في مختلف فصول
البحث الذى زودناه أيضا بملحق تضمن مجموعة من الوثائق والنصوص التاريخية
الأصلية التى قنا بنقلها إلى العربية مع تذييلها ببعض الهوامش الإيضاحية . وهى
تسلط الأنوار على الفكرة الصليبية بما تطوى عليه من اتجاهات توسعية
استعمارية فى كل من العالم العربى ودولة الروم ، ومعارضة الرأى العام الغربى لها .
كما تكشف عن طبيعة العلاقات التى قامت بين العرب والبيزنطيين وأهل الغرب
اللاتين خلال الحقبة الأولى ، والآثار التى تركت عليها فى الحقب التالية .

وإنى إذ أقدم بهذا الجهد ، إنما أشادك زملاء أفاضل لم يصحون فى هذا
الميدان الهام ، ويثرون المكتبة العربية بما يودونها به من نتائج بحوثهم
ودراساتهم الجليلة الهادفة .

والله الموفق للصواب .

جوليف نسيم يوسف

الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٧

مقدمة الطبعة الأولى

تعتبر الحركة الصليبية من الحركات العالمية الخطيرة التي هي بها الكتاب والمؤرخون في الشرق والغرب عناية لم تقلها حركة أخرى حتى وقتنا هذا . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما لها من طابع خاص وأهمية بالغة في تطوره وصور الأحداث ، وفي تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، فضلا عن ارتباطها الوثيق بحركة التوسع والاستعمار في العصر الحديث .

لقد تناول هذه الحركة بالبحث والتحليل كثير من الكتاب المحدثين الذين استشهدوا بتبع حلاتها ، وسرد وقائعها وأحداثها ، ودراسة أسبابها ومبداياتها ، والتعرف على آثارها ونتائجها عبر القرون الطويلة . ولا تزال دور المطابع تدفع إلينا العديد من الكتب في هذا الموضوع تحمل وجهات نظر متباينة . ومن هذه المؤلفات ما يحوى بين دفتيه أحداث قرنين أو ثلاثة قرون من الزمان ، وهي الفترة التي شغلتها تلك الحركة ، ومنها ما تناول فصلا من فصولها أو حملة من حملاتها . وقد أقر بعض الكتاب الإيجاز دون إخلال ، فاستعرضوا تاريخ الحركة من بدايتها إلى نهايتها في كتب صغيرة . ومن هؤلاء د. يورجا ، وارسك باركر ، ولويس برسيه . ومنهم من أفرد لها مجلدات ضخمة أمثال ويلكن ، وميشر ، ورفيه جروسيه ، وسيفين وانسيلان ، والمجموعة التي تشرف عليها جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية وهي تقع في خمسة أجزاء ظهر منها حتى الآن الجزء الأول والثاني .

ولكن ما يؤسف له أن معظم من كتب عن الحروب الصليبية من أهل الغرب ، إنما يسيرون من وجهة نظر عنصرية . وعلى هذا جاءت كثير من آرائهم

بعيدة عن الحقيقة ، ويبدو فيها تحيزهم الصريح لبقى جنسهم الذى يبلغ أحيانا حد
التعصب والشمط . ويظهر هذا بوضوح فى كتابات مؤرخين امثال رينيه
جروسيه ودانيال روبى وهرشت . وعلى هذا أصبح من واجب الباحث
المنصف المدقق ، تناول مختلف الروايات بالحيلة والحذر ، وتحرى الحقيقة
البحثية ، ومحاولة الكشف عنها . ومن حسن الحظ أن الكتاب العرب بدأوا منذ
سنوات قلائل يدلون بدورهم فى هذا الميدان الحبيب . فظهرت عشرات الكتب
العربية والمصرية التى تناولت الحركة الصليبية كلها أو أحد أجزائها ، فيها حق وقد
ودراسة وتحليل . ومن حسن الحظ أيضا أن ثورتنا العربية المباركة تهبط بندها
للعباء والمتعلمين فى أوسى المروية ، مما كان له أكبر الأثر فى خروج هذه المؤلفات
القيمة التى نحن أخرج ما نكون إل أمثالها ، إلى حيز الواقع .

وجدير بالذكر أن الحملة الصليبية الأولى كانت أوفر حظا من غيرها ، إذ
تناولها الكتاب بالبحث بمختلف اللغات . قد تبلورت فيها الفكرة الصليبية
نفسها ، كما حققت من النتائج ما لم تحققه أى حملة أخرى ، وتركت عليها من
الآثار الخطيرة ما لا تزال حقيقة ماثلة حتى عصرنا هذا .

ومع ذلك لا نهائى الحقيقة إذا قلنا إن هذه الحملة لا زالت تحتمل الكثير من
البحوث والدراسات الجادة الصادقة البعيدة عن الميل والهووى . وأنمال لا يزال
متسا لتخصصين فى هذا الميدان الفسح ، بتسليط الأضواء عليها واستجلاء
بعض غوامضها . فقد اختلفت فيها الروايات التاريخية اختلافا بينا . وهناك
من هذه الروايات ما يبدو وكأنها حقيقة لا يرقى إليها الشك ، لأسباب المصادر
اللاتينية التى كتبها المعاصرون لتلك الفترة . ونحمد كثيرا من المؤرخين الغربيين
المحدثين يروجون لها وينشرونها تحقيقا لأغراض معينة ، مما يعد بها وبهم من
الأمانة التاريخية . وهكذا يتناقلها الزمن جيلا بعد جيل دون توقف أو تمحيص .

وان مثل هذه الروايات في حاجة ملحة إلى مناقشة وتقد وتعليق ، للكشف عما فيها من زيف أو افتعال ، مقصود أو غير مقصود .

إذن ، فليس الهدف من هذه الدراسة تكرار أو استعراض ما سبق ذكره في مؤلفات الآخرين ، أو الدخول في تفاصيل المعارك والوقائع التي أفاض المؤرخون في ذكرها . فهي — وان كان الوضع هكذا — لا تبدو أن تكون تريداً للكلام معاد . إنما أصبحت مهمتنا الوقوف أمام الأحداث والقضايا والمشاكل الهامة التي تتعلق بالحملة الصليبية الأولى ، وبالفكرة الصليبية نفسها ، وصلتها بتاريخنا القوي ، وهي التي تناولها كتاب الغرب من زاوية غربية حسبها أسلفنا ، ثم العمل على تحليلها وتقصدها واستنباط الحقيقة التاريخية منها ، تلك الحقيقة التي هي فوق كل اعتبار وأسمى من كل شيء .

وقضايا الحملة الصليبية الأولى متمثلة متشابكة متداخلة في بعضها ، نذكر منها على سبيل التمثيل الدافع الشخصي في قيامها . وأثر العامل الديني في تهيئة الجو والاذعان لها ، ثم اتجاهاتها التوسعية الاستعمارية في العالم العربي . وموقف اللاتين الكاثوليك وهم أهل الغرب الأوروبي من الاغريق البيزنطيين وهم المسيحيين الأرثوذكس ، قبل الحملة الأولى وفي أثناءها ، مع تتبع الآثار المترتبة على العلاقات التي قامت بينهما . وكذلك العلاقات العربية البيزنطية الصليبية وتفاعلها فيما بينها ؛ ودراسة فكرة الوحدة العربية وحركات البحث واليقظة بين العرب إبان الصدران الصليبي . وغير هذه وتلك من المسائل التي حاولنا جهدنا معالجتها من واقع المصادر والأصول المعاصرة لتلك الفترة ، بغية الوصول إلى أسلم النتائج وأصوبها .

والله ولي التوفيق ٩

الفصل الأول

مصادر الحملة ومنابعها

دراسة تحليلية مقارنة

الحملة الصليبية الأولى أهمية كبيرة . فهي تلقي ضوءاً على تاريخ العلاقات القائمة بين اللاتين والعرب من ناحية ، وبين اللاتين والروم البيزنطيين من ناحية أخرى . وتعتبر هذه الحملة بالذات فصلاً من الفصول الهامة في تاريخ الحركة الصليبية، كتب فيها الكتاب والمؤرخون في الشرق والغرب في مختلف العصور . ورغم ما كتب في هذا الموضوع ، نستطيع أن نقرر أنه لم يدرس بعد دراسة وافية من كل جوانبه وزواياه ، ولا زال يحتمل بحوثاً واسعة تجمع بين العلم بأصوله ومنابعه ، الشرقية والغربية ، العربية والبيزنطية واللاتينية ، حل لغم المساواة ، سيما عالمنا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة .

ولا شك أن ما اُتِرى الكتابات التاريخية في هذا الحقل الضيق من قصور وليس في بعض النواحي ، إنما يرجع إلى أن الكتاب الغربيين المحدثين جندوا إلى الاعتماد على شئ واحد من أصول البحث أكثر من اعتمادهم على الشئ الآخر إما لجهلهم به أو لتقصدهم ذلك ؛ فانطبع استعراضهم السريع المتور لبعض مشاكل البحث بطابع التحيز وانصاف الحلول ، وعلى ذلك أصبح واجبنا عند سرد تاريخ العلاقات بين العرب والروم واللاتين خلال الحملة الصليبية الأولى، ينحصر في معالجة أحداث هذه الفترة وعروقها ومشاكلها من كلتا الناحيتين الشرقية والغربية لهذا الفراغ . فعمدنا في دراساتنا إلى اللوازم التاريخية التي استقيناها من تأليف المعاصرين لهذه الفترة من حوايلات ومراسلات ووثائق رسمية بعضها

لا يزال عطوفاً لم يشر بعد ، والبعض الآخر لا يزال يلهجه الأصلية التي
دون بها .

والواقع أن المصادر الأصلية المعاصرة التي رجعتنا اليها حريمان : لانيثية
ويزنطية . هذا بالإضافة إلى المتابع العربية المتأخرة نسبياً عن هذه الحقبة ، والتي
لم نعدنا لسوء الحظ بما يثنى القلة في هذه الناحية .

وعلى أي حال ، نخص بالذكر من النوع الأول بعض الذين اشتركوا في
الحقبة من اللاتين وكانوا شهود عيان لأحداثها مثل المؤرخ المجهول ، وديمون
داجيل ، ولغوشيه ده شارتر ، واتين ده بلوا ؛ وغيرهم عن لم يشتركوا فيها ،
ولكنهم حفظوا لنا أخبارها التي كانت ترد إليهم عن طريق الرواة والحجاج
وشهود العيان في كتب لاذات باقية إلى اليوم .

ويعتبر المؤرخ المجهول (١) من المصادر الأساسية التي لا غنى عنها في تاريخ

(١) هو مؤرخ حثا بوجيند التروماندي ، وقد ألب كرامه بإتلائية تحت اسم Gesta
Francorum et aliorum Hierosolymitanorum أي «أعمال الفرنجة ورجال
بيت القدس» ، وظهرت ٤ طبعات عديدة أهمها :

a) Bongars, Gesta Dei per Francos, 1, 1-29.

b) Hagenmeyer, H., Anonymi Gesta Francorum et aliorum
Hierosolymitanorum, 2 Vols. Heidelberg, 1889 1890.

c) Bréhier, L., Histoire Anonyme de la Première Croisade.
Paris, 1924.

وقد استخدمنا في هذا البحث على طبعة هاجينماير . وندير بالذكر أن من المؤرخين كانوا
حتى وقت قريب يعتقدون أن المؤرخ المجهول قل عن شخص آخر يدعى يد يوده ، أو احصر
كتابه . أصر عن ذلك من 24-٢٥ Michaud, Bib. des Crois., 1. كما وقت مجموعة
مؤرخي الحروب الصليبية في هذا الخطأ ؛ إذ اعتبر يد يوده هو المصدر الأساسي الذي
استقى منه المجهول معلوماته . انظر الجزء الثالث من المجموعة المعكورة تحت اسم : =

الحملة الصليبية الأولى في الفترة الممتدة من سنة ١٠٩٥ إلى سنة ١٠٩٩ م ؛ أي منذ قيام الحملة من الغرب حتى الاستيلاء على بيت المقدس وتأسيس للمستعمرات اللاتينية في الشرق . وفي كتاب أهمية عامة ، إذ كان مؤلفه شاهد عيان لحظم المعارك والأحداث التي دارت رحاها في الشرق العربي في ذلك الحين . كما كان حليفا بما يدور في مجالس النبلاء ، مما يزيد الرأي القائل بأنه كان علوما رفيع القدر . واسمنا نعرف كثيرا عن سني حياته الأولى وعن اسمه . ويحتمل أنه كان من فرسان مملكة النورمانديين بجنوب إيطاليا . ونستدل على ذلك بما كتبه هو نفسه عن المعارك التي اشترك فيها ، وعن سيده بوهيموند النورماندي أحد زعماء الحملة الأولى (١) . فقد كان يقرن اسم بوهيموند وابن اخته تسكريد بأوصاف تدل على احترامه الشديد لها .

والمتمسح لهذا الكتاب يدرك على الفور أن شخصا ثانيا اشترك مع المجهول في تأليفه . إذ نلاحظ وجود أسلوبين متميزين عن بعضهما تماما . أولهما أسلوب ضعيف ركيك بعيد كل البعد عن اللاتينية الكلاسيكية ، ويمثل أصدق تمثيل لاتينية المصادر الوسطى المبكرة ، ويضل على أن كاتبه لم يتل حظا وافرا من التعميم . ويلاحظ أن مؤلف هذا الجزء من الكتاب قد دون معظم الحوادث التاريخية

= Tudebodus abbreviatus . وقد تم تصحيح هذا النسخ في مقدمة الجزء الرابع من المجموعة راجع عن ذلك أيضا :

Cohen, La Syrie du Nord, p. 8 & n. I, 5; Molinier, II, 280 — 1.

(١) أنظر : Michael, Bib. des Crois., I, 24-5 — والذي يد من معلومات من سيده المؤرخ المجهول ومؤلفه ، أنظر ما كتبه كل من هليسيانوس ويرييه في كتابهما المشار إليهما في الحاشية السابقة . راجع أيضا اليد التي في الشرق : مؤرخو الحروب الصليبية . من ٢٦ ٢٧ .

التي شاعها بنفسه أو التي اشترك فيها بشخصه . وعلى هذا فإن القسم الأول من الكتاب المذكور يتضمن المادة الأساسية التي تهمنا بالقضية لموضوع البحث . وهي تكشف عن دوافع اللاتين في قيامهم بحركتهم ، وطبيعة العلاقات التي قامت بينهم وبين البيزنطيين ، ووجهة النظر الغربية حيال الأحداث التي كان الشرق الأوسط العربي مسرحا لها وقتذاك . وتؤكد تجميع الآراء على أن مؤلف هذا القسم هو ذلك الفارس المجهول الاسم الذي اشترك في الخلافة مع يوحنا المنصور . أما القسم الثاني من الكتاب فهو مدون بأسلوب أكثر قاء وبلاغة وأهد حقا ولقيدا من سابقه ، ولله أسلوب الفارس التي كانت قائمة في ذلك العصر . ويبدو أن مؤلفه كان من رجال الدين ، إذ يذكر من الاستشهاد فيما كتب بآيات من الكتاب المقدس . ويلاحظ أنه كان يميل في كتابته إلى الأسلوب الخطابي أكثر من الأسلوب التاريخي . فهو يمدنا بتطعيم خطافية أدبية تدل على أن موهبته الأدبية تفوق قدرته التاريخية (١) .

ويتضح من مقارنة ما كتبه المؤرخ المجهول وما دونه غيره من اللاتين المعاصرين له ، أن رواياته تمتاز بصحتها ، حتى لقد رجع إليه معظم الذين كتبوا عن هذه الفترة من أمثال روبرت الراعي ، وتيديبوند ، وفانزول ده كان ، بل

(١) أنظر: Molinier, II, 281 . ويلاحظ أنه المؤلف أورد من نسخ كثيرة كثيرا من الخط التي نسبها إلى الأتراك . ومحمدا أن بعض النصوص قد أسبلت إلى الكتاب في فترة متأخرة . وخاتمة الفصل السابع والعشرين الذي يتميز فيه المؤرخ المجهول صراحة إلى جانب سيده يوحنا ضد الإمبراطور الكيكي كومنن حينما اعتقد اللقاء بينهما في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٣ و ١١١١ م . ولله كتب يوحنا القضاة يوحنا ضد الإمبراطور البيزنطي . وكذلك الفصل الأخير من الكتاب الذي يصف فيه المؤلف مدينة أطلانتية . أنظر من ذلك

لقد نقل بعضهم عنه قلا حرفيا (١) ، وكان النقل يعتبر أسوأ ما لولا في ذلك العهد . وهذا يدل على أن الكتاب كان موجوداً ومشترأ بعد استيلاء الصليبيين على البيت المقدس . ولكن يجب ألا يغرب عن بآلتنا أن كتابات اليهود وغيره من بني جلدته كانت تسم بصفة عامة بطابع التحيز ضد المسيحيين الآخرين ، وطابع الحقد والتعصب ضد العرب .

ومنك مصدر لاتيني آخر لا يقل عن سابقه في أهميته التاريخية ، وهو « تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس » (٢) لمؤلفه ريمون داجيل Raymond d'Agiles الذي حاصر هو الآخر تلك الأحداث وكان شاعداً عياناً لها . ويعتبر ريمون من أوائل الذين كتبوا عن حلة ١٠٩٥ . لقد اشترك هو وأدهمار أسقف مدينة بوي Puy مع جيش ريمون د سان جيل كونت تولوز ، ودافعاه منذ قيامه من جنوب فرنسا حتى موقعة هسقلان بعد انتهاء

(١) والكتاب المذكور ، فضلاً عن عدم أهمية كبرى في دراسة النظام الاجتماعي في المجتمع الفرنك الوسيط في أعقاب القرن الحادي عشر ، والمقالة التي كانت مستعجلة لذلك ، ولي مبررة قواعد اللغة اللاتينية الوسيطة وأصولها .

(٢) ألف ريمون كتابه باللاتينية تحت اسم *Historia Francorum qui ceperunt* . وقد أسند إلى أسقف مدينة فيبييه Viviers . والكتاب مطبوع في مجموعة بونيفار ، الجزء الأول ، من ١٢٩ - ١٨٢ ؛ وفي الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الفرنسيون) من ٢٢١ - ٣٠٩ . وغرب من مؤلف الكتاب أنه كان راعياً لكنيسة كونت تولوز التي أسلمه به في الحلة على الصلح . والغاري . لهذا الكتاب يدرك أن مؤلفه كان يدافع عن سيده نظاماً جيداً ، كما كان يندفع له عيش الأعداء إذا أخطأ أو نهان في أمر من الأمور ، وهو إلى جانب ذلك يصعب منه في تقدير واحترام زائدين ، إذ يكتب عندما يتعرض له في نظم الأحيان بقوله « الكونت » دون حاجة إلى ذكر اسمه هو في قوله في غنى عن التعريف . ولا يخفى الحق إذا قررنا أن كتاب ريمون هذا هو في واقع الأمر تأريخ حياة كونت تولوز منه وقصة اشتراكه في الحلة الصليبية . انظر :

الرحلة الأولى - كما سلم ريمون بنصيب في المعارك التي دارت رحاها في هذه المنطقة . وكان يحكم مركزه من القربين إلى كونت تولوز ، وعلى علم تام بما كان يدور في مجالس زعماء الفرنج ، مما أضفى على كتابه أهمية خاصة .

ولهذا الكتاب قصة تلتخص في أن ريمون بدأ بتسجيل أحداث الرحلة بالاشتراك مع أحد فرسان كونت سان جيل واسمه بونس de Ponce de Balazun ، وأعتما بصفة خاصة بتكوين الأحداث التي تتعلق بكل من كونت تولوز والأسقف أدميلر . وبعد عودة ريمون إلى فرنسا أمم بمفرده الكتاب بعد أن لقي زميله بلازون حتفه في الشرق سنة ١٠٩٩ .

ويذكر المؤرخ ميشو أن ريمون استهدف من وضع كتابه هنم الأكاذيب التي نشرها في الغرب الأوروبي أولئك الذين فروا من ميدان القتال في الشرق حامدين إلى بلادهم ، حيث أخذوا ييشون الدعايات بقصد منع أهل الغرب من الذهاب لمساعدة اخوانهم في الشرق (١) .

ولهذا المصدر أهميته فيما يتعلق بالمعلومات العامة المتعلقة بالحركة الصليبية ، وعلاقة كونت تولوز بالامبراطور البيزنطي السكيس كومنن . وقد وقف ريمون - مثل المؤرخ المجهول - إلى جانب سيده ضد البيزنطيين عندما سادت العلاقات بين الطرفين ، مما يكشف عن وجهة نظر اللاتين الكاثوليك حيال المسيحيين الآخرين وقتذاك ؛ وهذا أمر لا يمكن إغفاله عند التعرض للوضع . كما أنه خصص جانبا كبيرا من مؤلفه للنقاع عن الرقبا الدبقية التي ظهرت لأحد الصليبيين واسمه بطرس برتولماوس أثناء حصار كربونجا حاكم الموصل للفرنج داخل

انطاكية ، وتأيد الرواية القائلة بأن الحربة التي عثر عليها في انطاكية هي الحربة الحقيقية التي طعن بها المسيح في جبهته. وهذه أسطورة قيمتها التاريخية موضع كثير من الشك ، شأنها شأن الروايات والأساطير والتبجيلات الدينية التي شاعت في الغرب الأوروبي وقتذاك بقصد حث اللاتين على الانخراط في سلك الحركة الصليبية .

وقد وضع ريمون كتابه بلغة لاتينية رديئة ، إذ كان محدود الثقافة والتعليم ، وأيس من السهل تتبع طريقة معالجته للأحداث بسبب غموضها . ويعزى هذا العيب في الغالب إلى تردد المؤلف في سرد الأحداث حتى لا يضع - كما قال هو من نفسه - في أخطاء تظل من قيمة الكتاب . والمتصفح له يدرك أيضا أن صاحبه كان يقبل كل ما يسمعه أو يروى له كحقيقة ثابتة ؛ ولذلك يجب عند استخدامه توخي الحرص والحذر (١) .

ومن المؤرخين الغربيين الذين يتناولون بالكلام أحداث هذه الفترة يجب أن نذكر فوشيه دة شاتو Foucher de Chartres ، (٢) الذي ذهب هو الآخر

(١) Molinier, II, 283-4. - ويلاحظ أن هذه العيوب التي سجلها المؤرخون من كتاب ريمون لا تقل من أهميته ؛ وبكسر أنه كان من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها وليم السوربي فيما كتبه عن الحرب الصليبية الأولى . انظر :

Michaud, Bib. des Crois., I, 50.

(٢) ولد فوشيه دة شاتو بفرنسا سنة ١٠٥٥ وأصبح كاهنا بها ، وكانت بها وقتذاك مدرسة لها شهرتها في الدراسات الفلسفية واللغوية ، في وقت ازدهر فيه الفارغ والعلوم في عروق أوروبا عقب النهضة الكنسية المبروقة في أوائل القرن الحادي عشر . ويبدو من مؤلفه أنه عاهد مؤرخ كليرمون المكتسب سنة ١٠٩٥ ، إذ تحدث عنه في مستهل كتابه حديث الجير الصادر عما حار فيه من مناجيات وما اتخذ فيه من قرارات ؛ كما أورد الحصة التي ألقاها الداربان الثاني في المؤتمر المذكور وعنى دعا فيها إلى حمل الصليب . ولو أنه لا يمكن التمسك بحصة إن كانت الحصة التي أوردتها فوشيه من نفس المرقف المتصلة التي ألقاها إليه أربان الثاني أم لا ؛ ذلك لأن بعض المؤرخين المعاصرين الذين أعلنوا إلى مؤرخ كليرمون أوردوا مده ---

إلى الشرق مع جيش روبرت كونت نورمانديا واتين كونت بلوا وشارتر . وقد شاهد معظم المارك التي دلت رحلها بين الأفرنج والآتراك السلاجقة في آسيا الصغرى ، ومنها حصار مدينة بيقية والاستيلاء عليها . وحضر غير ذلك من المارك التي دلت رحلها في آسيا الصغرى ، ثم انفصل عن الجيش الصليبي الرئيس قبل الاستيلاء على مدينة أنطاكية ، حيث لازم بلدوين شقيق جودفري هـ بويرن دوق اللورين السفلى في فترة توليه إمارة الرها ، وأصبح خاتم كنيسة الخاصة . واشترك معه في جميع المارك الحربية التي عاينها . كما اصططحه بلدوين عندما استسعى لتتويجه ملكا على بيت المقدس بعد موت جودفري ؛ وظل ملائمة له حتى وفاته سنة ١١١٨ م . ولكتاباه أهمية خاصة فيما يتعلق بتاريخ هذه الفترة من الزمن . فقد اشترك مع سيده في كثير من الحملات ، منها حملة وصلت حتى البحر الأحمر ، وأخرى بلغت عسقلان . ويبدو من كتابات فوشيه أنه لم يبرز في بعض هذه المارك شجاعة كافية . فهو يحدتنا عن الصعاب والأحوال التي كانوا يلاقونها من شدة البرد وقسوة الجوع ووطأة المرض ، فضلا عن اعتداءات الآتراك المستمرة عليهم .^(١)

لقد سجل لنا فوشيه مشاهداته في مؤلفه المسمى «أحوال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس» ،^(٢) وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول كتبه حوالي

١- الخطة مع اختلاف في الألفاظ وفي بعض المواضع . وإن كانت الخطة التي ذكرها فوشيه تطلق في أغلبها ومضمونها مع ما ورد في المصادر الفرنسية الأخرى . انظر عن التلمذة في مجموعة مؤرخي المروب الصليبية (المؤرخون الفرنسيون) « الجزء الثالث » ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(١) انظر : Michaud, Bib. des Croisés, I, 71.

(٢) اسم الكتاب Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium (١١٢٧-١١٢٨). وكان يوتجار هو أول من نشره عن مجموعة قصص تسمى سنة ١١٢٧.

سنة ١١٠٥ م وينتهي بموت جودفري، والقسم الثاني ينتهي بموت بلدوين الأول سنة ١١١٨ م، أما القسم الثالث والآخر فيستمر حتى سنة ١١٢٧ م التي يتوقف عندها الكتاب فجأة .

وننصر قيمة الكتاب في أن صاحبه لم يدون سوى الأحداث التي شاهدها بنفسه ، أو تلك التي رواها له شهود البيان ، أو التي جمعها من مصادر موثوقة بها . وقد أثبتت البحوث التاريخية أن كتاب فوشيه يعتبر مصدقة في تاريخ تلك الفترة ؛ إذ أبدى وعياً لا بأس به ، وفيها دققة للموضوعات التي تناولها . ويمكن أن عدداً كبيراً من المؤرخين اللاتين المعاصرين له والذين جاءوا بعده ، قد اعتمدوا عليه في سرد أحداث الحقبة الأولى ؛ ومن هؤلاء المؤرخ جودفري ديه بورسي الذي ألفه فائدة كبرى من القسم الأول من الكتاب .

ولم يكن فوشيه مجرد كاتب مادي ، فقد زود مؤلفه ببيانات قيمة من التاريخ الطبيعي . فهو يصف لنا علماً بأسماء الأنهار ومناجمها وجزائرها ، وكذلك مختلف الحيوانات التي تعيش في أرض المعركة بالشرق . ولكن مما يدعو إلى الدهشة أن كاتباً متقناً مثله لم يذكر شيئاً عن أصل وطبائع الشعوب والقبائل التي تحدث عنها .

== أنظر : Bongars, I, 381-440. ثم أماد ديشن Duchene, نفسه في طعة أدق وأول من مجموعة تنتهي بأحداث سنة ١١٢٧ . وسعد ذلك قام العالم العربي Martenne بنفسه من جديد في مجموعته المرفوعة باسم « التواضع » "Anecdotes" ، ووروده غفيرة لم تأب منه لم ترد في الفئتين الثالث والأشيرة إليها . وقد صرح مؤلفه الكبير من الأخطاء ، ولا يخفى القصور البالغة في الكتاب . ثم نشره سعد ذلك ماخبر (طبعه هاندلوج سنة ١٩١٢) . انظر عن ذلك : Cahen, 10-11; Molinier, II, 284; Michand, I, 72. R.H.C.—H.Occ., III, والسكتاب مذكور أيضاً في مجموعة R.H.C.—H.Occ., III, 311-485. وهي التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا .

والكتابات - فضلا عما هضم - قيمة لا تسكر في دراسة تطور علم التاريخ .
فقد كان النظام المتبع قبلئذ هو نظام الحوليات . ولكن فوشيه لم يتبع طريقة
أصحاب الحوليات القدامى عندما تحدث في مؤلفه عن تاريخ مدينة صور التي
ينتمي بها كتابه . إذ تغيرت كتابة التاريخ في الغرب منذ ذلك الحين ، إلى الشكل
الذي نعرفه اليوم . ويلاحظ أن أسلوب المؤلف سهل واضح ، وإن كان يستخدم
أحيانا أبياتا من الشعر ليستعين بها في تحديد تاريخ بعض الأحداث الهامة ،
ولكنها على أي حال لا تعطينا فكرة طيبة عن مقدرة الشعرية . وكان يستخدم
في كثير من الأحيان الألفاظ المتخمة الطنات التي يبدو فيها الادعاء والتكلف (١) .
هذا ويوجد مختصران لبعض أبواب كتاب فوشيه . أولهما يسمى « أعمال
الفرجة الذين استولوا على بيت المقدس » لكتاب مجهول الاسم ، ويتناول تاريخ
الحلة منذ قيامها سنة ١٠٩٥ إلى سنة ١١٠٩ م . وقد ذكر هذا المؤلف في الفصل
الثاني من مختصره أنه قام بتلخيص كتاب فوشيه ده شاذتر متجنباً الإفاضة
والإسهاب ، مختصراً على سرد الوقائع المتصلة بموضوعه ، وذلك بعد تصحيح
ماورد بالكتاب الأصلي من أخطاء . ولكنه أضاف بعض المعلومات الهامة
التي استفاها من جهات أخرى . وتم وضع هذا المختصر قبل سنة ١١٠٩ م ، وهو
مكتوب بلغة لاتينية سهلة . وينسب الكتاب المجهول بفوشيه ، فيستخدم أحيانا
أبياتا من الشعر اللاتيني لتحديد زمن الأحداث التي عرض لها ، وإن كان أسلوبه
الشعري لا يرقى بحال إلى مستوى كتابته الشعرية . وينسب السالم بأوث Barth هذا
المختصر إلى شخص غير معروف يدعى بارتولفوس ده نانجيوس Bartolfus de Nangieus .
أما المختصر الثاني فيسمى « تاريخ بيت المقدس » ، وهو يتناول الفترة من سنة

١١٠٠ إلى سنة ١١٢٤ م . ولم يصل إليها سوى القسم الثاني منه ، ويشغل العترة من سنة ١١٠٩ إلى سنة ١١٢٤ م . وينسب بارت إلى شخص يدعى ليديار التوري .
Lisard de Tours (١) .

ووضع كاتب آخر مجهول الاسم ترجمة مختصرة بالفرنسية القديمة اسكتاب فرشييه ده شارتر تحت اسم « تاريخ اورشليم وأطباكية » ، وهي تمتد حتى سنة ١١٢٢ م . وأضاف إليها بعض الأشعار والأساطير ، وذلك قلا عن مخطوط يرجع إلى أواسط القرن الثالث عشر (٢) .

وهناك مصدر لاتيني آخر يجب الإشارة إليه وهو كتاب البرت دكس Albert d'Aix مؤرخ حلة جودفري دوق اللورين السفلى . ولا نعرف هل وجه التحديد الاسم الكامل لهذا المؤرخ ومكان مولده والصر الذي عاش فيه . وكل ما نعرفه أنه كان كاهنا وأميناً لحزينة مدينة اكس Aix . ويبدو من نبذة وردت في الباب السادس من تاريخ البرت تحدث فيها عن موضوع انتخاب جودفري ، وعن رؤيا ظهرت لأحد الجيود الصليبيين الألمان ، أن البرت هذا كان من مدينة اكس لاشابل Aix — la — Chapelle الألمانية ، وليس من اكس البروفانسية في الجنوب الفرنسي . وكان بعض المكاتب القدامى قد

(١) Michand, I, 93-6; Molinier, II, 284. — واسم المختصر الأوب Gesta Francorum expugnationum Iherusalem وهو منشور في مجموعي : Bongars, I, 561-593; R. H. C. - H. Occ., III, 487-543. الاسم Historiae Iherosolymitaneae وهو منشور في نفس المجموعتين السابقين : Bongars, I, 594-625; R. H. C. - H. Occ., III, 545-585.

(٢) أنظر : Molinier, II, 285. واسم المكاتب القدامى إليه Estoire de Jerusalem et d'Antioche وهو منشور في مجموعة : R.H.C. H. Occ., V, 621-648.

أكدوا عكس ذلك . ويرجع المؤرخ ميشو اهتمامه إلى اكس الألامية . وما يؤكد صحة هذا إلا رأى أن البرت يكثر في كتابه من الحديث عن منطقة الراين ، ويبدى إعجابه الشديد بجودفري والعليين الألمان . وكل هذا يدل على أنه الماني وليس فرنسي (١) . ولا يوجد تحت أيدينا ما يثبت أنه ذهب إلى الشرق ، وإن كان قد أبدى هذه الرغبة في كتابه المسمى « تاريخ بيت المقدس » (٢) ، الذي

(١) أنظر : Michael, L. 50-1.

(٢) وسع البرت كتابه باللاتينية تحت اسم *Historia Hierosolymitana* وهو يروي قصة الحملة الأولى ويأرجع حملات الثلاث في الأراضي المقدسة من سنة ١١٠٣ إلى أبريل ١١٦٠ ، ويبدو أنه لم يتبعه . وظهرت طبعة الأولى لهذا المخطوط سنة ١٥٥٨م بفضل العالم رينديوس Reineccus . ولم يذكر فيها اسم للراف . ثم أعاد يوتغارطيه مع إثبات اسم مؤلفه ، انظر التصيل ل : Michael, L. 51 . ولم ينس كتاب ظهرت أية إشارة إلى التورينج التي وقعت فيها الأحداث ، وهو يعتمد على المراجع والروايات ولما وقع لكثير من الأخطاء التي تتعلق بالزمن والوقائع التاريخية . وكان هذا الكتاب يدعو حتى وقت غير بعيد من المصادر الرئيسية للحركة الصليبية حتى أن وأيم الصوري استعان به فيما يتعلق بتاريخ الفترة المتضمنة من هذه الحركة . ومن هنا ظهرت الأسطورة التي نشب إلى جودفري النور الأول في أيام العرب الصليبية ، والتي ثبت عدم صحتها فيما بعد . انظر من ذلك مقال « الدافع النفسي في قيام الحركة الصليبية » ، مجلة كلية الآداب بأكاديمية ، المجلد ١٦ ، ص ١٩٧-١٩٨ . ولد تناور علماء المحدثون كتاب البرت بالتمهيد والتعليق ، فتجد العالم الألف سيل H. Sybel يجهله ولا يحبره مصدر ثقة ، ونهم المؤلف أنه لا يستند إلى الحقائق التاريخية وإن إلى معلومات موهنة . أما المؤرخ كوجلر B. Kugler فقد عدل جهما كبيرا ليثبت أن البرت ذكرى نقل عن مصدر مكتوب من تأليف أحد أولئك الذين لازموا جودفري ، وأنه لهذا لم يجد لا عكس لذلك في صحة الروايات التي أوردها . وأما كوجلر فلاصفا على الكتاب المذكور ولكن لغيره من المراجع والنسج . أما المؤرخ الفرنسي مرديناك فالصوف F. Chalandon فقد أصح البرت علما أوضح أن من البيانات التي ذكرها موثوق صحتها ، لاسما ما يتعلق بمعاملات القسبة . وكما كان الأمر فلا شك أن مؤلف ذكرى مصدر له قبته . وإن كان يجب توحي المحدث عند الإحارة إليه . فهو لا يراعى القوة أحيانا فيما يكتب ، كما أنه يحكم من ذكر المحدثات الخاطئة لطيفة . وانصافا للرجل نقول إنه كتب من كتاب ذلك العصر كان يعتمد تماما فيما يكتب . ولذا لا يمكن اتهامه بالتحريف أو الباطل . انظر من ذلك Cahen, 12-13 & notes.

يعتبر من أفضل الوثائق التي كتبت عن الحملة الأولى. ويبدو أنه استعان بالصادر المعروفة في ذلك الوقت ، كما قل عن أصول أخرى اقدثرت ولم تعمل اليها ، واستمع إلى عدد من اشتركوا في الحملة ، واطلع على بعض المراسلات والمراسم المتعلقة بها . ولهذا يعتبر الكتاب من أكثر المصادر التي توجد تحت أيدينا استيفاء لتاريخ الحملة الأولى . فضلا عن أنه يتضمن الكثير من التفاصيل والبيانات التي لم ترد في تأليف غيره . ولتاريخه قيمة خاصة فيما يتعلق بالحلقات العسكرية التي سبقت قيام الجيوش النظامية إلى الأراضي المقدسة . وكان البرت يرى أن جيش بطرس الناسك لم يعترف من الآثام والمعاصي مثل تلك التي اقترها الجيش اللباردي التي سبقه إلى الشرق ، بينما نجد أن معظم المؤرخين اللاتين قد تناولوا جيش بطرس وقصراته بالقدح الشديد .

ولعل أهم ما تخرج به من كتاب البرت هو صم تحيزه اللاتين ضد الإغريق ، بعكس زملائه من أهل الغرب ، وبخاصة المؤرخ المجهول . بل نراء في كثير من الأحيان يعترف بالخدمات الجليلة التي أسداها الامبراطور البيزنطي الكيسر للفرنج أثناء مرورهم عبر أراضيه وعند تقدمهم في آسيا الصغرى .

وتاريخ البرت دس مكتوب بأسلوب سهل حادى . ومع أن لغته لم تكن ممتازة ، إلا أننا نلمس بين ثناياها الحقيقة النارية دون تنسيق ؛ بالإضافة إلى بعض التفاصيل اللذعة . ولعل موضع النقد الذي يؤخذ على البرت هو أنه لم يمن إطلاقة بتحديد تواريخ الأحداث التي رواها (١) .

وفي معرض الحديث عن الكتاب الغربيين اللذين طامروا أحداث الحملة الصليبية الأولى وإن لم يكونوا شهود عيان لها ، يجب أن نذكر ستة م : بطرس

(١) انظر . I, 51, 70-1 Michaud.

تيدبوده Pierre Tudebode ، وروبرت الراهب Robert le Moine ، ورودى
de بوردى Baudri de Bourgueil ، وجيبرت ده نوبل Guibert de
Nogent ، وراؤول ده كان Raoul de Caen ، واكهارت دورا Ekkehart
d'Aura ، وكافرو الجنوى Griffaro ، وجوتيه للمستشار Gauthier le
Chancelier . فقد تركوا لنا كتباً لها قيمتها ووزنها ولا تزال باقية إلى اليوم .
علماً بأن بعض هؤلاء للكتاب قدموا إلى الأراضي المقدسة بعد انتهاء الحملة ،
ونخص بالذكر راؤول ده كان الذى كان موجوداً في فلسطين سنة ١١٠٧ ومثل
هذه تنكريد ، وكذلك اكهارت دورا الذى قدم إلى الشرق سنة ١١٠١ .

ألف أول هؤلاء وهو تيدبوده كتاباً اسمه « تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس » ،
تناول فيه أحداث الفترة من ١٠٩٥ إلى ١٠٩٩ م . ويلاحظ أنه اكتفى بنقل
كتاب المجهول مؤرخ حملة بوجيمند فنوردماندى ، بعد أن أضاف إليه بعض
الفقرات لئى ربما يكون قد استنساها إما من كتاب ريمون داجيل أو من جهة
أخرى غير معروفة . ويرجع أنه وضع كتابه في الفترة الواقعة بين عامى ١١٠٢
و ١١١١ م .^(١)

أما روبرت فقد كتب داهيا بدير القديس ديمى Saint-Remi في ريمز
Reims بفرنسا ، ثم أصبح رئيساً لهذا الدير عام ١٠٩٤ م . وبعد ذلك صابر
ضده قرار الحرمان الكنسى ، وطرد من الدير حوالى عام ١٠٩٦ / ١٠٩٧ م ،
فالتجأ إلى دير سنوك Sennec في مارموتيه بفرنسا ليقضى هناك بقية أيام

(١) انظر Moliner, II, 281 وقد ألف كتابه باللغة باسم Historia de Hierosolymitano itinere ، وهو منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخى الحروب
الصليبية (المؤرخون الصليبيون) ص ٢ - ١١٧ .

حياته (١) . وفي هذا العهد انكب على تدوين كتابه . ومساهمة ذهابه إلى الأراضي المقدسة بمرء احتياج إلى الدراسة والاستقصاء (٢) ، إذ ليس هناك ما يؤكد أنه توجه مع الحملة إلى الشرق . وتاريخ وفاته غير معروف بالضبط ، وإنما يظن أنه حوالى سنة ١١٢٢ م .

وقد ألف كتابه المسمى « تاريخ بيت المقدس » (٣) أثنا إقامته في دير سنوك حسبما أسلفنا . وكان هدفه أعلم كتاب المؤرخ المجهول بأسلوب رفيع ، نظرا لما امتاز به أسلوب الكاتب المجهول من ضعف ودكاكة ، وبروز الكتاب

(١) يذكر بعضو أن سبب طرد دويرت من دير القديس ريمى يرجع إلى أن رجلا من الدير المذكور اتهموه أثناء تيسره في الشرق بتفديد أموال الدير لى سبيل الألقاق من رحلته . وقد تم مرله من وثيقة الدير خلال وجوده بالشرق . وبعد عودته إلى بلاده أقام لى دير سنوك . انظر : 6-25 ، Michaela.

(٢) اختتمت آراء المؤرخين حول مساهمة ذهاب دويرت الراحب إلى الشرق . فقد أوضح هو نفسه لى كتابه أنه كان يود زيارة الأماكن المقدسة . ويذكر بعضو أنه توجه للصق لفلان السنة التالية لتقدم مؤتمركلميون ، كما كان موجودا عند حصار ريب لالدى ووثيقة «فلان » انظر : 25 ، 1 ، Michaela . أما موليه يرجع ذهابه إلى الأراضي المقدسة حوالى سنة ١١٠٠ م . انظر : 282 ، II ، Molinier.

(٣) أنه كتابه باللاتينية واسمه *Historia Iherosolimitana* وهو بشر من أوائل اسكتب التى صدرت فى مارس عقب أخراج للطباعة ، ومنحه الأول طبعة بالأخطاء ! وقد صدرت فيما بين عامى ١٤٧٠ و ١٤٧٢ م ؛ وهى بدون تاريخ وبدون ذكر اسم لدار التى برأت نشره . وظهرت بعد ذلك طبعة ثانية فى مدينة باله Bâle بمويسراسنة ١٥٣٥م ؛ وهى فى الأخرى أخطاء عديدة . ولم يتم العالم بونجار بشركتاب دويرت إلا بعد مراجعة هاتين الطبعين مراجعة دقيقة ، كما اعتمد على ثلاثة مخطوطات أخرى لهذا الكتاب . انظر : 81-30 ، I ، Bongars . وأسلف مارث جى المواتى الفية على كتاب دويرت الذى نشره لى مراسكورت بالياب سنة ١٧٢٦ م . انظر من ذلك : 4 ، 33 ، I ، Michaela . ولكتاب مشهور أيضا فى مجموعة R. H. C. II. Occ., I I, 717-782 ، وهى الطبعة التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث .

القصة الكاملة للحملة الصليبية الأولى ؛ فهو يبدأ بمؤتمر كليرمون وينتهي بموقعة
صفلان . ومع ذلك فليست له أية قيمة أصلية ، وإن كان قد تناول بعض
الأحداث بإقتضاه أكثر من للتورخ الجوهري ؛ وأضاف بعض المعلومات التي
تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية (١) . مثال ذلك الفصل الذي كتبه عن مؤتمر
كليرمون الذي اشترك فيه باعتباره من رجال الدين .

ومناك وجه شبه كبير بين كتابي روبرت والجوهري . ولعل الخلاف الوحيد
بينهما هو الأسلوب وطريقة التبويب . وذكر روبرت في مقدمة كتابه أن
هذه هي ترويض الحقيقة ، وبص قوله : « إن يجد القارئ في كتابي تروافه أو
أكاذيب أو ترهات ، وبالرغم من أنه كان يتوخى الدقة والصدق فيها يكتب ،
إلا أنه كان يميل أحيانا إلى تصديق الأساطير والمجرات التي لا يقبلها العقل » (٢) .

أما بودوي ديه بودوي قد ولد بمدينة لودليانز ، واعتنق منذ صغره مبادئ
الرهبة ، وامتاز بثقافته العالية . وأصبح بفضل علمه ومثاقه خلفه رئيس أساقفة
مدينة دول Doi بمقاطعة نورمانديا شمال غربي فرنسا . وقد ألف كتابا عديدة منها
كتابه عن الحملة الصليبية الأولى المعروف باسم « تاريخ بيت المقدس » (٣) .
ويذكر في مقدمته أنه فرغ منه وهو في الستين من عمره ؛ ويحتمل أن يكون قد
وحد بعد عام ١١٠٧ م . وقد اشترك بودوي هو الآخر في مؤتمر كليرمون وأشار
إليه في كتابه . ولكنه لم يقف مع الحملة إلى الشرق ، وإنما استمد معلوماته

Molinier, II, 382. (١)

Michaud, I, 26,33. (٢)

(٣) اسم الكتاب Historia Jerosolimitana ؛ وهو مشهور في عمومى ؛
Bongars, I, 85-138; R. H. C. - H. Occ., IV, 1-111.

من أولئك الذين شاهدوا وقائعها ومن كتاب المؤرخ المجهول . وبدأ كتاب بودري بتيام الحلة من الغرب ، وينتهي بالحركة التي قامت بعد الاستيلاء على يد القنس .

لقد ألف بودري من كتاب المؤرخ المجهول قائمة يعود أثرها وأصحا في مؤلفه ، وإن كان يفضل المجهول في لقاء أسلوبه وبلاغته . كما أضاف بعض الروايات التي سمها شناعة ، وبعض المعلومات التي يطلب عليها عنصر الخيال . وجدير بالذكر أنه اعتمد على مؤلف بودري كل من اوردرريك فيتال Orderic Vital ، ووليم الصوري ، وفلسان ده بوفيه Vincent de Beauvais (١) . ويمتدح فيتال صديق بودري ووصف حواره وقاء أسلوبه . ويرى المؤرخ الفرنسي ميشو أن تمسك بودري بالحقيقة ، والناية التي بذلها في سبيل إخراج الكتاب ، فضلا عن صراحته وطيبه قلبه . كل هذا يجعل الكتاب وثيقة هامة ، كما لو كان مؤلفه شاهد عيان لأحداث ذلك الزمان (٢) .

أما جيبيرت ده نورجان فقد ولد من أسرة حرة في مدينة كليرمون وسط فرنسا . وكان العيش بلازمة في منى حياته الأولى . وما لبث أن عاف حياة العيش ، وانكب على العمل والتحصيل وانغمس في الدين . وقد وضع هذه كتب في اللاهوت ، كما ألف كتابه عن أعمال الفرنجة ، (٣) أهداه إلى إيزاباردوس

(١) اسم الكتاب Selecta e speculo Historiali Vincentii Bellocensis وهو منشور في مجموعة : Bouquet, M. (ed.), Recueil des Historiens des Gaules et de la France, XXI, 71-75.

(٢) Michaud, I, 34-541; cf. also Molinier, II, 282-3.

(٣) اسم الكتاب Gesta Dei per Francos ، وهو منشور في المجموعتين التاليين : Bongars, I, 467-560; R. H. C. - H. Occ., IV, 113-263.

Lisiardus أسقف مدينة سواسون (١١٠٨ - ١١٢٦) . ولم يذهب جيرت إلى بيت القدس ، ولم يشاهد شيئاً مما سجله ، وإنما اعتمد في روايته على عدد من المؤرخين المتأخرين ، ومن بينهم المؤرخ المجهول الذي أقامه . ولكن مع شيء من التدقيق والتحقيق أكثر من زميله بودي ده بودي . وأما الكثير من المفصلات التي لم ترد أصلاً في كتاب مؤرخ حملة بوهيمند . وفي أسلوبه تكلم وغوص ، كما دون جانبا من مؤلفه شعرا وألباني ثرا (١) .

ويبدأ تاريخه بكلمة إهداء إلى أسقف سواسون . ويتبعها بمقدمة أشار فيها إلى كتاب المؤرخ المجهول الذي كان معروفاً في أيامه . ويعترف بأنه نال منه فائدة بعد أن صحح الكثير من الأخطاء الواردة فيه . ويقول إنه قام بوضع كتابه لاحقاً في الشهرة أو المال ، وإنما لما ينطوي عليه الموضوع من أهمية (٢) . وهناك أيضاً المؤرخ راول ده كان الذي ولد بمدينة كان بفرنسا . وقد ذهب إلى الشرق عام ١١٠٧ م حيث لادم تنكريد ابن أخت بوهيمند . ودون كتابه بعد عام ١١١٢ م قلا من الروايات التي حكاهما له هذا الأمير . وتوفي راول بعد عام ١١٣١ م بقليل . ويروي مؤلفه للمسعى وأعمال تنكريد ، تاريخ الحركة الصليبية حتى سنة ١١٠٥ م . ونلس بونوح ، ما كتبه شعوره العدائي لكل من الإمبراطور البيزنطي الكسيس كومنن والأمير ريمون ده سان جيل ، بسبب العلاقات السيئة التي كانت قائمة بين هذين السيدين وكل من تنكريد وناله

Michand, I, 88; Molimier, II, 283. (١)

(٢) وفيما يلي نس ما ذكره بونو عن جيرت :

« Il y dit qu'il a été engagé à écrire cette histoire, non par amour de la gloire ou de l'argent, mais à cause de l'importance du sujet. » Cf. Michand, I, 89.

يوهيمند . وسنعرض لذلك بالتفصيل في الفصلين الأخيرين من الكتاب . هذا ، وكتاب راؤول خليط من الشعر والتر . وبلاحظ أنه لم يتم مراجعته وتنقيحه مثلما فعل غيره من مؤرخي الحملة الأولى (١) .

وفي معرض الحديث عن مؤرخي هذه الحملة يجب ألا ننقل الأسقف أكارث دوراء ، وهو ألماني ذهب إلى سورية سنة ١١٠٦ م ، أي بعد انتهاء الحملة . ووضع بعد عودته إلى بلاده كتابه المعروف باسم « بيت المقدس » (٢) .

وهناك أيضا كافارو الجنوي Gaffaro . وهو من أسرة عريضة ، قدم إلى فلسطين سنة ١١٠٠ ، ثم زاد الأراضى الفسحة بعد ذلك عدة مرات . وهو صاحب كتاب « حوليات جنوة » ، الذى يشغل الفترة من سنة ١١٠٠ إلى سنة ١١٦٣ . وله أيضا كتاب صغير عنوانه « تحرير مدن الشرق » Liberatio civitatum orientis ، وقد وضعه سنة ١١٥٥ . وظل هذا الكتيب مجهولا ، ولم يثر عليه إلا بعد قرن من ذلك لتاريخ بين أوراق أخرى قديمة (٣) .

ويجب أن نذكر في هذا الصدد جوثيه المستشار Gauthier le Chancelier

(١) Cahen, 11-12; Molinier, II, 285. — والكتاب اللاتينية واسمها *Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana* : وله طبعات عديدة R. H. C.-H. Occ., III, 587-716 في مجموعة

(٢) انظر : Cahen, 11, & n. 2. وقدم بنصر الكتاب المذكور العالم حاجي باير (طبعه Tübingen, 1877) ، وهو منشور أيضا في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية التريين . هذا وطبعة بولديان أفضل بكثير من طبعة حاجي باير .

(٣) انظر : Cahen, op. cit., II . وتوجد طبعان لكتاب كافارو يسمى « حوليات جنوة » : الأول طبعة « لجيراتو » Gaffaro, Fonti per la storia d'Italia, éd. Bizzarro, Rome, 1890. والثانية طبعة « ديان » في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (للتورخون الترييون) .

فهو يعتبر بدون شك من مؤرخي عصر الحملة الصليبية الأولى . وعلى الرغم من أن عنوان كتابه هو « حرب أنطاكية » ، De Bello Antiocheno ، إلا أنه يقتصر على حرب سنة ١١١٥ ، والحروب التي وقعت فيما بين عامي ١١١٩ و ١١٢٢ . ويعتبر مؤلفه من أهم المصادر ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق في تاريخ الصليبيين في شمال سورية وبخاصة أنطاكية . ويحتمل أن يكون جنوبيه هذا قد حصل مستمراً لدى روجر . كما كان على معرفة تامة بالنظم والروائع والأحداث في سورية الشمالية ، فضلاً عن معرفته بجغرافية المنطقة (١) .

يضاف إلى ما تقدم بعض الكتب والمختصرات التي وضعت من هذه الحجة ، منها كتاب لمؤرخ شهير معروف بالإسم وضعه بناء على طلب بلدين الثالث ملك بيت المقدس اللاتيني ، وسرد فيه تاريخ الحركة من بدايتها حتى سنة ١١٢٣ م . وهو عبارة عن مختصر لكتابين روبرت الراهب وفوشيد ده شارتر . وقد تم وضعه حوالي سنة ١١٤٦/١١٤٧ م . والنص المذكور ليس له أي قيمة تاريخية (٢) .

وثمة مؤلف آخر اسمه جوتفريد الباري ، Gunther de Pairis ، وضع كتاباً من الحملة الأولى في آخريات القرن الثاني عشر قلاعاً عن مؤلف روبرت الراهب (٣) .

(١) أنظر : Cahen, op. cit., 16 . والمكتشف جنوبيه طمطل : الأولى طبعة « هاجنبير » (Heidelberg, 1896) ؛ والثانية طبعة « ديل » ، في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (لؤورنزون الفريون) .

(٢) Molinier, II, 282 . واسم الكتاب Baldunzi III Historia Nicaena vol Antiochena ، وقد قام بخره الكونت بول ريان Comte P. Riant الذي توفي سنة ١٨٨٨ م ، في مجموعة : R.H.C.-H. Occ., V, 133-185 .

(٣) Molinier, II, 290 . والكتاب اسمه Solimarius . وقد عثر من شعرات منه في مدينة كولونيا قام بخرها العالم فاخناخ Wattenbach في مجموعة أرشيف الشرق اللاتيني . أنظر : A. O. L., I, 551-561 .

وإلى جانب تلك المصادر اللاتينية المعاصرة التي أسلفنا الإشارة إليها، يوجد عدد من الرسائل والوثائق والمكتابات ، تخص بالذكر منها الخطاب الذي يقال إن الكسيس كومتين أرسله إلى زوجته في فلاندرز أمير الأراضي الواطنة (١) ، وخطاب اثنين كونت بلوا وشاورز الذين بحث بهما من الشرق إلى (وجهه أدبل في أوروبا) (٢) ، وخطاب الكسيس يكشف عن الدافع الشخصية في قيام الحركة الصليبية ، وأطوار اللاتين التي وجهتهم نحو الشرق العربي ؛ يتناجد في الخطابين الآخرين اعترافا صريحا من أحد زعماء اللاتين بتلك الخدمات التي أداها البيزنطيون للمفرنج خلال الحملة الأولى . ويتفق الكونت اثنين في هذا الاتجاه مع زميله ألبرت دكس ، بخلاف باقي المؤرخين اللاتين الذين امتلأت كتاباتهم بالحق والكراهية ضد المسيحيين الشرقيين . الذين كانوا في نظرم مجرد مرططة منفقين ص كنيسة روما الكاثوليكية .

وإلى جانب هذه المستندات والوثائق يوجد بعض المؤرخين اللاتين المتأخرين لسيا عن الحملة الأولى الذين أفننا منهم ، نذكر من بينهم وليم الصوري Guillaume de Tyr ، وامبرواز Ambroise (٣) ، وجوازيل Joinville .

(١) انظر تحليل الخطاب المذكور وثائق التي أنثرت حول في مقال : «الدع الشخصي ل قيام حركة الصليبية » تحت عنوان دور بيترقة والكسيس كومتين في الدعوة إلى الحروب الصليبية ، ص ١٨٨ - ١٩٥ . انظر أيضا الترجمة العربية لتطولات من الخطاب في ملحق الأول لآمر الكتاب .

(٢) انظر الترجمة العربية لتطولات من خطاب الكونت اثنين إلى زوجته التي حرره من معسكر الجيش الصليبي بالقرب من بقة في يونيو ١١٧٠ - ١١٧١ ، في الملحق الرابع لآمر الكتاب .

(٣) فيا يتلاق شكل من وليم الصوري وليمبرواز ، انظر : «تاريخ مسيحي» - ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية ، ص ٥ - ١٦ و ١٩ - ٢٠ . راجع أيضا مقدمة الأستاذ محبت Hubert التي مهد بها ترجمته الإنجليزية لكتاب امبرواز عن الحملة الصليبية الثالثة . فقد =

ودوتلان Rothelin ، ومثي الباريس Matthew Paris (١) . ولو أن النقل هو الطابع الغالب في معظم هذه الأصول فيما يتعلق بالأحداث الماضية ، إلا أن نجد فيها أحيانا إشارات لها أهميتها ووزنها ، ويدل أثرها واضحا في نايا البحث (٢) .

هذه عن الأصول اللاتينية من معاصرة وغير معاصرة ؛ أما المصادر البيزنطية ففيها هي الأخرى مادة ممتازة من الدرجة الأولى فيما يتعلق بحقيقة اتجاهات الحركة الصليبية ، وطبيعة العلاقات بين المسيحيين الشرقيين والغربيين إبان تلك الفترة من الزمن ، وتشابه العلاقات بين العرب والبيزنطيين واللاتين . وأهم هذه

== عرس لتاريخ حياة للوقت ، وتناول الكتب بدراسة والتحليل مدتها ليمتد التاريخية ، حيث أن مؤلفه كان شاعرا ميان لأحداث تلك الحقبة . أخر : Ambroise, Crusade of Richard, 3-27.

(١) وفيما يتعلق بسيرة جواخيل ودوتلان ومثي الباريس ومؤلفاتهم ، انظر حكايا : لويس التاسع في الشرق الأوسط ، ص ٧٤٣ و ١١٠-١١١ . راجع أيضا السيد أبااز عربي : مؤرخو المروء الصليبية ، ص ١٤٨ - ١٥١ ، ١٥٣ - ١٧٣ .

(٢) يحلل الأستاذ كولنجوود Cullingwood في كتابه « فكرة التاريخ » ، ترجمة الأستاذ محمد بكيم خليل ، ص ١١٢ - ١١٩ ، تحليلا منطقيا مما كتبه التاريخ في العصور الوسطى يقول إنها كانت استنفا للأسلوب التاريخي الذي جرى عليه اليونان والرومان القدماء ، دون استحداث أي تنوير في الطريقة للتدوين . ويستطرد قائلا أن مؤرخ العصور الوسطى في الغرب عاش أحيانا في حوز سيطرة فيه المكتفية على كل شيء ، فكان يكتب ما يكتبه ، وحل ما طار من غير أن يسأل عن السبل الخروج عنه أو التمسك به ، وقد أدى ذلك إلى إهمال مؤرخ العربي الوسيط الواجب الأول للمؤرخ من حيث فهم حقيقة الأحداث ومحاولة الكشف عنها . ومن هذا التمسك بتاريخ في تلك القرون بصفة عامة بالنسبة من حيث التدوين والتسجيل والتقدير الدقيق للعلاقات التاريخية ، مما لا يتفق مع روح البحث العلمي الحديث . وعلى هذا الأساس كان مؤرخو المروء الصليبية اللاتين - عظامهم شأن يلقى مؤرخي العصور الوسطى الأوروبية - يسودون الواقع والأحداث من وجهة نظر مبنية بسلامة في كثير من الأحيان عن الواقع التاريخي الصحيح .

المصادر بلا شك كتاب الألكسياد Alexiad الذي وضعته الاميرة آن كومنين^(١) Anne Comnène قيل منتصف القرن الثاني عشر بقليل ، عن تاريخ حياة أيتها الامبراطور الكيس كومنين . وقد ضمتته ذكرياتها ومشاهداتها وأحاسيسها واتصالاتها خلال تلك الفترة المضطربة من تاريخ الدولة البيزنطية . ولا يمكن اغفال كتاب الألكسياد عند تناول العلاقات الصليبية الرومية العربية فيقول الحق الأول وفي اثنتائها وبعد انتهائها . فادته دسمة ووفرة تكشف عن العوامل المختلفة المتشابكة البعيدة القوي في أحماق التاريخ الوسيط التي أدت الى قيام سوء التفاهم بين الاغريق واللاتين أو بين مسيحيي الشرق والغرب . وفيه تكشف الاميرة آن في أسلوب يتمتع شائق ، وفي صراحة تامة ،

(١) ولدت الأميرة آن في ديسمبر ١٠٨٣ ، وتزوجت من فلور برنيوس Nicephorus Bryennius ؛ وتوفيت سنة ١١٤٨ عن ٦٦ سنة . وهي ابنة الامبراطور الكيس من زوجته الامبراطورة ايرين دوكاس . وقد قام أخوها جونا كوسين بحبسها في أحد الأديرة بعد وفاة أبيهما . وهي غزيرة العلم واسعة الثقافة ، وكانت على معرفة بأدب اليونان القديمة وكسب الاموت . ووصفت كتابها الألكسياد باللغة اليونانية المائدة ومعتدك ، ليكون سهلا حذلا لتاريخ حياة أيتها ، حتى أنها أسمته . وهو يمثل الفترة الممتدة من سنة ١٠٦٩ الى سنة ١١١٨ . وقد بدأت في تدوينه سنة ١١٣٧ ، وأنهت في أواسط القرن الثاني عشر (حوالى سنة ١١٤٨) . ومخرج من الكتاب بصورة نابضة من المؤلفتها ، تلاءم الكتابة التي تميزت بشخصيتها الفظة ، وحاسيتها المرفقة ، وعلفيتها القوية ، ولها العيب ، واعتادها نفسها ويدها وأيتها الامبراطور . أنظر التاميل في :

Diehl, Figures Byzantines, 26-52; Cahen, 95; Ostrogorsky, 311.

وهناك طبعان قديمان قيثان للكتاب تضمنان الأصل اليوناني القديم مع الترجمة للاتينية ، وهما :

- 1 Anna Comnena, Alexias, Venetia, 1729, ed. - De Bisentine Istorie, T. XI.
- 2 Anna Comnena, Alexiadis (Libri XV), Volumen I, Addidit Ludovicus Schopenhaus, Bonnæ, 1839, ed. - Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae .-

عن الانجازات الاستعمارية العدوانية للحركة الصليبية ، وجشع اللاتين وأطماعهم في دولة الروم وفي العالم العربي ، ثم موقف كل من اللاتين والاعرقى حيال الآخر من وجهة النظر التاريخية ، ذلك الموقف المعيب الذي كانت تسود الرية والشك المتبادلين وتملوه فتور سطحية من المودة والانجاملات الدبلوماسية ، بما يجعل روايتها تحصل في ملياتها صفة الوثائق الرسمية (١) .

والباحث المحدث يجد أن هذه الكتابة تمثل حجر تمثيل النظمية الاخرقية المستنيرة في تلك القرون القليلة التي امتازت فيها اوروبا بالنهضة الاخرى ، وآية ذلك آراؤنا الصريحة في اللاتين الغربيين وطباعهم وأخلاقهم وأطماعهم ، وفي تحصيلها الدقيق الرائع للوقائع والأحداث التاريخية ، وتناولها الصادق للشخصيات عصرها ، فقد أمدتنا بصورة حية لوالدها الامبراطور والامير بوهيمند النورماندي وغيره من زعماء الحملة الأولى من الفرنج وكثير من الزعماء العرب .

بما سلف يعتبر الكتاب المذكر ومصدر مهم في دراسة تاريخ هذه الحقبة . فقد عاصرت الكتابة الاخرقية الأحداث التي كتبت عنها ، وعاشت فيها وتفاعلت معها . وكانت شاهدة عيان لجانب كبير منها ، كما رأيت بعينيها ما كان يجري في بلاط والدها الامبراطور . وسجلت ذلك كله في كتابها بصق وأمانة يتحيان بالمقارنة بين روايتها وكتابات المؤرخين اللاتين المعاصرين لها . ولا شك انها استقت جوابا من المعلومات التي أوردتها في الكتاب من بعض شهود العيان ، ومن مذكراتها الخاصة المسجل بها ذكرياتها ، ومن مذكرات زوجها التي تركها لها ، ومن مصدر لا يمتنى انقثر ولم يصل إلينا ، فضلا عن بعض الأصول المتوق بها

(١) انظر الترجمة العربية لبعض النصوص من كتاب الكليد للاميرة آن كوسين في الملحق الثالث بآخر الكتاب .

كل المراسلات والوثائق الرسمية وما شابه ذلك . ويمتاز أسلوبها بغفائه وزخرفته وتكلفه .

ومع ذلك فقد شلب للتموض واللس بعض الوقائع التي تعرضت لها تلك الكتبة . ولاحظ أيضا أن الترتيب الزمني لبعض الأحداث غير دقيق ، ولو أنها تزعم عكس ذلك ^(١) . ولها في ذلك عدوها ، إذ كانت عندما مرت امرأة الصليبية بأراضي الدولة البيزنطية قتلة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها ، ولم تسجل تلك الأحداث إلا بعد مئتي حوالي نصف قرن من ذلك التاريخ .

ورأى جانب الأصول اللاتينية والأعربية توجد بعض المصادر الأرمينية التي عادت علينا ببعض الثمينة ، ومنها كتاب من إرماوى Mathieu d'Edesse ، ومؤلف ميخائيل السورى Michel le Syrien . ولأولها حولية تناول الأحداث من سنة ٩٥٢ إلى سنة ١١٣٧ م . وقد ولد من بمدينة الرها ، ويبدو أنه تولى أثناء استيلاء عماد الدين زنكى عليها سنة ١١٤٤ م . وأتم أحد تلامذته ، وهو الكاهن جرجيوار Gregoire le Prêtre الكتاب المذكور حتى سنة ١١٦٣ م . أما ميخائيل السورى فتتمة حواشيته حتى تاريخ وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي ^(٢) .

(١) Molinier, II, 293-4; cf. also Ostrogorsky, 311.

(٢) Molinier, II, 296-7. وتوجد مقتطفات من كتاب من إرماوى ومجموعة R.H.C. Doc. Arm., I, 1-150 ، ومقتطفات من حواشيته جرجيوار الأرمي في المجموعة السابقة ، (ج ١ ص ١٥١ - ٢٠١) ، وكذلك شذرات من حوية ميخائيل السورى في المجموعة المذكورة (ج ١ ص ٣٠٩ - ٤٠٩) . وحوية ميخائيل السورى مشهورة بالكمال في طبعة « شابو » . انظر : Michel le Syrien, éd Tild. Chabot, 3 Vols., Paris, 1899-1910. ويبحث فيها الجزء الثالث . انظر : Cahen, op. cit., 96.

كانت هذه الصليبية الأولى أقل غنية بالمؤلفات والرسائل التي وضعها أهل الغرب الأوروبي والافريق للبيزنطيون والأرمن . وكانت هذه الألياف قسم بصفة عامة بالتاريخ والبيان لآسيا المصادرة اللاتينية . ومن سوء الحظ أن الكتائب العرب الذين عاصروا أحداث تلك الفترة لم يتركوا لنا شيئا مستقلا عنها . وهذا ما يمكن أن يقال بالنسبة لأولئك الذين عاصروا الحركة في شرق مراحبها . فلم تحصل لنا مؤلفات قائمة بذاتها عن تاريخ تلك الحقبة وما لحقها من الحملات التي كانت وقعة الشرق العربي والشرق الإفريقي مسرحا لها خلال ثلاثة قرون من الزمان .

وليس من السهل تحليل عدم وجود كتاب وقتذاك تفرغوا لهذه الحروب العدوانية تغرغا تاما ، وتنبهوا أحداثها عن كثب ، ثم قاموا بتسجيل ذلك كله في مؤلفات منفردة مثلا فعل أهل الغرب ، خاصة وأنه كان يوجد في بلاط الحكام العرب مؤرخون مختصون في كتابة السير والراجم وأحداث زمانهم . كما اشترك في الحملات العربية المصادرة كثير من المرسلان الأدباء الذين كان يوسعهم تدوين تاريخ هذه الحملات في كتب مستقلة قائمة بذاتها . وإن مثل هذه المؤلفات لو كانت قد وضعت فعلا لأمدتنا بمادة وفيرة لا يمكن بحال التقليل من قيمتها وأهميتها ، ولساعدتنا في الكشف عن الكثير من القصور الذي يحيط ببعض جوانب هذه الحركة .

ولعل السري ذلك يرجع لسببين : أولا أن الحركة الصليبية كانت حركة عدوانية قام بها الغرب الأوروبي ضد العالم العربي لتحقيق اتجاهاات استعمارية توسعية . وقد أحيطت منذ بدايتها بهالة كبيرة من العناية العلمية والحاس الجنوني في الغرب ، بما دفع كثير من اللاتين الذين اشتركوا فيها وخاضوا معاركها ، إلى تسجيل ذلك في كتب حفظها لنا الزمن من الكتب والضياع . وحتى أولئك الغربيين الذين

بقوا في أوروبا ولم يشركوا في هذه الحملات ، كانوا يتلقفون أخبارها أولا بأول من الفرع المأهين وغيرهم من الرواة والحجاج ، ويسيطرونها في مؤامرات بقيت إلى اليوم . ويلاحظ أيضا أن المؤلفات العامة في التاريخ الأوروبي لم تخل من الإشارة إلى هذه الحملات التي جنت لها العقول والأفلام في العرب . بل إن أخبار الحركة الصليبية كانت تغطي أحيانا على الموضوع الأصلي المكتتب . لذلك كان من الطبيعي أن يوجه لها الغربيون اهتماما خاصا . وعلى العكس ، لم تزل الحملات الصليبية من المؤلفين العرب المعاصرين لها قصص القدر من الاهتمام . فقد لوجشوا بجهوش غازية تنزل في ديارهم في أعداد كبيرة ، تهب وتقتل وتسرقة ما شاء لها النهب والقتل والسرقة ، في وقت كان فيه العالم العربي ضعيفا منقسما على نفسه ، ولم يكن قد أصدر صدته بعد لتجميع قواه ودفع أولئك الغزاة . ولذلك اكتفوا بتسجيل أحداثها في حولياتهم وكتبهم العامة دون حاجة إلى الدخول في تفصيلات مطولة ودقائق عديدة كذلك التي تدرجها الغربيون . ولذلك كان المؤرخون العرب يميلون بصفة عامة إلى التسميم والاحمال ، بسكس الافرنج الذين كانوا يميلون أحيانا إلى التخصيص والاقامة (١) . هذا عن السبب الأول ، أما السبب الثاني من المحتمل أنه يرجع إلى طريقة كل من الغرب الأوروبي و«الم العربي في تدوين التاريخ وقتذاك . فقد كان الغرب حتى آخريات القرن الحادي عشر يضع نظام الحوليات المعروف ، ولكن كتابة التاريخ تطورت عندهم منذ قيام الحركة الصليبية على النحو الذي نراه اليوم . أما المكتتاب العرب فقد ظلوا يسبرون في تدوين كتبهم على غرار نظام الحوليات (٢) . ولهذا كانت أحداث

(١) أقول : عدم صداقة عنان : مصر الإسلامية ، ص ١٠٧ .

(٢) ومعنى هذا طريقة التأريخ «السنين» . فكان معظم الكتب العرب يؤرخون نحو دت سنة سنة ، بينما اتبع فريق آخر طريقة التأريخ ليهود الملقاه والاسكندرية ، وديها بسرد المؤلف =

الحركة الصليبية تكون إلى جانب غيرها من الوقائع التي لا توجد بينها أى رابطة ،
وذلك وفقا للترتيب الزمنى للأحداث .

لقد انصب اهتمام أولئك الكتاب بوجه عام على تسجيل تواريخ المدن
والبلدان ، وكتابة السير والتراجم ، وتأليف الكتب الجامعة وتواريخ الدول
والملك . وبين طيات هذه الكتب ومن خلال سطورها نجد المادة التي تهتم بمعرفة
هنا وهناك .

لن الكتب التي اختصت بالمدن والبلدان نذكر ذيل تاريخ دمشق لابن
القلائس (ت ٥٥٥ / ١١٢٦ م) الذي عاصر أحداث هذه الحقبة من الزمن
وكتب عنها ، وكذلك تاريخ حلب لابن العديم (ت ٦٦٠ / ١٢٦٢ م) ،
والنهر المنتخب في تاريخ ملكة حلب لابن الفحنة (ت ٨٩٠ / ١١٨٥ م) ،
والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لأبي اليمن العليم (ت ٩٢٧ / ١٥٢١ م) .

أما كتب السير والتراجم فنما ما احتص بسيرة خليفة من الخلفاء أو حاكم
من الحكام ، ومنها ما كان أكثر توسعا فشمّل عدة سير . فن النوع الأول

== أيام الخلفاء والحكام والأحداث التي وقعت في عهدهم . ولعل من المؤرخين من حاول
كتابة تاريخ على حسب الموضوعات ، وعلى رأس هؤلاء ابن الأثير والنويري ؛ وهذا
المرق هو مجسم الحوادث وعدم التصريح في ذكرها قدر الاستطاعة . هذا ولما أن نظام
الحوادث انتهى كان ميسر في كتابة التاريخ كان محمد بن تشارط المؤرخ في ذكر كل الأخبار
للتسعة عمادة ما عجمه سراحة . انظر من ذلك : محمد عبد الحفيظ حسن : علم التاريخ عند العرب ،
ص ١٧١ - ١٧٧ . انظر أيضا ما كتبه الدكتور عبد القم بلعيد عن ثقافة الكتابة التاريخية
عند العرب في العصر الإسلامي في مؤلفته : مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي . ط ١ : ناية (القاهرة
١٩٦٤) ص ٣١ - ٤١ ، وكذلك سيرة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامي
ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٩٦٠) ص ٤٨ - ٥٦ .

نجد سيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شداد (١) (ت ٦٣٢ / ١٢٣٨ م)، والتاريخ الصالحى لابن واصل (ت ٦٩٧ / ١٢٩٨ م)، الذى تناول في مؤلفه سيرة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو لا يزال مخطوطا لم ينشر بعد. ومن النوع الثانى مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان لابن الجوزى (ت ٦٥٤ / ١٢٥٧ م)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ / ١٢٨٢ م)، ومخطوط الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين لابن دقاق (ت ٨٠٩ / ١٤٠٧ م)، والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لأبى الحسن (ت ٨٧٤ / ١٤٦٩ م).

والمكتبة العربية عامرة بكتب التواريخ العامة ونوادر الدول والممالك، ومن أهمها تاريخ دولة آل سلجوق للأصفهانى (ت ٥٩٧ / ١٢٠١ م)، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ / ١٢٣٤ م) وأتابكة الموصل لنفس المؤلف، وكتاب الروستين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية والذين على الروستين لأبى شامة (ت ٦٦٥ / ١٢٦٧ م)، ومفرج الكرب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل (٢) (ت ٦٩٧ / ١٢٩٨ م)، وكثر الدور وجامع

(١) نشره الدكتور جمال الدين الشيال فى مجموعة «آثار» تحت اسم سيرة صلاح الدين «السيرة اليوسيفية» المسبلة بالنوادر السلطانية والحسان اليوسيفية — ط. أول — القاهرة ١٩٦٤.

(٢) جدير هذا الكتاب حجة لا يشكها بما فى تاريخ العصر الأخير من دولة بنى أيوب حيث اتفق ابن واصل للامتنان فى عهد الصالح أيوب وابنه توران شاه وأمر الملك الصالح شجر الدر. وهو مصدر أساسى لا غنى عنه فى تاريخ حجة لوس التاسع على مصر. ويقوم على نشر هذه الموسوعة الدكتور جمال الدين الشيال، وقد ظهر منها الآن ثلاثة أجزاء، اظهر بن واصل - مفرج الكرب فى أخبار بنى أيوب - ٣ - (حتى سنة ٦٦٥ هـ) - نشر وتعليق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٦٠. وقبلا يعلق بسيرة ابن واصل اظهر كتابي: حجة لوس التاسع فى العراق الأوسط، ص ١٦١٤ والحواشى، بن واصل - مفرج الكرب - نشر الدكتور الشيال ١٩٦٠، ص ٤ - ٨.

الفرد لاين ايبك (ت ١٧٣٢ / ١٣٣١ م) وهو لم ينشر بعد ، و المختصر في أخبار
 الحسين لابن الفداء (ت ١٧٣٢ / ١٣٣١ م) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (ت ١٧٤٨ /
 ١٣٤٨ م) ، وخطوط مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري (ت ١٧٤٨ /
 ١٣٤٨ م) ، وتتممة المختصر لابن الوردي (ت ١٧٤٩ / ١٣٤٩ م) ، وخطوط
 حيون التواريخ للكتبي (ت ١٧٦٤ / ١٣٦٣ م) ، وتاريخ ابن خلدون (١)
 (ت ١٨٠٨ / ١٤٠٦ م) ، وخطوط نزهة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دقاق
 (ت ١٨٠٩ / ١٤٠٧ م) واللوك لمحنة دول الملوك للفريرى (٢) (ت ١٨٤٤ م)
 (١٤٤٢ م) ، وكتابات إقانة الأمة بكشف القدة وانطاط الخفا بأخبار الأئمة
 الفاطميين الخلفاء تنفس المؤلف ، (٣) وعند الجان في تاريخ أهل الزمان للعيني
 (ت ١٨٥٥ / ١٤٥١ م) الذي نشرت مقتطفات منه في مجتمعة مؤرخي
 الحروب الصليبية (المؤرخون الشرقيون) ، ولا يزال الجانب الأكبر من هذه

(١) يتبع ابن خلدون بمقالة خصة بين المؤرخين لاختلافهم في علم التاريخ . فاستد
 احدث الاسم الخاص بتاريخ العرب من كتابه الكبير على بحوث ودوليات تاريخية قيمة استمدتها
 من مشاهداته الشخصية ومن فراماته الخاصة ومن جس المصادر التي كانت موجودة في إمامه ولم
 نفس إليها . ومجده يصور القصة الطبية ويعرض البسطة والوسوح قيد عرض له ، مع تحقيق
 الأحداث واستمداد ما لا يقبله العقل منها . أنظر عن ذلك على عهد الواحد * عبد الرحمن س
 خلدون ، ص ٢٣٣ - ٢٣٦ ؛ سيرة أسباطي ككاشفه * مصادر التاريخ الاسلامي ،
 ص ٦٠ - ٦٣ .

(٢) لقد ذهب على نشر هذا السفر المسمى الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وظهر منه لاهي
 جردان ، كل في ثلاثة أقسام . وللمزيد من المعلومات عن الفريرى وغيره من مؤرخي القرن
 الخامس عشر ، انظر : رحلة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٣) قام طهر الأول الدكتور جمال الدين الشيال والدكتور محمد مصطفى زيادة (طبع
 القاهرة ١٩٤٠) ، ونشر الثاني الدكتور جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٨) ونمت
 الطبع الآن نسخة جديدة كاملة من كتاب انطاط القنة عن خطوط طوب قيو سراي ، نشر
 وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال .

الموسوعة المصنعة مخطوطة، وكذلك مخطوط تاريخ العدل والملوك لابن المرات
(ت ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م)، وتاريخ مصر لابن أبيس (ت ٩٢٠ هـ / ١٥٢٢ م)،
وغيرها العديد من الكتب التي ظهرت خلال القرون التالية. وقد نشر المستشرقون
بعضها، كما نقلوا جانباً منها إلى لغاتهم المختلفة (١). وهناك مهمة علمية جديدة
تقوم على أكتاف المؤرخين والكتّاب العرب هدفها نشر هذا التراث القديم
نشرًا علميًا دقيقًا وعميقًا، والعمل على تصحيحه ليكون في متناول الجميع.

ومن دراساتنا في المنايع العربية نخرج ببعض الملاحظات التي نعملها فيما يلي:
أولاً - تميرت مصادر القرن الثاني عشر بصفة عامة بطلابها المحلي الضيق،
بعكس مصادر القرن الثالث عشر والقرون التالية له التي كانت
دارتها أكثر اتساعاً.

ثانياً - لم يمن الكتّاب والمؤرخون العرب بتسجيل أحداث الحركة
الصليبية في كتب مستقلة قائمة بذاتها حسب أسلفنا، إذ لا يوجد
مؤرخ واحد نهج هذا السبيل باستثناء عماد الدين الأصفهاني الذي
وضع كتابه «الفتح القوي في الفتح القديس»، والذي ضمنه
قصة استعادة صلاح الدين البيت المقدس من الفرنج. وكذلك
ابن شداد الذي تناول في كتابه «سيرة صلاح الدين»، تاريخ
حياة هذا البطل العربي وبمهاده ضد الفرنج. وغير عاف أن
الأصفهاني وابن شداد كان هدفهما الأساسي من وضع كتابهما هو
تسجيل سيرة سيدهما صلاح الدين، مثلما في ذلك مثل القاصي
الفاضل.

(١) راجع في ذلك - محمد عبد النبي حسن: علم التاريخ ضد الغرب - ص ٢١١.

ثالثا - جميع النتائج المنوّه عنها متأخرة نسبيا عن الفترة موضوع دراستنا ، باستثناء كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلاسي الذي وضع أساسا ليكون سهلا لتاريخ دمشق . ونجد فيه شذوات مبشرة من بداية الحركة الصليبية التي عاصر أحداثها ، وهي لا تشفي غلة الباحث في هذه الناحية .

رابعا - هناك نقارب شديد بين هذين المراجع ، فهي تكاد تتشابه في الأسلوب وفي طريقة سرد الوقائع والأحداث ، ويجدر بالذكر أن المؤرخين العرب - شأنهم شأن المؤرخين الأوروبيين في تلك المرحلة الوسيطة من التاريخ - كانوا ينقلون عادة عن مؤلفات من سبقوهم أو عن المعاصرين لهم . وكانوا في كثير من الأحيان ينقلون كتبها بأكملها دون دراسة أو نقد أو تمحيص . ويتم نقل هذه المادة التاريخية إما بطريق الرواية عن السند التي لزمتها أكثر مؤرخي العرب وخاصة في الفترة المبكرة من تأريخ القرون الوسطى ، وإما عن طريق الرواية والخبر المسطور مع إضاح المصدر الذي نقلوا عنه في أغلب الأحيان (١) . ومع ذلك فقد أشار بعض المؤرخين المتأخرين إلى أحداث لما فيسها التي لا تنكر والتي لم ترد في الأصول المعاصرة ؛ ويطلب على الظن أنهم نقلوها عن أصول قديمة ولم نصلنا .

خامسا - تمدد النتائج العربية بمادة دسمة فيما يتعلق بأحوال العالم العربي في آخر تلك العصور الوسطى ، وعلاقاته بكل من الصليبيين

(١) انظر : مبداء إسماعيل كادف : مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٥٠-٥٣ ؛ محمد عبد النبي حسن : علم التاريخ عند العرب ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

والبيزنطيين في شرق مراحل الحركة الصليبية ، مما لا يقل في أهميته عما ورد في الأصول اللاتينية والاعرقية والأرمينية المتأخرة عنها ، وبما كان له أكبر الأثر في تفويض ما اخرج من كتابات أهل الغرب وملء الفراغات التي أغفلوها أو تجاهروا عنها عمداً أو عن غير عمد ، وتصحيح الانحراف الذي لازمهم أحياناً وبلغ حد الشطط والتعجز نحو بريق جللتهم .

وإذا كانت الأصول المعاصرة قد أمدتنا بالمادة الأصلية التي أفدنا منها في موضوعنا ، فإن كتب المحدثين من أهل الشرق والغرب لا تقل أهمية بالنسبة للنصدي لهذا البحث . فقد أسهم الكتاب العرب بنصيب كبير في هذا المضمار . فمنهم من أرخ للحركة الصليبية كلها أو أحد فصولها ، ومنهم من قفل إلى العربية بعض مؤلفات الغرب في هذه الناحية . فمن كتّوب الأول نذكر كتاب ملكة بيت المقدس الصليبية لـ كتور عمر كمال توفيق ، وكتاب الحركة الصليبية لـ كتور سعيد عبد الفتاح حاشور ، وكتاب الشرق الأوسط والحروب الصليبية لـ كتور السيد الباز العرني ، وكتاب الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي لـ كتور نظير حسان سعدوى ، وكتاب الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمؤلفه محمد العروسى الملقوى . وكذلك مؤلفات الكتور حسن حبشى من الجلات الأولى والثانية والسابعة ، ومؤلف كل من الكتور محمد مصطفى زيادة والد كتور العقيد عبد الرحمن زكي عن حملة لويس التاسع على مصر ، وثلاث كتب لي . اثنين منها عن حملة لويس التاسع على مصر وبلاد الشام والثالث عن الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي ، وكتاب الكتور سعيد حاشور عن قبرص والحروب الصليبية . ومن كتّوب الآخر نذكر كتاب ارنت باركر الذي قم بترجمته الكتور السيد الباز العرني . هذا فضلاً عن الكتب المؤلفة أو المترجمة عن تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، والمتضمنة دراسات

تخليدية مركزة عن الحروب الصليبية ، مثل مؤلف ديفيز ترجمة الدكتور عبد الحيد
محمدي محمود ، وكتاب قنر ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور
السيد البار الميرني والدكتور ابراهيم العنوي ، وكتاب أوروبا العصور الوسطى
تأليف الدكتور سعيد عاشور .

والى جانب هؤلاء يجب أن نذكر بعض المؤلفات في التاريخ الاسلامي
السياسي والحضاري التي لها قيمتها التي لا تنكر ، مثل مجموعة الوثائق الفاطمية ،
ومصر والقام بين دولتين ، وتاريخ مصر الإسلامية ، وأعلام الاسكندرية في
العصر الإسلامي للدكتور جمال الدين الشيال ؛ والتاريخ السياسي للدولة العربية ،
والناصر صلاح الدين الأيوبي وتاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ،
والعلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى للدكتور عبد المنعم مازح ؛
وطرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، والمغرب الكبير في العصر الاسلامي
للدكتور السيد عبد العزيز سالم ؛ والدولة العربية الإسلامية للدكتور هل حسي
الخريوطي . فهذه التأليف وغيرها تمدنا بمعلومات لها وزنها فيما نحن بصدده .

وهكذا أمدتنا المكتبة العربية بواقف من الكتب القيمة العربية والمعرية
في هذا الموضوع .

ومن أم الكتب الغربية الحديثة التي تناولت تاريخ الحركة الصليبية والمحلة
الأولى على وجهه أحسن ، مؤلفات دهرشت Röhricht ، وبول ديان
P. Riant . ولويس برية L. Bréhier ، وفردناند شالندون F. Chalandon ،
ورليم ستيفنسون W. Stevenson ، و R. C. Smail (١) ، ورينيه

(١) R.C. Smail, Crusading Warfare, Cambridge, 1956. أطلركتابه
وقد قام بفتح إلى العربية السد درويش النجلى . والكتاب تحت الطبع عن المجلس الأعلى =

جروميه R. Grousset ، وستيفن دانسيان S. Runciman . وتقوم حالياً
جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة بتنظيم مؤلف كبير في خمسة مجلدات عن الحركة
الصليبية ، يشترك في تحرير فصوله مجموعة من العلماء والمؤرخين المتخصصين
في تاريخ هذه الحركة وفي تاريخ العرب والفدوة البيزنطية والغرب الأوروبي
في العصور الوسطى ، أمثال سيدنى بينتر Sidney Painter ، وماوريش بلدين
Marshall Baldwin وستيفن دانسيان وبرنارد لويس Bernard Lewis
وكلود كاهن Claude Cahen وصير هاملتون جب Sir Hamilton Gibb
وفهرم . وقد ظهر منه حتى الآن الجزءان الأول والثاني . وكذلك مؤلف
الدكتور هريو سوديال عطية في تاريخ الحروب الصليبية المسمى « الحروب
الصليبية - التجارة - الثقافة » (١) .

ومن الكتب التي اقتصفت بالتاريخ البيزنطي وتناولت الحركة الصليبية
والملاقات الصليبية البيزنطية ، يجب أن نذكر تأليف جوستاف شلومبرجر
G. Schlumberger ، وشاول ديبل Ch. Diehl ، ول. بلوي L. Bloy ،
وارجست باي A. Bailly ، وج. هاسي G. Hassel ، وستيفن دانسيان ،

== لرعاية المسون والآداب والعلوم الاجتماعية بالجامعة ، ويقوم بمراجعة الترجمة العربية مع
الطبيب لها الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال . كذلك ظهر لسيل كتاب حديث عن الحروب
الصليبية (مبع سنة ١٩٦٥) .

(١) لا تزال مؤلفات ومرتث وريان وشامبون ، على الرغم من قدمها ، تتبحر مكانة
كبيرة من مصاحح الحروب الصليبية . وهناك مصاحح أخرى عديدة في تلوج الحركة الصليبية
أصبحت الآن في القرية الثانية أو الثالثة من حيث الأهمية . وقد قد بعضها قيسه مد أن ما
الزم على الآراء التي وجدت به ، تذكر منها تأليف ر. كوندور R. Conder ، وآشر
وكبجر لورد M. Calthrop ، و T. A. Archer & G. L. Kingsford ، وم. كانتروب
وج. كامبل G. Campbell ، وغاك برنتانو F. Funck - Brentano ، و
E. Gibbon ، ون. جورجا N. Iorga ، و. ل. لامب H. Lamb ، وج. م.
لودو I. M. Ludlow ، وم. م. بورج P. Mambourg .

وامترو جورسكى Ostrogorsky ، وفاديليف Vasiliev ، واورنست باوكر
E. Barker ، وشاول أومان Ch. Oman ، وبينز وموس Baynes & Moss ،
وف. شالندون F. Chelandon .

وقد أسهمت المكتبة العربية بنصيب واضح في هذا الميدان . فمن الكتب
العربية في التاريخ البيزنطي كتاب الامبراطورية البيزنطية تأليف نورمان بينز
ترجمة الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، وكتاب الامبراطورية
البيزنطية تأليف شاول أومان ترجمة الدكتور مصطفى طه بدر ، وكتاب الحضارة
البيزنطية تأليف ستيفن وافيان ترجمة عبدالمزير توفيق جلاوي . ومن الكتب
المؤلفة نذكر مؤلفات الدكتور عمر جمال توفيق وهي مقتطفات العبدان الصليبي
(الامبراطور يوحنا تريميسكس وسياسة الشرقية) ، وتاريخ الامبراطورية
البيزنطية ، والامبراطور قسطنطين فوكس واسترجاع الادنى المقننة . وكذلك
كتاب الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية لدكتور ابراهيم أحمد العنبري ،
وكتاب الدولة البيزنطية ، ومصر البيزنطية لدكتور السيد الباز العربي .

وبعد ، فارجو أن نكون قد وقفنا بما يذللنا من جهد متواضع في تلك
المصادر والامانيد التاريخية ، من عربية وفرنجية ، معاصرة وغير معاصرة ، إلى
مواجهة مشكلات البحث بقسط من النجاح .

الفصل الثاني

الفكرة الصليبية على حقيقتها

تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب هو تاريخ الاتساقية نفسها منذ القدم حتى وقتنا هذا ، حيث احتكت العقول والأسلحة ، وتضاربت المهارب والأهواء ، وابتدت المطامع عارية ، وقامت الحروب الهامية ، واختفض دول وممالك وإمبراطوريات وظهرت أخرى على أنقاضها ، واندثرت أنظمة وحضارات لتحل محلها مدينيات وقبائل جديدة مغارة . ففي زحمة هذه الأحداث والتغيرات المذهلة ، قام الصراع بين شرق العالم في شرق حوض المتوسط القديم والوسيط والحديث .

ومن أهم خصائص القرون الوسطى التي شملت قرابة ألف عام هي تلك الحركة التي اشتهرت باسم الحروب الصليبية ، والتي تكون في الواقع دورا رئيسيا من أدوار ذلك الصراع العتيق بين الشرق والغرب . فقد بدأ منذ أقدم العصور بحروب طروادة التي خلفها الشاعر هوميروس في أشعاره المعروفة باسمه ، الألياذة والأوديسية . ثم قامت الحروب الميديية بين الفرس والآخرين منذ القرن الخامس قبل الميلاد التي انتهت بسيادة الاسكندر المقدوني على أكثر بقاع العالم وقتذاك ، وما استتبع ذلك من فرض الحضارة الهيلينية عليها بعد تصاهه على دولة الفرس التي أصبحت عاصمتهم المدينتى إفسس والولايات الناحلة في نطاق الإمبراطورية الجديدة . وأعقب ذلك ظهور الرومان على مسرح الأحداث ، وتوسعهم في الشرق ، واقتراعهم السلطة من الآخرى بعد عارك عنيفة حملت

ووما بصعاب لواء الكفاح في الغرب ، ووددت الاضيق سلطانهم ونظمهم وحصانهم .

هكذا بدأ الصراع بين الشرق والغرب في الصور القديمة قبل ظهور المسيحية بأجيال عدة . ولذلك لم يقدّر له أن يصطبغ بالصبغة الدينية ؛ بل كان صراعا سياسيا وحريا بين قوتين مختلفتين وحدارتين متباينتين ، ويرى إلى سيادة أحد الفريقين على الآخر ومحاولة ضمه بالقوة المسلحة إلى منطقة نفوذه .

ولكن الاوضاع سرعان ما تبدلت منذ القرن الرابع الميلادي ، وعلى وجه التحديد في سنة ٣٢٣ م حينما اعتنق الامبراطور الروماني قسطنطين الكبير الديانة المسيحية التي أصبحت الدين الرسمي للدولة الرومانية ، وبخاصة في القسم الشرق منها الذي عرف باسم الدولة البيزنطية أو دولة الروم كما كان يسميها العرب .

وأخذ الصراع منذ ذلك الحين يصطبغ بالصبغة الدينية . فقامت الحروب بين بلاد فارس ودولة الروم في وقت شهدت فيه الاول نهضة دينية كبيرة بينما كانت الثانية تدين بالمسيحية . وكان من أثر ذلك استيلاء خسرو ملك الفرس على اورشليم والصليب الحقيق الذي صلب عليه المسيح سنة ٦١٤ م . وكان رد الفعل هو تلك الحروب المضادة التي قام بها الامبراطور هرقل سنة ٦٢٨ م لاسترداد البيت المقدس وصليب الصليبيات من قبضة الفرس (١) .

(١) انظر عن ذلك : Atiya, Crusade, Commerce and Culture, 23-8; Grousset, Sum of Hist., 7-12; Arnold, Legacy of Islam, 40-1.

وهكذا تراءت الاسلام ، الفجة الغربة ، ج ٤١ ص ٨١ - ٨٣ . وتناول الاستاذ أرنولد موزي فكرة قيام الخيانت والمناورات ، وتداخل المناورات فيما بينها ثم احتكاكها وتصارعها ، وأخيرا انهيارها وتحللها ، مع بيان أسباب هذا التحلل ودوافعه في موسومته =

وفي أوائل القرن السابع ظهرت قوة جديدة في الميدان فظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية وقيام القوة العربية الناعمة . وأصبح الكفاح عند ذلك الحين بين العرب والروم من ناحية ، وبين العرب واللاتين من ناحية أخرى ، أمراً واقعاً (١) . وكانت أهم مراحل هي الحروب الصليبية التي امتدت من آخريات القرن الحادى عشر إلى آخريات القرن الرابع عشر .

ويستمر الحال على هذا المنوال إلى أن برزت خمس النهضة التي أدت بنهاية القرون الوسطى بمبادئها وظلمها وفلسفتها ، وبداية العصور الحديثة . وفيها يأخذ الصراع مظهرًا جديدًا يتلائم ومقتضيات الظروف ، ونعني بذلك بداية التوسع الاستعماري الأوروبي عندما تثبت أوروبا غالبها في دول الشرق العربي والشمال الإفريقي بخاصة وفي آسيا وأفريقية بصفة عامة ؛ ثم يفتل هذه القلوب العربية الآسيوية الأفريقية ، ويقامها من جانبها العميق لتحرير نفسها من رقة الاستعمار في شتى صورته وظواهره .

وإذا نظرنا الآن في حقيقة الصراع الذي قام بين شتى العالم خلال العصور ، نجد أنه اتخذ في كل عصر شكلاً معيناً يتناسب والظروف الموضوعية القائمة في

== نسخة السند « دراسة تاريخية » التي تقع في ١٢ جزءاً . وقد اختصر السند سوسريل الأحرار انشراح الأول من هذه الموضوعات في جزءين اختصاراً لا يحل خشكة الكتاب لأسسه ، ولأنه لأستاذ فزاد كل حل بقل هذا المختصر إلى العربية تناد حقيقاً . أظفر : توبي : مختصر دراسة تاريخ (الترجمة العربية) - ٢٠٠ ص . ٧١ - ٧٠ . ويلاحظ أن المؤلف يعمد لفسه لشكة المسفة بالمراسة والتطيل في أكثر من مناسة وفي أكثر من موضع في مؤلفه الكبير وكذاه المختصر . رابع أخا : توبي : المناقشة في القرآن ٤ ص ١٩٢ - ١٩٥ .

(١) أظفر جوزيف - سيم يوسف : الوحدة وحركات القطة العربية لأهل المدوا لصابي ، ص ٢٢ على المربوطي : محمد والقوية العربية ، ص ٤٩ و ٥٧ . وكذلك

وقفت ما ، وإن اتحد في التاية والمهدف . فقد كان في العصور القديمة صراعاً سياسياً حريماً في عالم يدين بالوثنية ؛ بينما اتخذ الغرب من الدين في العصور الوسطى ستاراً لتحقيق قس الاغراض والغايات . واليوم يبدو الصراع سافراً بعد أن كشف الاستعمار عن نفسه وأباطه اللثام عن حقيقة نواياه . وهكذا تشابهت أسباب هذا الصراع ودوافعه في شتى مراحله ، وإن بدأ في كل مرحلة في شكل مغاير ، أو هو بمثابة حلقات متتامة في سلسلة واحدة ممتدة عبر القرون والأجيال (١) .

كانت الحروب الصليبية إذن مرحلة من مراحل الكفاح اللبري الطويل بين الشرق والغرب . فهي لم تتم فجأة ولم تنته فجأة ، إنما جاءت نتيجة عمليات تطوّر بطيئة مستمرة في فترات متباعدة غير قصيرة ؛ كما أنها تركت آثارها

(١) جدير بالذكر أن حروبه استعرض في كتابه « امبراطورية شرق البحر الأبيض المتوسط أو تاريخ المسألة الشرقية » الصراع الطويل بين الشرق والغرب ، وقد أوضح فيه أن الحركة الصليبية لم تكن إلا حوراً واحداً من أدواره ، وهو يسرد واقع هذا الصراع منذ حروب الاسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد حتى واقعة لياتكو في أواخر القرن السادس عشر ، ويخلص مما تقدم أنه المسألة الشرقية ليست وليدة القرن السابع عشر ، إنما هي أبعد من ذلك بكثير . انظر :

Grousset, L'Empire du Levant, 7sq., 21sq., 46sq., 67sq., & 186sq.

أطرو أيضاً عند الدكتور عربي سوريال في كتابه المذكور في المحلة التاريخية للصربية. المجلد الأول ، ص ٣١٤-٣١٦ . وقد أثبت هذه النظرية ووضحها في شكلها النهائي الدكتور عزيز سوريال في أحدث مؤلفاته ، وهو Crusade, Commerce and Culture التي تولت طباعته مطبعة جامعة ادنيانا بأمریکا (طبعة 1962 , Bloomington) وأثبت سيادته أن الحركة الصليبية هي مرحلة من مراحل الصراع الطويل بين الشرق والغرب ، ذلك الصراع الذي ترجع أصوله إلى أيام اليونان والرومان القدماء ، وتتمد جذوره حتى يومنا هذا . انظر ص ١٦ و ٤٤ و ٥٤ و ١٥٦-١٦١ من الكتاب المذكور .

لاحقاب أخرى بعد نهايتها بمعناها الدقيق . وعلى هذا من الخطأ ان نضع الخط الواضح الذي يفصل بينها وبين المرحلة السابقة لها وتلك التي أعقبها . إذ أن هذا الصراع عبارة عن مجموعة مترامية من الوقائع والأحداث المترابطة التي لا يمكن تقسيمها أو تجزئتها أو فصلها عن بعضها ، وأن كل مرحلة منه ما هي إلا فترة انتقال من السابق إلى اللاحق . لهذا لا يمكننا أن تأخذ بفكرة بداية الحركة الصليبية أو نهايتها في سنة معينة أو يوم معين ، فتعديد السنين والتواريخ مسألة اعتباطية بحث السيل فهم أي موضوع وتقرير إلى الأذهان .

ويمكن القول إن هذه الظاهرة التاريخية كانت تمثل روح العالم الغربي الوسيط والأفكار السائدة فيه وتلك تحيلا صادقة في ناحيتين هامتين رئيسيتين ألا وهما ناحية الدين وناحية الحرب . (١) فالأول أوجه بها عند البداية البداية المسيحية التي سادت الغرب بعد صراع رهيب مع الوثنية وأباطرة الرومان في أغريبات صدم . وأصبح للدين والكنيسة قوة عظيمة في تلك القرون الغابرة ، حتى أن كل من كان يخالف تعاليمها كان يمرض نفسه لأشد أنواع العقاب . وما أكثر أسلحتها التي كانت تستخدمها ضد معارضيها وبخاصة في ميدان السياسة . فقد تحكمت هذه الكنيسة بمحكم الظروف التي أحاطت بإنشائها عند نهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط في مقدرات الأفراد وفي حياتهم الخاصة والعامة ، لها الأمر والنهي وعليهم السمع والطاعة . (٢) وبخاصة ذروة

Atiya, Crusade, Commerce and Culture, 20. (١)

(٢) لقد كان الصليبيون في أوروبا على أيدي القسيسين من رجال الدين من الاستعداد والتسكيل مايقوى حد الوصف . راجع من ذلك :

Turberville, Medieval Heresy & the Inquisition, 145-154; Coulton, The Inquisition, 5-99.

مجددا وقد سطرت أجناس الصراع العنيف الذي علم بينها وبين القوى الزمنية في الغرب وعلى رأسها الامبراطورية حول المسائل العثمانية . فأخذت تتشكل بالباطرة والملوك والأمراء ، وتوقع عليهم قراوات الحرمان الكنسي والنفقة والعنة والقتل ، وتشديد معهم في حروب دامية لتحقيق مصالحها وأطماعها التي لم يمكن توقف عند حد (١) .

وهكذا عاش الفرد الوسيط داخل هذه الدائرة الضيقة المغلفة التي وضعته فيها الكنيسة ، لا حول له ولا طول ، وعليه السمع والطاعة دون جدل أو مناقشة . هذا من الدين ، أما عن ناحية الحرب فهي تفتقر بقيام النظام الاقطاعي وما يلحقه من نظم الفروسية حيث يبرز الفارس ما تعلمه من فنون القتال . ولقد تأثر العقل الوسيط بهاتين الفكرتين تأثرا كبيرا ، حتى انه عندما دعا البابا اربان الثاني إلى حمل الصليب في خطبته الملتبئة التي ألقاها في ٢٧ نوفمبر سنة ١٠٩٥ م في مؤتمر كليرمون بفرنسا ، وجد تجاوبا عصبيا من كافة الطبقات والميقات . واندفع الناس للانخراط في تلك هذه الحروب من كل فج وحروب في الغرب الأوروبي ؛ ذلك لأنها اصطفت بصيغة الدين والحرب . فالدين ضل من الصق الانبياء بحياة الناس الخاملة والعمامة وقتذاك ، بينما كانت الحرب صناعة الفارس الأول . وبسكنى أن النجاح الذي لاقته تلك الدعوة في بدايتها قل بكثير ما كان يأمله اربان نفسه بشهادة القورغين اللاتين الذين عاصروا أحداثها وكتبوا عنها ، ومن قتل منهم من المحدثين (٢) .

(١) أنظر عن ذلك مارتن وباراكلاف : الدولة والامبراطورية في الصور الوسطى - ترجمة وتعليق د . حوزيد قسم يوسف (الاسكندرية ١٩٦٦) ص ٤٠ - ٤٩ و ١١٨ وما بعدها و ٢٣٩ وما بعدها ؛ حكولون : عالم الصور الوسطى في النظم والمصادر - ترجمة وتعليق الدكتور جوزيف نيم يوسف ط . تاية (الاسكندرية ١٩٦٧) ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢) أنظر : Baldwin, Med. Church, 101; Ostrogorsky, Byzantine State, 320.

والحروب الصليبية ولو أنها تتفق مع الحروب السابقة منها واللاحقة لما في حقيقة دوافعها واتجاهاتها الاستعمارية ، إلا أنها تختلف عنها اختلافاً بيناً من حيث طبيعتها وماهيتها وخصائصها . فلها كياناتها ومقوماتها والاسس التي ترتكز عليها ، مما يجعل لها وحدها خاصاً في تاريخ الاستعمار . فهي حرب جامعة *Passagium generale* . قام بها أهل الغرب الأوروبي ضد الشرق العربي والشمال الأفريقي ، استجابة لنداء البابوية في روما وتحت إشرافها وبتوجيه منها ، بقصد الاستيلاء على الأراضي المقلصة وتأسيس مملكة لهم بها ، ثم العمل على تعزيز هذه المملكة وتوسيع حدودها والحفاظ علىها بشق الطرق والرسائل ، حتى تكون قطة ارتكاز لهم يتوسعون منها على حساب البلدان المجاورة . (١)

وهي كثيرة معقدة امتدت من آخريات القرن الحادى عشر إلى آخريات القرن الرابع عشر ، واتصل فيها الكفاح بين الغزاة الوافدين من الغرب وبين أصحاب البلاد الأصليين . ولكن الحملات الرئيسية من الحروب العسكرية ثمان أو تسع ، لما تميزت به من دوافع أدت بحق إلى اعتبارها حملات مستقلة قائمة بذاتها (٢) . ولم

(١) أنظر من ذلك جوزيف ليم يوسف : الوحدة وحركات الخطة العربية ، ص ٨ . وحول أوجه الشبه والخلاف بين الحروب الصليبية والحروب البيزنطية ، ومداخلة في همد كل من فلور فوكس ويوحنا ترشكس ، وكذلك موقف كل من بابوية روما وكبيسة بونافنت من تلك الحروب ، أنظر عمر كمال توميق : الامبراطور نظود فركس واسترجاع الأراضي المقدسة (الأسبندرية ١٩٥٩) ، ص ٦-٨ و ٢١-٢٣ و ٤٢-٤٤ و مقدمات المدور ، أميني : الامبراطور يوحنا ترشكس وسياسة الترقية « (الاسكندرية ١٩٩٦) ، ص ٨٢ - ٩٠٠ . وسوف ندرس لمرح كيار المؤرخين المزيد لتلك الحروب في انصحات القادمة .

(٢) اعاد مورخو الحروب الصليبية تدعيم هذه الحركة إلى ثمانى حملات كبيرة . ولكن الدوايات التاريخية الحديثة أثبتت أنها تبعد أحداث فترة إقامة الملك الفرنسي لويس التاسع في سورية من سنة ١٢٥٠ إلى سنة ١٢٥٤ م ، عقب هربته في مصر ، حملة مستقلة قائمة =

تكن قاصرة على أمة معينة أو جنس بذاته، فقد اشترك فيها الفرنسيون وإيطاليون وألمان وإنجليز وأسبان وفلنكيون وغيرهم من شعوب الغرب اللاتينى ، وإن كانت نسبة إسهام أى أمة فردية فى أى حملة من تلك الحملات ترتبط إلى حد بعيد بالظروف والأحوال السائدة فيها وقت قيام حملة ما أو الدعوة لها . (١)

وكان المظهر الدولى هو الطابع المبرز لها ، وهناك عدة عوامل تؤكد هذا المظهر

== بذاتها ، نضاف إلى رسلاتها من تلك الحملات الدوائية . أظن جوزيف تيم يوسف : لويس التاسع فى الشرق الأوسط ، ص ٢٤٠ - ٢٤٤ أما ألبرت فريدريك هيدفري أن الحملات الصليبية الرسمية من الحملات الحرس الأول فحسب ؛ هذا بخلاف التوشعات التى كانت تحدث عادة بين القريبين فى الأراضى لماقصة فيها بين الحملات المذكورة . أنظر :

Heer, Med. World, 96. وكيفما كان الأمر يجب أن ندخل فى الاعتبار أن المقصود بالحملات الزهنية تلك الحملات التى كانت تفرق مؤتمرات أو مجامع كنسية ، مثل الحملة الصليبية الأولى التى تفرقت فى مجمع كلبيمون الكنسى و نوفمبر ١٠٩٥ برئاسة البابا أوربان الثانى ، وحملة لويس التاسع على مصر التى تفرقت فى مجمع ليون الكنسى سنة ١٢٤٥ برئاسة البابا انطونى الرابع . ومع ذلك فهناك حملات غامضة لا تدخل ضمن الحملات الكبرى الزهنية ، مثل تلك الحملات الصليبية التى لا تدمر إليها البابوية ، ولكنها كانت تقوم - فى الغالب - لعدة القوات الصليبية بالشرق . ولذلك يمكن اعتبارها امتدادا طبيعيا للحملات الصليبية الكبيرة - أنظر عن ذلك Matt, Paris, II, 64-5, 86-8; S. Runciman, A. Hist. of the Crusades, Vol. I, (Cambridge, 1954), 106-1.

(١) نجد مثلا واسعا لذلك فى حملات لويس التاسع ملك فرنسا على مصر والهند والعراق العربى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، إذ كانت كلها حملات غزائية الصبغة والطابع . وإن كانت تاق أهم أثرها قد أسهمت فيها خصب ، لأنها كل ذلك بتوات وعزيمة فحسب . ويرجع هذا أولا وقبل كل شيء إلى الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة فى الغرب اللاتينى وقتذاك ، والتى سمحت لفرنسا بإعداد تلك الحملات ، وحشد دوت اشتراك باقي دول الغرب فيها اشتراكا عظيما . أنظر للمصادر التالية : Matt Paris, II, 103-4, 122-5, 163, 291-2, 331, 356-7, 387, 439-40, 481-3, 497-8, 505-6; Rothelin, op. cit., II, 525-6, 556-66; Joinville, op. cit. (ed. Wailly), 40-50, 56-60.

راجع أيضا جوزيف تيم يوسف: لويس التاسع فى الشرق الأوسط (القاهرة ١٩٠٩) ، ص ٢٩ و ١٠٠ - ١٠٦ .

وقبره . فقد كانت أوروبا بأسرها تدعى بالمسيحية على المنحى الكاثوليكي ،
لما كنيسة واحدة هي كنيسة روما ، وعاصمة روحية واحدة هي روما ، وقد
سادت لغتها اللاتينية وحضارتها بين جميع أهل الغرب . كما مرت هذه الدلائل
جميعها بنفس العوامل والتطورات التاريخية التي ميزت نهاية للتاريخ القديم وبداية
العصر الوسطى ؛ فقد كان معقلها يدخل في نطاق الامبراطورية الرومانية
المجددة . كما تركت فيها غزوات البرابرة الجرمان نفس التأثير ولو بدرجات
متفاوتة . ثم ان النظام الاتحادي بمعناه المعروف كان منتشرا في الغرب الاوروبي
كله وقتذاك . كل هذا جعل العالم الغربي وحدة كبرى في مجموعه على رأسه عاملين :
البابا ويحكم من الناحية الدينية ، والامبراطور ويحكم من الناحية الزمنية .

وان هذه العوامل متجعة تساعد على فهم ماهية الحركة الصليبية وطبيعتها
ومظهرها الدولي في المجتمع الغربي الوسيط ، حتى أنه عندما أصبحت حقيقة
واقعة وجست في أوروبا مرتعا خصيبا ، واعتنى الناس مبادئها وغامروا بأموالهم
وأ أنفسهم في سبيلها .

وجدير بالذكر في هذا المقام أن كلمة « الحروب الصليبية » أطلقت على كثير
من الحروب التي تخلف عنها في طبيعتها وخصائصها ومبرراتها . فمثير بعض
المؤرخين حروب الامبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) ضد العرب لاستعادة
الصليب الخشبي أول الحروب الصليبية أو من نوعها ، بحجة أن الدولة البيزنطية
قامت بها بخافز من الحساس الديني (١) . وينظر إليه البعض باعتباره أول المحاربين

(١) أنظر : أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . راجع أيضا :

Runciman, Byzantine Civilisation, 40; Grousset, Sum of Hist, 163.

وبلاحظ أن هذه الفكرة - متوخاة أساسا من كتاب لئو تاج الصبي وليام الصوري -

الصلبيين ، فيما يتعلق بحروبه ضد العرب وهو يحته أمام القوات العربية في واقعة
اليرموك سنة ٦٣٦ م - (١) وبكنى ابن المؤرج اللاتيني ولیم الصوري أشار في
بداية كتابه إلى حروب هرقل باعتبارها عمدة الحركة الصليبية نفسها ، ونقل
عنه المؤرخ الفرنسي ديفيه حروبه هذه المصكرة (٢) . وهناك من يرى أن حروب
كل من الامبراطور البيزنطي قسطنطين (٩٦٣ - ٩٦٩ م) وخلفه
يوحنا ترميسكس المعروف باسم حنا الشميتق (٩٦٩ - ٩٧٩ م) ضد العرب ،
هي أيضاً من قبيل الحروب الصليبية (٣) . وإنه من باب التجاوز تعريف هذه
الحروب التي قامت بها بيزنطة سواء ضد الفرس أو العرب بالحروب الصليبية
التي تختلف في منطلقاتها الدقيق عن تلك الحملات البعادية . وهي وإن اصطفت
بالصفة الدينية في وقت ما ، فقد كان يقلب عليها العنصر السياسي (٤) .

(١) Grousset, L'Empire du Levant, 85; Arnold, Legacy of Islam, 42.

Grousset, Histoire des Croisades, I, I-IV. Cf. Atiya, op. cit., 27.

ويلاحظ أن مؤلف ولیم الصوري الذي وضعه باللاتينية تحت اسم « تاريخ الأحداث التي
ولمت في الناحق التي فيها وراء البحار » هو أساساً سرده لتاريخ الأراضي المقدسة في عصره .
وأما الكتاب المصنوع « تاريخ الامبراطور هرقل والاستيلاء على ابلاد التي فيها وراء البحار »
والمفطور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) - ج ٢ (باريس ١٨٥٩) -
ص ١ - ٤٨٦ ، يعتبر الجزء الأساسي فيه لولیم الصوري نفسه . وهو موزع إلى الفرنسية
القديمية من الأصل اللاتيني لمؤلف ولیم الصوري .

(٢) Matt. d'Edesse, R. H. C. - Doc. Arm., I, 13 20. أيضاً .
عمر كمال : قسطنطين (٤٧٠ - ٤٧٦) : حنين جدي : الحرب الصليبية الأولى .
ص ١٩ . ويذكر الدكتور عمر كمال توفيق قلة في هذا الموضوع . ينظر مؤلفه القيم « مقدمان
الدوان الصليبي - الامبراطور يوحنا ترميسكس وسياسة المشرقية » - الاسكندرية ١٩٦٦ ،
وخاتمة الفصل الرابع .

(٤) الحروب الصليبية من حروب قامت بها جامعة الأمم المسيحية الغربية بأكتها سدأم

وهناك فئة أخرى من المؤرخين تعتبر حروب مسيحي الغرب ضد العرب في إسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا في القرنين العاشر والحادي عشر ، هي الأخرى حروباً صليبية (١) . بل إن هناك من يرى أن الحروب التي قامت بين المسلمين والمسيحيين ضد هذه الدعوة الإسلامية دون اعتبار للزمان أو المكان حروب صليبية (٢) . وهذه التسمية بعيدة عن الحقيقة ، ويمكن تعريف مثل هذه الحروب بأنها مقدمة للحركة الصليبية أو الحروب الممهدة لها . ويطلق بعض المؤرخين على الحروب التي قامت في القرن الرابع عشر اسم « الحروب الصليبية

العالم لم يرو تحت زعامة البابوية التي مدت امتدادات عديدة لن يتفرع منها أما الحروب البيزنطية فهي حروب فردية قامت تحت رعاية البابوية بيزنطية ، وكانت القسطنطينية فيها بيزنطية ميلانية ، ولم تشاركها الكنيسة البيزنطية الظروف الخاصة بها . أنظر : ماركال : *تقود نوкас* ، ص ٢١ — ٢٣ و ٢٧ — ٢٨ . وكذلك كتب :

Heer, Med. World, 97.

وجدير بالذكر أن مصطلحات مثل « الصليبيين » و « الحروب الصليبية » لم تستخدم قبل الحركة الصليبية . يسمي أعلام غراً عنها في المصادر الغربية حتى أواخر القرن الحادي عشر عندما وصف البابا أوربان الثاني إلى تلك الحركة في كليرمون . وأن حالات بس الأباطرة البيزنطيين مثل هرقل ونوкас وترجعكس ضد العرب ، وإن كانت هناك أوجه شبه بينها وبين الحروب الصليبية ، إلا أنه لم يطلق عليها في حينها هذا الاسم . وإنما عرفت هذه التسمية رسمياً في العرب بعد إنشاء أوربان الثاني خطاباً للوفوف في كليرمون ، وصاح المخلصون سببهم الشهيرة « هذه هي إرادة الله » ، وحلوا منذ ذلك الحين كلمة الصليب ، وهي هنا سميت بحركة باسم « الحروب الصليبية » .

(١) مذكر : الحروب الصليبية ، ص ٩٦-٩٧ ؛ ركني محمد حسن : الرحلة القلمون في الصور الوسطى ، ص ٨٠ . أنظر أيضاً : *Haskins, Normans in European Hist., 208* . كما ويطلق بعض المؤرخين على حروب الأسبان للبيجين ضد غرناطة المرية و أحرقات القرن الخامس عشر اسم الحروب الصليبية أيضاً . أنظر : عبد الحميد البغدادي : المحدث في تاريخ الأندلس ، ص ١٩٥ وما بعدها .

(٢) حسن حبيبي : الحرب الصليبية الأولى ، ص ١٧-١٨ .

المتأخرة ، ، تميزنا لها عن الحروب الصليبية للبكرة (١) . وهي في واقع الأمر
غاية الحروب الصليبية الأولى وجوه لا يتجزأ منها ، باعتبارها من أهم نتائجها
وآثارها .

تربناء على ما تقدم ، صنعنا قول إن الحركة الصليبية بدأت في عام ١٠٩٥ م
وانها انتهت في عام ١٢٩١ م ، فهذا لا يعني أنها بدأت دون مهادات أو مبادئ
انذار ، أو انها انتهت دون أن يترتب عليها نتائج وآثار في الاحقاب التالية .
لقد اعتبرت سنة ١٠٩٥ م كبتاية لها ، لأنها السنة التي بشر فيها البابا اربان الثاني
بتلك الحركة في كليرمون ، والتي دعا فيها إلى حل الصليب للاستيلاء على فلسطين
وتأسيس مستعمرات لاتينية هناك . كما اعتبرت سنة ١٢٩١ م كنهاية لها ، لأنها
السنة التي استولى فيها السلطان الأشرف خليل على مدينة عكا ، وهي آخر معاقل
الفرنج الحصينة بالساحل الشامى . لذا لا يمكن الباحث المدقق أن يأخذ بهذا
التحديد الزمنى الجاف . فقد كانت روح هذه الحركة وصفاتها موجودة في القرب
قبل سنة ١٠٩٥ بمشرات السنوات ، ولم يكن يتقصها سوى أن تصطبغ بالصيغة
الرسمية وأن يوجد الرجل الذى يعلن مولعها ، وقد تم هذا في عام ١٠٩٥ .
كذلك اتفق المؤرخون على اعتبار سنة ١٢٩١ بمثابة نهاية هذه الحركة . ولكن
بالرغم من ذلك قامت مشاريع وحملات أخرى تحمل نفس الطابع خلال القرن
الرابع عشر ، والتي تعتبر امتدادا لفكرة الصليبية واستمرارا لها . والواقع
الذى لا خلاف فيه انه كانت هناك عوامل كثيرة مختلفة متشابكة متعقدة مهدت
لتلك الحركة الثورية وأدت في نهاية الأمر إلى قيامها . ولم تكن هذه العوامل
بنفس برم وولية ، إنما استقرت وقتا طويلا قبل قيام الحروب الصليبية

نفسها . كما ظلت هذه الفكرة بعد سقوط عكا نحو قرن من الزمان ، ولم تفقد صفاتها الحقيقية بدلولها الحقيقي إلا بعد القرن الرابع عشر .

وهناك من يقول إن الحروب الصليبية نفسها ما هي إلا امتداد طبيعي لحروب التوسع الاتصالي التي كان يقوم بها كبار رجال الاتصالي في الغرب الامدوني قبيل الحركة الصليبية (١) ، مثل حروب جودفري دوق اللورين السفلى مع جيرمانه ، وحروب جويسكار وابنه بوهيمند في جنوب إيطاليا (٢) . والحقيقة أنها يتشابهان في فكرة الأطماع والاكساح ، مع فرق هام وهو أن هذا الاتساع كان منظماً أيام الحروب الصليبية ، وتامت به معظم دول الغرب مجتمعة تحت إشراف البابوية ووجهته للشرق العربي . أما الحروب الاتصالية الغربية السابقة للحركة الصليبية فكانت فردية بين أمراء الاتصالي وبعضهم البعض ، أو بينهم وبين البيزنطيين أو العرب المتناحسين لهم في المناطق التي استولوا عليها في أوروبا . وكانت مثل هذه الحروب تعتبر أمراً عادياً ومألوفاً في ذلك الحين .

(١) أول من أشار إلى هذه النظرية هو العالم لويس حافن في مؤلفه « اتصالات أوروبا فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر » . وقد أوضحها في الكتاب الأول من مؤلفه عندما تناول العلاقة بين أوروبا الاتصالية والتوسع الصليبي الغربي في الشرق . خصصت أولاً من الاتصالي في أوروبا في القرن الحادي عشر ، ثم انتقل إلى أوضاع السكينة اللاتينية خلاله ذلك القرن ، فالتوسع الاتصالي داخل أوروبا قبل الحملة الصليبية الأولى مثل استيلاء نورمان على صقلية وسرور إيطاليا والجزيرة البريطانية . واستطرد بعد ذلك في الحديث عن التوسع الاتصالي في شبه الجزيرة الأيبيرية . قيام الحملة الصليبية الأولى ولتعداد التوسع الاتصالي الامدوني من غربي البحر المتوسط إلى شرقيه .

انظر . L. Halphen, L'Essor de l'Europe (XIe - XIIIe siècles), Paris, 1941, 4 ff., 46 ff., 63 ff.

(٢) أشار إلى ذلك عندما ترجمنا لخلق جودفري وبوهيمند في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

ومما يدعو إلى التساؤل أنه وجد نوع آخر من الحروب التي لا مئة لها
إطلاقاً بالحركة الصليبية لعدم توفر الصفات الخاصة فيها التي تعتبر من مستلزماتها ،
ومع ذلك أطلق عليها اسم الحروب الصليبية . من ذلك الحملات التي شنتها
بابوية روما ضد معارضيها عن العلانيين خلال الصراع العنيف بينها وبين
الامبراطورية على الأمور العلانية ، مثلما فعل البابا انوسنت الرابع عندما
بشر بحملة صليبية ضد كوزاد الرابع ابن الامبراطور فردريك الثاني ، واحداً
يمنع صكوك الفخريين لكل من يشترك فيها ولادريهم ايضاً ؛ تلك الصكوك التي
كانت تمنح عادة لمن ينخرط في سلك الحرب الصليبية بقصد غزويديت المقدس (١).
ومن هذا النوع ايضاً الحروب التي بشرت بها البابوية ضد الخارجيين عليها من
المراطقة المسيحيين ؛ كذلك التي شنتها ضد الالبيين في شتاء ١٢١١/١٢١٢ م ؛
وتلك التي وجهتها ضد اتباع المصلح البوهيمي يوحنا هس في الفترة الواقعة من
١٢٢٠ م إلى ١٢٣١ م . (٢) وكذلك الحروب الصليبية التي دعا اليها بابوات
روما والنيون ضد بعضهم البعض في فترة الأسر البابوي ، (٣) وإن استقلال
البابوية لهذه التسمية في أغراض ونواح شتى متباينة ، إن دل على شيء ، إنما
يدل على أنها اتخذتها سبباً مسطراً ضد معارضيها من حكام وابطرة ومراطقة ،
وانما تدرت وراءها تحقيقاً لأغراض ليست من الدين في شيء . فأصبحت
الدعوة إلى حرب صليبية سلاماً مانحياً في يد البابوية تشهره في وجه الخارجيين
عليها . وتستند هذه كلاً دعت الضرورة إليه . شأنه شأن باقي أسلحتها المعروفة

Matt. Paris, II, 462. (١)

Baldwin, Med. Church, 107; Arnold, Legacy : (٢) انظر عن ذلك
of Islam, 69; Waugh, Hist. of Europe, 163 sqq.

Waugh, op. cit., 16. (٣)

كالحرمان والقيمة والعنة والقطع . ولكن هذا السلاح بدأ يفقد قوته عندما فقدت البابوية هيبتها وفقدتها في آخريات العصور الوسطى وأخذت تسير سريعاً نحو التدهور والاحلال .

وكيفما كان الأمر ، فقد ظلت الحروب الصليبية نتيجة لظروف وعوامل متشابكة أفاض الكتاب المحدثون في دراستها وتحليلها . ومع ذلك فهناك بعض البواقي التي لم تدرس بعد دراسة وافية ولا زالت في حاجة إلى مزيد من البحث ، ومنها الباطل الشخصي في قيام هذه الحروب ، والرجل الذي دفعها إلى الأمام تلك الدفعة القوية التي جعلت منها حقيقة واقعة . وقد اختلفت آراء المؤرخين حول هذا الموضوع اختلافاً بينا ، وظهرت كثير من النظريات التي تسند قيام الحركة إلى شخص دون آخر . نجملها فيما يلي (١) :

أولاً — أنثودة رولان وقصيدة حج شارلمان إلى الأراضي المقدسة :

تعتبر أنثودة رولان من أشهر الأناشيد المعروفة في الأدب الشعبي في المجتمع الغربي الوسيط ، وهي التي خلد فيها الفهماء الحلة التي قام بها الإمبراطور شارلمان تجاه الأندلس سنة ٧٧٨ م . ونظراً لما كانت تحويه من آراء تدعو إلى القتال ، فقد استغلت زمن الحروب الصليبية لتحقيق أغراضها . كذلك ظهرت أسطورة حج شارلمان إلى الأراضي المقدسة في ذلك الوقت بالذات بقصد حث أهل الغرب لاجتة انخراطهم في الشرق . (٢) وتناول هذه الفكرة بالنقد أكثر

(١) تناولت أهم النظريات التي أثيرت حول هذا الموضوع حتى من الألفية والتعليل في مقال « البيان الشخصي في قيام الحركة الصليبية » مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ١٦ ، ص ١٨٣ — ٢١١ . واكتفيت هنا بالإشارة إلى خلاصة آراء المؤرخين في هذه المسألة دون التعرض للتفصيلات .

(٢) انظر : ديتز : أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٥٦ .

من مؤرخ ، تذكرتهم و . ب . كير ، وكولس ديفر ، وجليستون باريس ،
وارنسا باركر . وخلاصتها أن أفضية رولان وقصيدة حج شارلمان امطورتان
بميدتان عن الحقيقة التاريخية ، وقد لعب فيها الخيال دورا كبيرا ، وأنه تم
وضعها قبل قيام الحركة الصليبية بوقت قصير ، ثم استخلا من الحرب
الصليبية لتحقيق أهدافها . ولعل الأثر الوحيد لها هو نجاحها في إثارة الرغبة
الكامنة لدى أهل الغرب لقيام بحروب عدوانية ضد العرب في الشرق عند بداية
الحركة . (١) وعلى هذا فإنه يمكن النظر إلى مثل تلك الملاحم باعتبارها عاملا
مساعدًا هيا الجو لقيام العدوان الصليبي ، ولكنها لا ترقى بحال إلى مستوى
العوامل الرئيسية التي أدت إلى قيام هذا العدوان .

لانيا — دور بيزنطة والكيس كومنين في الدعوة إلى الحركة الصليبية :

يرى بعض المؤرخين الغربيين المحدثين أن الامبراطور البيزنطي الكيس
كومنين هو المسئول الأول عن قيام الحركة الصليبية . ويستدلون على ذلك من

(١) انظر: ديفر: هارلان ، ص ٢٨٨-٢٨٩ ؛ وكذلك Paris, Med. French Lit., 32, 38-42. ويؤكد و . ب . كير أنه لا يوجد أية صلة بين الحروب الصليبية وبين
تلك القصيدة العرقية الأصل التي تروي قصة ذهاب شارلمان إلى الأراضي المقدسة ، والتي تم
وضعها قبل قيام الحركة الصليبية نفسها ، قائلا أنها لا تبدو أن تكون أسطورة شعبية ، أما
عن أفضية رولان فيقول إنها تعود سابقة لقصة القصة الأولى . ومع ذلك فهي في روحها العودة
صليبية شارلمان عبر القلوة إذ تروي حروب المسجة الترية ضد العرب في أسديا . فضلا من
كونها أعده دراسة جمعت من شرف فرنسا وحكومتها . انظر : Ker, Dark Ages, 350, 353-6.
— وجدير بالذكر أن كثيرا من المؤرخين اللاتين المعاصرين للحركة الصليبية
استنوا هذه الأحداث إلى أقصى حد . فكانوا يدعون مؤلفيهم القريب من أمجاد أسلافهم في
الحروب بلمسة إثارة همهم ضد العرب . ومن هؤلاء ليدواز الذي ضمن كتابه قصيدة عن
شارلمان وولته في الشرق والغرب ، وكأنه يريد أن يقدم للحضارة مثلا محذوق به ونموذجا
يسير على مثاله . انظر :

Ambroise, Crusade of Richard Lion — Heart, 324 — 5.

خطاب يقال إنه أرسله حوالي سنة ١٠٨٨ م إلى دوبرت أمير الأراضي الواطنة ، يستمع فيه على إيفاد التجنات إلى القسطنطينية لدفع خطر السلاجقة عنها ، ثم التوجه بعد ذلك للاستيلاء على الأراضي المقدسة^(١) . وعلى رأس الذين يعتقدون في صحة هذه الوثيقة الألمانيان هاجينباير الألمانى Hagenmeyer ، وهرشت النسوى Röhrich^(٢) . وخلاصة رأيها أنه إذا لم يكن الخطاب الذى وصلنا هو الخطاب الأصل الصادر عن الكيس ، فهو على الأقل صورة أخرى منه تتضمن نفس المعاني والأفكار . أما الرأى المعارض فهو ينق نقياً تماماً صدور الخطاب عن الأمير بطور البيزنطى . وعلى رأس هذا الفريق المؤرخان الفرنسيان فرديناند شاتودون وشارل ديل ، ويؤيدهما في ذلك كثير من المؤرخين المحدثين أمثال الكونت بول ريان ، وفازيليف ، ودانسيان ، وإستروجررسكى . ويتلخص رأى الجبهة المعارضة في عدة نقاط هي :

- ١ - لا يوجد أى أصل لىخبرنى لهذا الخطاب ، وكل ما وصلنا هو النص اللاتينى المنوه عنه وليس هناك ما يدل على أنه ترجمة لأصل يونانى مفقود^(٣) .
- ٢ - الأسلوب والطريقة التى دون بها الخطاب لا يتفقان بحال مع العادات والتقاليد المرعية في ديوان الانشاء في الدولة البيزنطية في ذاك الحين .
- ٣ - إن مطلب بيزنطة للمساعدة من أهل الغرب كان أمراً عادياً وقتذاك ،

(١) انظر الخطاب المذكور في : Gauthier de Nogent, R.H.C. - H. Occ., IV, 131-2. انظر الترجمة العربية للمطلب في الملحق الأول بآمر الكتب بتلامس طاعة هاجينباير .

(٢) راجع عن الفائدة في هذا الموضوع : Grousset, Crois., I, p. 2 & n. 2
(٣) Afiya, Crusado, Commerce and Culture, 48; Riant, A.O. (٢) I, I, 74.

ولا يعنى الدعوة إلى حرب صليبية بمعناها المعروف ، إذ سبق لها استخدام
القريبين في جيوشها كترتزة لدفع التركمان عن حدودها (١) .

٤ — لم يشر المؤرخون المعاصرون لبداية الحركة الصليبية إلى طلب
الكهنة المساعدة من أهل الغرب لقيام بحرب مقنعة في الشرق العربي . وتؤكد
الكتابة الإغريقية أن كومتين أن والحا الامبراطور لم يكن يعرف شيئاً عن
هذه الحركة ، وأنه فوجيء بوصول الجيوش اللاتينية الجاردة إلى أراض
دولته (٢) .

٥ — لا نجد هذه الأسطورة إلا في كتب بعض المؤرخين اللاتين المتأخرين
لغياً أو الذين لم يساعدوا أحداثها مثل دوبرت الراهب ، وجيرت ده لوجن (٣) .
ويعتقد الكونت ريان أن واضع الخطاب هو دوبرت الراهب نفسه (٤) .

٦ — لم يكتب الخطاب المذكور سنة ١٠٨٨ م ، وإنما وضع في الغرب لياً بين
سنتي ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ م بقصد إثارة الشعور هناك ضد العرب في المشرق . ويرجع
أنه وضع أثناء حصار كرونا حاكم الموصل لمدينة أنطاكية في الحملة الأولى (٥) .

والخلاصة أن الخطاب المذكور أسطورة أو وثيقة مزورة لا تقوم على
أساس على سليم ، وليس فيها أى احتمال الصحة .

Hoer, Med. World, 96; Chalandon, Alexis Comnène, (١)
56-7.

Alexiad, 249, 250, 263. (٢)

Robert le Moine, R. H. C. - H. Occ., III, 727; Guibert (٣)
de Nogent, R. H. C. - H. Occ., IV, 131-2.

(٤) انظر الصفحة رقم ٣ بالصفحة رقم ٥٣ .

(٥) Dichl, L'Europe Orientale, 16.

مكتابه عن حكم الكهنة كومتين .

ثالثاً — أساطير قامت حول بعض زعماء الحملة الأولى :

ومناك فئة من المؤرخين تنسب قيام الحركة الصليبية إلى بعض زعماء الحملة الأولى . فمن قائل إن بطرس انتسك هو لستول الأول عنها . ووجه هذا الفريق أن بطرس هو الذى حدث البابا اريبان الثانى على القيام بتلك الحركة . وقد كتب أن هذه الأسطورة هي الأخرى بعيدة عن الحقيقة التاريخية (١) . ويبدو أن النجاح الذى أصابه اللاتين في الحملة الأولى ، جعل بعض المؤرخين المتأخرين نسبياً ينسبون أمر قيامها إلى عدد من زعماء تلك الحملة مثل ريمون دى سان جيل كوند ترويز ، وهورد فرى دوق اللورين السعلى الذى جعلوا منه بطل الحرب الصليبية ومحررها (٢) .

وإن مثل هذه الروايات والأساطير السالف الإشارة إليها ليس فيها أى أساس من الصحة ويجب تقبلها بحذر؛ كما يبدو فيها طابع الخيال الشعري واضعاً . وقد ذاعت في الغرب طوال عصر الحروب الصليبية بقصد التسلياة وإثارة الحمود والمهم لحساب . وكان الشعراء يكتسبون قصصهم بالقول الصليبي في عصر كان يقوم على تطامنين هاتين عما الحرب والدين (٣) .

(١) ظهر الدود للنسب إلى طرس في بداية القرن الثانى عشر ، وخاصة صدر برت دكن وغيره من مؤرخى الحروب الصليبية من ولیم السورى في أواخر ذلك القرن . انظر : Albert d'Aix, R.H.C. - H. Occ., IV, 272-4; Guillaume de Tyr, R.H.C. - H. Occ., I, 10., 32. وكانت آن كوند هي لا يكتبه الوحيد المعاصر للحملة الأولى التي نسبت أمر قيامها إلى طرس انتسك . انظر ، Alexiad, 248-9. ولم يصرها في ذلك ؛ إذ لم تنجح كتابها إلا بعد انتهاء الحملة الأولى بحوالى نصف قرن .

Michel le Syrien, R.H.C.-Doc. Arm., I, 327; Guillaume (٢) de Tyr, 71.

(٣) انظر : Arnold, Legacy of Islam, 65-9.

رابعا - البابا اربان الثاني والحركة الصليبية :

يتضح مما سبق أن النظرية السابقة لا تقوم على أساس علمي سليم ، والثابت تاريخيا أن الفستول الأول من قيام الحركة الصليبية هو البابا اربان الثاني ، يؤيده في دعواه الجهاز الكنسي في الغرب . ويلعب إليه جميع المؤرخين اللاتين المعاصرين له الدور الرئيسي في تحقيق هذه الفكرة ، وعلى رأسهم فوشيه ده شارتر ، وتيدبوده ، وراؤول ده كان . (١) فقد كان على علم بالأوضاع السائدة في كل من العالم العربي ودولة الروم وقتذاك ، في وقت كانت فيه أوروبا في وضع يسمح لها القيام بهذه الحملات . يضاف إلى ذلك أن رؤية أربان وتلفسته الكنسية ساهمتا إلى حد كبير في التجهيل بتنفيذ الفكرة الصليبية . فبذل جهدا واضحا في سبيل الدعوة لها في الأشهر السابقة لمؤتمر كليرمون ، ونجح عمله بإعلان مولعها في الخطبة التي ألقاها في المؤتمر المذكور . (٢) ثم واصل التبشير بها والاستعداد والتمهيد لها في الأشهر القليلة التي أعقبت انتهاء المؤتمر حتى قيام الجيوش الصليبية من أوطانها متجهة نحو الشرق .

(١) راجع من ذلك : Foucher de Chartres, R.H.C.-H. Occ., III, 321; Tudebode, R. H. C. - H. Occ., III, 121, Raoul de Caen, H. H. C. - H. Occ., III, 606.

(٢) أنظر في الخطبة في السطور التالية : Foucher de Chartres, 323-4; Robert le Moine, 727-30; Baudri de Bourgueil, 12-15; Guibert de Nogent, 137-40.

راجع أيضا الترجمة الإنجليزية لعمى فوشيه و ترجمة بعض المخططات من نص روبرت الراعي في 73-6. Downa, Basic Documents, أنظر تحليل الدكتور عزيز سوريال للصلب المذكور في كتابه : Crusade, Commerce and Culture, 20-2. أنظر أيضا النص الثاني بآخر الكتاب وهو عبارة من نص مأخوذ من كتاب فوشيه من الظروف التي حدا بها البابا إلى المؤتمر المذكور .

نخلص عما سبق أن الحركة الصليبية هي حركة غربية بحجة تعهدتها الكنيسة الرومانية برعايتها وعنايتها طيلة مراحلها ، وعلم البابا اريان الثاني بدور إيجاني فيها إلى أن خرجت إلى حيز الأشياء الملوثة : (١) وإن جاءت نتائجها البعيدة عجيبة لآمال البابوية وأطامعها (٢) .

وما دنا نتحدث عن أثر الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية ومن دور اريان الثاني ومؤتمر كليرمون ، والبابا فرنس الأول وللمدينة التي عقد فيها المؤتمر جلساته تقع في قلب فرنسا - يحسن أن نعرض في إيجار لدور فرنسا في هذه الحركة . لقد كانت هذه الحروب منذ قيامها حتى نهايتها ، والتي اكتوى العرب بنارها في المشرق والمغرب العربيين ، تحت إشراف مظلمة فرنسي . بل إن بعضها كانت تنسم بالطابع الفرنسي الخالص . وهذا ما دفع فريقا من المؤرخين المحدثين إلى اعتبار فرنسا بحق مهد الحروب الصليبية والدولة الصليبية الكبرى في أوروبا (٣) ، وإنما قامت من تلك الحروب مقام الروح من الجسد بالقياس إلى غيرها من دول الغرب الأوروبي (٤) .

والشواهد على ذلك كثيرة متعددة . فأول من شجع مسيحي الغرب على القتال ضد العرب في أسبانيا وغيرها من المناطق التي كانت في قبضة العرب في جنوب غربي البحر المتوسط قبل قيام الحركة الصليبية نفسها ، هم جماعة كلوني

Grousset, Sum of Hist., 172-3. (١)

Coulton, Med. Panorama, 653. (٢)

(٣) أنظر ماركز : الحروب الصليبية ، ص ٧٤ ؛ وكذلك : Atiya, Crusade in the Later Middle Ages, 6; Daniel - Rops, La Cathédrale et la Crois., 547.

(٤) فخر : أوربا في الصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

الديرية جنوى فرنسا . ولهذه الجماعة دور هام وأثر كبير في هذا المصير . وأول نداء أذيع للحركة الصليبية كان من فرنسا ، وأول من لبى النداء هم فرسانها الذين أصبحوا نموذجاً لغيرهم من الفرسان الأوروبيين . فالابا الذي نادى بالحركة في كليرمون وهو أربان الثاني كان فرنسياً ، وللدعوة التي شهدت مولد الحركة تقع في وسط فرنسا (١) . كما أن بطرس التاسع أحد زعماء الحملة الشعبية كان راهباً فرنسياً ؛ وكذلك كان معظم زعماء الحملة الأولى من أصل فرنسي ، وعلى رأسهم روبرت النورماندي وروبرت الفلمنكي وآتين ديه بلوا وهيجوج ديه ليرماندوا شقيق فيليب الأول ملك فرنسا (٢) . وحتى قادة الفرق الألمانية والإيطالية الذين اشتركوا في الحملة الأولى كانوا يتكلمون الفرنسية ، ونعني جودفري دوق النورين السفلى وشقيقه بلودين ، وبرهيمند النورماندي وابن اخته تشكريد . وكانت المعركة التي أقامها الفرنج في الأراضي المقدسة فرنسية المظهر والمناخ . ثم أن القديس برنارد الذي بشر بالحملة الثانية كان فرنسياً ، كما كان أحد قواد هذه الحملة هو لويس التاسع ملك فرنسا . بينما اشترك فيليب أغسطس جد لويس التاسع مع عدد كبير من القادة الفرنسيين في الحملة الثالثة التي ساعدت في النهاية لها الأسقف

(١) تعرف هذه المدينة حالياً باسم كليرمون فران Clermont Ferrand ، وهي تقع في وسط فرنسا وتسمى إلى قسطنطين أحمدا جبل مرعج والثاني سهل منسطح .

(٢) يرى الأسقف الألماني لاهنباورث دوراً مهماً لشعراء الفرنسيين في الحملة الأولى إلى الجبل المقدس وسه . ويدلل على ذلك بأن البلاد أصبحت تها للغروب الأممية ، كما انتشرت فيها الأوثان والمجاعات ، مما دفع جموع الشعب إلى البحث عن مخرج من هذه الأزمة . ولذلك لم يجد المستولون صوة في القمام بترك أراضيهم والانخراط في سلك العرب المقدسة أطر : Coulton, Med. Village, 323. ولأن استقدام الحملة الأولى إلى حد الجبل دون غيره فيه مد عن الحقيقة التاريخية ، ويجب تناوله بحذر شديد ؛ لاسيما وأن أحداث الحركة من ماضيها إلى نهايتها ، والآثار المترتبة عليها حتى وقتنا هذا ، تؤكد اتجاهاتها الفرنسية الإستعمارية في العالم العربي .

وليم الصوري . والحلة الرابعة دعا إليها البابا انوسنت الثالث الفرنسي بقصد امتلاك مصر والبيت المقدس ، ولو أنها انحرقت عن هدفها . وتتميز الحملات الثلاث التي قام بها لويس التاسع ملك فرنسا على مصر والشام وشمال إفريقيا بالطابع الفرنسي البحت^(١) ، ثم إن معظم المؤرخين اللاتين الذين عاشروا الحركة الصليبية وأرغوا لها ، كانوا هم أيضا من أصل فرنسي .

وإذا انتقلنا إلى الحروب الصليبية المتأخرة التي قامت في القرن الرابع عشر ، نجد أن فرنسا أسهمت فيها أيضا بنصيب الأسد . فنها خرج كثير من الدعاة والمبشرين الذين أخذوا يتنادون بمكة الصليبية من مرقعها . تلك الفكرة التي كانت قد شهدت احتسارها على الحاصل قشاشي في آخرات القرن الثالث عشر . ومن هؤلاء الدعاة بطرس ديويو Pierre Dubois ، ورامون لال Ramon Lull ، وبيركارد Burcard في مصر فيليب الجبل ملك فرنسا الذي أخذ يشجع على القيام بحملة صليبية جديدة بقصد غزو الأراضي المقدسة . وغريم من الدعاة أمثال بطرس ده توما Pierre de Thomas ، وفيليب ده مزير Philippe de Mézières . وكان من أثر ذلك قيام بعض الحملات الفاشلة التي اتسمت بالطابع الفرنسي ، فذكر منها حملة بطرس الأول لوسنيان على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م ، وحملة لويس الثاني دوق بوربون على المهدية بعد ذلك التاريخ بربع قرن^(٢) . وحتى

(١) أنظر : جوزف سيم : لويس التاسع في الشرق الأوسط ١٢٥٣ - ١٢٥٦ : Paris, Med. French Lit., 37; Grousset, Sum of Hist., 172; Daniel-Rops, 547.

(٢) أجيئت هذه النظرية الدكتور عزيز سوريال حلي في مؤلفاته الأخيرة - ١٩٤٤ م فيغوبوليس الصليبية (طعة لندن ١٩٣٤) ، والحروب الصليبية في آخرات العصور الوسطى (سنة لندن ١٩٣٨) ، والحروب الصليبية والتجارة والثقافة (طبعة لومبتون ١٩٦٢) أنظر أيضا .

McKisack, Fourteenth Century, 123-5; Waugh, op. cit., 27, 431.

أحب الأساطير للتملق بالحروب الصليبية كان في غالبه فرنسي الطابع (١) .

والخلاصة أن القرنين م القرن كانت لهم اليد الطولى في الدعوة لهذه الحركة (٢) . وم الذين أقاموا مملكة بيت المقدس اللاتينية في قلب الشرق العربي ، وكانت حضاوتهم هي التالية فيها . وم الذين حاولوا عبثا الاستيلاء على الديار المصرية ضد العروبة النابض . وكرروا نفس المحولة دون جدوى في شمال افريقية . ونستطيع اليوم أن نقول دون مغالاة أن الانتداب الفرنسي الذي تعرض له كل من سورية ولبنان في العصر الحديث ، والتدخل الفرنسي في شئون دول شمال افريقية ، يد أثرأ سينا من آثار الحروب الصليبية . (٣) وهذا أيضا ما يمكن أن يقال بالنسبة للعملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ، واشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي على البلاد سنة ١٩٥٦ م .

وهكذا اشتهرت فرنسا التي أسهمت بنصيب وافر في تلك الحروب الدامية بمبادئها التقليدية المزمع العروبة والإسلام ، كما نراها في ذلك بقية دول الغرب اللاتيني التي شاركت في الحروب المذكورة بالقدر الذي كانت تسمح به ظروفها الداخلية وقتذاك . (٤) وضمير حاف انه لو كانت قد اتبعت لما نفس الظروف التي اتبعت لفرنسا ، لأصبحت كلها دولا صليبية كبرى .

(١) Conlton, Med. Panorama, 574. أنظر أيضا خالي د الواقع النحوي في

قيام الحركة الصليبية « ص ١٨٥-١٨٨ والحواشي و ١٩٥ - ١٩٨ والحواشي .

(٢) Conlton, op. cit., 507.

(٣) أنظر : أرنولد : تراث الاسلام (ترجمة العربية) ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٤) يذكر المؤرخ الانجليزي جورج تريفلان أن اشتراك الفرسان الانجليز في حروب الصليبية بمنبر خطبة حالات فردية ؛ وأن الحركة الصليبية في انجلترا لم تصبح مملعة معروفا ومتيا أو تنديدا سريعا ، علما كان الحال في فرنسا . ويحل فلك بقوة إن فرنسا كانت لها حصة

نستين مما سبق إلى أى اتجاه كانت تسير الحركة عندما أعلن البابا اربان الثانى مولدهما فى كليرمون فى آخريات عام ١٠٩٥ م ، وعندما صاح المحتشدون لسماعه صيحتهم المشهورة « هذه هى إرادة الله » (Deus lo vult) ، وعندما حمل الجميع شارة الصليب شعارا لهم . ومن هنا هرفت الحركة فى التاريخ باسم الحروب الصليبية .

لمس إذن حروب دينية ، أو على الأقل كما يبدو من تسميتها وشعارها ، وحمل هذا الأساس نظر إليها المؤرخون الغربيون ، القدامى والمحدثون ، فن الكتاب المصنفين للحركة نذكر فوشيه ده شارتر ، وريون داجيل ، والمؤرخ المجهول ، وأبرت دكس ، وروبرت الزامب ، وراؤول ده كان ، وجيبرت ده نوجان ، وتييهوده ، وبودوى ده بورجي ، ووليم الصورى ، وامبرواز ، وفيل هاردوان (١) ، وجوانفيل ، وغيرهم . ومن المحدثين تذكر دهرشت ، وباركر ،

== روى على البحر الأبيض المتوسط بنكر انجلترا . أطر : Trevelyan, Shortened Hist. of England, 141. — ولا يمكن بحال أن نحل الصور الصليبية الجزيرة البريطانية التى ألفت برمرة فرسانها وحلبها فى أنون تلك الحملات التوسعية ، وكان ملوكها على رأس أكثر من حملة بها . وحتى تلك الحملات التى انست بالهلال القرنى الخامس بعد اهتمكت فيها قوات ومنية من انجلترا . والواقع أنه لولا ظروف انجلترا ومساكها فى الداخل والخارج وقتذاك ، لماعت فى الحركة الصليبية بنفس القدر الذى سمعت به فرنسا ، ولما بات لها الأسماء التى تحمل منها دولة صليبية كبرى مثل فرنسا . وهذا يمكن أن يقال أيضا « لنسبة حجة دول الغرب الأوروبي » .

(١) هو حوفاواهى فيلهارمولان Geoffroi de Villehardouin مؤرخ الحملة الصليبية الرابعة . وفيما يعلق بسيرته ومذكراته المعروفة باسم « تاريخ سقوط القسطنطينية فى يد الفرنج والبادقة » أطر : محمد عبد الله عثمان : مصر الإسلامية ، ص ١٠٧ - ١١٥ . أطر الترجمة الإنجليزية لتاريخ فيلها وجوان فى :

Villehardouin, The Conquest of Constantinople, ed. Chronicles of the Crusades, trans. with an Introduction by M.R.B. Shaw, London, 1963, pp. 7-160 [Penguin Classics].

وستيفنسون ، ولويس برية ، وشالندون ، وشاول ديل ، وشلومبرجيه ،
ورينيه جروسيه ، ودانيال روبس ، وستيفن دانسيك . بل إن أحدهم وهو
الكومت ريان وصف الحروب الصليبية بأنها حروب دينية عاتية ، ودراستها
واتجاهاتها دينية بحتة ، وهذا الأول والآخر هو استرداد الأماكن المقدسة
سواء أكان ذلك عن طريق مباشر أم غير مباشر^(١) . فهي فكرة تنافسها اللاهوتون
عن السابقين دون أن يتناولوها بما هي جدية به من بحث وتمحيص وتقبل على
صالحهم ، ودون أن يضعوا الأمور في نصابها ويسموا الحقائق بحسمياتها ، أولعلمهم
تعمدوا إضفاء الصبغة الدينية البحتة عليها بقصد التحويه وإبعاد الشبهات عن
الأهداف الحقيقية للعدوان الصليبي .

ومكلا اعتبر العامل الديني هو الدافع الأساسي لهذه الحروب . وكيف لا وقد
قامت في نظر أولئك الكتاب اللاتين هدف أسمي ألا وهو تخليص قبر المسيح
واقتاذ الأراضي المقدسة من قبضة العرب . فهي المكان الذي ولد فيه السيد المسيح
وقدسه بزيارته وبشرقيته برسالة . وليس أدل على ذلك مما قاله مؤرخ صليبي حاصر
أحدائها هو روبرت الزاهب ، من أنها كانت من عمل الله وليست من عمل
الإنسان^(٢) . وليس هذا بمستغرب في عالم كان يركز على هذه الناحية التي اعتبرت
الأساس الأول للحياة والتفكير في المجتمع الغربي الوسيط .

وإن اصطباغ هذه الحركة بصبغة الدين لا يعني إطلاقاً أنه كان العامل الحقيقي

(١) Riant, Inventaire des lettres des Crois., A.O.L., I, 2.

(٢) ... Hoc enim non fait humanum opus, sed divinum.

(٣) Cf. Robert le Moine, R.H.C. - H. Occ., III, 723.

راجع أيضاً عمر كمال توفيق : عملة بيت المقدس ، ص ٦ .

الذى أدى إلى قيامها . لاشك أن الدين أهميته وآثره في كثير من الحروب التي شهدها العالم قديما وحديثا . فكان يستغل منذ أقدم العصور لإثارة الشعوب وحشها عن قنك خصومها وأعدائها في سبيله ، لما له من أثر في النفوس . ولكن الباحث المدقق يدرك على الفور أنه ليس إلا وسيلة للتحرير وعاملا لتحقيق أهداف أخرى . سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية أو عسكرية (١) . ويعد المبتدئ لتاريخ الحركة الصليبية أن الدين قد استغل في الغرب وقتلك استغلالا واضحا للغاية للحركة والعمل على انجاحها تحقيقا لأغراض أخرى لا تمت للدين بأي صلة (٢) .

وهناك أدلة ملبوسة تمكشع عن استغلال المشركين وأصحاب الأطماع في أوروبا لعامل الدين ، تذكر منها على سبيل الإنمئل استغلال أغنية رولان وقصيدة حج شابلمان في أعمال الحماس الديني لدى اللاتين عند بداية الحركة . وكذلك الخطاب المنسوب إلى الكسيس كومنن الذي يحث فيه البابوية وأهل الغرب على إرسال النجذات لتخليص الأراضي المقدسة وعبر السيد المسيح . والخطاب ملء بالمغريات والمؤثرات الدينية التي تمكشع عن السبب الحقيقي من وضعه (٣) . هذا

(١) أظفر من ذلك : عمر كمال : مملكة بيت المقدس ، ص ٦ - ٩ .

(٢) عنان : مصر الإسلامية ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) *Nam pueros et Juvenes Christianorum circumcidunt super baptisteria Christianorum et circumcisionis sanguinem in despectum Christi fundunt in eisdem baptisteriis . . . Nam melius est, ut vos habeatis Constantinopolim quam pagani, quia in ea habentur pretiosissimae reliquiae Domini . . . Agite ergo, dum tempus habetis, ne Christianorum regnum et, quod majus est, Domini perdatis Sepulcrum . . .* Cf. Hagenmeyer, *Epistolae et chartae*, 129 sqq.

أظفر الترجمة العربية لهذه الفقرات في الملحق الأول آخر الكتاب .

فصلا عن أسطورة بطرس التاسك وغيره من القوالب والمبشرين الذين ظهر وافي
شقي مراحل الحركة ، وخطبة ثيايا اربان الثاني القارية في كليرمون التي تقطر
بالخند والكرامية ضد العروبة والعرب . وغير هذه وتلك من الأساطير الى
يبدو فيها الطابع الديني واضحاً .

كذلك ظهرت الرؤيات والتنبؤات كمنصر هام في الادب الشعبي وقتذاك .
وهذهها هي الاخرى اشغال الخناس الديني في الغرب ، وقوية الروح المنهارة بين
اللاتين ، وحث ممسهم على القتال . ومن هذه الاساطير ما نرى أن صاحبها شاهد
رسولا من الرسل أو قدسيا من القديسين . ومن الاشخاص من يدعى أن
المسيح رأى له في المنام وكلفه بالخدمة بين أهل الغرب فذهب إلى الاراضي
المقدسة وتحرير قبره . ومنابع الحركة الصليبية عائرة بالامثلة العديدة على ذلك .
ولنعرض هنا لأم هذه الرؤيات والآثار المترتبة عليها

لقد انتشرت في الغرب في أواخر القرن المباشر أسطورة تقول إن العالم
سيينتهي بنهاية الألف الأول . ويروي الكتائب أن هذه الأسطورة كان لها أثرها
في ظهور موجة من التنصف والزهد والتجبد عن ملذات الحياة الدنيا والتشرب إلى
الله والعمل على مرضاته . ولما كان أقدس مكان يمكن أن يتبرك به مسيحي قبل
أن يلقى ربه هو كنيسة القيامة في القدس والمكان الذي ولد فيه المسيح ، فكان
لهذا أثره في توسيع الأوروبيين في زحف عام نحو الاراضي المقدسة . وهناك
من يقول إنه رأى لكثير من الغربيين خلال الحملة الصليبية الأولى قتال عنيف
بين اللاتين والعرب انتصر فيه الأولون . فاعتبر هذا دليل على أن النصر سيكون
حليف القوات الصليبية التي كانت قد بدأت احتكاكها بالعرب في الشرق . وكان
هذا مدعاة لمواصلة العدوان . كما ذكر بعض المؤرخين اللاتين المعاصرين لبداية

الحركة الصليبية أن بطرس الثالث رأى قيا يرى التائب للمسيح الذي طلب منه مقابلة البابا أوربان وحمله على الدعوة للحرب الصليبية ، وأن بطرس قام بتنفيذ هذه الرؤيا (١) . وهكذا جعلت منه الأسطورة المحرك الرئيسي للحرب الصليبية الأولى . وهناك رواية أخرى تقول إن أحد الفرنج الذين اشتركوا في الحملة الأولى واسمه بطرس برنولاموس ، ظهر له أحد القديسين في المنام ، ودله على مكان الحرب المقدسة التي طعن بها المسيح في جنبه ، وكان ذلك أثناء حصار كربوفا حاكم الموصل للقوات الصليبية الموجودة داخل مدينة إسطاكية (٢) . وتقول المصادر اللاتينية إن اكتشاف الحرب كان له أثره في إلهاب حماس الصليبيين الحاضرين داخل المدينة ، فتحوّل حريتهم إلى نصر . وعن الروايات التي يجرى الإشارة إليها تلك التي ادعى الملك الفرنسي لويس التاسع أنها ظهرت له ، والتي كان من أثرها

Historia Belli Sacri, R.H.C.-H. Occ., III, 169; Guillaume (١) de Tyr, R.H.C.-H. Occ., I, lep., 34-5.

وليس من ملاحظ في كتاب تاريخ العرب القديمة من رؤيا بطرس الثالث :

«... Qui etiam in visu Jesum Christum Dominum vidit, talis dicentem sibi : « Petre, surge citiusque revertere, Urbanum papam adiurus, cui ex mei parte dicatur, quatinus fratres meos cunctos commovens, eis praecepit ut hoc quantocius properantes, et Jerusalem, immo meum Sepulcrum, a profanae gentis huius invasione atque spurcitia aliisque sacra loca per circuitunt, me quoque adiuvante, liberare festinent. Nam et regni coelestis janua mei amore vouturis ad istud peragendum nunc omnibus patet. »

والمريد من التماسيل من دور بطرس الثالث ، « أظن أنني » البائع الغصن في نام الحركة الصليبية » ، ص ١٩٥ - ١٩٧ : « أظن أيضا أنني » ، الملحق الثالث آخر المخطوطات من دور بطرس الثالث حيا وورد في مخطوطات الألكسندرية .

Matthieu d'Édesse, R. H. C. - Doc. Arm., I, 41 - 2; cf. (٢) also Downes, Basic Doc., 107 - 110.

قيامه بحملاته العدوانية الثلاث ضد بلدان الشرق العربي والشمال الإفريقي . إذ تذكر الرواية أنه ظهر له فيما يظهر لثلاثين وعشرين يتقاتلان ، وأن العربي انتصر على الأوروبي ، وقد فر عنه الرقيا بأن أفرج الشرق حاجة إلى العون والمساعدة ، وأن المولى أناط إليه القيام بهذه المهمة (١) .

وهناك رواية أخرى تنسب إلى هذا الملك ، جلد فيها أنه وقع في أواخر سنة ١٢٤٤ فريسة مرس عنال خيف عليه منه ، وأرجف رماياه بموته حين انقطعت أخباره عنهم ، وأخذوا يبتلون إلى الله في الكنائس والأماكن العامة من أجله . وذكر مؤرخه جرافيل أن هذا للمرض الخطير الذي أصيب به لويس قد أدناه من الموت ، حتى أن إحدى السيدات الثلاث كن يمين به وهو من فرأى المرض أرادت أن تلتق للنطاء على وجهه فلما منها أنه أسلم ووجهه إلى يمينها . ظهر أن هناك سيدة أخرى كانت واقفة إلى الجانب الآخر من فراشه ، أبت عليها ذلك قائلة إنه ما زال فيه مرض يبيض . وتستمر الرواية فتقول إنه بينما كان لويس ينصت إلى المحادثة البائرة بين هاتين السيدتين ، إذ سرعان ما أسبغ عليه الله ثياب الصحة والعافية ، وثاب إلى رشده ، لأنه كان قبل ذلك مباشرة لا يستطيع نطقا من وطأة المرض الذي حل به . فلما أسعفه الكلام طلب من حوله أن يحضروا له الصليب . وتمهد منذ ذلك الحين يحمل الصليب والذهب للاستيلاء على الأراضي المقدسة ، إيماناً منه بأن الله قد من عليه بالثناء لينعم بجله المهمة التي كرس حياته من أجلها (٢) .

(١) Campbell, Crusades, 424; King, knights Hospitallers, 238.

وترجع الكتابة يراى أن هذه الرقيا كانت نتيجة للذيان الله أسبغ به الملك الفرنسي في فترة مرضه قبل قيامه بحملاته ضد العرب . أنظر : Bray, St. Louis, 54. راجع من هذا أيضاً كتاب الشرق العربي بين شقي الرحى للدكتور حبشي ، ص ٢١-٢٢ . Joinville, op. cit. (ed. Wailly), 60-2; Matt. Paris, op. cit., II, 37-8.

وجدير بالذكر أن هاتين الأسطورتين ظهرتا في تلك الفترة بالذات لحق
الغربيين على الانخراط في تلك حملة صليبية جديدة ضد العالم العربي ، في وقت
كانت فيه دولة الفراء في الشرق في طور الاحتضار ، وفي أمس الحاجة إلى
مساعدة أهل الغرب .

وهكذا كلما غبا الخاس الحركة الصليبية في الغرب ، أو كلما فكر أهل الغرب
في القيام بعدوان جديد ، أو كلما شعر اللاتين في الشرق بقرب نهايتهم ، خرجوا
علينا بمثل هذه الرؤيات والتنبؤات التي تحمل الطابع الأسطوري . وهي وإن
كانت لا تستحق الاعتبار ، إلا أنها بقيت الكثير من الشيوخ والرواج بين كافة
الطبقات في المجتمع الغربي الوسيط ، لاسيما الجماهير الشعبية التي كانت تعيش في
جهالة مطلقة وتقبل أوامر الكنيسة ونواهيها بالسمع والطاعة .

ولموق هنا وذاك فقد كانت الحملات الصليبية كلها تحت إشراف الكنيسة
الرومانية والبابوية نفسها (١) . فقد بشر بالحملة الأولى اربان الثاني وكان من
دعائها بطرس الثالث ، وبشر بالحملة الثانية البابا ايوجين الثالث وساعده في
التمهيد لها القديس برنارد دي كليرفو ، كما بشر بالحملة الثالثة البابا كلنت الثالث
وقام بالدعاية لها ولهم الصودي . وبشر بالحملة الرابعة انوسنت الثالث ، بينما
بشر انوسنت الرابع بحملات لويس التاسع . كما بشر بابوات اقبونيون في المنفى
بالحروب الصليبية الأخيرة . وتكشف للرسم البابوية ، والامتيازات
الروحية والمادية التي قيمتها الكنيسة للشركيين في هذه الحملات ، من حقيقة
اتهاماتها ودوافعها .

Baldwin, Med. Church, 103-4; Arnold, Legacy of Islam, 69. (١)

وخلصة القول ان الكنيسة الكاثوليكية في الغرب كان لها دور فعال في توجيه الحركة الصليبية وفي السيطرة عليها باسم الدين . فهي التي دعت اليها ، وهي التي امنتها بتأييدها الأدبي والمعنوي ، وهي التي شجعت المحاربين من كافة الاجناس والفتات على الاشتراك فيها مقنعة كافة التسهيلات اللازمة لكل من يحمل الصليب ، وهي التي سمحت للجنات الرحمانية العسكرية القيام بالنور الموكول اليها في الاراضي المقدسة ، وأخيراً كان يمثلها في كل حجة صليبية مندوب بابوي يعين من قبلها .

ولنا ان نتساءل من النرف في هذا الموقف ، ولماذا كان وقفا على الجهاز الكنسي البابوي دون غيره ؟ تكمن الإجابة من هذا السؤال في الظروف التي كانت سائدة في الغرب الأوروبي وقتذاك . ونرى الظروف التي احاطت بنشأة الكنيسة في الغرب عند نهاية للتأريخ القديم وبداية العصر الوسيط والتي جمعت منها قوة دينية ودينية هائلة ، بحيث أمكنها أن تسيطر على مقدرات الأفراد وعلى حياتهم الخاصة والعامة ، لها الأمر والنهي ، وطبيهم السمع والطاعة . والرب كل الريل لمن يخالف تعاليمها أو يحاول الخروج عليها . ثم هذا في وقت لم تكن فيه القوميات قد ظهرت بعد في الغرب ؛ بل كان العالم الغربي - حسباً أسلفنا - عبارة من وحدة واحدة في مجموعته ، له كنيسة واحدة هي كنيسة روما اللاتينية الكاثوليكية ، وله بابا واحد هو بابا روما على رأس هذه الكنيسة ، وله عاصمة روحية واحدة هي روما ، وله لغة رسمية واحدة هي اللغة اللاتينية ، وقسوده حضارة واحدة هي الحضارة اللاتينية . كما ان الغرب كله بنفس السراويل والتطورات والظروف التاريخية ، وتوكت فيه قرواات البرابرة نفس التأثير . وكان ينتشر فيه النظام الإقطاعي . ومن هنا لم يكن هناك جهاز آخر في الغرب يملك من السلطة والوسائل والإمكانات ما يمكنه من الدعوة إلى تلك الحروب الموجهة ضد العالم العربي سوى الجهاز الكنسي البابوي .

ويجب ألا ننسى أيضا أن روما - مقر البابوية - هي التي منحت الجماعات
الرمبانية العسكرية كالدوية والاستبدادية والتبوتونية ، العديد من الامتيازات
والاعفاءات القيام بالتور المكول إليها في الأراضي للقسمة . وكان هدف
الجماعة الأولى في بادئ الأمر حماية الحجاج الأوروبيين ، بينما كان الغرض من
تأسيس الجماعتين الثانية والثالثة إغاثة الجرحى والمرضى من الفرنج في ساحة
القتال . ولكن هذه الجماعات لم تلبث أن تحولت إلى جماعات عسكرية . وتعلم
أعضاؤها صناعة الحرب ، وقاتلوا في صفوف الفرنج ضد العرب ، وساهموا
فيها بعد بدور كبير في الدفاع عن إمارات الصليبيين وفي حاية قلاع الحشود .
وكانوا يمدون العطف والتشجيع والتأييد من البابوية . وهكذا أصبحوا رجال
دنيا ودين في نفس الوقت . ومما يذكر أيضا أن البابوات كانوا يرسلون مندوبين من
قبلهم بصفة دائمة إلى الشرق ، وقد اشترك مثلهم في الحملات الصليبية نيابة عنهم
وتوكيدا لإشرافهم عليها ، كما أخذوا يحيطون مساجد الشرق إلى كنائس لاثينية
هل المذهب الكاثوليكي (١) . وبالاختصار بنلوا قصارى جهدهم لتبغ الشرق
العربي بصفة كاثوليكية بحتة . ولهذا السياسة دلالتها ومغزاها ، بحيث لا يمكن
فصلها عن الفكرة الصليبية نفسها .

وهناك من المؤرخين القريبين من يترف بأن الكنيسة اللاتينية كانت تطلع
في نشر الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم المعروف وقتذاك ، ولو أدى ذلك إلى
النصال الملح (٢) . وقد قام المبشرون والوعاة البابويون والجماعات الرهبانية

(١) Baldwin, op. cit., 104. « راجع أيضا الفصل السابع من هذا الكتاب .

(٢) أنظر ملوك: الحروب الصليبية ، ص ٩ . هناك ملاحظة أن التفسير النظم بالمسحبة
هل اندمب الكاثوليكي لم يظهر إلا منذ أواسط القرن الثالث عشر .

التبشيرية مثل الهومنيكان والفرنسيسكان يدور كثير في سبيل تحويل كل من المسلمين والمسيحيين الشرقيين إلى المسيحية على منحنى روم الكاثوليكي . ولم يكن ذلك في واقع الأمر إلا استمرارا لفكرة الصليبية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر ^(١) . وقد امتلئت سياسة البابوية في هذا الاتجاه نحو الشرق الأقصى ، عندما حاولت اجتذاب المغول إلى الكاثوليكية ، واستنداهم في صراعها الصليبي ضد العرب ^(٢) .

كل هذه تعتبر في الواقع وسائل الدعاية والتحرير والإثارة باسم الدين في وقت كان فيه الدين مكانة كبيرة في المجتمع الغربي الوسيط ، وفي وقت امتلات فيه أوروبا بالتعصب الأعمى في هذه الناحية .

لقد بالغ كثير من المؤرخين في تقدير أهمية العامل الديني وأثره المباشر في قيام الحروب الصليبية . ولكن الباحث المدقق يدرك أن هذه الشواهد التي أسلفت الإشارة إليها لم تكن إلا حركات مسرحية القصد منها إدارة الغرب الأوروبي ضد العالم العربي في المشرق والمغرب ، وأنها وضعت لبك الخناس بين الصليبيين في الغرب ضد العرب كلما جد جديد وكلما دعت الضرورة إلى ذلك . ويمكن أن المؤرخ رينيه جروسيه المعروف بشعبه قوميته الفرنسية ، اعترف في كتابه « حصة التاريخ » بأن الحركة الصليبية لم تكن نتيجة لدوافع دينية ^(٣) ، لقد دعت البابوية إلى الحروب الصليبية باسم الدين ، وقامت هذه الحروب

(١) أخر : Baldwin, op. cit., 109—112.

(٢) راجع عن ذلك كتابي : لويس التاسع في الشرق الأوسط ، ص ٢٣٥ - ٢٢٢ .

وكذلك : Heer, Med. World, 118 sqq.

Grousset, Sam of Hist., 191. (٣)

تحت إشرافها ويتوجه منها ؛ فأثبتت بذلك دعاءها ودأت على يده نظرها وسعه حينئذ حتى أنه لا يمكن مجال تجاهل دورها في هذا المصعد (١) .

لقد وجدت في الحركة الصليبية فرصة ذهبية لبسط نفوذها على العرب الأوروبي كله ، بالتخلص من مضايقات إمبراء الاقطاع لها ، وإرسالهم في هذه الحروب التي وجدوا هم فيها أيضا مجالا طيبا لتوسيع إقطاعياتهم والاستيلاء على أراض جديدة يظهرون فيها مواهبهم الحربية التي تعلوها بعد أن ضاق الغرب بغطاءهم . هذا فضلا عن جهم المخاطرة ودرجة بلاد وأصقاع جديدة (٢) . كذلك وجدت في هذه الحروب مجالا لتحقيق حلمها القديم في فرض سلطانها الديني والدينيوي على العالم المسيحي بشقيه الشرقي والغربي ، والعمل على توحيد الكنيستين اللاتينية والأفريقية على المذهب الكاثوليكي الذي تدن به روما ، وذلك بعد التفاق الديني المعروف سنة ١٠٥٤ م الذي كان من نتائجه انفصال هاتين الكنيستين عن بعضهما انفصالا تاما (٣) . وفوق هذا وذلك أوضحت الحروب الصليبية للبابوية فرصة لن يعود الزمن يمثلها لكي تفصح حقدما الدين من العرب والإسلام ، في محاولات مستميتة يائسة هدفها التهاوي القضاء على العالم العربي والحصانة العربية . ولكي تحقق البابوية أغراضها وعدت كل من يشترك في هذه الحملات بانفردان التام عن آثامه وخطاياها ، فضلا عن حمايتها لانتهازيات

Baldwin, Med. Church, 98. (١)

(٢) المزيد من الملاحظات عن استغلال الحروب الصليبية في توجيه الفرائز المرمية لجميع الأقطاعات في الغرب الأوروبي : أنظر يانكر : الحروب الصليبية ، ص ٧٩ ؛ سيد ماضور : أوروبا المصود الوسطى ، ص ١٠٥ .

(٣) راجع من ذلك : Baldwin, 100, 101; Daniel -Hops, 543-544; Mahmud, Story of Islam; 132; Arnold, Legacy of Islam, 46; Hitti, Hist. of Syria, 591; Ostrogorsky, op. cit., 320.

للقطنين المشتركين فيها حين هودتهم إلى أوطانهم ، مع مراقبتها على تمليك الأتراك الأراضي التي يستولون عليها في الشرق . وغرر هذه وثائق من الامتيازات والتسهيلات والمغريات التي كانت تتمتعها عادة المحاربين الصليبيين (١) . وكل من وصلحة البابوية كشجع تلك الحروب التي باتت مميتا لا يتضرب من المال الذي اعتلت به غزائنها بما فرضته من ضرائب وعشور دينية بحجة الاغنى عليها . ولسكنها كانت في الواقع تزد على أوجه أخرى تحقيقا لمصالح البابوية وأطماعها العليا (٢) .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الحركة الصليبية كانت منذ بدايتها ركنا أساسيا من أركان سياسة البابوات الخارجية في العصور الوسطى . فقد انطلقت البابوية من الدين وسيلة لتحقيق مآربها . فعندما دعا أربان الثاني إلى تلك الحروب في كيرمون ، أعلن المجتمعون مراقبتهم بلا تردد ؛ وأخذ الآلاف من الناس من كافة أرجاء أوروبا ومن مختلف الطبقات والفئات ينضمون تحت لوائها .

هكذا اتخذ اللوردويون الذين أيام الحركة الصليبية قناعا رائعا لتحقيق أطماعهم الاستعمارية في المنطقة العربية منذ تسعة قرون مضت (٣) .

ويبدو هذا الأمر جليا قبل قيام الحروب الصليبية نفسها بمشرات السنوات ، قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الحروب العربية المقننة التي قامت بها الممالك

(١) أطر : Matt. Paris, English Hist., II, 86 - 8; Berger, St. : Louis, 134—7; Setton, Hist. of the Crus., I, 248.

(٢) أطر : Arnold, op. cit., 69—70.

(٣) لقد عر عن ذلك يحيى البند الرئيس في صدر الأيام فتلك من مشروع البطان الوطني عندما أشار سيادته إلى شمال التمس العرب في مصر في صد « أول مويلا للاستعمار الأوروبي » التي جاءت متفرقة وراء صليب المسيح وهي أبدا ما تكون عن دعوة هذا العلم العظيم .

المسيحية في شمال أسبانيا ضد العرب في سبيل الاستيلاء على شبه الجزيرة الأيبيرية،
تسببها على ذلك البابوية وجماعة كلوني البيرية ، كانت حروباً تستهدف خمسة
البابوية والكنيسة الكاثوليكية . كما كانت الفزعة السائدة فيها هي نزعة واضحة
نحو المظالم المادية ، والعمل على الفوز بالسلطان والفوز (١) .

وأعلنت الحركة الصليبية رسمياً في مؤتمر كليرمون عندما أخذ أربان الثاني
يقنع على العرب في خطبته المعروفة ، وعندما أشار إشارات صريحة إلى فرض
الربح المادي والتجّاح في تكوين الإمارات والممالك في منطقة الشرق العربي على
حساب أهلها وأصحابها (٢) . وفي الحملة الأولى برز بعض الزعماء الإقطاعيين مثل
هوجيمند النورماندى الذى ذكر المؤرخون أنه اشترك فيها لا لتخليص القبر
المقدس وإنما لتأسيس إمارة له في الشرق . ويكنى أنه ابن دوبرت هويسكار صاحب
الأطماع المعروفة في الدولة البيزنطية . وإن ماغلته جيوش الحملة الصليبية الأولى ،
الشعبية والنظامية ، عندما حلت بأراضي بزنطة ، وعندما تقدمت في آسيا الصغرى
متجهة صوب الأراضي المقدسة ، من تيب وفوق وتخريب ، لدليل واضح على
عدم تأصل الدافع الدينى عندما . وكما تقدمت الجيوش الصليبية في دقعة الشرق
العربي ، كما تقدمت نوياها السدائفة ، وقد تمثل ذلك في النزاع الدائم المستمر
بين القادة والزعماء البازين فيها حول السيطرة على البلدان التي يستحوط . (٣)

(١) ديفر : أوروبا في العصور الوسطى ، ص ١٨٨ .

(٢) لقد انتقد خطاب البابا المذكور بالتهجم والتمسك الباب ضد العرب ، وفيه تهريس
واضح من القبح إلى الشرق لقتال العرب واستقلال شأؤهم . وقد سجل ذلك وراء يقدم
لأهل غرب كافة للفرات المادية واللنوية . أنصر الترجمة الإنجليزية لمس موسى هـ شارتر

من الخطاب المذكور في : 74 — 5. Downe, Basic Doc.,

Ostrogorsky, 323. (٣)

ضاربين بالهدف الذى زعموا أنهم قاموا بحملاتهم من أجله عرض الحائط .
وتذكر المصادر التاريخية أنهم استولوا في حملتهم الأولى على عدد كبير من المراكز
والقلاع والحصون الأمامية في آسيا الصغرى وشمال الشام ، وذلك قبل غزو
البيت المقدس نفسه ، مما يدل على أنه سيطرت عليهم وغلبة كاملة في التوسيع وامتلاك
القطاعات أكثر فأكثر قبل توجيههم إلى اورشليم . ولنضرب مثلاً يطالبون
شفيق جوهرى ده بويون وأحد زعماء نخلة الأولى الذى استقر في الرها وأسس
لنفسه إمارة صليبية بها . وان إمارة هذه الإمارة في أعلى الفرات قبل أن تصل
الجيوش الصليبية الرئيسية إلى بيت المقدس ، إن ذلك على شرط فإنما تدل على
الاتجاهات التوسعية للحركة منذ بدايتها ؛ حيث أن الإمارة المذكورة تبعد
جغرافياً عن فلسطين وهى الهدف الذى ادعت أوروبا أنها قامت بحركتها من
أجله . وقد دلت هذا الزعم مرة أخرى على ما تنطوى عليه الفكرة الصليبية من
أغراض توسعية عندما أغار على الديار المصرية سنة ١١٦٨ م عن طريق القريش
ورجح بنصه الاحتلال عليها . ثم تذكر هذه المحاولات الاستعمارية متمثلة في
الحملات الأربع التى قام بها اموى الأول ملك بيت المقدس اللاتين على مصر
لما بين سنتي ١١٦٤ و ١١٦٩ م .^(١) وهكذا يتضح أن خط سير الحركة الصليبية
كشف منذ اليوم الأول عن حقيقتها ، لولا أن تآدت في وجه القوات اللاتينية
الغازية بعض العناصر من أمثال جوهرى والامتقف أدهيلر ، مما جعل أفرادها
يواصلون السير إلى البيت المقدس .

وكيفما كان الأمر ، فقد أثبتت الأحداث أنه كلما ازداد اقتراب أولئك القوم
من بلدان الشرق العربى ، كلما وضع لعيان أن اقادم لكنيسة القيسية ليس إلا

(١) محمد مصطفى زيادة : حملة لوس التاسع على مصر ، ص ٤ - ٥ و ص ٧ وميزود .

اعتبارا ثانويا يعنى ولاءه للاتجاهات الحقيقية للمكرة الصليبية. وحتى بعد تأسيس المستعمرات اللاتينية في الاراضى المقدسة ، بات واضحا أن محكامها هي توسيع حدود تلك المستعمرات وتمعيمها تحت تاج بيت المقدس اللاتينى (١) .

هذا من الصليبيين ، أما البيزنطيون فلم يكونوا يهدفون إلى غزو اورشليم وتخصيص كنيسة القيامة بقدر ما هدفوا إلى استرداد الاملاك التي اقتطعها من دولتهم الاتراك السلاجقة ، ونصوصا إمارة أنطاكية . وقد عمل امبراطورهم الكيسرس كومنين على تحقيق ذلك بكافة الطرق والوسائل ، ودون مراعاة لمصالح اللاتينج ومطامعهم ، بل أنه دخل مع اللاتين أنفسهم في حروب ومنازعات عندما أخذوا بالمهادنة التي وقعوها معه في القسطنطينية في مايو ١٠٩٧ م . وتكشف مصادر اخلة الأولى عن العلاقات السيئة التي قامت بين هذا الامبراطور وبين الأمير بومبيند التورماندى عندما حث بالتمس الذى قطعه على نفسه ، بما يؤكد أن سلوك كل من اللاتين والافريق كان يسير منذ البداية في اتجاه المصلحة الخاصة والرغبة في امتلاك الاراضى (٢) .

وإذا عدنا إلى اللاتين نجد أن أطباع كبار وجاهلهم تتمتع بجلاء بعد تأسيس مستعمراتهم في الشرق . فقد ثارت المشاكل منذ اللحظة الأولى حول اختيار رئيس للدارة الجديدة في بيت المقدس المحتلة . وعند اقترانج سنة اجتماعات فاشلة لمسا الفرص كشفت عن أطباعهم . وبدا الخلاف واضحا بين الكنيسة وال دولة ، أو بين رجال الدين والعلمانيين الذين اشتركوا في الحملة الأولى ، وكان كل منهما يرى أنه أول من الآخر في حكم تلك الدولة التي أقاموها في فلسطين . فرجال الكنيسة

(١) ديفر : أوروبا في العصور الوسطى ، ص ١٩٥ و ١٩٦ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الخامس والسادس من الكتاب ، وكذلك الملحق الثالث بآخر الكتاب .

يرود اختيار رئيس ووصى لها ، بينما أصر العلمانيون على اختيار حاكم دينوى . واحتدمت المناقشات واشتد الخلاف بين الفريقين دون الوصول إلى نتيجة مرضية . وأخيراً انتهى الأمر باختيار أحد زعماء الفرع وهو يودفري كهامى للقبز المقدس وذلك كحل وسط (١) . بعد أن تدبر رجال الدين في الحملة بأنه لا يجوز لحاكم بيت المقدس أن يلبس تاجاً من الذهب في المكان الذي يلبس فيه المسيح تاجاً من الشوك . وكانت هذه حجة واهية اتخذها الأكاديميون ذريعة لتعزير مركزهم في الأراضي المقدسة على حساب الطبايعين . وهنا نشور الأتباع من جديد ، لم يكتف خائفاء يودفري بهذا القاب ، بل أصفوا على أنفسهم لقباً بعد القاب العظيمة والملك ما يبيط الشام من نوابهم .

هذا عن الحملة الأولى ، أما إذا انتقلنا إلى الحملتين الثانية والثالثة ، نجد أن النزاع الذي نشب بين كونراد الثالث الألمانى وفيليب السابع الفرنسى في الحملة الثانية (٢) ، وبين رينشارد قلب الأسد الانجليزى وفيليب أغسطس ملك فرنسا في الحملة الثالثة (٣) ، من أجل الزعامة وقيادة الجيوش وتلك البلدان . نجد أن هذا النزاع كان شامداً جديداً يضاف إلى الشواهد السابقة .

وانتمن قبلاً في أحداث الحملة الثالثة تاركين خصيلاتها ومعاركها . فقد كان

(١) جمعت أرست بارسكر من الخلاف الذى قام بين رجال الدين والطبايع في الحملة الأولى حداً مستقلاً من بيت المقدس ، مما مكثف من مطالع الذبوة والمدايح الذبوة للأمر . وكان رجال الاضطهاد الذين اختاروا في تلك الحملة فصلاً من بين الأمراء والخدام . انظر : باركر - الحروب الصليبية ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ وكذلك :

Arnold, *Legacy of Islam*, 69.

Haskins, *Normans in European Hist.*, 129-130. (٢)

Hoer, *Med. World*, 105. (٣) آخر :

مهدتها الاساسى هو كسر شوكة العرب (١) وتفتيت وحدتهم بعد ظهور بوادر حركة البقعة العربية الشاملة ، واقتضاء بكل وسيلة على القوى المصرية الناهضة . إذ رأى الغربيون أن صلاح الدين أوشك على استعادة سورية وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى . ولذلك تأمروا على وضع حد لهذه القوى الجديدة التي برزت في الميدان ، حتى يتمكنوا من حماية مصالحهم الاستعمارية في الشرق . فكان من أثر ذلك قيام تلك الحملة التي استهدفت مدينة بيت المقدس التي كان صلاح الدين قد استردها من الفرنج سنة ١١٨٧ م ، ولكنها انتهت بالفشل الذريع . ونعرف أيضا أن ريتشارد ملك إنجلترا استول وهو في طريقه إلى الأرض المقدسة على جزيرة قبرص التي أصبحت منذ ذلك الحين ولقرن عديدة نالیه مركزا للاستعمار اللاتيني يوجه عنها حملاته العدوانية ضد مصر وغيرها من بلدان المشرق العربي ، إلى أن استعادها السلطان برسباي سنة ١٤٣٦ م (٢) .

أما الحملة الصليبية الرابعة فكانت مثالا حيا على انعدام الباعث الديني من ناحية ، وثبوت الاتجاه التوسعي للحركة من ناحية أخرى . (٣) كما أكدت أن

(١) هي عن الميان أنه بعد ظهور الاسلام وحركة الفتح أخذت الدولة العربية العسكرية مسكها القوى المروية من المحيط إلى الخليج منذ ذلك الحين وحتى اليوم ؛ ولوائها وحدة أساسا والتفكير والتفاهة ، فضلا عن عناصر الوحدة العربية ومفوماتها البديعة المروية . وعلى هذا تهيئ في نطاقها - بطبيعة الحال - جسم الثوب التي كانت تعيش في المنطقة والتي كانت حضارها عربية .

(٢) سيد مظهر: قبرص وغروب الصليبية ، ص ٢٨ وما بعدها و ٤٦ وما بعدها و ٨٤ و ١٢٧ وما بعدها . انظر أيضا : ابراهيم طرس ، مصر في عصر دولة المماليك المبراة ، ص ٩٩ - ١٠٢ .

(٣) تكشف مذكرات روبرت كلاري عن الاتجاه الاستعماري في تلك الحملة . وقد قام ترجمة هذه المذكرات إلى العربية مع التعليق لها الدكتور حسن جعبي . انظر كلاري (ر) . فتح العثمانية على يد الصليبيين ترجمة الدكتور حسن جعبي (القاهرة ١٩٦٤) ص ٥٠ .

الكيس كومتين وابنته آن كانا على حق عندما أديا اوتياها حبال اللانين وأطاعهم في الهدنة البيزنطية قبل ذلك التاريخ بقرن أو يزيد . ثم أنها تعذر ما سبق أن أومضناه من أن الحركة الصليبية كانت تهدف منذ البداية إلى التوسع والاستعمار تحت ستار من العناية الدينية ، وسواء أكان ذلك على حساب العرب أم الروم . ففي سنة ١٢٠٢ م قامت الحملة وكانت وجهتها مصر وهدفها القضاء عليها حتى يقضى لها اللوثوب على بقية أجزاء المشرق العربي . ولكن لما كان يترك فيها عدد كبير من البنادقة الذين كانت لهم مصالح تجارية وفتت القسطنطينية حقبة في سبيلها ، فقد أرادوا العمل على تحقيق تلك المصالح بالقوة وانغمسوا كبار القادة في الحملة بذلك . وتم الاتفاق على خلق الامبراطور البيزنطي الذي كان يحكم وقتذاك واسمه الكيس الثالث (١١٩٥ - ١٢٠٣) ، وذلك بعد أن تأمروا مع ولي عهد الكيس الرابع (١٢٠٣ - ١٢٠٤) وأخذوا منه عهدا لتحقيق أهدافهم . وحتى يوجهوا على إقامة الجهاد (التعميم) للحركة ديلا ، فقد أقنعوا أنهم اضطروا إلى اتخاذ هذه الخطوة لأن الكيس الرابع وعد بمساعدتهم وامدادهم بكل ما م في حاجة اليه من المال والرجال في حروبهم ضد المصريين . وهكذا لعبت الأطماع دورا واضحا في الحملة الزابسة التي وجهت ضد مسند المسيحيين الشرقيين ، واستحال إلى مصايات قاهرة استمرت في القسطنطينية وأعطت فيها النهب والتخريب وأسس ملكة لاثينية بها استمرت من عام ١٢٠٤ إلى عام ١٢٦١ م . (١) فكانت هذه للملكة هي المرة أطول

= والمراد من التفاصيل من حقيقة اتهامات هذه الصلة ، أنظر عهد اسمعيل بن الخليل بن العرق والغرب في السور الوسطى (بيروت ١٩٦٦) ص ١٨٧ - ١٨٩

(١) أنظر : شارل ديلا : اليونانية ، ص ٤١ - ٤٥ ؛ واجع أيضا : Pirenne ،

- Economic and Social Hist. , 33; Grousset, Spm of Hist. , 181-2.

اللاتين في بزنطة ، تلك الاطماع التي ظهرت بوادعها قبل الحركة الصليبية نفسها ، والتي تمثل في حروب جويسكار التوروماقنى وابنه بوهيمند في لبنان . ويقول المؤرخ جروسيه إنه اذا كانت الحملات الصليبية الأولى والثانية والثالثة قد أدت إلى أول توسع استعماري للغرب المسيحي في الشرق على حساب الاسلام ، فقد تحول الاستعمار اللاتيني في الحملة الرابعة شطر الدولة البيزنطية (١) . ولا يعني هذا أن التواليا الاستعمارية في أرض العرب قد انتهت . لقد ظلت كامنة إلى أن كشفت عنها الحملات التالية . ولكن بعد أن كانت بلاد الشام هدفها في الحرات السابقة ، أصبحت الديار المصرية مطمحها في هذه المرة باعتبارها معقل القوى العربية وحصنها للفتح .

أفد كانت حملة جان دي برين Jean de Brissac صاحب عسك والمالك الاسمي لبيت المقدس (٢) ، ومن بعدها حملة لويس التاسع ملك فرنسا في النصف

== هذا وقد وصف أحد شهود العيان من الاغريق فيدمي نيكيتاس Nicetas ما عرفت له الصليبيين من أذى الصليبيين والباطلة من نهب وسرقة وتدمير ، وكيف استعبدوا أحد رؤساء الأقبية اللاتين واسمه مارتي ، وقد احرقت هو الآخر في الحلة ، هل الدمار المندسة انقهر عنها في العاصمة البيزنطية ، وأرسلها إلى ديرها بالقرب من باريس . انظر : كلاري : فتح القسطنطينية ، ص ١٢٢ وما بعدها و ١٤٠ وما بعدها ؛ راجع أيضا :

Heer, Med. World, 105; Downa, Basic Doc., 182-5.

Grousset, op. cit., 182. (١)

(٢) هي الحروقة في التاريخ بالحملة بالصليبية الخامسة (١٢١٨ - ١٢٢١) . ومن يدل على حقيقة اتجاهات العدوان الصليبي ، وهي فتودالروح الصليبية لدى الغربيين ؛ الحملة لمروقة باسم حملة الأطفال للمهدة للحملة الخامسة قصد إغارة نخوة الرجال وحثهم على الاشتراك فيها . انظر : ضد النعم طاجد : الخلاف بين الشرق والغرب ، ص ١٨٩ - ١٩٠ . وحول غاسل حملة الأعداء ، انظر : Runciman, Crusades, III, (Cambridge, 1955) 139-144.

وبلاط أن المؤرخ ريتيه جروسيه لم يتعرض لها في كتابه عن الحروب الصليبية .

الأول من القرن الثالث عشر ، تهدفن إلى الاستيلاء على مصر وتأسيس مستعمرة بها . (١) وكانت حملة لويس إلى جانب نواياها الصليبية تقسم بطابع انتعصب . (٢) إذ شب قائدها وقد أشرب الدين إشراباً حيطر على جوامعها ، وانعكس أثره في مبادئه وأفكاره وأعماله ، فكان تقيبه بالقدس لويس حدى واحداً لتلك النزعة التي بدت بجلاء في هذه الحملة . (٣) وتذكر المراجع أن الملك كان منذ صغره دائم التطلع إلى غزو الأراضى المقدسة ، حتى أنه لم يترك وسيلة لتحقيق أمنيته هذه إلا وأصطنعها . (٤) وحتى بعد هزيمته هو ورجاله على ضفاف النيل ، رآه يلحظ إلى بلاد الشام حيث أقام أربع سنوات كاملة (١٢٥٠ - ١٢٥٤ م) أمضاها في محاولات يائسة فائتة للقيام بعمدولن جديد . (٥) ولكن الإطاع التي لم تفارق الفرنجة تدفع هذا الملك للقيام بعمدولن ثالث . ولم تكن وجهته هذه المرة مصر أو الشرق الأوسط العربي ، وإنما شمال إفريقيا ، تلك المنطقة التي اتجهت إليها أنظار الغربين منذ القدم ، ولا ذلك تتجه إليها حتى اليوم . ففي عام ١٢٧٠ م قام لويس بجماعته الصليبية الثالثة والأخيرة في قائمة الحروب الصليبية المبكرة . والتي كانت وجهتها تونس وعندها استجابة صاحبها محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر إلى المسيحية على المذهب السكاثوليكي ، ومواصلة الوحف على مصر خط الدفاع

(١) أنظر من ذلك كتابي: الوحدة وحركات النهضة ، ص ٣٠ وح ١ . وأيضاً : Ludlow, *Crusades*, 338; Grousset, *Crois.*, III, 428; Michelet, *Hist. of France*, I, 565.

Bury, *St. Louis*, 82. (٢)

(٣) Joinville, 22-30, 42. أنظر أيضاً من سبقي : الشرق العربي من شق

الرسمي ص ١٤-١٥ .

Matt. Paris, II, 52-3; cf. Lacroix, *Chevalerie et Crois.*, 180. (٤)

(٥) تناولت في كتابي « لويس التاسع في الشرق الأوسط » تفاصيل هذه الحملة الصليبية وتأنفها .

الأول عن العالم العربي ، ومركز إمداده بالجند والميرة والسلاح . وبالقضاء عليها يمكنه استلاك الأراضي المقتصة وتحقيق كافة الإطامح الصليبية . ولكن هذه كانت إشتاقات أحلام ، فلم يلبث أن توفي الملك القديس في أغسطس من نفس العام وهو على أبواب قرطاجنة دون أن يتأتى له تحقيق بغيته (١) .

وأعنا فستتج بما تقدم أن العلاقات بين الفزاة الوافدين من الخارج وبين العرب من أهل البلاد لم تكن بحال طيبة أو مرضية ولكن لما شعر بالدخلاء بأنهم في أرض غريبة عنهم ، وأحسوا بمحاجتهم الملحة لتدعيم كياناتهم المتداعية والمحافظة على مستعمراتهم في الشرق ، بذلوا جهدا يائسا في سبيل التفاهم مع الإهالي والتعرف إليهم . ولذلك سعوا على أن تقوم بينهم وبين العرب المجاورين لهم وأهال البلاد المستعمرة علاقات صداقة ومودة قصد الاستئطاف . وحاولوا جهد استطاعتهم إيجاد صلات حسنة مع التجار العرب جنبا إلى لتعريف منتجاتهم وتنشيط الحركة الاقتصادية بإعمارهم وزيادة مواردهم عن طريق الضرائب التي يجمعونها ، تحفيضا لمصالحهم فحسب . (٢)

(١) أنظر عن ذلك كله : أبو الحسن: التلخيص ، ج ١ ، و ١٣٥٨ - ١٣٥٩ ؛ Joinville, 396 - 406 ؛ راجع أيضا : ٨٣ - ٨٤ ، راجع أيضا : Eracles, L'Éclaircie de Eracles Empereur, R. H. C. - H. Occ., II (Paris, 1859), 458 ff.

راجع أيضا جوردج نيم يوسف : الوحدة وحركات النهضة العربية ، ص ٣٠ و ٣١ .
(٢) أنظر : Grousset, Sum of Hist., 178; Coulton, Med. Pano-

zama, 322. وقد أورد ابن جرير في رحلته وأسمائه بن مقدر في كتاب الاختيار العديد من الأمثلة التي تؤكد على العلاقات الودية بين الصليبيين والعرب زمن الحروب الصليبية . أنظر :

رحلة ابن جبلة ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ ؛ ركن مجلسر : الرحلة اللبنيون في الصور الوسطى ، ص ٨٢ - ٨٣ و ٩٨ . أنظر أيضا : ماركس توفيق : ملحة بيت القدس الصليبية (الاسكندرية ١٩٥٨) ص ١١١ - ١٢٦ Huta, Hist. of the Arabs (London, 1964), 643 f.

أنظر أيضا كتاب الدكتور ركن تاش : العلاقات الأجنبية والثقافة والاقتصادية بين العرب والأمرج - بيروت ١٩٥٨ .

ولم يكن اصطناع الفرنج هذه السياسة عن رغبة صادقة أو نوايا طيبة. إنما كان هدفهم هو إشاعة الازدهار والثراء في الأراضى التى اغتصبوها من أهالى البلاد الأصليين . وحتى يضمنوا عدم ثورة الأهالى عليهم فى الوقت الذى كانت فيه دولتهم فى طور التكوين . وكانت عبارة عن شريط ساحلى ضيق على الخوض الشرقى للبحر المتوسط ، بينما ظلت البلاد الداخلية والمحيطه بهم من كل جانب فى أيدي العرب . ولم يتسن لأولئك الدخلاء تهديدها أو تعريض أمنها للخطر . والنتيجة أن هذه السياسة الماكرة لم تؤت ثمارها المرجوة . ولم يكن ينتظر لمن هذا التدهور أو الانهيار أن يتم أو يسير إلى نهايته . ذلك أن اللاتين هم الذين بدأوا بالعنوان ، وهم الذين اغتصبوا البلاد عنوة من أصحابها . ورفضوا حكمهم فيها بقوة السلاح وحد السيف . ولهذا كانت المداوة قائمة بينهم وبين العرب الذين لم تنطلي عليهم سياسة الدماء والبن التى استلها خصومهم ، ولم يشعروا فى نواياهم وفى صيودهم ، وهم يعرفون تماما حقيقة نوايا الفرنج وذيف وعدوهم التى كانوا على أتم استعداد لتفضيها والتخلي عنها (١) . وكانت أحداث السنوات التى تلت ليام الحركة الصليبية خير مصدق على ذلك . إذ سرعان ما أهدت الجهود ، ورفق الجميع وقفه رجل واحد ضد الفرنج حتى أجبرهم عن ديارهم .

ولما كان الفرنج يهدفون إلى تثبيت أقدامهم فى الشرق بأى من عبقية لأهداف العدوان ، فقد بذلوا جهدا كبيرا فى سبيل تشجيع الفريين على التمسك إلى الشرق والاستيطان فيه حتى تزداد أعدادهم وقوى بذلك مجتمعهم . فقد كان الخاس يملأ أولئك القوم عندما ظفروا بحركتهم . ولكن ما أن استقروا فى الشرق واستمتموا

(١) انظر رحلة ابن جبير ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ ذكرى محمد حسن :

الرحلة المذونة ، ص ٩٦ .

شمسه البانته وأرضه الخصبة حتى بدأ هذا الخامس يحبو تدريجياً إلى أن انقضى
و زال في نهاية الأمر. فقد استهوتهم الحياة الجديدة التي أخذوا يحبوها. وتكشف
المصادر اللاتينية ، ولا سيما مؤلف فوشيه ده شاتر ، وكذلك كتب الرحالة
العرب القدامى الذين زاروا البلاد العربية التي امتلأت عليها الفرنج ، مثل أسامة
ابن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ / ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) وابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ /
١١٤٥ - ١٢١٧ م) - عن ذلك التطور الخطير الذي طرأ على الفرنج بين
عشية و صبحا . ضد احتلوا بالشرقين وأخذوا من طباعهم و صدامهم
بنصيب ، وتزوج الكثيرون منهم وأنجبوا الأولاد . وأعدوا أنفسهم للإقامة
الدائمة في الشرق ، ولم يعودوا يفكرون في العودة إلى أوطانهم (١) . ولد أنه
إلى ذلك المؤرخ فوشيه عادم كنيحة بلدين الأول ملك بيت المقدس (١١٠٠ -
١١١٨) وأحد مؤرخي الحق الأول ، عندما كتب حوالي سنة ١١٢٥ م يقول :
نحن الذين كنا ضريين أصبحت الآن شريين بمعنى الكلمة . لقد أصبح الإيطالي
أو الفرنسي الذي استوطن في هذه البلاد جليلاً أو فلسطينياً . واستحال رجل
الذي قدم من ديمز أو شاتر إلى صودي أو أنطاكي . وسرمان مافسينا مسقط
رؤوسنا ، وبات معظمنا لا يعرف أو يسمع عنها شيئاً . وإمتلك البعض الديار
والرقى ، كما لو كانوا قد ورثوها ، بينما اتخذ البعض زوجات لهم ليس من
مواطنيهم وإنما من السوريات والأرمينيات ... وأصبح الذي كان غربياً أجنبياً
بلا ميس مواطناً اليوم ، والذي كان مهاجراً بات الآن مقبلاً وصاحب حق . وقد
أحد أفارينا وأصدقونا في الحضور اليان تباغ ، تاركين عن طيب خاطر كل ما كانوا
يمسكون في الغرب . والذين كانوا فقراء معدمين هناك جعلهم المولى أعيان مرفهين
هنا . والذين كانوا لا يملكون دوماً واحداً هناك أصبحوا يمتلكون قطع الذهب

التي لا تقع تحت حصر. والتي لم يكن يملك مزوغة واحدة هناك، وهيه الله مدينة بأكنها هنا. فلماذا إذن تعود إلى الغرب ما ظم الشرق في تمامها برغباتنا ومطالبنا (١) ؟

لقد كان في هذا الاعتراف الخطير على لسان أحد كتابهم دعوة صريحة إلى الاستيطان الاستعماري، والعمل على تهجير الغربيين إلى الشرق وتوطينهم فيه بصفة دائمة دون التفكير في العودة إلى ديارهم. ولم يكن يندفع هذه الحركة سوى تقدير الأعداد السكانية، ولم يكن هذا بالأمر السهل أو الميسور (٢). وهكذا تألم اللاتين الذين أقاموا في الشرق الذي أصبح بالنسبة لهم موطنهم لأول بعد أن نسوا أو تناسوا أوطانهم الأصلية، وبدأوا يبلدون فكرة الحرب

(١) أنظر الترجمة الإنجليزية لنس لوجيه في :

Grousset, Sum of Hist., 177; Heez, Med. World, 111; Lewis, Arabs in Hist., 150, 152. راجع أيضا : عمر كمال : مملكة بيت المقدس الصليبية ،

ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) وهو ما يعرف في العصر الحديث بالاستيطان الاستعماري. وتتلخص التجربة الصليبية في هجوم الحملات الغربية لصنفي أهداف المتوازن. وبعد انتهاء كل هذه جهود فالفيسة الفاضلين. صليبيين إلى ديارهم بالغرب، بينما عثى في المشرق أغلبية منهم. وحتى هذا الأكله كانت تخرج إلى أوطانها بعد قليل. ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة من سياسية واجتماعية واقتصادية داخل أوروبا نفسها، فضلا عن اضطراب الأحوال الاقتصادية والسياسية داخل الأرض العربية المحتلة. والمقاومة العربية الشديدة للترابسة، وإفراك التزاة الفخلافه أن العرب يحيطون بهم من كل مكان وأنهم إذا انحسروا سيطلقون عليهم ويقتلون على القية الباقية منهم. ولهذا السبب لم تسكن بلدان المغرب، مثل عمالة فوشيه حتى شارتر، وتلقى استجابة كلية من الغرب. وأضاف إلى ما تقدم أنه كان من طقة الصليبيين الغربيين الاستقرار في المدن، وترك الموانئين العرب أصحاب الديار في القرى يحرقون الأرض ويقتلونها. والنتيجة أن العرب أصبحوا الديار كانوا دائما أغلبية في بلادهم، بينما تخرج التزاة أهلية ليست هناك أي رابطة تربطهم بالأرض التي يحتلونها. وقد أسهم كل هذا في القضاء على حولة التزاة في القسرى الغربي إيمان للدعوان الصليبي، في وقت كان فيه مبراف القوى في المنطقة قد اعتدل لصالح العرب وفي وقت أصبح فيه العرب في موكر القوة بعد أن توارت جيوشهم.

المقدسة ، وأصبحوا يملكون الديار ، كما صار لهم زوجات وأبناء ومصالح تحم
عليهم العيش في دعة وهندو . وقد لاحظ ذلك القارس الرحالة أسامة بن منقذ
عندما حدثنا عن الثورة بين ليونة الصليبي القديم المستوطن في الشرق ، ومرامة
زميله الجديد القادم من الغرب الذي كان يطمع هو الآخر في امتلاك الأراضي
والأفغانيات (١) . ومصادر الحركة الصليبية تحدثنا عن كثير من هؤلاء المغامرين
الجدد أمثال رينوه ده شانيون المعروف في المراجع العربية باسم أرناط صاحب
السكر ، وكذلك ولیم ده متفرات ، وغيرهما ممن كانوا يتوافدون على المملكة
اللاتينية لتحقيق أغراضهم وأطماعهم . ولم يعد المستوطنون الأفرنج ، القدامى
والجديد ، ينظرون إلى بعضهم البعض بعين الرضا والارتياح . وبلغ من شدة
اختلاف بين الفريقين أن أهل القرب الجديد كانوا يطلقون على الأفرنج القدامى
كلمة « بولان » ، أو « أفريجي شرق » ، وذلك على سبيل السخرية والتحقير . ولكلمة
بولان دلالتها ، إذا كانت تطلق عادة على الطفل المولود من أم عربية وأب
سوري أو العكس (٢) . وغير هذه وتلك من الألفاظ التي كانت تطلق على كل
من ولد عن مثل هذه التزيجات عبر المتكافئة في الجنس (٣) . ويكشف هذا
الخلل الواضح بين البولان والأفرنج الجديد كيف كان المستعمرون اللاتين قد

(١) أن منه : الإخبار ، ص ٩٩ ؛ ذكر محمد حسن : الرحلة الطول ، ص ٩٨ ؛ مد
الرحمى ركن : مسرعة الصورة ، ص ٩٣ . وانج أيضا : Lewis, op. cit., 152.
(٢) Pullani dicuntur, qui de patre Syriano et matre
Francigena generantur. - Cf. Joinville, Memoirs of Louis IX,
King of France, tr. Johnes of Hafod (London, 1848), 466 n.
I; idem, Saint Louis, King of France, tr. James Hutton (London,
1868), 122 n. I.

Joinville, 234, 236; Ambroise, 16; cf. also Rey, Colonies (٣)
franques, 60-1. أنظر أيضا كتيبي : فرس التاسع في الشرق الأوسط ، ص ٨٤ ح ٢٠.

أعدوا أنفسهم للعيشة في أرض العروبة بعد أن استطاعوا الحياة فيها (١)، علماً بأن الخلاف المذكور كان هو نفسه من العوامل التي ساعدت على انهيار دولة اللاتين فيها بعد ، ويؤكد في ذات الوقت حقيقة اتجاهات المدح والثناء.

وكيفما كان الأمر ، فقد استمرت هجمات الفرنج على البلاد العربية متوالية هوجاء طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر بقصد القزو والاستعمار ، ولكن الأيوبيين في مصر ومن بعدهم المماليك تمكنوا من إلحاق شر أنواع الهزائم بأولئك الغزاة حتى أجبرهم عن الساحل الشامى عام ١٢٩١ م . وقد عزى أهل الغرب أن تذهب جهودهم في سبيل السيطرة على هذه المنطقة والتحكم في ممرها ومقدراتها أدراج الرياح ، فقام يسلون بهمة على إحياء الفكرة الصليبية من جديد . فيشنون الحملات تباعاً على مصر والشام وشمال إفريقيا خلال القرن الرابع عشر ، ولكنهم يلقون الهزائم الشديدة من أهلها ، مما يضطرهم للعودة إلى ديارهم في انتظار فرصة أخرى موافقة (٢) .

ومن هنا يلجأ الدارس لتاريخ هذه الحركة ومنحوج الاتجاهات التوسعية الاستعمارية وتدخل المصالح المادية فيها ، وفتود الروح الدينية بشكل ملودس بين الجميع . فقد اشتركت النابلية العظمى ، وهم الأتقان وعبيد الأرض وحامو الشعب ، بقصد الإغلات من قيود الاقطاع والتزاماته التي كانت عبثاً يثقل كواهلهم . وكانت مساهمتهم في تلك الحروب تعود عليهم بفوائدتين : أولاهما تحريرهم من عبودية الاقطاع ، وثانيتها خلاص نفوسهم من الأدران العالقة

(١) أظن : Grousset, op. cit., 179

(٢) حول الحروب الصليبية المتأخرة ونتائجها ، أظن كتابي « الوحدة وسرطان البطالة العربية » ، ص ٣٧-٤٣ والمؤلف .

بها حسيبا وعدتهم البابوية . أما القرملي فقد وجعوا فيها هم أيضا متنفذ لهم ،
وعلا طيبا لاشباع غريزتهم في الحرب وسفك الدماء . وكيف لا وهم سلافة
العصر الجرمانى الذى يعتبر القتال غريزة متأصلة في دمايته ، حتى أن الكنيسة
اللاتينية حاولت تخفيف حدة هذه النزعة بما عملت على فرجه باسم « سلم الله »
و « هدنة الله » (١) . ولو أن الجهاز الكنسى البابوى هو الذى استغل تلك
النزعة فيما بعد عند الدعوة للحركة الصليبية . وإذا انتقلنا إلى كادة هذه الحملات
من الحكام وكبار رجال الاقطاع ، نجد أنهم جميعا كانت قداهم الآمال العراض
في توسيع رقعة أملاكهم وتأسيس مستعمرات جديدة لهم في الشرق بعد أن
ضاق الغرب بظلمتهم . وكانت البابوية على رأس هذه الطوائف والفئات ،
وهي التي أغضت تحت الجميع باسم الدين ، وقد تسمرت تحت قناعه لتحقيق
أهدافها البعيدة .

وما منا تحدثت عن الاتهامات الخفية لتلك الحركة ، يجب أن نعود إلى
طائفتين أسهتا بنصيب كبير فيها هما الجاليات التجارية والجماعات الرهبانية
المسلحة .

لقد كان هدف تجار المدن الإيطالية والفرنسية والأسبانية الذين اشتركوا
في الحروب الصليبية ، استغلال بحث نظراً للكسب الكبير الذى يعود عليهم
من الجبلة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء عريض
للشعوب بها . فإن امتلاك مصر وبلاد الشام والشرق حيث تنتهى الطرق
البرية الرئيسية للسلع الشرقية هو حجر الزاوية في السيطرة على تجارة هذه

(١) Runciman, Hist. of the Crusades, I, 83-7. راجع أيضا

كامل روين : ملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ١٨ .

السلع (١) . لذلك طعت أساطيلهم بدور فعال في الاستيلاء على المراكز الرئيسية في الشام . فساعد الجنوية الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة ١٠٩٧ م . وأسهم الننادقة بعد ذلك بعامين في عملية استيلاء اللاتين على بيت المقدس ، وكانوا عنصرًا بارزًا في الحملات التي كانت مصر وشمال إفريقيا مسرحًا لها فيما بعد (٢) .

ولم يقتصر دور هؤلاء التجار على المساعدة الفعالة في قيام الدويلات اللاتينية بالأراضي المقدسة ، بل امتد إلى العمل على الاحتفاظ بها أطول مدة ممكنة ، تمكينًا لمصالحهم وتثبيتها (٣) . وقد تمثل ذلك أصدق تمثيل في تلك المعاهدات التي عقدت بينهم وبين حكام مملكة بيت المقدس اللاتين ، والتي تضمنت امتيازات عديدة القلبية ومالية وقضائية لصالح هذه الجاليات (٤) . هذا ، ووثائق تلك

Pirenne, *Economic and Social Hist.*, 31; Grousset, *Sum of Hist.*, 181.

(٢) لقد كان المدن التجارية الإيطالية وهي البندقية وجنوة والبندقية علاقات تجارية مع دول الشرق العربي قبل قيام الحركة الصليبية ، وخاصة مصر والشام . وحصلت من الخلفاء المسلمين على امتيازات تجارية واسعة ، وبحث من وراء ذلك أرباحًا طائلة . فجاء اختراكمها لالحملات الصليبية تابعة طليعة لهذه الدويلات النافذة . أظهر من ذلك 'مجلد جلال الدين سيور' مصر ل عصر النهضة الفاطمية ، ص ١٧٢ - ١٧٦ . وفيما يتعلق بجهوده هذه لأسفل إلى دويلات متنافسة ، وكذلك نشاطها التجاري ، أظهر عبد القم واحد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٩٥ .

Pirenne, *Med. Cities*, 64; Conkon, *Med. Panorama*, 320. (٣)
وفيما يتعلق بدور الننادقة في الحرب الصليبية ، انظر إيجن بور : عاوج بتيرية من العصور الوسطى ، ص ٤٩ - ٥٤ .

(٤) نتائج الحركة الصليبية الأوروبية وأثرها بالمعاهدات التي عقدت بين هذه الحالات وبين ملوك بيت المقدس اللاتين ، لاسيما كتاب وليم الصوري وكذلك اربعيات المدن التجارية الأوروبية . راجع :

Pirenne, *Economic and Social Hist.*, 30-3; Mahmud, *Story of Islam*, 135.

الفترة وحرياتها وكذلك لوشيفات كل من جنوه والبندقية وبيزنه ، مليئة بمثل هذه الاتفاقيات التي لا تخرج عن كونها صفقات تجارية يتقاسم فيها الشريكان المكاسب والأسلاب . فالقرنج في حاجة إلى الأساطيل لنقل القوات والامتدادات من الغرب إلى الشرق ، ولضرب الحصان حول المدن الساحلية الآشادية والمصرية ومواقى شمال افريقية ، بينما كان الجاليات التجارية مصالح وأطماع قديمة في هذه الموانئ التي تفتح لها الطريق إلى الشرق الأقصى والأوسط ، مما يؤدي إلى إتمام ثرواتها وزيادة أرباحها . وكان أفراد هذه الجاليات يعيشون في أحياء خاصة بهم في كل ميناء أو مدينة يفتكرون في فتحها . وكانوا يمارسون داخلها جميع مظاهر الحكم الذاتي . كما كانوا يجنون الأموال الطائلة من السيطرة على طرق التجارة ، ومن أجور نقل البضائع ، ومن قتل المزن والقوات والمعونات اللازمة لإمارات القرنج من أوروبا إلى الشرق . وقد غدت المدن والموانئ الواقعة على طول الساحل الشامي مسرحا صعبا للصراع بين هذه الجاليات لأسباب تتعلق بالملكية والمسائل التجارية ، وكثيرا ما تطور إلى قتال مكشوف وحروب دامية ذهب ضحيتها الكثيرون (١) .

ومكذلك غلقت الصفقة التجارية البحتة على هذه الجاليات بعد أن وضع الاتجاه الاستعماري الاستغلال في نشاطها ، إذ كان هدفها الأول والأخير منذ قيام الحركة حتى نهايتها هو الربح والكسب المادي . ولم يكن ينشأ الباعث الديني إلا بالقدر الذي يمتن مصالحها (٢) . ويمكن أن نعرف أن شعار البنادقة الذي

(١) Heyd, Hist. du commerce, I, 343-4. راجع أيضا كتابي: لوريس التاسع

في الشرق الأوسط ، ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٢) Mahmud, Story of Islam, 132. (٢)

عرفوا به وقضاك كان . لكن أولاً بنادقة ، ثم لكن بعد ذلك مسيحيين ،

(١) . (Siamo Veneziani, poi Christiani)

هذا هو موقف الممالك التجارية من الحركة الصليبية ، تلك الممالك التي كانت تجري وراء مصالحها حيناً وحيناً . ولكن عما يبدو إلى اللمحة أن أولئك الرهبان المحاربين الذين اشتركوا مع الفرنج في شق مراسل الحركة ، مثل الدارية والاسبتارية والتبوتونية ، والذي كان من أول مبادئهم الفقر والعاطفة والحرمان والصلاة والتعفف والبعد عن ملذات الدنيا ومادياتها ، قد استحالوا هم أيضاً إلى جماعات نفعية . وأصبحوا يتنصرون داخل قلاعهم وحصونهم في الشام ، ولهم جيوشهم ومواردهم المالية وسياستهم الخارجية التي تتفق ومصالحهم الخاصة . وكانت حياتهم في الأراضي المقدسة دليلاً قوياً على هذا التغيير الواضح الذي طرأ عليهم . فقد أصبحوا يمتلكون التاجر والحوانيت ، وأخذوا يتطاحنون ويتناحرون فيما بينهم على المقام والأسلاب بعد أن كان عملهم أساساً هو العناية بالمرضى والجرحى في ميدان القتال (٢) . ويمكن أن ظهور هذه الجماعات الرهبانية المحاربة يكن في حد ذاته نتيجة من نتائج قيام الحروب الصليبية ، كما كان اشتراكها بدور إيجابي فيها دليلاً قاطعاً على حقيقة انجماها والنصر من

(١) Atiya, Crusade in the Later Middle Ages, 114. (٢) ذلك ما : Matt. Paris, II, 306; Davis, Invasion of Egypt, 23-4.

(٢) أنظر من ذلك الكتب التالية : Lagrèze, Joinville, 206-210, 224-6; Chevalerie et Crois., 226; idem, Vie Militaire, 198-9; Grousset, Crois., III, 510. راجع أيضاً : عنان : تراجم إسلامية ، ٢٠٦ : حوريف : سم : لويس التاسع في الفرق الأوسط ، ٢١٦ ، وهزيمة لويس التاسع على سفكاف النيل ، ص ١١٦ .

انشأتها (١)، وقد أشرت الصادر العربية إلى أولئك الرهبان المخوفين باعتبارهم من أعداء العرب والإسلام (٢).

مكند المحرقت تلك الجماعات الرهبانية المسلحة عن مبادئها الأصلية ، وأصبح رجالها رجال دين ودينا ، رجال يلبسون معوج الرهبان وفي نفس الوقت يقاتلون من فوق ظهور الخيل ، وشجعرون ويضنون ، ويفرصون الضرائب والآثامات على القوافل المارة بمنازلهم في الشام .

يتضح مما سبق أن الحروب الصليبية وإن اضطفت بالصيغة الدينية ، إلا أن الدين لم يكن الدافع الأساسي لقيامها ، وإنما كان قناعا لتغطية أسباب العدوان . ولعل من أبرز الأدلة على فساد الدافع الديني وزيمه هو حياة القهر والفقور التي كان يجيهاها الفرنج الوافدون إلى الشرق . وهناك الحركة الصليبية عاصرة بالأمثلة

(١) المزيد من المعلومات من الجامعات الرهبانية المسكرة انظر : Woodhouse, F., The Military Religious Orders of the Middle Ages. London, 1879; Delaville Le Roulx, J., Les Hospitaliers en Terre Sainte et a Chypre (1100-1310). Paris, 1904; King, R., The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 1931; P. Lacroix, La Chevalerie et les Croisades. Féodalité, Biscion, Ordres Militaires. Paris, 1887, E. Tension, Chivalry and the Wounded, The Hospitallers of St. John of Jerusalem (1014-1914), London, 1914.

ومن المراجع العربية أنظر حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى (القاهرة ١٩٤٧) ،
من ٩٥ - ١٠٠ : معركة بوقق : ملكة بيت القدس الصليبية ، من ١٠٤ - ١٠٦ :
السيد عبد العزيز : تاريخ الإسلام في التاريخ الإسلامي (الاسكندرية ١٩٦٢) ،
من ٢١٢ - ٢٢٣ .

(٢) جدير بالذكر أن المؤرخين العرب كانوا يلقون على رجالهم الذين يولون بلاد حثاني
القتال ويقتلون حتى الاستشهاد أنهم « داوئة الاسلام » نسبة إلى داوئة الفرنج . انظر
ابن واصل ، ج ٢ ، لوحة ٢٦٦ ب ، المجلد ١٨ ، ج ٢ ، لوحة ٢١٢ : السلوك ج ١ ،
قلم ٢ ، من ٣٥٦ .

التي تشهد بذلك (١). قد انضموا في المثلث مع الأوروبيات اللاتي أحزنوهن من القرب ، وأقاموا معهم في المستعمرات التي أسسوها في فلسطين .

لقد كان الشرق اللاتيني مرتعا خصيبا للفتق والشroud ، وأصبح التدهور الخلقى بين اللاتين حديث الجميع ، بعد أن طاحت وانتهت وأصبحت تركم الأنوف . فكان أمرا عاديا أن يضبط أحد الفرنج زوجته في وضع مربب مع رجل غريب ، ويتقبل الأمر برود كأن لم يحدث شيء (٢) . وكان أمرا عاديا أيضا أن يضبط أحد الفرسان الصليبيين عزول يدار قصاص . قد حدث أثناء إقامة الملك الفرنسي لويس التاسع في مدينة قيسارية - وكانت تحت حكم الفرنج وقتذاك - أن ضبط أحد فرسانه في منزل يدور للدمارة ، وغير طبقا لتقاليد تلك البلدة بين أحد أمسين : إما أن يجره للمرأة الفاسقة التي ضبط معها من قيصره داخل المعسكر الفرنسي بصورة عذرية ، وإما أن يصادر جواده وملابسه ويطرد من المعسكر . واختار لنفسه الحل الثاني ، وذهب لحال سيده ذليلا كسيرا . ويكنى أن جوانفيل مؤرخ أسرة لويس التاسع قد صرح في كتابه أنه اعتاد أن يضع فراشه أثناء إقامته في الأراضي المقدسة عند مدخل خيمته حتى يراه كل من يمر أمام الخيمة دائما عليه . وبالمثل فعل ميخائيل الفرنسي ، وذلك منعا للشبهات التي قد تقوم حول اتصالها بالنساء (٣) .

ويذكر نفس المؤرخ أن الخيمتين علقن ذات يوم بينه وبين المنتدوب لبايوى في الخلة عن هذا التدهور ، وأخذ كل منهما يقص على زميله ما يعرفه في

(١) أنظر : Joinville, 94, 96.

(٢) أنظر رواية أسامة بن منقذ في كتابه الذكوة ذكرى محمد بن حسن . الرحلة الحجازية ، ص ٩٦ .

(٣) Joinville (ed. Wailly), 276.

هذا الشأن ، واختتم القاصد الرسول كلمته بقوله : « لا يعلم أحد متى المصاعق والآفام التي يرتكبها الفرنج في عكا . ولذلك فإن المولى سوف ينتقم منهم حتى تفصل المدينة بدمائهم . وحيثما سوف يأتي شعب آخر للإقامة فيها ، (١) . ولم تكن هذه العبارة إلا نبوءة صادقة حققتها الأيام باستيلاء العرب أيام الأشرف خليل على عكا سنة ١٢٩١ م . ومن مظاهر الانحلال أن مسألة الحلف باسم الله زورا وبهتانا أصبحت أمرا شائعا بين الفرنج ، حتى لقد اضطر لويس التاسع أثناء إقامته في سورية إلى فرض عقوبات متعددة على كل من يهدف باسم الله (٢) .

هكذا أودى الانحلال الخلق بالمستعمرات اللاتينية في الشرق إلى الخضم . ولم يكن هذا أمرا مستغربا ، فقد كانت موعلا لأجناس شتى من الخلق تباينت مصالحهم وميولهم وأهوائهم ومطامعهم تباينا عجيبا . فكان فيها البنادقة والبيازنة والجنوية وأهل مرسيليا وأمالق الذين يمثلون النشاط التجاري البحري ، ولم يكن بينهم في شيء الشعار المبرهن الذي أغنى الاتهامات الحقيقية للحركة . وكذلك الاسبتارية والداوية والقيونية من الزمبان المحاربين الذين اخرجوا عن مبادئهم الأصلية . هذا إلى جانب جماعات من المغامرين والقتلة والمصوص وقطاع الطرق والخارجين عن القانون الذين قدموا من مختلف بلاد الغرب الأوروبي مدفوعين بسواحل شتى أهمها السيطرة والأطباع واللب وأقلها

(١) Joinville (ed. Wailly), 334-6. هذا وجه الترجمة اللاتينية
فيترى Jacques de Vitry ، الذي ولد حوالي سنة ١١٨٠ وتوفي حوالي سنة ١٢٤٠ ،
من أفضل من كتب عن الفرنج في موضوع التعمير والاعلال الخلق في مستعمرات
اللاتين في الأراضي المقدسة .

Joinville (ed. Wailly), 378. (٢)

بدون شك العامل الديني (١). وهكذا كان الغزو العربي لبلدان الشرق العربي يتألف في الواقع من هذا الخليط السجيب ، وليس من اللاهين وراء القبر المقدس (٢) . ويمكن القول بناء على ما تقدم إن إخماس الدين للحركة الصليبية لم يكن حقيقيا متصلا ، كما لم يكن لدى الفرنج رغبة صادقة في الجهاد (٣) وليس لنا أن نتنظر منهم ذلك بعد أن وضعت نيابهم والجهلاءهم وبعد أن تأكد فتور إخماس الدين عندهم . وإن إخلاص العرب لهذا الاعتقاد كان يفوق بلا شك إخلاص أولئك القوم له . فالعرب كانوا يدافعون بصدق عن أرض آبائهم وأجدادهم ، ولم يكن هذا الأمر متوفرا لدى الفرنج الفزاة . فالجهاد كان عقيدة طائرها للفعال فيما أحرزته العرب على أعدائهم من اقتصارات . وكانت دعوة الجهاد كابية لإثارة الحاسة بين الناس . فكل مشترك ضد هذه الغزوات الصليبية مجاهد ، وإذا مات في ساحة الوغى فهو شهيد . وكان الخطب والمواظع الديلية التي تليق من فوق المنابر أكبر الأثر في الحث على الجهاد عند أعداء الوطن ، لهداء الله ، وقد قام الجامع الأزهر بدور رئيسي في تنبيه الأذهان إلى الخطر

(١) أنظر Burchard, Description of the Holy Land, 102-3; P. K. Hitti, History of the Arabs from the Earliest Times to the Present (London, 1964), 636. انظر العربية ، ص ١٩ - ١٧ وأخوه .

(٢) Lewis, Arabs in Hist., 150.

(٣) Matt. of Westminster, Flowers of Hist., II, 316: cf. (٤) Masson, Med. France, 95-6.

هذا ويذكر كتاب التاريخ Palmer A. Throp, Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amsterdam, 1940. من أفضل ما كتب في ذلك من معرفة الوثائق القدم العرب لشكره المدوني الصليبي ضد العالم العربي .

الجهانم في أرض فلسطين (١). فتخطب العلماء ورسائل الحكام مؤيدة بآيات من كتاب الله تهديد العدو وتثنيه بسوء الحفاته ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ، وآيات تستهين حوائج العرب أن يعملوا أعمال الجهاد بقلها من مقدساتهم ، واقروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم واتصمكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، ، وآيات تبشر بالنصر وتؤكد أنه ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، (٢). كذلك وضعت خلال الحروب الصليبية المؤلفات العديدة في فضائل الشام والبيت المقدس وفي أدب الجهاد والحج على قتال أعداء الله (٣).

(١) محمد شهيد الجهاد في الإسلام ، ص ٩٠-٩٣ ، ١٠٥ ، ١٢٧ و ١٥٣-١٥٤ ؛ جوزيف سيم : هزلة لومس التاسع على مضاعف الليل ، ص ١١٧ - وجدير بالذكر أن الفيلسوف محمد أبو حمزة تناول في كتابه « نظرية العرب في الإسلام » ، ص ١٧ وما يليها ، فكرة بدأت على العرب والفتن وهي دفع الاعتناء والحوار ، وأوضح ما يجب اتباعه قبل حركة ول أنائها وبعد انتهائها ، مدعيا ذلك بآيات من كتاب الله ومن الأحداث الصريحة . أنظر أيضا مقال « العدوان العربي الاستعماري على العالم العربي قديما وحديثا » بجملة أسبوع الجديد - العدد ١١٤٤ (٥ سبتمبر ١٩٦٧) .

(٢) راجع عن الجهاد : Gibb, Mohammedanism, 66-7. ومحمد الفارسي : نماذج رسائل الحكم وكسبهم المؤيدة بالآيات القرآنية في المصادر التالية : ابن واصل : مفرج المكارب ، ج ٢ ، لوحة ٣٦٤ ب ؛ ابن ابيك : كنز المحرر ، ج ٧ ، ورقة ٣٦٧ - ٣٦٨ ع ٢٨١ - ٢٨٢ ؛ القريري : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٣٥ و ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛ والمطهر ، ج ١ ، ص ٢١٩ ؛ ابن مفلح : نزهة الأعم (المجلد الثانية) ، لوحة ١٧٧ و ١٨٠ - ٨٠ ب .

(٣) ما يتعلق حلقة الجهاد في الإسلام أنظر كتاب جرونيانوم : حضارة الإسلام ، ص ٢٢ وكذلك : Rosenzthal, Political Thought in Med. Islam, 24-6, 29, 196, 247 n. 59, 286 n. 27.

ونحن في دار الكتب المصرية بالقاهرة بمدد كبير من المخطوطات والمخطوطات للصور . و موضوع فضائل الشام والبيت المقدس خاصة ، يذكر منها : بيل :

ففي الوقت الذي كان فيه العرب يحافظون على كياناتهم وقوميتهم وعروبيتهم ووحدةهم عن غيرة حقيقية راسخة تمتد جذورها إلى أحماق التاريخ ، وفي الوقت الذي كان فيه العرب يناقشون عن استقلالهم ووجودهم بكل ما يملكون من قوة وإيمان وهزم وأصرار ، لم يكن لدى الفرنج رغبة صادقة في القتال .

١ - « مسائل بيت المقدس » - تأليف أبي المالك الشيرازي بن الرزي بن ابراهيم المقدسي - نسخة في مجلد مأخوذة بالتصوير المقدسي عن النسخة الخطية المكتوبة بخط علي بن محمد ، ولد لفرخ منها في رمضان ٨٠٦ هـ . والمخطوطة بمكتبة جامعة لوتيجي - رقم ١٥٤٢ تاريخ و ٢١٩٩ تاريخ .

٢ - « مسائل الشام » - تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، المعروف بأبي عبد الهادي - نسخة في مجلد مأخوذة بخط محمد بن إدريس بن جبر - رقم ٢٤٩ تاريخ .

٣ - « مسائل الشام » - تأليف أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن عبد الجبار المعروف بالسهماني ، المرقوم سنة ٨٦٢ هـ - نسخة ضمن مجموعة في مجلد مخطوط - رقم ٥١٩ مجاميع .

٤ - « مسائل الشام » - تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي الهيثم أحمد الأسدي المقدسي - نسخة في مجلد مخطوطة بخط محمد بن عمر الشافعي الذي فرغ من كتابها سنة ١١١٢ هـ - رقم ٧٥٠ تاريخ .

٥ - « مشير القرام إلى راحة النفس والشام » - تأليف شهاب الدين أبي عمود - من مجلد المقدسي المتأخر الذي فرغ منه سنة ٢٩٥ هـ - مخطوط بخط محمد بن يوسف - رقم ٢١ تاريخ .

٦ - « مسائل بيت المقدس » - تأليف أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي المقدسي (ق ٨٥٠) - من مجموعة في مجلدتين بالتصوير المقدسي مأخوذة من نسخة خطية مخطوطة بمكتبة المدرسة لأحمدية في جامع أحمد بابا الحارثي في عكا - رقم ٢٨٩ مجاميع .

٧ - « مسائل الشام » - مؤلف مجهول - نسخة في مجلد رقم ٣٩٨٢ تاريخ .

٨ - « مسائل الشام » - تأليف أبي الحسن علي بن محمد الرمي اللاتكي (ق ٨٥٠) - ضمن مجموعة في مجلد بالتصوير المقدسي - رقم ٧٨٩ مجاميع .

٩ - « نزهة الأندلس في مجلس الشام » - تأليف أبي البقاء عبد الله بن محمد الديرعي المصري المشتق المتأخر (ق ٨٥٠) - طبع القاهرة ١٣٤١ هـ .

١٠ - « باغت القوس إلى زياره القدس الشريف لغيره » - تأليف برهان الدين إبراهيم -

وهكذا برهنت الحركة الصليبية منذ بدايتها على عقمها وانحلال الدافع الديني لدى المسيحيين الغربيين بعد أن سيطرت عليهم الأطماع الشخصية ، وبعد أن ظهروا على حقيقتهم وكشفوا عن خبيثة نواياهم . فقد كانت تحركهم دوافع دنيوية تم من ضعف البواعث الدينية ورياء المثل الصليبية العليا (١) . وهكذا شاب الفتور تلك الحركة ، وتشكك كثير من المفكرين الأوروبيين في جدواها (٢) . ونفس ذلك يوضح من كتابات المتعلمين من أهل الغرب من

== ابن إسحاق بن نجاح الدين أبي عبد الله عبد الرحمن بن درهم القاضي الرازي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ - نسخة من مجموعة في مجلد مخطوط - رقم ١٤٤ - جامع - ويلة - ول مخطوط فضائل المسجد الأقصى والمسجد الحرام .

هذا ويوجد بمكتبة بلدية إسطنبول عدة مجلدات من المخطوطات والمخطوطات الصورة في هذا الموضوع المماثل منها :

١ - د فضائل الانصاف في فضائل المسجد الأقصى - تأليف محمد بن أحمد الشافعي السيوطي - ألفه بيت المقدس سنة ٨٨٠ هـ - نسخة في مجلد مكتوبة بقلم نسخ سنة ١١٥٥ هـ - رقم ٣٧١٧ - ج .

٢ - د تحفة الأنام في فضائل الشام - تأليف أحمد بن محمد البصرى المعروف بابن الإمام - أم تأليفه سنة ١٠٠٣ هـ - نسخة في مجلد مكتوبة بقلم ملهى سنة ١٢٠٨ هـ - رقم ٢٠٣٧ - ج .

٣ - د فضائل الشام - تأليف عبد الرحمن بن أحمد بن وجب الخليل الشافعي سنة ٧٩٥ هـ - نسخة مكتوبة بقلم ملهى سنة ١٠٢٣ هـ - ضمن مجموعة برقم ١٣٥١ - د .

٤ - د تحصيل الأمن لآثار القدس - تأليف عبد الله بن هشام الشافعي سنة ٧٩١ هـ - نسخة مكتوبة سنة ٩٠٩ هـ - ضمن مجموعة برقم ١٣٥١ - د .

٥ - د حسن الانصاف لما صنع وتوفى في المسجد الأقصى - تأليف محمد الخليل الشافعي سنة ١١٩٦ هـ - نسخة في مجلد مكتوبة بمخطوط مختلفة بدون تاريخ - رقم ٤٩٨١ - ج .

(١) مقال : مصر الإسلامية ، ص ١١٣ .

(٢) زيادة : مجلة لويس التاسع على مصر ، ص ٢٦٢ .

وجال الدين ، الفكر والعلم والحكم السلاطين ، أمثال الكاهن الانجيزى من
الماريى ، والشاعر الفرنى وليم ريتف W. Rutebuef ، والإمبراطور الألماني
فردريك الثانى .

ويعتبر متى الباروى من كبار كتاب القرن الثالث عشر . وقد تحدث فى
كتابيه المسمى « تاريخ إنجلترا » فى سخرية مريرة وتحكم لاذع عن الجهاز الكنسى
فى أوروبا الذى استشرى فيه الفساد ، وعن رجال الدين وعلى رأسهم البابا الذى
لم يكن يمتنع التبشير بحملة صليبية إلا بالقدر الذى يخدم أطماعه ويحقق مصالحه
العلائقية (١) . ويقول فى موضع آخر من كتابه إن « البابا الذى اقتل خطي
الإمبراطور قسطنطين ، وكان الأجدر به أن يخنق خطو القديس بطرس قد سبب
لكثير من القلق والإضطرابات فى العالم » (٢) . وقد يبدو هذا أمراً مستغرباً فى
تلك العصور التى كان فيها للدين مكانة كبيرة فى المجتمع الغربى الوسيط ، خاصة
وإن هذا الهجوم ضد الفكرة الصليبية وحسد النظام الكنسى الباروى ، قد صدر
عن رجل دين يعرف خبايا هذا النظام ومساوئ ومواطن الضعف فيه حق
المعرفة . ولكن كان لدى متى من الجرأة والشجاعة ما يبنى لقول الحق فى تلك
العصور التى عاش فيها الفرد الوسيط داخل دائرة ضيقة مغلقة لم يكن من السهل
الإفلات منها ، وإن كانه نباشير عصر جديد قد بدأت تلوح فى الأفق .

أما الشاعر ريتف فقد عاش هو الآخر فى النصف الثانى من القرن الثالث
عشر ، وعاصر أحداث تلك الفترة من الزمن . وكتب قصيدة طويلة بالفرنسية
الوميطة يقول فيها دعن مواراة وفى ضراحة تامة إنة من الخلة أن يخاطر

Matt. Paris, II, 391, 400, 403. (١)

Matt. Paris, II, 498. (٢) أظن للحق الساج بآخر الكتاب .

الإنسان في حرب تنقسم بالطابع الفدني خارج بلاده ، ما دام يوسع أن يشمل بالله في وطنه وهو بين أهله وعشيرته ، وأن يعيش في نعمة ويسر وسلام . ويستخر الشاعر في القصيدة من رجال الدين الذين جعلوا من الحروب الصليبية وسيلة لا يترأس الأموال وتحقيق أطماعهم في الشرق (١) .

وثالث هؤلاء هو الامبراطور فردريك الثاني (٢) . كان وجلا فخر العلم وأوسع الأفق ، ويعتبر بحق من الحكام اللاتين القلائل المتحررين من سلطان الكنيسة وقيودها . فقد استقر في جنوب إيطاليا ، وتأثر إلى حد كبير بالثقافة المتحررة التي سادت هناك . وكانت ثقافة متنوعة الأصول والمصادر ، تأثر فيها باليونان والرومان القدماء ، والبيزنطيين والعرب ، مما خلق في هذه المنطقة عقلية متميزة عن باقي أجزاء إيطاليا ودول الغرب . وقد أعجب فردريك بعلم العرب وعاداتهم وأخلاقهم ، ومن هنا كانت أقل خضوعا للكنيسة التي كانت قد تشكلت وبعدت عن التعاليم المسيحية الأصلية . ولذلك لم تكن هذه تلك النعرة الصليبية المزمته . لقد امتاز بروح التسامح ، وكان يحترم جميع الأديان ، كما كان بلاؤه موثلا للعلماء المسلمين والمسيحيين . وكثيرا ما كان يجتمع بمفكرى الإسلام ، كما اتصل بتلامذة ابن رشد وكانت بينه وبينهم مكاتبات ومساجلات عديدة كان لها أكبر الأثر في روح التسامح التي تميز بها (٣) .

(١) هذه القصيدة كتبها ونف بالترجمة الوسيطة السائدة في ذلك العصر . أنظر ترجمتها الإنجليزية في Heer, Med. World, 110; Masson, Med. France, 96-7. أنظر الترجمة العربية للقصيدة في الملحق السادس بأثر الكتاب .

(٢) تناول سيرة فردريك الثاني وعصيته وولته الصاعدة وعلاقته بكل من العرب والابنوية كبير من المؤرخين الغربيين المحدثين . ويترجمون كأكبر وقتش من أحسن ما كتب عن تاريخ حياة هذا الإمبراطور . أنظر : Kantorowicz, E., Frederick the Second (1194 - 1250). London, 1957.

(٣) أنظر القرطبي : الملوك ، ج ١ ، ص ١٠٠ ط ١ . ثانية (القاهرة ١٩٠٦) .

لقد صبر فردريك بذلك عن موقف الريان الأحرار في تلك الزفنة من العالم ، وكان على علاقة طيبة بالحكام العرب وعلى رأسهم الكامل محمد سلطان مصر وابنه الصالح نجم الدين أيوب . وعقد مع الكامل معاهدة سلمية سنة ١٢٢٩م . تكاد أن تكون الأولى من نوعها في تلك الصور التي اشتهرت بالترمت الديني ، تنازل له فيها السلطان الأيوبي عن طيب خاطر عن مدينة بيت المقدس (١) . وتروى المصادر العربية أن فردريك عندما علم بحركة الملك الفرنسي لويس التاسع ، وأخزاه السير بجيشه صوب مصر لغزوها ، أرسل إلى صديقه الصالح نجم الدين يخبره بذلك حتى يكون على حذر ويتخذ للأمر حذقه (٢) . لذلك كان العرب في مصر وسورية وفي جزيرة صقلية يكتفون للإمبراطور الألماني كل تهويل واحترام ، (٣) حتى لقد اعتبره كثير منهم أنه أميل إلى الاسلام منه إلى النصرانية ، وأنه كان يؤثر القرآن على الانجيل (٤) . هذا ، بينما اعتنقته الكنيسة اللاتينية ، واصدرت ضده قرارا الحرمان متبعة زياه بالخرطقة والخروج على الدين .

(١) حول حلة فردريك المنيية ، أظن الترجمة الملوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ و ٢٢٨ - ٢٢٩ و ٢٣٠ - ٢٣١ ؛ أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ (القاهرة ١٩٢٩) ، ص ٩٧٩ .

راجع أيضا : Grousset, Hist. des Crois., III, 282 ff., 289 ff.; Runciman, Hist. of the Crusades, III, 171 ff.; Hitti, Hist. of the Arabs, 653.

(٢) راجع التاميل في الترزي : الخط ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، السبي : عقد الحان ، ١٨ قسم ٢ ، لوحة ٣٠٦ ؛ ابن أريك : كثر البرر ، ج ٧ ، ورقة ٣٦٤ - ٣٦٥ .
(٣) أبو الفداء : المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، وكتاب :
Davis, Invasion of Egypt, ٤.

(٤) أظن : أبو الفداء ، قص الصدر والصنعة ؛ السبي : عقد الحان (مجموعة مؤرخي الحروب المنيية - للزوحون المرفيون) ج ٢ ، قسم ١ ، ص ١٩٩ .

وبذلك صير كل من فرديك ورتيف وهى الباريزى تسيروا صادقا من موقف قوى التمثل فى تلك العصور ، حيث بدأت الأنظمة القديمة التى ارتكز عليها العالم الوسيط فى الدين والسياسة والحرب والاقتصاد فى التدهال لتحل عليها أنظمة أخرى مغايرة تبشر بقيام عصر جديد (١) .

ولقد وجد فى الغرب إلى جانب هؤلاء الأحرار عشرات من فهموا الأمور على حقيقتها ، ومن أخذوا يتحدون بالكنيسة البابوية وبفكرة الحروب الصليبية . (٢) وبما ساعد على ذلك نمو المدن والقوميات ، وظهور شخصية الفرد ، واتساع الآفاق والمعارف ، وتطور الحركة الفكرية ، ونشأة الجامعات فى آخريات العصور الوسطى التى خرج من بين جدرانها الكثير من الفلاسفة والعلماء المثقفين المستنيرين . (٣) ومع ذلك فقد كانت صيحات هؤلاء المصلحين ،

(١) يقول الكاتب الأنجليزى على مكينزاك إنه لم يكن هناك من سبب يدعو للدين عاصروا القرن الرابع عشر إلى الاعتقاد بأن عصر الحروب الصليبية قد ولى إلى غير رجعة . أنظر : McKisack, Fourteenth Century, 123. — والمفارقة أن هذه الفكرة — على الرغم من الحروب الصليبية الأخيرة — كانت قد تنقست وما الخرس الذى صاحب بدايتها بعد أن تمكشت حلقاتها ، ويضخ ذلك من أقوال أغاس مونتوق بصحة رواياتهم مثل السكان على الباريزى والشاعر رتيوف ، وبعدهما من أصحاب الفكر والقلم .

Coulton, Med. Panorama, 649. (٢)

(٣) أنظر عن ذلك المرجع الأثرى التالية : Waugh, W.T., A History of Europe from 1378 to 1494. London, 1932; McKisack, M., The Fourteenth Century (1307 - 1399). Oxford, 1959; Haskins, C.H., The Rise of Universities. New York, 1950; Huizinga, J., The Waning of the Middle Ages. London, 1955.

ومن المرجع القرية أنظر : سعيد عبد التاج عاشور ، الجامعات الأوربية فى العصور الوسطى — القاهرة ١٩٥٩ ؛ سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى — الجزء الثانى (النظم والجامعات) — القاهرة ١٩٥٩ ؛ سعيد عاشور وعبد آيس : المجتمع الأوربى فى العصور الوسطى — القاهرة ١٩٦١ .

التي كانت تنبثق بين الحين والحين منادية بالتحفل، أشبه بصرخة في واد عميق .
إذ لا تلبث المبادئ والأفكار المسيطرة على الغرب أن تقيم من مرقعة
تستمد منه الصيحات التي لا تجد لها إلا صدى متاعدا .

وعلى هذا لا نعدو الحق إذا قلنا إن الحروب الصليبية ذمت تحت قناع
الدين وباسمه لتحقيق أطماعها التوسعية البعيدة المدى ، سواء في العالم العربي أو في
دولة الروم الشرقية التي كانت قائمة وقتذاك ، وإن دور العامل الديني كان يقتصر
على تنفيذ هذه الحركة وتزويدها بالوقود اللازم لدفعها إلى الأمام .

فقد كان من أحد أهدافها وضع يدها على ممتلكات الدولة البيزنطية المارمية
الأطراف ، والتي أخذ جيرانها الأتراك السلاجقة وغيرهم في الاستيلاء عليها
لواحدة تلو الأخرى . وليس من المستبعد القول إن البابوية والغرب الكاثوليك
عندما دهوا إلى حمل الصليب ، كانت تراودهم فكرة إحياء الامبراطورية
المقسمة من جديد ، بهضم ممتلكات الامبراطورية البيزنطية إليها والاستيلاء على
عاصمتها القسطنطينية ، وإعادة صيغ هذه الدولة بالمعنى اللاتينية ، وفرض
المنهج الكاثوليكي الذي تدين به روما عليها . (١) وتؤكد ذلك أحداث
السنوات التالية .

وأما هدفها الجوهري فهو تحقيق أغراضها الاستعمارية في العالم العربي ،
والعمل على تفتيت وحدته وكسر شوكتها لئلا تفوذ الاستعمار في المنطقة .
وهكذا لم يكن استرداد الأراضي المقدسة أو تحقيق غير المسح هو الدافع
الأساسي لقيام هذه الحركة ، إنما كان عاملا ظاهريا لإثارة الفكرة الدينية بين

(١) أنظر : Anna Comnena, Alexiad, 250, 252. وسنحاول منه التمسك :
بالتفصيل في المصون التالية من الكتاب

مسيحي الغرب ، في وقت كان فيه الدين تأثير كبير في قلوب الناس الذين كانت تحميم عبيهم سحابة كثيفة من الفقر والجمل والحرمات . باستثناء فئة قليلة من رجال الدين المزمعين المتقنين ، بحيث كان من السهل التأثير على الناس باسم الدين وحشهم على الحرب والقتال في سبيله .

والخلاصة أن الحروب الصليبية التي حل المشتركون فيها شادة الصليب ، هي في الواقع حروب التوسع والاستعمار ضد دولة الروم والمسيحيين الشرقيين الذين كانوا ينظرون اليهم باعتبارهم حراقة وملحدين . وهي في ذات الوقت حروب التوسع والنصب والاستعمار ضد العرب في المشرق والمغرب الذين رأوا فيهم خطرا يهددهم ، فعملوا على القضاء على استقلالهم وثقتيت وحدتهم وعاقة تكتلهم ، تحقيقا لاجماعتهم الاستعمارية .

وعكذا لم يكن الباعث الديني هو الدافع الرئيس لتلك الحركة ، بل كان سببا لتغطية الأغراض الحقيقية لها . ولم يكن اقراض الأراض المقدسة وتحرير قبر المسيح سوى اعتبارا ثانويا يعني الأسباب الرئيسية التي تلخص في العمل على تأسيس مستعمرات لاثينية في اشرق ، وتدعيمها وتوسيع حدودها حتى تاج يدي المقدس اللاتيني (١) .

وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الغربيين الحديثين الذين اشتهروا بتصحيح لبق جنسهم ، قد اعترفوا صراحة بذلك . ومن هؤلاء المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه الذي قال في كتابه « حصيلة التاريخ » ان الحروب الصليبية أدت إلى أول توسع استعماري للغرب المسيحي في الشرق العربي على حساب الاسلام (٢) .

(١) ديفر : أوروبا في العصور الوسطى ، ص ١٨٢ و ١٦٥ - ١٦٦ ، ج ١ ، ص ٨ .
يوسف . الوحدة وحركات القظة الغربية ، ص ٨ .
(٢) Grousset, Sum fo Hist., 182. (٢)

كما رعد في كتابه مرارا عبارات مثل « المستعمرات الفرنجية » و « الاستعمار الفرنجي » و « التوسع الفرنجي الاستعماري في الشرق » و « للمستعمرون اللاتين » وغيره (١). أما زميله جورج تريفيان الإنجليزي فقد أوجع في كتابه « تاريخ إنجلترا » أن الحركة الصليبية هي حركة اتساع خارجي قامت بها أوروبا المسيحية الانطاكية ضد العرب (٢). ويتحدث إرنست باركر عن الإمارات التي أسسها أولئك الفرنج في فلسطين تحت اسم « الاسيطان اللاتيني » (٣). أما هنري وليم ديفر فقد أطلق على تلك الحروب اسم « الاستعمار الأوروبي » (٤). بينما قال برنارد لويس في كتابه « العرب في التاريخ » أن تلك الحروب كانت أول محاولة عبكرة في التوسع الاستعماري للغرب ، تحركها اعتبارات مادية دنيوية ، ويصفها الهين كعامل نفسي (٥).

(١) انظر المرجع السابق ، ص ١٨٩ - ١٩٠ . ويستخدم جروسه هنا ألفاظا مثل :
 • Frankish colonies . و • Frankish colonization . و Colonial .
 • expansion . ولفظة Colony تعني هنا مستعمرة وليس مجرد جالية أجنبية مستوطنة
 سبها هو مفهوم منها . ويأخذ باللمبة الخطأ .

(٢) Trevelyan, 141.

(٣) انظر حكمة باركر عن الحروب الصليبية في: Arnold, Legacy of Islam, 46.

(٤) ديفر : أوروبا في الصور الواسطة ، ص ١٢٨ .

(٥) Lewis, Arabs in Hist., 140. — ويجدير بالذكر أن بعض الكتاب الغربيين أطلقوا على مؤلفاتهم التي تتناول تاريخ الحركة الصليبية أو أحد فصولها أسماء تدل على حقيقة أهدافها . من هؤلاء المؤلفين دي Rey الذي أطلق على كتابه له اسم « المستعمرات الفرنجية في سوريا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » (طبع باريس ١٨٨٣) . وله كتاب آخر تحت اسم « بيئة من السيادة الفرنجية على سوريا في الصور الواسطة » (طبع باريس ١٨٨٦) . ويرى أصحاب الفكرة الحديثة في التاريخ الاقتصادي أن الحركة الصليبية هي شكل من أشكال الاستعمار في القرون الوسطى . وذلك باعتبارها مرحلة من مراحل التوسع الأوروبي في الشرق . انظر من ذلك كتاب الدكتور عزيز حورويال عليه :

لقد اتجهت الحركة منذ بدايتها إلى تحقيق هذه الأهداف . فهي حركة استثمارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان . هي استثمار عسكري اتخذ من القوة المسلحة وسيلة لتحقيق أهداف العدوان . وهي استثمار سياسي يستهدف سلب البلاد حريتها ولحميت وحدتها وإعاقة نموها . وهي استثمار استيطاني يهدف إلى الاستيلاء على الأراضي واستعباد النفس البشرية . وهي استثمار ثقافي يسعى إلى مرض الحضارة الغربية اللاتينية على العالم العربي . ثم هي استثمار ديني يتمثل في محاولات أوروبا نشر الكاثوليكية في العالم العربي عن طريق الحروب الصليبية والبشائر التبشيرية ، كما يبدو من تسميتها وشعارها ومن منسكها ونصراتها . وأخيراً هي استثمار اقتصادي استغلالي مظهره تهب ثروات البلاد والاستثمار بغيرائها من موارد وعامات أوليه وخيرة . وبهذه الروح عبرت الحركة بوضوح عن نهجها . ولذلك فهي تعتبر حلقة من حلقات الصراع الطويل الممتد بين الشرق والغرب ، وفصلاً هاماً في تاريخ الاستثمار ومرحلة رئيسية من مراحله ، لا يجوز إغفالها أو التجاوز عنها عند التأريخ للاستثمار القديم أو الحديث .

وان الباحث المتمعن في تطوّر سير الأحداث عبر القرون الوسطى التي أنهت العدوان الصليبي حتى وقتنا هذا يدرك في غير سر نواباً الغرب السيئة وانجاهه الاستثمارية في الوطن العربي ، بما يعز ما سبق أن بيناه في الصفحات السابقة .

لقد أثبتت الأحداث أن اتصال في سبيل غزو الأراضي المقدسة لم ينته بصفة نهائية باستئصال شأفة الأوروبيين منها واحتلال العرب على آخر معاقلهم

Atiya, Crus., Commerce and Culture, 18.

وما يتعلق بأثره الكتاب والمؤرخ العرب حول حلقة أهداف المهملين ، انظر كذا في : الوحدة وحركات البقعة العربية ، ص ١٠ - ١٢ والمواشي .

الهامة فيها في آخرات القرن الثالث عشر الميلادي . فقد كان وقع هذه الصربات المتتالية شديداً على أهل الغرب بعد أن تغطعت آماهم على صخرة الواقع ، حتى أنهم ظلموا طيلة قرن من الزمان بعد سقوط هكذا يضعون المشروعات الصالحة والمؤلفات العديدة لغزو الشرق . وظهر من بينهم في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الكثير من المبشرين والدعاة من قام عنهم على إحياء الفكرة الصليبية بين أهل الغرب . كما قاموا بالعناية لخلافت جديدة عند المشرق والمغرب العربيين ، ووضعوا الخطط بقصد حصر المسيحيين الكاثوليك على الأخذ بأسباب الحروب الصليبية من جديد . وقد هارك البابوات والمسؤولون في الغرب هذا الاتجاه تخشياً مع سياستهم التقليدية القديمة . وكان من أثر ذلك أن قامت أوروبا بشن عدد من الغزوات على البلاد العربية في البقية الباقية من القرن الرابع عشر . وكان من أهمها حملة بطرس الأول لوسليان ملك قبرص الفرنسي على الإسكندرية سنة ١٢٩٥ م ، وحملة لويس الثاني دوق بوديون الفرنسي على المهدي في شمال أفريقيا سنة ١٣٩٠ م . كما كانت آخرها وأوسعها نطاقاً هي حملة نيفروليس الشهيرة سنة ١٣٩٩ م التي قامت بها أوروبا بأسرها لإلحراج العثمانيين من شبه جزيرة البلقان فعصب ، بل للوصول إلى بيت المقدس في قلب إمبراطورية المماليك . وانهت الحملة - كما انتهت سابقتها - بهزيمة المروج الساحق أمام قوات السلطان بايزيد الأول ، حتى أنه لم يتم لهم من بعد ذلك فائدة . وقد فشل هذه الغزوة على رؤوس أهل الغرب وقع الصاعقة ، وكان بمثابة مسار كبير دق في نغش الحركة الصليبية بمخاضها المعروف وقتذاك إذ أصيب الغربيون بخرية فاحية جعلت اليأس يتسكن من نفوسهم المرة الثانية ، وجعلتهم ينصرفون عن تلك الفكرة التي نادى بها أجدادهم قبل ذلك التاريخ بثلاثة

قروا إلى مصالحهم الخاصة ومشاكلهم الداخلية (١).

ولكن هل تحلى الغرب عن مشروعاته العدوانية ورضى بالامر الواقع ؟ وهل قدر للأراضي المقدسة التي كانت هدفا لحروب التنصب والاستعمار في العصر الوسيط ، والتي أويقت بين جنابتها السماء أنهارا ، أن تعيش بعد ذلك في دعة وسلام ؟ وهل قدر للعالم العربي من المحيط إلى الخليج بعد أن ثخن الغربين درسا قاسيا في الماضي ، أن يظل بمنأى عن العدوان ؟

لقد ظلت مدينة بيت المقدس منذ ذلك الحين بأذى الممالك إلى أن استولى عليها الاتراك العثمانيون في القرن السادس عشر . واستمرت في قبضة العثمانيين حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م . وقد استطاع الحلفاء الغربيون ، بعد مفاوضات قامت بينهم وبين العرب ، إقناعهم بدخول الحرب إلى جانبهم مقابل وعد بمنحهم الاستقلال بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ومصاصتهم على تكوين الوطن العربي الكبير . وفي أثناء الحرب اتفقت بريطانيا وفرنسا من وراء ظهر العرب على تقسيم الأراضي العربية فيما بينهما . وبذلك تكشف خداع الغرب وبائت أهدافه الاستعمارية ونواياه العدوانية . فإذ انتهت الحرب حتى دغمت قوات غرب أوروبا فلسطين العربية ، وكان ذلك في الماشر من ديسمبر سنة ١٩١٧ م ؛ تلك السنة التي امتازت بوعده بلفور المشؤم التي بذلته الحكومة البريطانية على لسان المورده آرثر جيمس بلفور وزير خارجيتها في وزارة لويد

Atas, Crusade in the Later Middle Ages, 3 ff., 17 ff., (١)
48 ff., 74 ff., 128 ff., 345 ff., 398 ff., 435 ff., 480 ff.; idem,
Crusade, Commerce and Culture, 92 ff.; Huizinga, Waning
of the Middle Ages, 95—6.

راجع أيضا جورج نيم يوسف : لويس التاسع في الشرق الأوسط ، ص ٣٥٩ — ٣٦٠

جورج ، بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين والتي لعب الصهيوني للعروف
حاييم وايزمان دورا كبيرا في سبيل إسقاطه (١) .

وهكذا نرى أن أمل العرب لم يتخطوا إطلاعا من أطماعهم ونواياهم القديمة ، بل كانوا يتحينون الفرص والظروف المواتية لنشب أخطارهم من جديد في البلدان العربية . وهكذا نرى أيضا أن الحلم القديم من أجل مغزو فلسطين وتفتيت وحدة العرب ، ظل مطورا في ذوايا النسيان مدى خمسة قرون من الزمان ، إلى أن تمكنت القوات المتحالفة من دخولها في آخريات عام ١٩١٧ م ، فأحييت بذلك الروح الصهيونية القديمة ولكن في ثوب جديد يتفق والظروف والأوضاع السائدة آنئذ (٢) .

والواقع أنه ما أن انتهت الحرب العظمى الأولى حتى كان العالم العربي قد خضع بأسره للحكم الإنجليزي الفرنسي الإيطالي وعمم توزيع التركة فيما بينهم .

(١) أنظر : محمد حلوبة : فلسطين وطوائفها ، ص ٩٦ وما يليها . راجع أيضا :

Atiyah, The Arabs, 96 — 100; Atiya, Crus., Commerce and Culture, 161.

ولقد عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن وعد بانفور المائل في سبيل ووسوح في الكلمات التالية : « لقد أمضى من لا يملك وعدا لم لا يمتنع ، ثم استطاع ، لا تأن ، من لا يملك ومن لا يمتنع ، بالقوة والمقدرة أن يلبا صاحب الحق العربي حقه فيما يخصه وفيما يستحقه » .

(٢) فيما يتعلق بالمطامع العرب الأوروبية في الشرق العربي اعتبارا من القرن السادس عشر ، أنظر : Lewis, Arabs in Hist., 165—178. — ولا يجب أن ننسى في هذا المقام المحاولات الاسعابية التي اتخذتها كل من فرنسا وإنجلترا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وتسلق في الحملة الفرنسية على مصر من يوليو ١٧٩٨ م إلى أكتوبر ١٨٠١ م ، والاحتلال البريطاني البلاد سنة ١٨٨٢ م ، وكانت قد سبقه حملتان بريطانيتان الأولى سنة ١٨٠١ م والثانية سنة ١٨٠٦ م مما يكشف عن نيات التوسيع الدائمة ضد الوطن العربي .

في موجب اتفاقية سان ريمو التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٩٢٠ م ، أصبحت فلسطين والأردن والعراق تحت الانتداب ومصر تحت الحماية البريطانية . أما سورية ولبنان فأصبحتا تحت الانتداب الفرنسي . فكان الجمود ونكران الجليل هو الثمن الذي دفعه الغرب للشعوب العربية جزاء وفروها إلى جانبه . وأما دول الشمال الأفريقي فكانت قد خضعت قبل ذلك للاستعمار الأوروبي . فكانت الجزائر وتونس تن من نير الاستعمار الفرنسي ؛ إذ احتل الأول سنة ١٨٣٠ م ووضع يده على الثانية سنة ١٨٨٢ م . بينما احتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١ م ، واحتلت فرنسا مراکش في السنة التالية . وبذلك أصبح العالم العربي كله من المحيط إلى الخليج في قبضة الاستعمار الغربي ، سواء أكان بريطانيا أم فرنسا أم إيطاليا (١) .

وهكذا تتكرر في مصرنا الحاضرة نفس المسرحية القديمة ، ولكن بصورة أخرى مغايرة تتلاءم ومقتضيات الظروف الجديدة وأساليب الاستعمار الجديد . لقد انقلب الغرب الأوروبي من الذين فيما مضى وسيلة لتحقيق مآربه العدوانية في الوطن العربي ، واليوم يسفرعن وجهه ويتخذ من إسرائيل سلاحاً لتحقيق نفس الأهداف ، ضماناً لبقائه واستمراره قروءه ومصالحه على حساب المنطقة وأهلها . رعل هذا لا نحتاج الحق إذا قلنا إن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين

(١) أنظر محمد عبد الحفي حسن : صراع العرب خلال الصور ، ص ١١٠ - ١١٣ .
ويذكر الكاتب البار ادولرد مطية أن أعطاءات فرنسا بالبيعة على حدة للنفقة من العالم العربي إنما ترجع أصولها إلى صراعات الحروب الصليبية التي شنت فيها فرنسا دعور قباضي . وتقول إن وجود جالية كبيرة من المسيحيين الكاثوليك في جبال لبنان في القرون التالية ، كان أمراً يهم فرنسا غاية الأهمية ، إذ ميأ لها الفرصة للتدخل في شئون الحكم والسلم على السواء لأراضي .
أنظر : Atiyah, The Arabs, 98.

العربية السليبة، يعتبر امتداداً لذكر الصليبية نفسها وفصلاً من فصولها المتتابعة، وذلك مع مراعاة الظروف الدولية والتبادلات المالية التي كانت قائمة إبان العدوان الصليبي وتلك التي تسود اليوم (١). وعلى هذا لانحياي الحق أيضاً إذا قلنا إن إسرائيل لم تكن في حقيقة الأمر إلا أثرآسيباً من آثار الاستعمار في عالمنا العربي (٢). فقد خلقتها الغرب في قلب المنطقة لتظل جسراً له وشوكة في جنبات الدول العربية جماء (٣).

وعلى ضوء الحقائق السابقة يمكن تفسير الحركة الصليبية التي قامت منذ حوالي تسعمائة عام حلت، وتضم أصولها وخصائصها، ومعركة حقيقة أهراسها وانحماها وودوا نفسها وأسرارها ودراميتها، والصلة بينها وبين الاستعمار الصهيوني الغربي ضد العالم العربي في شكله الجديد في عصرنا الحديث (٤).

(١) يرى المؤرخ ارنست باركر أن الحروب الصليبية قد امتدت إلى عهد السباحة البحرية البربرية واستكشافات كريستوفر كولمبس أظن : Arnold, Legacy of Islam, 41. أما المؤرخ شارل اوبلان فيرى أن آخر آثار هذه الحروب لم تكن بصفة عامة إلا عند طرد الأتراك البائدة من قبرص (١٥٧١) وكريت (١٦٦٩) وشبه جزيرة ثور (١٧١٥). أظن : Oman, I, 232, n. 1. ويبدو من استمرارنا للاحداث التي تعرض لها العالم العربي منذ قيام الحروب الصليبية، أن آثارها لا تزال قائمة حتى اليوم.

(٢) تناول الرئيس جمال عبد الناصر في محاضرة جامعة القاهرة في ١٩٥٦م، في ختامه العربية، ودور الاستعمار في الحركة، والطامع الصهيونية العالمية في السلم العربي التي تمثل في ذلك السلم الذي يدامم خيالهم وهو تكوين امبراطورية مصرية تمتد من النيل إلى الفرات، وكذلك العرب والمسلمين التي تمتد ما إلى العالم العربي من عدن إلى تكاب. هذه المذاهب من كل جانب، وأولها ضرورة السكك الحديدية الواحد للفتك ثلثي العالم الكبير. أظن : مجلة الثورة عليه الرئيس، من ٦٤ - ٧٥.

(٣) أودع الدكتور محمد حمزة حسن في كتابه : الصهيونية في المحاسن الدول، من ٦٦ - ٩٩ كيف أن الاستعمار خلق إسرائيل في فلسطين لا يكون عنا وصرحاً له في العربي الأوسط العربي.

(٤) أوصفت في مقال « الصهيونية في فلسطين لتتقدم طبعاً للاستعمار الصليبي » المنشور بمجلة العهد الجديد (العدد ١١٤٥ - تاريخ ١٦ مايو ١٩٦٧) - كيف أن إسرائيل في فلسطين اليوم هي امتداد للحوان الصليبي وإن اختلقت الأسماء وتعدت المئات، وبمت أوجه الشبه بين العواصم في مقارعة عليا موضوعية مركزة.

الفصل الثالث

الروم واللاتين

كانت الحروب الصليبية اذن من الحركات الهامة في تاريخ العصور الوسطى ،
ظاهرها لخلاص الرعدة والدين ، وباطنها الامواء والاطماع والشهوات . وقد
اعتاد المؤرخون أن ينظروا إليها باعتبارها حروبا بين أهل الغرب والعرب في
الشرق بقصد الاستيلاء على الاراضى المقدسة . وكلما ذكرت هذه الحركة ذكر
معها الصليب والحلال . ولكن بالرغم من ذلك فقد كانت سببا لاحتكاك اللاتين
بالروم ، واتصال مسيحيو الغرب الكاثوليك بمسيحي الشرق الارثوذكس ،
ذلك الاتصال الذي كانت له نتائج بعيدة المدى في تاريخ ونوع وتطور العلاقات
بين الصليبيين والدولة البيزنطية ؛ والتي سينعكس أثره في موقف كل منهما حيال
الآخر منذ قيام هذه الحركة في آخريات القرن الحادى عشر حتى نهايتها في اواخر
القرن الرابع عشر . وإن ما ترتب على ذلك الاحتكاك من آثار لا يزال حقيقة
قائمة حتى اليوم . وعلى هذا لا نقال إذا قلنا إن العلاقات العدائية التي قامت بين
شئ العالم المسيحي في الحرب الصليبية الأولى ، لا تقل وأهميتها عن حروب
الصليبيين الاستعمارية ضد العرب .

والحرب الصليبية الأولى أهمية خاصة في تاريخ الامبراطورية الرومانية
الشرقية ؛ إذ أنها أول مرة يتقابل فيها اللاتين الغربيين بالروم الاغريق في كثرة
صافية العدد . وقد استمر بعد ذلك الاتصال والاحتكاك بينهما إلى آحاد طويلة
عبر القرون التالية التي ازدحت بأوخم المواقف على العلاقات بين مسيحي
الشرق والغرب أو بين الارثوذكس والكاثوليك ؛ حتى لقد قيل بحق إنه في

ثنائا هذا الصراع الفكري والروحي والمادى والحري ولدت المسألة الشرقية في
المصور الوسطى .

ولتفهم حقيقة هذه العلاقات يجب أن نمد لها بكلمة من أوجه الخلاف
العديدة القائمة بين شق العالم المسيحي قبل قيام الحركة الصليبية نفسها .

لم تكن العلاقات بين اللاتين والافريق في ذلك الحين طيبة أو مرضية .
وكان الشك وعدم الثقة متوقرين على كل منها ، كما كانت أوجه الخلاف بينها في
شق النواحي عاملا ماما على توسيع شقة البغضاء بين الطرفين (١) .

وإذا عدنا قليلا إلى الوراء نجد أن الحروب الصليبية لم تكن المرة الأولى
التي احتك فيها الافريق باللاتين ، فالمة بينها ترجع إلى جهود بعيدة منذ ظهور
المسيحية نفسها . فبعد ظهور الدين الجديد ، أخذ أتباع المسيح ودسه يبشرون
به في أقطار الأرض المعروفة وقتذاك ومن بينها روما . وأخذ الرومانيون
يتركون وتنتهم التي كانوا يدينون بها ، ويدخلون في هذه الديانة الجديدة التي
وجدوا فيها ملاذا وغربا من حالة الفوضى والاضطراب التي كان يعانيها العالم
الروماني القديم في أخريات أيامه من جراء غزوات البرابرة الجرمان . حدث
هذا في أخريات التلويع القديم عندما كان الأباطرة الرومان لا يزالون يسيطرون
على دولة واسعة مترامية الأطراف . وقد هاجم أن للمسيحية كانت تصور إلى
وحداية الله دونهم ، معارضة في ذلك ديانة الدولة التي تمثل في عبادة
الامبراطور ، تلك العبادة التي كانت رمز الوحدة الامبراطورية الرومانية من
ناحية ولسيطرة الامبراطور المطلقة من ناحية أخرى . لذا وجد الأباطرة
في هذه الدعوة منافسا خطيرا لهم ولسطانهم ودولة داخل الدولة ونوعا من

الحياة العظمى التي لا يجوز الكوث عليها ، والتي يجب عقاب كل من يتحدى بها . وحاولوا جهد استطاعتهم طمس معالمها وتغيب اتباعها في المغاور والكهوف . وترتب على ذلك سلسلة من الاضطهادات التي تميز بها تاريخ روما في القرون الأولى للسيحية ، وبخاصة أيام نيرون وفاليريان ودقلديانوس وجاليريوس وماكسنتيوس وغيرهم .

ولكن هذه الاضطهادات لم تمنع الرعايا الرومانيين من اعتناق الدين الجديد الذي اشرقت به البهجة أسر الامبركدين رسمى لها . وكان ذلك في أوائل القرن الرابع الميلادي أيام الامبراطور قسطنطين الكبير . عندما أصدر مرسوم ميلان الشهير سنة ٣١٣ م الذي أجاز رسميا اعتناق الدين المسيحي . (١) وعندما نزلت قبائل الجرمان المتبربرين داخل حدود العالم الروماني في آخريات القرن الخامس ، كانت هذه الديانة قد نأصلت جذورها . وتم تأسيس الكنيسة الرومانية التي أصبح لها شأن خطير في تلويح الصور الوسطى الأوربية وفي سياستها وحضارتها واتجاهاتها داخل القارة وعاجزها . وكان هل داس هذه الكنيسة في روما استقى كغيره من أساقفة العالم المسيحي في الشرق والغرب وقتذاك ولكن أوائل الرجال في العصر الأول مثال الزهد والورع والثوى

Jones, A. H. M., *Constantine and the Conversion of* (١) *Europe* (London, 1961), 29 ff., 46 ff., 79 ff.; Barrow, *The Romans*, 181 sqq.; Katz, *Decline of Rome*, 61-4; Runciman, *Byzantine Civilisation*, 18-9, 23-5.

راجع أيضا شارلز وورث : الامبراطورية الرومانية ، ص ١٧٣-١٨١ و ١٨٧-١٩١ و ٢٠١-٢٠٦ و ٢٩٠ متر - الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٩ كولتون : عالم الصور الوسطى والنظم والمغارة - ترجمة ومليح د. جوزيف ديم يوسف - ط. ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ٤٤ وما بعدها

حتى لاذ الناس بهم فراراً من وجه غزوات الجرمان التي اقتست بالوحشية والعنف .

وفي الوقت أخذت كنيسة روما تتفوق على باقي الكنائس المسيحية ، كما أصبح لأسقفها مركز الصلوة بين أقرانه بعد أن خلاله الجرباقتال الأباطرة إلى القسطنطينية (١) ، تلك المدينة التي جعلوا منها عاصمة العالم الروماني ، خلفه محل روما في ذلك المركز الممتاز وهكذا ورت أسقف روما الفياصرة الألاميين سلطانهم وتقوؤم . (٢) وأخذ يتجه تدريجيا إلى فكرة زعامة الغرب - الأوربي دينيا ودنيويا ، عارولا قدر الاستطاعة الاستقلال والانفصال عن الكنيسة الشرقية التي كانت تنظر هي الأخرى بحق وجودها في القسطنطينية عاصمة الأباطرة اشرقيين كراعية لباقي الكنائس المسيحية . وقد ارتكز أسقف روما لتحقيق استقلاله على نظرية السيادة البطرسيية التي كانت تنادي بأسيية روما وأساقفتها على باقي الكنائس الشرقية . (٣) ورأت الكنيسة البيزنطية في اتهاجمات كنيسة روما اللاتينية نزعة انفصالية خطيرة . فكان هذا إيذانا ببداية الخلاف والشقاق اللامي بين الكنيستين الشرقية والغربية ، الذي استمر طيلة

(١) حول القسطنطينية أنظر الكتاب التالي :

M. R. (tr), Constantiniede, ou description de Constantinople, ancienne et moderne, composée par un philologue et archéologue, traduite du Grec par M. R. Constantinople, 1846.

(٢) أخرج عن ذلك : Runciman, op. cit., 109-110; Stanley, Lectures on the Hist. of the Eastern Church, 214; Katz, op. cit., 123-6. راجع أيضا : ميز : الاموالورية البيزنطية ، ص ٥٦ .

Runciman, op. cit., 39; Baldwin, Med. Church, 22; N. (٣) F. Cantor (ed.), The Medieval World : 300-1300 (New York, 1963), 93 ff.

المصور الرسل وعانت منه المسيحية الأمرين ، وترك آثاره الباقية على العلاقات بين اللاتين والأغريق عندما تقابلا وجها لوجه في الحملة الصليبية الأولى وما تلاها من حملات .

وقد بدأ هذا الخلاف واضحا أيام جريجوري الكبير (٥٩٠ - ٦٠٤ م) الذي حول أسقفية روما في آخريات القرن السادس إلى بابوية لها كيانات ومقوماتها ، وكان هدفه من ذلك العمل على استقلال الكنيسة الغربية عن منافستها الشرقية . ووسع خلفائه الديانة التي ساروا عليها في هذا السبيل . وتحقيقا لذلك نجد أن البابا الروماني ماورين الأول (٦٤٩ - ٦٥٥ م) ينف في أواسط القرن السابع موقفا صلبا تجاه الكنيسة للشرقية واتجاهاتها السياسية والمذهبية . وفي جمع القسطنطينية المسكوني سنة ٦٨٠ م نجد أن بابوية روما تبرز انتصارا كبيرا على القسطنطينية عندما تقرر بطلان بعض عقائدها الدينية التي كان أباطرة بيبي هرقل يعتمدونها ويؤيدونها ، واعتبارها هرطقة (١) . بينما واجه البابا جريجوري الثاني (٧١٥ - ٧٣١ م) مشكلة الحملة على الأقباط التي قام بها الإمبراطور البيزنطي إيو الثالث الأيسوري سنة ٧٢٥ م (٢) . ونراه يشجده

(١) Runciman, op. cit., 116; Sullivan, Heirs of the Roman Empire, 49, 50. والجمع المشار إليه هو الجمع المسكوني السادس في عهد الإمبراطور البيزنطي أغسطس الرابع المعتمد على هرطقة حديفة . وفيه رفض منقب التوفيق القديس يوحنا بن زبدي المونوفلتي ، وهو منقب المنيحة الواحدة المسيح الذي كان أعضاء أسرة هرقل يادعون به .

(٢) كانت هذه الحركة تستهدف تحريم عبادة الصور والاقنونات وكسر التماثيل التي تمثل مسيح وبعدها والقدسين ، الأمر الذي أثار موجة من المحط والنفص في غرب أوروبا . أم كانت تدعو عبادة الصور أسرها طليعا ورثته من ديانتها الوثنية القديمة ، وكان استهدافها من قبله المزعومة والكنيسة الغربية . ويحتمل أن المقام الأول لهذا الإجراء كان دينيا .

تعددا صريحا ، ويضع الرومانيين على إهمال قراراته . وتتخذ المعارضة شكلا قويا عندما أصدر البابا المذكور قراراً يحرم الإمبراطور اللايقوني . ورد ليو عليه بخطوات أشد عتفا ، عندما قرر حرمان بابوية روما من حقوقها وأملاكها في صقلية وجنوب إيطاليا ، كما فصل جميع الكراسي الأسقفية عن روما وحولها إلى بطريرك مدينة القسطنطينية . وهكذا أدى التفتش ضد الصور والأيقونات إلى انقسام صريح بين روما والإمبراطورية البيزنطية ، مما ترتب عليه ضعف سلطة بيزنطة في الغرب بعامه وإيطاليا بصفة خاصة ، وأصبح مثل الإمبراطور في روما مجرد ظل لا حول له ولا طول (١) . ولم تلبث العلاقات بين المسيحيين في الشرق والغرب أن سرحت بأزمة جديدة ، وكان ذلك في فترة حكم الإمبراطورة البيزنطية إيرين (٧٩٧-٨٠٢ م) . إذ قام البابا الروماني ليو الثالث بتتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب ، وحول إليه رسمياً تلك التبعة الشكلية التي كان حتى ذلك التاريخ يعترف بها القسطنطينية . فكان هذا إرساها خطيرا يفصم ذلك الارتباط الواهي الذي ظل قائما بين روما والقسطنطينية منذ

إلا أنه سرعان ما أصبح مصنة سياسية . فامتثلت بابوية روما عند الوقت لانارة اللاتين ضد البيزنطيين الاغريق ، مما كان له أكبر الأثر في ازدياد قوة الخلاف والمعاداة بينهما ، والساحبا هم القرون التالية . انظر : Sullivan, *op. cit.*, 44; Runciman, *op. cit.*, 99-102. ويرى حتى المؤرخون أن القوة على الايقونات كانت تأثيرا سياسيا مباشرا عندما أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك بإزالة الايقونات للوجود في المسكنات الفاخرة داخل حدود دولته باعتباره آتارا الوثنية القديمة . انظر Ostrogorsky, *Byzantine State*, 142-4, 146-7. وكذلك : سدة اسماعيل كاشم : مصر في عصر الفولاء ، ص ١٢١ .

(١) وفيما يتعلق بتأثير السياسة الخارجية التي اتبعتها الأمارة الأيوورية على العلاقات بين بيزنطة وبابوية روما ، انظر :

S. Painter, *Hist. of the Middle Ages* (London, 1966), 46-7.

أيام الإمبراطورية القديمة. (١) ومنذ ذلك الحين أصبحت توجد إمبراطورية رومانية غربية بجانب الإمبراطورية الرومانية الشرقية .

وأما قام الإصلاح الكاثوليكي في الغرب في القرنين العاشر والحادي عشر ، ينادى بأسبقية روما على القسطنطينية وعلى بقية الكنائس المسيحية الشرقية ، وينادى أيضاً بتجديد الدعوة البطرسية لسيادة البابوية العالمية . وبذلك أصبح الانفصال النهائي بين روما والقسطنطينية أمراً لا مندوحة عنه . وقد جاءت القطيعة النهائية في أثناء حكم البابا ليو التاسع من ناحية وبطريركية ميخائيل كيرولاريوس Michael Cerularius من ناحية أخرى . وتحوّرت العلاقات الدينية والسياسية بينهما ، وتعمّدت الأمور واضطربت الأحوال ، حتى إذا كان شهر مايو من سنة ١٠٥٤م انفصلت الكنيستان الشرقية والغربية عن بعضها انفصالاً تاماً لا رجعة فيه ، وهو الذي يعرف عند المؤرخين باسم القطيعة الدينية الكبرى . وكانت هذه العلاقات هي التي أدت في القرون التالية إلى فشل المحاولات العديدة التي بذلت لتوحيد الكنيستين . ويقول أحد المؤرخين الغربيين المحدثين ، وهو ستيفن رانسبان ، إن قصة علاقات الكنيستين الكبيرتين قصة غير مشرفة للعالم المسيحي ، وإنه ليس هناك من فائدة في محاولة تصعيد الحق والباطل أخلاقياً أو تاريخياً (٢) . أما مارشال بلدين فيرى أن هذه القطيعة تعتبر من أسوأ

(١) ديمر : شارلمان ، ص ١٦٨ - ١٨١ . ولزيمر من التفاصيل أنظر هاريمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٣٠ - ٣٥ و ١١٣ - ٢٠٠ .

(٢) راسع عن ذلك : Runciman, op. cit., 119-24; Setton, Hist. of the Crusades, I, 207-13; Daniel Rops, La Cathédrale et la Croix, 493-4. - أنظر كذلك هاريمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٣ و ١٠ . وعند تلون موضوع القضية الدينية الكبرى التي تمت سنة ١٠٥٤م ، ص

الأحداث التي مرت بها المسيحية في تاريخها الطويل ، ولا تزال آثارها الخطيرة
باقية إلى يومنا هذا (١) .

ومع ذلك كانت المسائل الدينية والاعتقالات للمذهبية سببا لإثارة التناحور
الدائم بين روما والقسطنطينية ، إذ أصرت كل منهما على أن تسود وجهة نظرها ،
وحتى أن يكون لها الأسبقية على الأخرى ، وأن يكون لها أيضا السيادة الروحية
على العالم المسيحي ببقية الشرق والغرب . ثم أن هذا الخلاف لم يقتصر على تلك
المسائل المذهبية فحسب ، بل تعداها كما رأينا إلى أمور أخرى ظاهرها الغرض
الديني وحقيقتها الاطماع السياسية ، مما أدى إلى فشل جميع المحاولات التي بذلتها
للاصلاح بين الطرفين (٢) .

يضاف إلى ما تقدم أن الامبراطور قسطنطين عندما أسس مدينة القسطنطينية
هذه اتصال البسفور ببحر مرمرة ، أصبحت تلك المدينة عاصمة العالم الروماني أو
روما الجديدة ، وانتقل إليها الأباطرة الرومان ، وأسس الكرمسي الامبراطور
في روما القديمة حاليا . فكان هذا مما زاد العلاقات بينهما سورا . إذ أصبح روما

== يجب أن نعرف بها وبين الشقاق الذي في الغرب الأوسط في أواخر القرن الرابع عشر
وأوائل القرن الخامس عشر (١٣٧٨ - ١٤١٧ م) . فالشقاق الأول شقاق مدعي سياسي
بين كاثوليك الشرق والغرب أو بين القسطنطينية وروما ، بين الثاني شقاق ديني في مظهره
— أسس في حقيقته وجوده دليل الكمية الكاثوليكية الغربية كلها ، أي كيسة روم
الاسكندرية — راجع عن ذلك : Waugh, Hist. of Europe, 105, 120 sqq.

Baldwin, Med. Church, 93, 98. (١)

(٢) أنظر مشرق : تاريخ أوروبا في الصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٧٥ . وقد عرّف
الكتور عمر كمال موفق لموضوع التفرع الذي بين روما والقسطنطينية والآنظر الفقرة عليه في
العلامات جنبها في دراسة تحليلية واسعة في مؤلفه : تاريخ الامبراطورية البيزنطية (الاسكندرية
١٩٦٧) ص ٣٨ - ٤٠ .

وهي العاصمة القديمة للعالم الروماني تنظر بين الحسد والتيرة والحق إلى
القسطنطينية بحث وجود الأباطرة فيها ، ولما أصبحت تمتدح به من مكانة عظيمة
ومركز ممتاز وتفوق ظاهر ومدنية زاهرة (١) . هذا بيننا كان العالم الغربي وقتذاك
في حالة انحور وانهار في شتى مناحي الحضارة بسبب الغزوات الجرمانية المدمرة .

لقد اعتبر البيزنطيون أنفسهم بحكم ومنهم الجديد لا ورة اليونان القديمة
وحضارتهم الزاهرة فحسب ، بل ورة القوة الرومانية كذلك . واعتبروا
الفرجة والنورمان والألمان وغيرهم فروعا من الناحية المتبريرة التي لا ترق إليهم
بمحال . كما اعتبروا امبراطورية شارلمان التي باركتها بابوية روما وأمدتها بتأييدها
اختصاصا واقتناقا على حقوقهم (٢) .

ولملا عن هذا وذلك ، فقد كانت المسألة اللغوية عاملا هاما على وجود
التنازع وفتح الثغرات لسوء التفاهم بين الغرب والشرق . فبدأ القرن السابع
الميلادي اتخذت الامبراطورية البيزنطية طريقا شرقيا هيلينيا خالصا عندما
أصبحت اليونانية هي اللغة الرسمية فيها وفي القسطنطينية بالذات ، في الوقت الذي
كانت فيه اللغة اللاتينية في طور الاحتضار ، وأخذ المنصر الروماني فيها في الزوال
بسرعة هائلة (٣) . هذا ، يبدأ أخذ المتكلمون باليونانية يقل عددهم قليلا عسوسة في
غرب أوروبا وفي روما بصفة خاصة . بمعنى أن الجزء الغربي من أوروبا أصبح

(١) أومل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٥ ، راجع أيضا :

Heer, Med. World, 100.

(٢) فخر : تاريخ المراجع والصفحة راجع أيضا خاركان وإيرا كلاب : القوة والامبراطورية

في الصور الواسعة (الترجمة العربية) ، ص ٢٢ - ٢٣ و ٣٢ - ٣٥ و ١٩٨ وما بعده

(٣) Runciman, op. cit., 44; Stanley, op. cit., 215-8. راجع

أيضا : أومل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١١١ - ١١٣ : شارلمان وورث : الامبراطورية
ارومانية ، ص ٢٢٥ .

بالصبغة اللاتينية البحتة ، بينما انطبع الجوه الشرق بطابع هيليني اغريقى عالمي . كما اختلفت العادات والتقاليد في التسمين اختلافاً عجيباً بينا^(١) . وغد بلغت هذه الحالة ذروتها في الحملة الصليبية الأولى عندما نزل الفرنج في أراضي الدولة البيزنطية . إذ تذكر آن كورنيل أن اسما - أولئك الصليبيين كانت حرية طليهم ، ولم يكن من السهل نطقها . وفي موضع آخر من كتابها تقول إن بزنطة كانت تعتمد على المترجمين الذين يجيدون اللسان اللاتيني كواسطة بينهم وبين أولئك القوم ، وإن أبابا الامبراطور لم يفهم من أحاديث اللاتين شيئاً اللهم إلا من مهمة شفاهم^(٢) .

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت بزنطة تشعر بشيء من القلق حيال اللاتين بصفة عامة ، وكانت نظرتها إليهم كشعباً أجنبية وعدم الاطمئنان . إذ سبق أن استخدمتهم في جيوشها كمرتزقة ، وهي تعلم جيداً مدى جشعهم وأطماعهم ، وأنهم كانوا على استعداد للخدمة في جيش أي حاكم أو أمير يفدق عليهم المال . وكانوا هم أيضاً يعلون مواطن القوة والضعف في البلاد . ثم أن الذكريات الآتية التي تركتها حملة روبرت جويسكار وابنه يوهينند الثورماندي في أراضي بزنطة قبل قيام الحملة الصليبية الأولى يوضح سنوات ، كانت لارتال مائة في الأذهان^(٣) .

لقد كان سوء التفاهم متوجراً بين الفريقين ، وازداد العداء فيما بعد شدة نتيجة لهذه الحملة . لاطالين في القسطنطينية سنة ١١٨٢ م . وبلغت الحالة نهايتها الحزيرة سنة

(١) Humeiman, op. cit., 16-7; Baldwin, op. cit., 96. عتبر الامبراطورية البيزنطية في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادي ، انظر هرمان توبين : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٤١ - ٤٢ .
(٢) Alexiad, 263, 264 - انظر أيضاً المصطلحات للرجة من كتابه الالكباد في المجلد الثالث بآخر الكتاب .
(٣) نعرض ذلك بجزء من التفصيل في المصطلحات التالية ، وكذلك في الفصل الخامس من الكتاب عند عرض حملة يوهينند الثورماندي .

١٢٠٤ م في الحملة الصليبية الرابعة التي قضت على الأمل الأخير لاتحاد حقيق بين اللاتين والاعرقى المنشقين في نظر الكنيسة الرومانية (١).

يتضح من هذه الالمامة السريعة أن العلاقات بين المسيحيين في الشرق والغرب قبيل الحركة الصليبية لم تكن قائمة على الود أو حسن التفاهم. فقد كان الاختلاف المذهبي، وتعامل القوي، ثم التباين الحضاري، وأخيراً حب السيطرة وعدم الثقة بين الطرفين - كانت كل هذه الخلافات والمعارفات سبباً لإثارة النزاع الدائم بين الاعريق واللاتين، حيث حل الجفاء بينهما على الصفاء، وبات كل فريق منها ينظر إلى الآخر باعتباره عدوه اللدود. فكان اللاتين يفتقدون على الاعريق المنشقين وينشكون فيهم وفي نواياهم ويحسدونهم على ثروتهم وحضارتهم، بينما احتقر الاعريق المراطفة اللاتين الألفاظ. لقد كان كل فريق يستعد أن الفريق الآخر مهرطق، وكان كل منهما يمثل حضارة ذات طابع مخالف للحضارة الآخر. ولذا لم يفهم كلامها صاحبه فيها تاماً صحيحاً، وكان لهذا أثره الفعّال في العلاقات بين الصليبيين والدولة البيزنطية عندما تم الاحتكاك بينهما منذ أواخر القرن الحادي عشر.

لم يكن إذن أول اتصال بين أهل الغرب والبيزنطيين ودياً أو طيباً. ولهذا لم يستطع البيزنطيون تفهم حقيقة تلك الحركة الصليبية الراسمة النطاق. كما أزعجوا عندما علموا بوصول زعماء الفرنج إلى القسطنطينية، وظنوا أنهم إنما يريدون الاستيلاء على العاصمة البيزنطية وليس الأراضي المقدسة وفقاً لرواية

(١) أظن: Runciman, op. cit., 124-8. وفيما يتعلق بالآثار التي تركتها على استيلاء اللاتين على القسطنطينية في الحملة الرابعة وتأسيس إمبراطورية لاتينية بها، أظن أنه كان توماس: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٩ والصفحات التالية.

أن كومنيد (١) . لذا لم يأمنوا جانب الصليبيين واحتاطوا عنهم . وتندسلكت القوات اللاتينية - على حد قول بطرس الناسك نفسه - مسلك الصومس وقطاع الطرق ، ولم يكن رؤسائهم بأفضل منهم . وتصفهم الأمانة أن كومنيد - وكان عمرها أربعة عشر سنة عند وصول القوات الصليبية إلى بيزانطة - بأنهم قوم متقلبون لا يثبتون على رأي ولا يقفون على حال ، يحبون المال مشغوفون ، متفطرسون . وقد كتب عنهم يقول : إن العنصر اللاتيني هو أكثر جميع الأمم جهما وحبا للمال . وقد يهرم نراء القسطنطينية وعظمتها ، ثم يردم هذا إلا طلع في الاستيلاء عليها . وفي موضع آخر من كتابها تقول : أنهم يبدون كأطفال كبار قليل التربية ، بدائيين نوعا . شديدي الثروة ، مزعجين للغاية ، وأنهم لم يفعلوا شيئا لتهدئة الخواطر المستامة من تصرفاتهم (٢) .

ولقد كان اشتقاق عام ١٠٥٤ م الذي فصل الكنيسة الشرقية عن البابوية في روما لا يزال حديث العهد في أذهان المعاصرين . وهذا ما جعل الصليبيين الكاثوليك يشعرون بالكراهية والحقد والاحتقار نحو الاغريق الارثوذكس الملتصقين في نظرم . ولما كان البيزنطيون يبالغون في معاملة الصليبيين معاملة رسمية فحسب ، وينسكون بحرفية لتقاليد وجاهلهم لهم ، شعر الصليبيون بأن مصيبيهم إنما يجاهلونهم بمعاملة سطحية غير صادقة من اعماق قلوبهم . فكان هذا في نظرم دليلا جديدا على عدم صفاء نياتهم نحوهم ، وكانوا يتوجهون

(١) وهنا نؤكد ما سبق أن قلنا إليه من أن الحصاب المذموم إلى " كيمبر كومنيد " ، والذي يقال إنه منتهى إلى دوبرت أمير الأراضي الرومانية ، هو حثيث مرمره مدسوس عليه لتحقيق أهدافه السعوان الترقى ضد العالم الغربي والذولة الرسمية على أيدي .
(٢) Alexiad, 248, 250, 258, 263, 266. راجع أيضا الكتاب التالي .

جيدة من أن يكون البيزنطيين من وراء تلك المجاملات غايات خبيثة ونوايا سيئة . يضاف إلى ذلك أن الفرنج كانوا يناوون من البيزنطيين نظرا لتفوقهم عليهم في الحساسة والدنية ، كما كانوا لا يتقون فيهم ويشعرون في نفس الوقت بمس الإطمئنان إلى ذلك الوسط الجديد الذي انتقلوا إليه (١) . وهذا يفسر لنا موقف كل من الصليبيين والبيزنطيين حيال الآخر في الحقبة الأولى ومضاعفاته في الاحقاب التالية . ومن هنا أيضا قدمت عصابات جوتيه المدم ومن بعدها جماعات بطرس التامسك ، وأخلت تعيث فسادا في أراضي الدولة البيزنطية ، لم تكن الظروف مئية أو مواتية لحسن التضامن . إذ سرعان ما احتاط الامبراطور البيزنطي للأمر ، ووضع الخطوط العريضة لسياسته حيالهم ، والتي كانت تهدف أولا وأخيرا إلى العمل على حماية دولته وعاصمته من مسك هؤلاء القوم وتصرفاتهم المريبة .

لم يكن بطرس التامسك هو أول من وصل إلى القسطنطينية من أهل الغرب ، فقد وصل قبله جوتيه المدم وجماعة من الرومانيون والنورمانديين . ويظهر أنهم كانوا قلقا بالنسبة للقجوش الصليبية الأخرى التي جاءت بعدهم ، حتى أن مصادر العصر لم تنس إليهم إلا إشارات سريعة خاطفة . ولم تترك هذه الجماعات أثرا يذكر في تاريخ العلاقات بين اللاتين والارمن ، اللهم إلا الشكوك التي سادت البيزنطيين حيال الفرنج بصفة عامة . وبعد ذلك وصلت عصابات بطرس ، وكانت كثيرة العدد قليلة المدة يعوزها النظام وحسن الإعداد . وقد فوجئ الامبراطور البيزنطي عندما علم بوصول هذه الجموع المتفيرة في غير نظام ، وازدحج بما أحدثته في أراضيه من أعمال التدمير ، الأمر الذي أكد شكوكه وغارقه .

لقد وجد الامبراطور أن هذه المشكلة التي واجهته تتطلب إيجاد حل سريع ، قبل أن يستعجل الأمر ويتفاقم الخطر . حقيقة أن الكيس لم يستع الفرنج . ولكنه لم يكن يستطيع الخيلولة دون مرورهم عبر أراضي إمبراطوريته ، وهو الذي كانت بنفسه القروات الكافية للتصدي لهم وإبعادهم عن بلاده . وكان الهدف الذي يرس إليه هو التخلص بأسرع ما يمكن من تلك الجماهير بعد أن وجد أنها ستشكل خطرا حقيقيا يهدد إمبراطوريته ويأصمت بصفة خاصة . لذلك حول منذ البداية على أن يرسم لنفسه خطة يسير عليها وبرنامجا يتدى به ، حتى يحفظ دولته من شر هذه الجيوش ، مع العمل على الانتفاع بها - إذا تيسر ذلك وفي الوقت المناسب - لخدمة مصالحه (١) .

وقد بدأت المعالم الأولى من خطة الكيس تتضح خيوطها أثناء خلق جوثيه المخدم وبطرس الناسك . فبعد أعمال العنف التي اقترفتها صابلات جوثيه في الأراضي المجرية وفي بيزنطة ، أخذ الامبراطور ينكر جديا كيف يتجر بدولته من حيث أولئك القوم ، وكيف يوقظهم عند حذمهم إذا عادوا في غيهم واستهتارهم . وتأكدت عفاونه وشكوكه حيالهم بعد أعمال التخريب التي أحدثتها جماعات بطرس الناسك ، حتى أن أحد رؤساء الأساقفة البيزنطيين الذي شاهد بطرس ورجاله أثناء مرورهم عبر الأراضي البيزنطية ، قال بصنهم : « ان مرور أوغوزو الفرنج ، ولا أدوى أيها الأسع ، قد أدخلنا وشغلنا إلى حد يتنا لا نسر منه بأقمننا » (٢) . وكان هذا أمرا خطيرا يستدعي البحث والدراسة من جانب بيزنطة لمواجهة كافة الاحتمالات المترتبة . ولم

(١) Diehl, IX, 17-8; cf. also Ostrogorsky, 322.

(٢) يعبر رئيس الأساقفة المشار إليه : d'Ochrida Theophylactr . انظر : Diehl, IX, 18.

تمكن الدلائل أو المقدمات تبشر بأي خير . فكان لا بد للإمبراطور من اتخاذ سياسة معينة مرسومة محددة للعالم محبوك الأطراف ، وهو يعلم أن الجيوش الصليبية النظامية في طريقها إلى عاصمة ملكه ، وذلك قبل حدوث مضاعفات جديدة قد تأتي على الأخضر واليابس . وكانت خطته تهدف إلى حماية دولته من جيشهم حتى ولو أدى الأمر إلى التخلص منهم مثلما فعل عندما أرسل دجال بطرس إلى الضفة الآسيوية للسفر وحفظاً للقسطنطينية من تصرفاتهم ، فكان في ذلك هلاكهم على أيدي السلاجقة (١) .

أقد نبهت هذه الحوادث الكيس إلى الخطر الذي سوف تتعرض له البلاد ، وأعادته إلى الأذهان ذكرى الحرب التي شنها التورمانديون على الدولة البيزنطية قبل قيام الحرب الصليبية الأولى بضع سنوات (١٠٨١ - ١٠٨٥ م) ، فأدرك بذلك جرحاً قديماً لم يتحمل بحد . فلم ينس الكيس أن دوبرت جويسكار دوق أيرلندا التورماندي (١٠٤٧ - ١٠٨٥ م) وابنه بروجيمند قد هاجما إمبراطورته وعرضها لخطر كبير (٢) . وقد علمته تلك الحروب الغربية الانقطاعية ألا يستهن بأولئك القوم ، خاصة أنه هو وأسلانه قد لجأوا إلى استخدام جنود مرتزقة من الغرب في جيوشهم . وقد قد كر كل هذا عندما انتهت بحائل الفرجع النظاميين داخل الأراضي البيزنطية . ولذا كانت تصرفاته تدل بجلد على أنه كان يخشى تهديدهم لبيزنطة ، وأنه يكن يسعى جامداً لحصر تيار هذه الحروب التوسعية ومنعها من الامتداد حتى لا تعرف في طريقها كل شهرة .

لم يدرك الإمبراطور الأهداف الحقيقية البعيدة المدى التي قامت من أجلها

(١) انظر فيما بعد ، الفصل الرابع من هذا المصنف .

La Monte, The World of the Middle Ages (New York, (٢)
1949), 143-4, 259-60, 277 8, 323-4; S. Painter, A History of the
Middle Ages, 284-1500 (London, 1966), 50, 197 8, 203.

الحركة الصليبية ، وهي اقتراح الاداضي المقدسة من قبضة العرب . ونظرا إلى المسألة من وجهة نظر بيزنطية بحث (١) . وقد انتقد بعض المؤرخين مسلك هذا اقتضاداً مرأ ، ونسوا أن هؤلاء الصليبيين قد اعتدوا على أراضي الدولة البيزنطية ، ولم يتورعوا عن قتل الكهنة ورجال الدين بحجة أنهم هراطقة على حد قول بطرس الناسك نفسه وبعض مؤرخي الحقبة من اللاتين والاميرة آن كورنيج (٢) .

على أي حال ، انزعج الامبراطور البيزنطي بوصول القسوس الصنيعة النظامية ، ولكنه وبعد ألا مفر من مواجهة الأمر الواقع ، ورأى بثاقب نظره أن يرحب بهم وألا يسوء معاملتهم ظالماً في أراضيهم ، وأن يعمل على استئناسهم اليه والانتفاع بهم لخدمة أغراضه وتحسين مآربه السياسية والعسكرية . ولكن يكفل سياسته هذه النجاح استعانة بالوسيلة المعروفة ألا وهي المال ، إذ كان الصليبيون قوم يشتهون المال . فلم يتردد الكيس في بذل مبالغ طائلة وثروات هائلة بغية إغلاء إرادته عليهم . وبوصفه امبراطوراً للدولة الرومانية الشرقية ، لم يقبل معاملة رؤساء الفرنج له ، وهم دونه في المرتبة ، معاملة أندلس . لذلك طلب اليهم أن يقسموا له بحجة التبعية والولاء ، وهو قسم يشارب ما يؤديه المسود لسيد من إقطاعه في غرب أوروبا (٣) ، فيمنحهم بذلك تيجيتهم له

(١) فيما يتعلق بالتناقض بين المروءة الصليبية التي بعثت بها مايوية روما والمروءة التي أرادتها بيزنطة وعدم التوافق في الأغراض بينهما ، انظر : سميد عاشور : أوروبا المصدور لوسلي ، ج ١ ، ص ٤١٥ ؛ فخر : تاريخ أوروبا في الصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٧٤ ؛ عمر كمال توفيق : مقدسات العصور الصليبية ، ص ٨٧ وما يليها ؛ عمر كمال عويش : الامبراطور قصور فوكس واسترجاع الأراضي المقدسة ، ص ٦ ومايليها و ٤٧ - ٤٨ ؛ مصطفى الحكمة : سيم الدولة العثمانية ، ص ١٣٨ - ١٤٣ .

(٢) Chalandon, Alexis Comnène, 161; cf. also Ostrogorsky, 321.

(٣) سنتناول هذا القسم بعينه من التفصيل فيما يبدء في الفصل الخامس من هذا البحث
أخر أيضاً ما جاء من هذا القسم في المبحث الثالث والخامس بآخر الكتاب .

وخضوعهم لسيطرته وإذعانهم لمطالبه ، وليتقى شرهم أولاً وقبل كل شيء . لذا أغدق عليهم المال وأمنهم بنصائحه وإرشاداته ، وزودهم بما يحتاجون إليه من مؤن وحلأه ، حتى يخطووا إلى السكينة ويكفوا عن أعمال التخريب . وبالرغم من الصعوبات التي واجهته في بعض الأحيان ، استطاع تحقيق أغراضه وتطبيق سياسته تطبيقاً عملياً . فتمسك بالعطف واللين وبذل الهدايا وتوزيع المال حيناً ، وباستخدام القوة وفرض مراقبة الامدادات وقطعها عنهم حيناً آخر . تمكن بهذه الوسائل من الانتفاع بضيوفه المزعجين القلاء الذين لم يستفيد بهم ، وكان يريد التخلص منهم بأي وسيلة وفي أسرع وقت (١) .

ويمكن استنتاج سياسة الكيس حيال الصليبيين من كتابات ابنته آن كومنين . فقد كان الامبراطور يتوجس خيفة من هذه الجيوش الغربية ومن أعمال العدوان التي قد تحدثها في دوائه . وكانت خطته التي سار عليها هي المحافظة على بلاده من شرورهم ، ثم منعهم من التجمع أمام أسوار القسطنطينية حتى لا تتعرض للخطر . فكان عندما يعلم يقرب وصول فرج من الألواج الصليبية ، يبعث رجالاً من قبله لإحراجهم من حسن نواياه حيالهم ، وإدخال الطمأنينة إلى نفوسهم . ولم تقتصر مهمة الرسل عند هذا الحد ، بل كانوا يقومون بدراسة أولئك اللاتين ومعرفة حقيقة أغراضهم ، ثم يزدرون الامبراطور بكافة المعلومات اللازمة عنهم حتى يحتاط لنفسه ويؤمّن خطرهم (٢) .

وفصلاً عن ذلك فقد كان يرسل مندوبين عنه ليطالبوا من زعماء الفرنج منع

Diehl, IX, 18; cf. also Baynes & Moss, Byzantium, 29-30. (١)
Paunter, op. cit., 203.

Chalandon, Première Croisade, 70-L. (٢)

جنودهم من إحدات الخشب في الأراضي البيزنطية ، ثم التوجه فوراً إلى العاصمة لمساعدة الإمبراطور وحلف يمين التبعية والولاء له . كما كان سفراء الإمبراطور يسيطرون هؤلاء علما بأن أسهم سيكون موضع ضابطة ودرأية من حيث تهيئة وسائل الراحة وسبل العيش والإقامة لهم . وكان الكيسر في بعض الوقت يرسل الكتابات من جنده لمراقبة الفريج عن كثب حتى لا يبيدوا عن الطريق الذي رسمه لهم ، ويفنصوهم من الاعتماد على الألمان ويمتلكانهم إذا ما ساروا لهم نفوسهم ذلك . وقد أنيط للقيام بهذه العملية جماعة البتشيح Pechenegs (١) والكومان Kumans والترسكوبول Tarcopoles (٢) ، وكانوا يعملون كمرتزقة في خدمة الدولة البيزنطية . وكان الجيش البيزنطي يلجأ في بعض الأحيان إلى استخدام الصنف إذا ما عاجم الصليبيون قرية من القرى أو أعمالا السلب في ضاحية من الضواحي ، ويلاحظ أيضا أن هجوم الجيش البيزنطي كان يحدث دائما عقب اعتداء اللاتين على البيزنطيين . وغير ذلك فقد كان الإمبراطور يصدر الأوامر والتعليمات إلى عماله في الأقاليم بفرض الرقابة المستمرة على الصليبيين خلال سروجهم عبر أراضي إمبراطوريته ، وأن يحضروه أولا بأول بنحر كل منهم وسكناتهم حتى يكون على بينة من أمرهم . كما أوصى رجاله بأن يحسنوا استقبال قادتهم لاكتسابهم إلى صفه ، كذلك كانت هناك قوات بيزنطية تسير في مقدمة ومؤخرة الجيوش الصليبية لتنظيم عملية سيرها ، فضلا عن قوات

(١) يطلق عليهم أيضا الجبالاكية ، وهم من الماصر التركية التي عبرت المانوب إلى حوض الإمبراطورية البيزنطية . وفيما يطلق بالرائس التي تناوبت تاريخ هؤلاء القوم في القرن الحادي عشر وعاشهم بيزنطة ، أنظر :

Setton. Hist. of the Crusades, I, 181 n. 3.

(٢) وها من القبائل التركية التي خدمت كمرتزقة في الجيش البيزنطي . أنظر عن ذلك : Setton, op. cit., I, 215, 261, 354, sq., 359.

أخرى كانت تطوق هذه الجيوش أثناء مرورها . والهدف من ذلك هو الحيلولة بين الصليبيين وبين القيام بأي عمل عدائي ضد الدولة .

وقد اتبع الامبراطور الكسيس هذه السياسة التي رسمها لنفسه بمخافتها مع جميع الجيوش الصليبية النظامية التي كانت تتوافد تباعا على عاصمة ملوكه ، ولجس في تنفيذها إلى حد كبير . كما أبدى صبرا عصبيا وجلدا زائدا في معالجته للوقوف . وتوافد رؤساء الحلة الصليبية تباعا إلى القصر الامبراطوري حيث أقسموا له بين الطاعة والإخلاص ما حدا ريمون ده سان جبل كونت تولوز وتنكريد ابن أخيه بوهيمند لأسباب سيأتى ذكرها فيما بعد . وجدير بالذكر أن فكرة أداء اليمين المذكور بين يدي الامبراطور البيزنطي لقتال السلاجقة تحقيقا لمصلحته ، قد لقيت معارضة شديدة من بعض رؤساء الحلة الصليبية وكبار وجاتها ، بينما أسرع البعض الآخر بحلف هذا اليمين دون أية صعوبة إما بسبب حسن معاملة الكسيس لهم ، أو تهيض ضغوط الظروف الملحة . وكان هيوغ شقيق الملك الفرنسي هو أول من استجاب لرغبة الامبراطور . ولم يكتف بالالتزام بتعهداته له ، وإنما أضفى فيما بعد من أخلص أصواته العاملين في خدمته . وتبعه بعد ذلك ورجال مثل جودفري وبوهيمند وروبرت كونت نورماندي ورايمون كونت بلوا الذي امتدح الامبراطور البيزنطي في أحد خطاباته التي بعث بها من الشرق إلى زوجته في الغرب . (١) وكانت النتيجة أن عقد اتفاق بين الامبراطور والصليبيين تهدد اللاتين بمقتضاه أن يردوا لبيزنطة الأقاليم والمدن التي كانت من ممتلكاتها في الماضي ، وذلك بعد الاستيلاء عليها . كما وهدم الامبراطور بإرسال جيش

(١) Ghalandon, Première Crois., 120 L. أخر الحق ار - ح

تأخر المصنف .

يزبط على مساعدتهم وامدادهم بالقوة على طول الطريق (١) .

من هذا العرض يتضح أن خطة الكيس حيال الصليبيين بعد أن تبلورت واتخذت شكلها النهائي ، كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو ثلاث مراحل رئيسية هي :
أولاً - كان هدف الامبراطور الأساسي هو المحافظة على دولته بما قد تهدده هذه الجياعات الصليبية من أعمال النهب والتدمير . ومن الثابت الذي لا شك فيه أنه فكر في ذلك عندما علم بوصول قوات بطرس الناسك ومن قبلها قوات جوتيهب المعظم ، وما أحدثته في أراضيه من اضطراب . وكانت خطته التي اتبناها في هذا الصدد هي فرض رقابة معددة عليهم ، تلك الرقابة التي تعددت صورها ومظاهرها .

ثانياً - بعد ذلك عمل الكيس جاهداً على منع الجيوش الصليبية المتسنة من التجمع أمام أسوار القسطنطينية حتى لا يؤدي هذا إلى تضييق العاصمة بالخطر ، وحتى لا يجد نفسه منظرأ في وضع ما إلى قتال أولئك القوم دفعة واحدة ، فيحدث ما لا يحمد عقباه . ويتضح من النصوص والوثائق التاريخية أن هذه الفكرة نهت في ذهنه بعد أن وصلت قوات جودفري إلى القسطنطينية ، بينما كان جيش بويموند النورماندي في طريقه إليها . فعمل الكيس على أن يشمل بدوق اللورين السفلى ويتفاهم معه قبل وصول عدوه القديم بويموند ، حتى

(١) انظر كتاب : Alexiad, 248-68 حفا وستناول غاسيل الخطة والامان المؤيد عنها أعلاه بعض من الاسباب والتحليل في الفصول التالية من الكتاب . انظر أيضاً الترجمة العربية لقصم التي أعادها الملاحون أمام الامبراطور البيزنطي فلان من كتاب للزوخ المعروف في الملحق الخامس بآخر الكتاب .

لا ينضم الجيش النورماندى إلى الجيش القوطى حتى مما قد يترتب عليه تهديد
للعاصمة أو على الأقل أحداث ارتباك فيها .

ثالثا - بعد أن رسم الامبراطور سياسته على هذا النحو للحفاظ على
امبراطوريته وعاصمته من عدوان الجيوش الصليبية ، رأى أن الحكمة تمل
فيه الانتفاع هؤلاء القوم واستخدامهم لمصلحته ، فيختلف بواسطتهم الرعب
في الجيوش السلجوقية التي كانت تناصبه العداء ، ويعتقروا له أفراسه السياسة
التي تنحصر في استرداد المناطق والآقالم التي كان الاتراك قد استولوا عليها من
بزنطة منذ عهد قريب . (١) وهناك أكثر من دليل على ذلك ، فراء يستخدم
الفرنج ضد الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى وفي الاستيلاء على نيقية
ودوريليوم وغيرها ، وأغلب الظن أن فكرة استخدام الصليبيين لمصلحته لم
تخطر في ذهنه إلا متأخرا ، أو على الأكثر ، بعد أن آمن جانبهم ، وبعد أن
أنسموا له بيمين الولاء ، وبعد أن وجد العناصر العسكرية الكافية المدربة التي
يمكنه الإفادة منها . ولعل قد فكر في الانتفاع بالآلاف المؤلفة من قوات
بطرس الشعبية كما لو كانت جندا مرتدة في خدمته . ولكن الأمر لم يكن سهلا
أو ميسورا وقتذاك بسبب ضعف هذه الجماعات من الوجهة الحربية والعناصر
التي كانت تنافس منها . فقد أدرك السكيس بثاقب نظره أنه لن يمكنه تلقى أية
معارضة جديّة من أولئك الحجاج الذين أحضروا معه ذلك التأسك ، إذ كان
معظمهم من الرهبان والنساء والشيوخ والأطفال . فضلا عن شرائهم من القنلة
والجرمين وقطاع الطرق والصومس ، بينما كان النصر العسكري معدوما في

Runciman, Byzantine Civilization, 53; Daniel - Roper, 551. (١)

جيشه ، وهو الأمر الذي يصبه غاية الأهمية . (١) بل كان أشد ما يعناقه هو وجود مثل هذه المصائب المشاغبة . ولعل فكرة الانتفاع باللاتين قد طغت بنفعه منذ وصول بطرس وقواته ، وأصبحت جزءا أساسيا من سياسته بعد وصول القوات النظامية .

ولأجل تنفيذ خطته بمراحلها الثلاث ، وفرض لوراده على الصليبيين ، استعان بالمال والحيلة الهباء ، كما التجأ إلى القوة ولوح لهم بمسألة التعمين . ولقد كان لهذه الوسائل أثر فعال في نجاح سياسة الكسبيس . فأجزل لهم العطاء ، وأمدم بالمؤونة والزاد ، وأحسن استقبال رؤسائهم ، وأغنى عليهم المنح والهدايا ، إلا أنه كان يشتد في معاملتهم ويقطع عنهم التعمين عندما يحيدون عن جادة الطريق الذي رسمه لهم . فقد حدث أن قطّعت التعمين من جيش جودفري أكثر من مرة عندما رفض هذا الأخير حلف عين الولاء . وأعيروا التجأ إلى القوة العسكرية وهاجمه وألحق به الخسارة ، حتى أن النوق الوثائق اضطر في نهاية الأمر عندما أصبح جيشه مهددا بالهزيمة والقضاء إلى الإذعان لمطالب الأمير أطور واجابة رغباته وحلف البيعة المطلوب .

وعلى الرغم من أن المؤرخين القريبين المعاصرين لأحداث تلك الفترة من كانوا شهود عيان لما مثل التورخ المجهول وريمون داجيل وفوشيه ده شارتر ، قد اتهموا الكسبيس بالانحراف والحياة والحبث والهباء ، إلا أنهم أجمعوا على أنه أحسن إلى الصليبيين وأجزل لهم العطاء وأمدمهم بالاقوات اللازمة . وقد ذكر

مؤرخ حلة يوهيمتد أكثر من مرة أن البيزنطيين كانوا يمدون الفرنج بالطعام ويتبرعون لهم بالصدقات عند مرورهم يمدتهم (١) . ويمكن أن نلحظ من الخطاب الذي أرسله إيتين كونت بلوا وشارتر إلى زوجته أديل باوردو في يونيو سنة ١٠٩٧ م من المسكر الصليبي بالقرب من مدينة نيقية ، مدى كرم الامبراطور البيزنطي وحسن معاملته لهم ، وعطف البيزنطيين عموما على الفقراء والمهوزين من الفرنج (٢) . وقد نجح المؤرخ البرت دكس هيج الفارس إيتين في موقفه المحايد بين اللاتين والأغريق . وفي هذا كله اعتراف ضمني بحسن نية الامبراطور والدولة البيزنطية إزاء اللاتين .

لقد شرحنا سياسة الكسفس حيال الفرنج والوسائل التي استعان بها لتنفيذ هذه السياسة ، ويمكن بنا أن نلقى نظرة سريعة على الجانب الآخر من الموضوع ، ونرى موقف الصليبيين من الدولة البيزنطية .

ذكرنا أن الحركة الصليبية لم تكن ظاهرة على أمة أو دولة أو مجلس معين ، إنما اشتركت فيها جميع أمم الغرب الأوروبي من فرنسيين وإيطاليين وألمان وإنجليز وفلمنكيين وغيرهم . واشتملت كذلك على عناصر من مختلف الطبقات ، فكان فيها النبلاء وكبار دجل الاقطاع والفرسان ودجل القديس ، وبجانبهم أعداد غفيرة

(١) أنظر : Anonymi Gesta Francorum, Capitulum III, 147.

(٢) أنظر الخطاب المذكور في : Stephanus, comes Carnotensis ad Adelem, Epistola, B.H.C. - H. Occ., III, 885-6. والخطاب منقول أيضا في : Hagenmeyer (Ed.), Epistolae et chartae, 138 - 40. ومحمد الحارثي في نظام الفصل الخامس ترجمة عمية لبعض فترات الخطاب . أنظر أيضا للمعنى الرابع آخر الكتاب .

من عادة الشعب والمسيح وأوتاد الأرض والقصور والمجمرين وقطاع الطرق .
ولذلك قد استطاعت هذه الحركة بالصيغة العالمية إلى حد كبير ، كما اختلعت
أهواء ومشارب المشتركين فيها اختلافاً بيناً عجيلاً . أما للملاحظة الثانية فتشعر
في أن الجماعات التي اشتركت في الحرب الصليبية الأولى كانت كثيرة العدد (١) ،
حتى لقد وصفتهم آن كومنين بأنهم قوم لا يعرفون النظام . وأن في طبيعتهم شيء
من العنف والحدة والشراسة والانزعاج ، فضلاً عن قتلهم وهدم ثباتهم من رآهم
أو سأل (٢) . وهذا يفسر لنا سلوك هؤلاء الصليبيين اللاتين في الدولة البيزنطية .

لقد وجد الكثيرون في هذه الحركة ، وبخاصة المييد والأقنان ، المنفذ الحقيقي
للأفلات من أغلال الاقطاع وقيوده وعظمه التي كانت عبثاً أثقل كواهلهم .
يضاف إلى ذلك أن البابا أوربان الثاني كان قد وعد بقمران خطايا وآلام كل من
يشترك فيها ، وإن من يموت في سبيل المسيح يعتبر شهيداً ويذهب إلى الجنة دار
الخلد والنعيم القيم . كما ساهمت فيها عناصر كثيرة حباً للغامرة وولوية بلاد
جديدة . ثم أن كل هذه الجماعات التي تتكون منها أغلبية الجيوش الصليبية كانت
جماعات غير منظمة ، لاسيما الحملات الشعبية الأولى التي كانت تتألف في معظمها
من مصابات من القرواء ليس لها طامع سياسية واسعة . وقد اقتصر الدور
الذي قامت به على الاعتداء على السكارى أو إعمال السلب في قرية من القرى
أو ضاحية من الضواحي . وقد أدى هذا في بعض الأحيان إلى توتر العلاقات

• One might have likened them to the stars of heaven or (١)
the sand poured along the edge of the sea - Cf. Alexiad, 263.

(٢) نظر : Alexiad, 248, 251, 266.

بين برنطة والصليبيين ، ولكنه لم يؤثر تأثيرا عمقا في تطور العلاقات بينها ،
وسترك هذا الدور الخطير ليقوم به رؤساء الفرنج وكمبار وجنهم في
اخطات الظلمية .

وإذا انتقلنا إلى رؤساء الصليبيين وكمبار رجال الاقطاع الذين اشتركوا في
اخلة ، نلاحظ أن الذين لم يوقفوا منهم إلى ميراث اقطاعي واسع النطاق في بلادهم
مثل بوهيمند التورماندى وبلهون شقيق جودفري ، أصبحوا ينظرون إلى
تلك اخطات الصليبية كوسيلة ناجحة لتأسيس إمارات جديدة يحكمونها في الفرق
حسبها وهدم البابا أوبان الثاني . وخصوصا بعد أن وصلوا إلى القسطنطينية ،
وبعد أن بهرهم ثراؤها الزائد وكنوزها الثينة ، وهم قوم بشعرون عيون البال
مغمضون يتطاعون إلى السيطرة والسلطان وإملاك الأراضى كما وصفتهم الاميرة
آن كومنين . (١) وسوف تمنح هذه الفرقة بملاء في علاقة رؤساء الصليبيين
بالامبراطور الكيس ، وفي مسألة انطاكية بالذات عندما قام الزراع بين
بوهيمند والامبراطور ، والذي تطور فيما بعد إلى حرب مكشوفة بينها .

ولقد السبب اذئاب الكيس في نوايا أولئك القوم . وكان على حق في
موقعه هذا ، إذا كانت أحداث السنوات التالية صدق غاؤه . وليس أدل على
ذلك من أنحراف اخلة الصليبية الرابعة التي بشرها البابا انورسنت الثالث بقصد
الاستيلاء على مصر وبيت المقدس ، عن خلفها الرئيسي ومهاجرتها الدعوة الجرنطية

(١) Alexiad, 266. - ويدكر المؤرخ انورسنت بلركر أن القوام الصليبية لم يصل
مصلحة من مصالح برنطة فصب ، بل صارت في آخر الأمر مصادية لها . أنظر ماوكر
المروء الصليبية ، ص ٢٠

واستيلانها عليها وتأسيس مملكة لاثينية بها استمرت أكثر من نصف قرن . فكان ذلك ثمرة أطماع أولئك القوم في دولة الروم الشرقية ، تلك الأطماع التي تكشفت منذ بداية الحركة الصليبية وحتى قبل قيامها في حملات جويسكار وابنه بوهيموند . ولذلك اعتبر بعض المؤرخين أمثال ادوين جون ديفز ، هذه الحملة وحصة عار في جبين المسيحية الغربية وقبلة سوداء في التاريخ الأوروبي الوسيط .
وهم لهذا السبب لا يدخلونها في عداد الحركة الصليبية (١) .

ويقول المؤرخ شالندون إن بعض دؤساء الصليبيين كانوا من أهل الورع والتقوى ، وكانت حياتهم في الغرب تتم عن ذلك . ولكن لم يلبث أن رآل هذا القصور الدنيوي الذي كانوا يظهرونه في أول الأمر ، وطلبوا المصلحة الشخصية على المنفعة العامة ، مما يؤكد ما سبق أن بيناه من أن دافع الدين والتقوى لم يكن العامل الأساسي في قيام الحركة الصليبية . ويستشهد المؤرخ على ذلك بسلوك وتصرفات بعض الزعماء أمثال جودفري وبلفورين وسان جيل وغيرهم (٢) .

(١) أنظر Davis, Invasion of Egypt, 1-3. ولغنا السبب أيضا جل بعض المؤرخين مثل بودمان ينر سنة ١٩٠٤ م الزاستول فيها اللذين على القسطنطينية من نهاية الدولة البيزنطية . وحججه في ذلك أن الامبراطورية البيزنطية وإن كانت قد أصبحت بعد ذلك واستمرت حتى أواسط القرن الخامس عشر ، إلا أن أحداثا ومؤثرات جديدة من الغرب حدثت عنها ولم يعد قسطنطينية نفسها من مجدها القديم إلا غلا داما وشما منها لكنا . أنظر : مير : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٩ - ٧٢ . راجع أيضا كلاري : حج القسطنطينية على يد الصليبيين - ترجمة وتقديم الدكتور حسن جبري (القاهرة ١٩٦٤) ، وعامة صفحات ٥ وما بعدها و ٥٠ وما بعدها و ٧٦ وما بعدها و ٩٥ وما بعدها و ١٠٩ وما بعدها و ١٢٢ وما بعدها و ١٣٩ وما بعدها . هذا وترجع أهمية مذكرات روبرت كلاري أن مؤلفها اغترب في الحملة من بلانجا وعامد بقية سقوط القسطنطينية في قبضة التتاريين .

(٢) Chalandon, Alexis Comnène, 162. أنظر أيضا باركر : الحروب

الصليبية ، ٧٢ و ٤٩ .

بصاف إلى ذلك أن رؤساء الفرنج كانوا يتصفون بالكبرياء والملف والظفرية وصلابة الرأي حسباً وصفتهم ابنة الكيس وحسباً كان يبدو من مسكنهم وتصرفاتهم. وكانوا ينظرون إلى البيزنطيين على أنهم هراطقة ، كما كانوا دائماً يشكون في نواياهم ومقاصدهم ، ولذلك لم يكن من السهل أن يتماهم معهم الإمبراطور . وقد صادف فلا صوبات كثيرة في سبيل إقناعهم بوجهة نظره واخذاعهم لنفوذه وسيطرته . ولكنهم اضطروا في النهاية إلى الإذعان لرغبته بعد أن وجدوا أنفسهم في بلاد أجنبية لا يحسن لهم فيها ولا نصير . كما كانت الميون التي بحث بها الإمبراطور لمرافقتهم تفتت من حولهم ، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا القيام بأي عمل دون موافقة . وداراً أن من مصالحهم خطب وده والحرص على مساعدته لهم ، وهرقوا أن حياتهم متولفة إلى حد كبير عن كل ما يتفوه بها الإمبراطور . في إمكانه أن يسهل لهم مسألة الثورين ، وأن يسهل أن يقطع عنهم هذه الامدادات وأن يجبرهم إذا حادوا عن الطريق الذي حده لهم ، أو أهملوا النهب والتدمير أو أحدثوا الشغب والاضطراب . وامناد الجيش بالخزوة أمره اعتباره وتقديره عند هؤلاء القوم . لهذه الأسباب ونحوها منعت هذه الظروف ، وجد رؤساء الجيوش الصليبية أنه لا مفر من قبول شروط الإمبراطور وحلفه بيمين التبعية والولاء له . فضلاً ثم ذلك وضفوا معه اتفاقاً في مايو سنة ١٠٩٧ م ، ذلك الاتفاق الذي ستكون له نتائج بعيدة المدى في تاريخ العلاقات بين اللاتين الكاثوليك والافريق الارثوذكس .

لقد حقق الكيس جانياً ونيسياً من خطته بحفاظته على دولته من عدوان الفرنج ، والاتفاق مع زعمائهم الذين أقسموا له بيمين الإخلاص . ومع ذلك

فإن الاتفاقية المذكورة لم تنفذ روحاً ونصاً ، وبخاصة عندما ثابت في الأفق مشكلة انطاكية وما ترتب عليها من معاصفات في الأحقاب التالية ، الأمر الذي دفع مؤرخاً مثل كادل ستيفنسون إلى القول إن سياسة الكيسيس قد فشلت لأنها لم تكن عملية أو صعبة التنفيذ ، ولكن بسبب سوء تصرفه حيال الأفرنج (١) . والحقيقة أن خطة بيرنطة قد نجحت في بداية الأمر بفضل شخصية الكيسيس نفسه الذي أجل سقوط دولته في أيدي اللاتين قرابة قرن أو يزيد . ولكن الخطة فشلت آخر الأمر بسبب أطاح اللاتين في بيرنطة وأملأها القديمة ، ونتيجة لطبايعهم الخسنة وسوء سلوكهم .

ونحن هنا أن كومتين من تصرفات أولئك القوم في الدورة البيزنطية بإفاندة وإسهاب . لقد كانت القسطنطينية تجمع بهم ، وقد سلكوا فيها مسلكاً شديداً ، وكانوا لا يجهلون من شيء ، تنفصم البرية وقوة الإرادة لمقاومة زعامتهم وشهواتهم وأطماعهم . وقد ذكرت كيف كانوا يؤمرون انقصر من الصباح الباكر ، فيدخلون وحاشيتهم على الامبراطور دون أدنى مراعاة الفروق والتقاليد المرمية ، وكانوا لا يتركون للامبراطور من الوقت إلا ما يسكاد يكفي لتناول إنطاره . وقد شرحت كذلك كيف كانوا في مساء نفس اليوم يلاحقونه حتى باب غرفة نومهم ليطلبوا منه ثوباً أو لباساً أو في إسداء نصح أو جميل أو حتى ليجرد التبسط في الحديث .

وهناك أمثلة أشد غرابة من ذلك ، نذكر من بينها أنه اتفق في يوم استقبال وسمي أن ذهب أحد كبار القرمج من البارونات فيطس على عرش الامبراطور الذي

ظل واقفا منتظرا بعدم دقيته . ونحن سمعنا الكونت بلدين أخو جودفري من كه ليميدو إلى مكانه ، حينئذ أنه يجلس بالمرء إذا ما وجد في بلد قريب أن يحترم عاداته وتقاليده ، إن تصيب البارون واقفا وأخذ يتطلع إلى الامبراطور في شيء من السخريه والاحتقار وهو يتمتم بلغة بلاده : « أنظروا ، ها كم مخلوقا يبقى هالسا ، بينما كل هؤلاء القادة العظام والقانون . ولم تنب عن الكيس نعمته هذا اللاتيني المتعطر من . فاستدعى أحد المترجمين من يجيدون اللسان اللاتيني ، وهرب منه مضمون ما تفوه به البارون المذكور . ومع ذلك ترك الحادثة ثم بسلام وكان شيئا لم يفسح ، دالا على دهائه وصبره وبعد نظره وسعة حيلته وحسن تصرفه . واكتفى بعد انتهاء الاحتفال بأن اتحنى جانباً بذلك الرجل الفرنجى موبخا إياه قائلا ما معناه إنه بوسعه إبراز قوته وعظماة ليس في بزنطة ، وإنما في القتال المرتقب ضد الأتراك (١) .

كيف تقدر سلوك هؤلاء الصليبيين ؟ الواقع أن ذلك يرجع إلى حد ما إلى أنهم لم يبلغوا المستوى الحضارى والثقافى والفكرى الذى كان يتمتع به البيزنطيون ، وإلى طباعهم الخشنة وأخلاقيهم الفظة (٢) . كما أن السياسة التى وجد الكيس نفسه مضطرا لاتباعها معهم ، من حيث فرض الرقابة عليهم ، وبث الميون من حوزهم لتتبع حركاتهم وروصد سكناتهم ، ومطالبتهم بأداء الزمى ، ومضايقتهم بمسألة التعمين - تركت أثرا سيئا في نفوسهم . فلم يستغ أولئك اللاتين هذه

(١) Alexiad, 263-4; cf. also Diehl, IX, 21-2. (٢) المرجع والنقطة أن الكيس أنى صراحيبا مقرونا بالخرس والمقدور حباله الفرنج وأحداث إلى سمت بها خوفه ، وأنه ترك أهل الأثر في قوس عدد منهم ، مثل الذين كونه بلوا وخلافة .

السياسة ، وساءم أن يعاملهم الامبراطور هذه المعاملة ، وكانوا من وجهة نظرهم ينتظرون أن يعاملهم الكسيس معاملة أحسن من ذلك بكثير، حتى أنهم لشروا عنه وعن الإهريق طاعة بعد هزيمتهم إلى الغرب أسوأ دعاية بين مواطنيهم كانت لها مضاعفاتها فيما بعد .

وسنرى في الصفحات التالية إلى أي حد نجح (امبراطور) يزنطة في تنفيذ سياسته عندما أصبح وجها لوجه أمام القوات الصليبية الثمبية والنظامية ، والآثار التي ترتبت على احتكاك اللاتين الكاثوليك بالروم الارثوذكس أثناء الحملة الأولى وفي الاحتجاب التالية .

الفصل الرابع

الحملات الشعبية والكيس كومنين

في العقود الأولى من القرن السابع الميلادي ظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية يدعو الناس بمسقة عامة إلى عبادة الله وحده ونيل الأستقام ، والعرب بهامسة إلى الاتحاد والتآلف والمحبة ونيل الفرقة والخلاف . ولم تمنع بضعة سنوات حتى كانت هذه الصورة الجديدة قد تمكنت ودانت لها كافة القبائل العربية التي أصبحت ترى فيها رمز وحدتها وشعار مجدها وأمل مستقبلها . وعلى هذا الأساس قامت الدولة العربية الفتية ، وخرجت من جدرانها الصغيرة لتفتح دقاتها عن كيانها ونشرا لدعوتها وتأملاتها من مناقشات جيرانها ومضايقاتهم المستمرة على الحدود . وانطلقت وراء حدودها لتعظم بالذول المتاخمة لها . وكان من الطبيعي أن يبدأ الصراع بينها وبين دولة الروم ، ذلك الصراع الذي انتهى في سنوات قليلة باستيلاء العرب على الولايات الشرقية التابعة لهذه الدولة . فامتلكوا بلاد الشام وشرق آسيا الصغرى ومصر وشمال افريقية ، وواصلت جيوشهم تقدمها حتى وصلت إلى اسبانيا . وقام العرب بعدة محاولات في آخريات القرن السابع وأوائل القرن الثامن بقصد الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ولكن لم يقدروا على النجاح بسبب متانة العاصمة ومساعدة أسوارها (١) .

(١) من المراجع الحديثة عن الصراع بين العرب والروم منذ الفتح العربي حتى أوائل القرن الثامن: Huseev, Byzantine World, 26; Diehl, L'Empire Byzantin, 52-4, 59, idem, Byzance, 9; Bailly, Byzance, 134; Ba nes & — Moss (Eds.), Byzantium, 308-10; Sullivan, Heirs of the Roman

هكذا كان الصراع سجالا بين العرب والروم منذ الفتح واستمر حتى القرن التاسع الميلادي ، وقد اقتضته الضرورة السياسية لئلا دولة العرب ، وفيه وقفت بزنطة موقف الدفاع عن نفسها بسبب الضغط الذي دبت في أراضيها ، في وقت كانت فيه كفة العرب هي الرابعة (١) .

واستمر الحال هكذا إلى أن اعتلت الأسرة القندونية عرش بزنطة (٨٦٧-٩٠٥ م) ، فحدث انقلاب في ميزان القوى في المنطقة ، إذ أخرجت هذه الأسرة عددا من الأباطرة الأقوياء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة استرداد أملاكهم القديمة . وكان في مقدمتهم بازيل الأول (٨٦٧-٨٨٦ م) مؤسس الأسرة ، وقسطنطين السابع (٩١٢-٩٥٩ م) ، وابنه رومانوس الثاني (٩٥٩-٩٦٣ م) ، وقفور الثاني فوكاس (٩٦٣-٩٦٩ م) ، ويوحنا تيمسكيس (٩٦٩-٩٧٦ م) ، وبازيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥ م) . في عهدهم بلغت دولة الروم ذروة قوتها في القرون الوسطى . فاستتبقت الأمور في الداخل ، مما سمح للإباطرة بالتفكير في التوسع وبسط نفوذهم على حساب جيرانهم العرب ، فقامت بين الدولتين الحروب التي أحرزت فيها دولة الروم عدة انتصارات . وقد تحول مجرى تلك الحروب أيام بازيل الأول لصالح البيزنطيين ، ولو أن نتائجها كانت مشيئة في بادئ الأمر . واستمرت هذه الانتصارات في عهد قسطنطين السابع الذي

Empire, 26, 29-30, 32; Atiyah, The Arabs, 32 sqq.; Gibb, = Mohammedanism, 2 sqq.; Hitti, Hist. of the Arabs, 147 sqq., 160 sqq., 212 sqq., B. Lewis, The Arabs in History (London, 1958), 36 sqq., 49 sqq.

راجع أيضا إبراهيم أحد العلوي : الأمويون والبيزنطيون (القاهرة ١٩٦٤) ص ٥٣ وما بعدها و ٨١ وما بعدها و ٩١٧ وما بعدها و ٢٢٤ وما بعدها .
(١) أغلر: على المربوط: محمد والقوية العربية ، ص ٤٩ و ٥٢ جوزيف نيم يوسف : الوحدة وحركات اليقظة العربية ص ٢ .

استولى على مدينة حلب لفترة قصيرة طالت بعدها إلى العرب . ووصلت قوة
بيزنطة منبعا أيام قنقور فوكاس الذي استولى على صقلية وقبرص وأنطاكية
وبعض المدن في آسيا الصغرى . بينما بلغت القوات البيزنطية حدود اورشليم
وبقضاء في عهد سلفه يوحنا ترصيكيس أو حنا التميمش كما تسميه المراجع
العربية (١) .

وبما ساعد بيزنطة على تحقيق تلك الانتصارات أنها كانت في أحسن حالاتها
في الداخل والخارج . هذا في الوقت الذي انتاب فيه العالم العربي بعض الضعف
والوهن . إذ دب الانحلال السياسي في جسم الدولة العباسية التي انقسمت إلى
دويلات متعددة متنافرة . فقامت دولة الحمدانيين بالشام على اكتاف سيف
الدولة الحمداني ، واستقل الطولونيون ومن بعدهم الاخشيديون بمصر ، وقامت
الحلقات بين الاخشيديين والحمدانيين . بينما ظهرت العناصر الفارسية التي أخذت
توطد نفوذها على حساب سلطان العباسيين . وتشتت بالسلطة الفعلية من
دونهم . وأصبح الخليفة العباسي العربي في أيدي الأمراء البربريين ؛ ليس له من

(١) أظن من ذلك : Runciman, *Byzantine Civilization*, 46 — 8; Ostrogorsky, 251 — 2, 257 — 8, 263 — 4; Bloy, *Constantinople et Byzance*, 13 — 49, 64 — 9, 108 — 10, 113 — 24; Atiya, *Crusade, Commerce and Culture*, 32—4.

راجع أيضا محرركه تومبي : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١١١ وما بعدها ،
ومعجمات المعون الملبي ، ص ٩ وما بعدها و ٤٧ وما بعدها و ١٠١ وما بعدها و ١١١
وما بعدها و ١٤١ وما بعدها ، والامبراطور قنقور فوكاس واسترجاع الأراضي الفارسية ، ص
٢٦ وما بعدها ؛ السيد البار الغربي : القوة البحرية ، ص ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٢٩٤ — ٢٩٢
و ٣٥٠ — ٣٥٦ و ٣٦٣ — ٣٧٢ و ٣٧٢ — ٣٨٤ و ٣٨٤ — ٣٩٠ و ٤١١ — ٤٣٧
و ٤٧٢ — ٤٨٤ و ٥٢٧ — ٥٢٦ ؛ مصطفى الشكعة : سف السفرة الجاهلية ، ص
١١٨ — ١٣٨ .

الحلقة سوى الاسم . فكان هذا بطبيعة الحال آثاره السيئة على حدود العرب المشتركة مع بيزنطة (١) .

هكذا بلغت دولة الروم ذروة مجدها أيام الأسرة القسطنطينية في وقت ضعف فيه العرب وكشفت قواهم وتحتت وحشهم ، مما حال دون مواصلة تقدمهم في أوروبا ، حتى لقد اعتبر أهل الغرب بيزنطة سامية أوروبا المسيحية الغربية ضد العرب في الشرق (٢) . ولكن بعد اقتراض هذه الأسرة حلت محلها في الحكم أسرة ضعيفة هي أسرة دوكلز (١٠٥٩ - ١٠٨١ م) . وقد عصفت الفوضى واضطربت الأمور داخل البلاد من جديد ، بسبب ضعف الجيش والفتنات في المنازعات الداخلية والحروب الأهلية . فكان هذا ما شغل الأباطرة عن مواصلة حروبهم في الخارج . وانتهز الأعداء التربصون بها هذه الفرصة ، فقاموا بتوجيه الضربات إلى حدودها الغربية والشرقية . فاحتلوا الثورمان بقيادة روبرت جويسكار على مدينة يادى جنوب إيطاليا سنة ١٠٧١ م ، ثم عبروا البحر الأدرياتي إلى سواحل البلقان . وكان جويسكار يفكر جدياً في غزو القسطنطينية نفسها ، إذ قام في عام ١٠٨١ م بمحاولة فاشلة لتنفيذ هذا المشروع الذي يعتبره بعض المؤرخين المحدثين من الحروب التوسعية الانطاكية التي تركت أثراً سلباً في نفس الكيسس ورومايا ، سيبدو واضحاً عندما احتك اللاتين بالروم في الحرب الصليبية الأولى ، في وقت كانت فيه العلاقات بين الفريقين قائمة على الريبة والشك وسوء التفاهم .

(١) عمر كمال : الإمبراطور خورنوكس ، ص ٨ - ١١ ، ومقدمته المدون الملبى ،

ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) راجع بيتز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥٧ . وقد ردد هذه الفكرة بضم المؤرخين المحدثين وللتسليح بالتاريخ البيزنطي وأرجح أوروبا في العصور الوسطى .

وفي هذا الوقت بالقتل تمسح الأتراك السلاجقة (١) على حدود أرمينية
البيزنطية استعدادا لغزو آسيا الصغرى التي كانت لا تزال تحت حكم بيزنطة .
وقد بدأ هذا المنصر التركي هجومه على أملاك الدولة الفاطمية بالهغام . وكانت
دولة الفاطميين في ذلك الحين في طور الاحتضار ، فالسلطة الفعلية في أيدي
الوزراء والخلفاء منهم لا حول لهم ولا طول ، وليس لهم من الخلافة سوى
الاسم . وكان في استخدام هؤلاء الوزراء قلب ، لذلك ، إشارة إلى تلك السلطة
المنخفضة التي استأثروا بها (٢) . وفي ظل هذه الظروف استولى السلاجقة على
مدينة بيت المقدس من الفاطميين سنة ١٠٧٠ م (٣) . ثم انجهد جميعا فلم يحو
آسيا الصغرى حيث اختراق جيوش الإمبراطورية البيزنطية في السنة التالية
هزيمة منكرة في موقعة ملاذكرد . وفيها تمكن السلطان السلجوقي ألب أرسلان
من إلحاق شر أنوارع الهزيمة بالإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيس
Romanus IV Diogenes (١٠٦٨ - ١٠٧١) . ويعتبر المؤرخ ستيفن
رالنسيان سنة ١٠٧١ التي سقطت فيها مدينة ياردي في قبضة النورمان ، والتي
انتصر فيها التركمان على الروم في ملاذكرد ، نقطة تحول في التاريخ البيزنطي (٤) .

(١) حول السلاجقة والتعريف بهم وقيام دولتهم، انظر عبد القيم حنين: سلاجقة العراق
والعراق (القاهرة ١٩٥٩) ، ص ١٦ وما بعدها .

(٢) راجع عن ذلك ابن الأثير : التكميل في التاريخ (مجموعة المروءات الصليبية) ج ١ ، ص ٥٥٠ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ، ص ٤٠٠-٤٢٣ ؛ أبو الجاسق : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ و ٣٤٥ - ٣٤٦ و ٣٦٣ ؛ أبو الفتح البلي : الأسر الجليل ، ص ٢٧٦ . انظر أيضا جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) القزويني : الملوك ، ج ١ ، ص ٢٣ ؛ ابن الفلكس : دليل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ - ٩٩ .

Runciman, op. cit., 51-2; cf. also : Oman, Art of War, (١)
1, 218-23; Ostrogorsky, 303-5; Daniel-Rops, 504-6; Mahmud,
Story of Islam, 121-2.

وراصل الأتراك تقدمهم على حساب بزنطة بعد أن أنتشع الطريق أمامهم في آسيا الصغرى ، فاستولوا على أزمير ونيقية ودوديolum . ولم تأت سنة ١٠٧٥ م حتى وقعت مدينة أنطاكية في قبضتهم ، وأضحت البلاد تواجه خطر هجومهم على القسطنطينية نفسها . وبدأ كالوكانت بزنطة عاجزة تماماً عن وقف زحفهم داخل أراضيها . وهكذا اجتاحت السلاجقة آسيا الصغرى كلها ، وأحدثوا فيها القهقري والتدمير ، وأحرقوا الأراضي الزراعية إلى صحارى قاحلة ، وأنشع الطريق والتقنوات . ذلك أنهم قوم رحويون لم يقتصروا بزراعة الأرض وحربها ، فلم ينهم كثيراً أن تتلف هذه الأرض . ونتيجة لما تقدمت به من العسير على الإمبراطورية استرداد هذه المقاطعات ، بينما أدى ضياعها إلى فقدان بزنطة مركزها حربياً ممتازاً ومصدراً هاماً للحبوب والفلل . ثم أنها لم تعد حامية القرب الأوربي كما كانت من قبل . وأصبحت الحاجة ماسة إلى الاعتماد على الجند المرتزقة من أهل القرب لصد خطر هذا المنصر التركي (١) . ولعلنا نرى الإمبراطور مينخايل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨) يطلب من بابا روما جريجوري السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥) المون والمساعدة لصد السلاجقة (٢) . تلك الفكرة التي كانت أن تخرج على شكل حملة عربية لمساعدة بزنطة ضد

(١) Runciman, op. cit., 52. — ويذكر شارل أومان أنه بعد موقعة ملاكرو وانصرات الأتراك السريعة المخلصة على حساب الجناح الشرقي من الإمبراطورية البيزنطية ، أصبحت القوات المرتزقة تكون الجانب الرئيسي من الجيش البيزنطي ، يمسك الحال أيام الأسمرة القسوية . وأصبح الفرع والبياردون والأتراك والجنانكية يكونون فرعا دأعة في هذا الجيش . وكان الأميرة بطاغرونهم في الجانب من الاسماء الطابع لهم نظير مائع من المال . انظر كتاب Oman, Art of War, I, 223

(٢) ويقول لمتوجورسكي ان هذه الدعوة أقيمت آمال البابا لذلك المزيد من المهود في سبيل اتحاد الكنتونين على أساس القيادة العالية لروما ، بعد طيبة ١٠٥٤ م .

أولئك القوم ، لولا منازعات ثلابوية مسيح القوي العلانية وعلى رأسها
الامبراطور الألماني هنري الرابع .

وفي ظل هذه الظروف السيئة التي أحاطت بدولة الروم الشرقية من كل
جانب ، أقهرضه أسرة دوكلن لتعمل محليا أسرة كومنن (١٠٨١ - ١١٨٥ م) ،
وكان أول أباطرتها هو الكسيس الأول كومنن (١٠٨١ - ١١١٨ م) ، لدى
حاصر الحملة الصليبية الأولى ، وكانت له فيها جولات وصولات مع العرب
واللاتين على السواء . كان الكسيس بشهادة جميع المؤرخين القدامى ، وعلى
رأسهم ابنه آن ، رجل دولة ممتاز ، سياسيا عبقرا من الطراز الأول ، يعرف
جيدا كيف يعالج الأمور والأزمات التي تواجهه ، وكيف يهد لكل أمر عده ،
وكيف يهيئ نفسه لكافة الاحتمالات . كان شديد الذكاء والفطنة والدهاء ، بعيد
النظر ، واسع الأفق ، خبيرا بمجريات الأمور والأحوال في كل من العالم
العربي والغرب الأوروبي ، مما ترك أكبر الأثر في توجيه سياسة بيزنطة في فترة
حكمه وإبعاد الأخطار المحدقة بها ، أو على الأقل تأجيل حدوثها . وقد رأينا أنه
لولا السياسة المروعة الخارطة التي اتبعها حيال اللاتين ، لوعدت البلاد في قبضتهم
مبكرا في آخريات القرن الحادى عشر . ولا شك أن الفصل يرجع إليه في تأخير
وقوعها في قبضة اللاتين حوالي قرن من الزمان ، عندما استولوا عليهم في الحملة
الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ م ، وأحالوها إلى إمارة لانيينية تضاف إلى مستعمراتهم
المهتدة في الأراضي المقدسة (١) .

(١) جدير بالذكر في هذا المقام أن أباطرة بيزنطة قد امتازوا بصفة طيبة جليل السياسة
والدهاء والذكاء وسد الخلل ، ضار عن قوة شخصياتهم واختلاصهم للدين . فقد حرصت تلك
الدولة منذ البداية على ألا تبقى السلطة في قبضة حكام ضعاف يسيئون إليها ، بل يلمعت على
أن تكون السلطة دائما في قبضة رجل أشعأ أقويا يعرفون كيف يهيئون بها . وكما =

لوحة رقم ١



الاعبراطور اليزنطي الكسيس كومنن أمام المسيح

على أية حال ، فقد اتخذ الكيس الامبراطورية مما حل بها من خطف واقسام في الداخل . وبعد أن دانت له السلطة أخذ يحارب بلا انقطاع في جميع الجبهات الخارجية . فتمكن بالحرب تارة والسياسة تارة أخرى من إبعاد النورمان من دول البلقان بعد حروب دامية مع جويسكار وابنه بوهيموند استمرت من سنة ١٠٨١ م إلى ١٠٨٥ م (١) ، تلك الحروب التي اعتبرها بعض المؤرخين مقدمة للحركة الصليبية ، والتي تساعد على تفسير موقف بيزنطة من اللاتين الذين كان النورمان يؤاقون جانباً كبيراً منهم (٢) .

واجهت الامبراطورية معانها وأعباءها كلها في هذه . وكان في العادة عندما يحاربها ويضع هذا من موانئ الأباطرة البيزنطيين من القبائل والأجناس المذبذبة التي عاشت طويلاً في جنوب الامبراطورية الرومانية الشرقية عبر الدانوب . ويخلص هذه السياسة في توجيه تلك العناصر من بيزنطة غرباً إلى إيطاليا ، فلما حدث عندما طول القوط الغربيون تحت قيادة ملكهم المسمى الاريك اكساح مقدونية في سنة ٤٠٠ م ؛ إلا أن بيزنطة تكلفت من المال المزرقة بهم سنة ٤١٠ م . فانظر هؤلاء أن يحشوا لهم من مكان آخر يطمعون فيه سبل الجيش والإغلبة ، فلقبوا غرباً إلى إيطاليا . ومثل كثير ثراء في مياصة أسيرة كومنين حيال الصليبيين الغربيين . إذ أن موقف الكيس كومنين ومن أتى بعده من الأباطرة البيزنطيين حيال أهل الغرب اللاتين كان له أسوأ الأثر في الاغناء على جملة البيزنطية وعدم سقوطها في قبضة الغرب عند بداية الحركة الصليبية ، أو على الأقل تأجيل وقوع هذا الحدث الرابعة لثرت من الزمان عندما استولى عليها اللاتين في الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ . وهذا ، يمكن أن يقال أيضاً بالنسبة لمياسة بيزنطة حيال جيرانها الغرب والمسيحية في الجهة الشرقية ، وكذلك دولتها من جيرانها البلقان والآفرو والروس والسلاف . أظهر من ذلك حارغان وباراكلاف : الدولة الامبراطورية في الصور الوسطى ، ص ٨ - ٩ . انظر أيضاً المراجع التالية .

Katz, Decline of Rome and Rise of Mediaeval Europe, 91-2; Runciman, Byzantine Civilization, 81 - 2; Barker, Social and Political Thought in Byzantium, 21; Diehl, Byzance : Grandeur et Décadence, 53 ff., 67 ff.; idem, Histoire de l'Empire Byzantin, 139 ff.

Runciman, op. cit., 52; Ostrogorsky, 316-7; Setton, (١) Hist. of the Crus., 1, 213-4; Daniel-Rops, 511-2.

Baynes & Moss, Byzantium, 28. (٢)

وفي تلك الأثناء أخذت الدولة السلجوقية تتحول إلى دول إقليمية صغيرة حل رأس كل منها حاكم يتبع السلطان السلجوقي الأعظم ملك شاه في بغداد . وكانت فتوحاتها لا تزال مستمرة في آسيا الصغرى على حساب بزنطة . وقد حاول الكيسيس دون جدوى وقف دخولهم ، وباتت عاصمته معرضة لخطر هجومهم عليها بين وقت وآخر . لذلك لم يبدأ من الاتجاه صوب الغرب والبابوية في روما - وهي صاحبة الرعايا الروحية بين الأمم اللاتينية - للاستنجاد بهم ضد السلاجقة والعمل على وقف تيارهم ، متفاوضا مع ميخائيل السابع . فبعث دسلة إلى البابا أدبان الثاني وإلى كبار رجال الاقطاع يدعوهم لإرسال المساعدات لنجدة إخوانهم في الشرق وحماية التسطنطية ضد الخطر السلجوقي . وكان من الطبيعي أن تصانف هذه الطلبات لدى من البابا ومن الشعوب المسيحية الكاثوليكية في الغرب الأدورى تصنيفا لأطماعهم في كل من العالم العربي والدولة البيزنطية (١) .

تلك هي الحال التي وصلت إليها دولة الروم في الفترة السابقة لقيام الحركة الصليبية . محاولات عديدة في كلا الجبهتين الغربية والشرقية هدفها اقتطاع أملاكها ، وهبوط منجبة إليها تنتظر الفرصة المواتية للاقتضاء عليها . فالنورمان وغيرهم من العناصر اللاتينية لهم معرفة سابقة بأحوالها وراثتها الفاحش عن طريق الجند المرتزقة الذين كانوا يعملون في خدمتها . والسلاجقة يعملون أيضاً لدى النصف الذي أتناها هو والحلقة الفاطمية في مصر في تلك الحين ، وبالتالي يتعينون اللحظة المناسبة لقيام هجومهم الكبير في المنطقة .

(١) انظر سابق ص ٥٧ - ٥٤ من هذا الكتاب ، وكذلك الترجمة العربية لكتاب الامبراطور الكيسيس إلى أمير الأراض الواقعة في الشرق الأول بقلم الكاتب .

هذا ولو أن الحرب الصليبية الأولى قد أُنقِذت عن تفكيد مشروعيهم بعد أن أصبحوا وجهاً لوجه أمام اللاتين القادمين من الغرب .

وفي غمرة هذه الأحداث التي كان العالم العربي ودولة الروم مسرحاً لها ، بدأت البابوية في روما تفكر جديداً في قتل ميدان الحروب المسيحية المقدسة من الغرب اللاتيني إلى الشرق العربي . وفلا ترمي أريان الثاني ينتهي هذه الظروف الموانية ليطن مولد الحركة الصليبية في كليرمون في أخريات عام ١٠٩٥ م .

وكان هذا البابا يرى أن جيشاً صليبياً منطلقاً تحت رعاية روحية واحدة وقيادة عسكرية موحدة ، سيكفل العملة المزعومة التقدم والنجاح . ولعله عندما تفكر في إرسال قوات إلى الشرق ، كان يعني جيشاً إقطاعياً منطلقاً ، بخلاف تلك الجيوش الفردية غير المنظمة التي عرفتها أوروبا في حروب التوسع الإقطاعي التي سبقت قيام الحركة الصليبية . ونستشف ذلك من الإجراءات التي اتخذها بعد إعلان الحركة في كليرمون ، ومن جولاته الدفينة التي قام بها في بلدان الغرب الأوروبي قبل عقد هذا المجلس في الفترة من أبريل إلى منتصف نوفمبر ١٠٩٥ م (١) . ولكن تلميحاته في هذا الصدد لم تنفذ بدقة ، مما كان له أسوأ الأثر بالنسبة للحملة الشعبية التي سبقت قيام الجيوش النظامية . ذلك أن دعاة الحركة والمبشرين بها من أمثال بطرس التاسك ، مسحوا لكل من حل الصليب بالتوجه إلى الأراضي المقدسة ، مما ترك أثره بالنسبة للعناصر المختلفة التي انصبت إلى الحملة . فقد وجدنا فيها أعداداً غفيرة من طعام الشعوب والمجوردين وريثي الأرض ، فضلاً عن الجرمين والساجين وقطاع الطرق والقتلة والصيادين الذين لم يكن لهم بطبيعة الحال أي وازع ديني أو أي علم بفنون الحرب والقتال . هذا إلى

(١) أنظر مقال « الدفاع للنصر في قيام الحركة الصليبية » ، ص ٢٠٥ - ٢٠٥ والمراجع .

جانب عدد من صفار البلاد عن كانت تنقسم بدون شك الأطلاع الشخصية ، ولم يهتموا بالفرض الذي يل اتفقوا منه مسوحا لتحقيق غاياتهم ، شأنهم في ذلك شأن العناصر الأخرى التي اشتركت في الحملة (١) .

ومن هذا الأساس انقسمت الحملة الصليبية الأولى إلى قسمين متباينين متميزين عن بعضهما تماما : القسم الأول ويمثل الحملات الشعبية ، والثاني وهو الحملات النظامية التي قادها أمراء الانقطاع . وكانت الحملات الشعبية ، حل تسكل مجموعات مختلفة تحت زعامة أشخاص عديدين مثل جوتيه المصمم ، وبطرس التماسك ، وفولكنار ، وجورنالاك ، وغيرهم .

وكانت حملة جوتيه (٢) هي أول حملة شعبية قامت من أوروبا ، فلم يرغب هذا الرجل في انتظار بطرس التماسك وجماسته ، بل سافر على رأس جيش من حوالي ٥٠٠٠ شخص يتكون من الطبقات المدممة من الرجال والنساء والشموع والأطفال . وعندما بلغ هو ورجله بلاد البحر ، أمر ملكها الدعو كولومان (٣) تزويدهم بما يحتاجون إليه من الأقوات . ولما وصلوا مدينة سملين Semlin

(١) Hitti, History of the Arabs, 636. - راجع أبناجوزيف ليم يوسف :
أوحدة وسرقات القطة العربية ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) أيا يطلق بحملة جوتيه المصمم ، انظر كتاب ألبرت دكس :

Albert d'Aix, R.H.C. — H. Occ., IV, 274-6.

ويذكر ملأه في الكتاب المذكور هو التاريخ للعصر السوي من تلك الحقبة ، وقد كان صفة ما أورده شارعاه وسأله . ويندر يوضح أن دكس أستق معلوماته من شاعر ميان يجمل أن يكون قد وضع مذكرات عن تلك الحملة وقعت ولم تسجل . أطر من ذلك :

Runciman, Hist. of the Crusades, I, 121 n. 1.

(٣) يطلق عليه ولع الصوري Rex Colemanus . أطر :
Guillaume de Tyr, R.H.C. — H. Occ., I, loc., 47-8.

الواقعة على المسعود المجرة البيزنطية ، وقعت بينهم وبين المجرين مفاوضات بسيطة لم تؤثر تأثيراً حقيقياً في العلاقات بين الطرفين . ثم واصلوا بعد ذلك سيرهم ، فعبروا نهر الساف Save ودخلوا أراضي الدولة البيزنطية حيث كانوا فيها نساء ، واضطربوا بالبيزنطيين الذين رفضوا إمدادهم بالمؤن بسبب تهورهم وسوء سلوكهم . ولكن العلاقات عادت فتحسن بينهما ، وسروا بعد ذلك بمند نيش وصوفيا وأدنة . وانتهى في العشرين من مايو سنة ١٠٩٩ م بلغوا مدينة القسطنطينية التي سمع الإمبراطور البيزنطي لهم بالإقامة في ضواحيها ، في انتظار وصول قوات بطرس الثالث وبقية الجيوش الصليبية (١) .

لقد أثارت عصابات جورتيه المندم عتاول بزنطة وشكوك الكيس كومتين ، وأخذ منذ ذلك الحين يفكر جدياً كيف يشجروا بامبراطوريته من شرور هذه الجماعات وكيف يعاملها ، وكيف يستميلها إليه ويستعين بها في الوقت المناسب ، وأخيراً كيف يرقمها عند حتماً إذا تبادت في غيها واستتدراها . وسيندر هذا جلياً في معاملة الإمبراطور البيزنطي لبطرس ورجاله الذين كانوا في طريقهم إلى عاصمة ملوكه .

ولا خلاف أن مقدمة الحروب الصليبية تنور فعلاً حول شخصية بطرس

(١) لاحظ أنسليم لتورخين اللاتين قد انمازوا صراحة إلى جانب الفرنج ضد البيزنطيين . فبعد ثلاثين عاماً يتضح جورتيه المندم ويلي اللوم على الاغريق لما يتعلق بالأحداث التي وقعت بين الفرنج . وقد ورد وليع السوري مائة البرت في هذا العدد . أظر :

Albert d'Aix, R. H. C.-H. Occ., IV, 275—6; Guillaume de Tyr, op. cit., 47-9; cf. also Runciman, Hist. of the Crusades, I, 122 — 3.

الناسك (١) ، تلك الشخصية الغامضة التي كان لها أكبر الأثر في قيام الجيوش الشعبية . ولا تعلم الكثير من حياة هذا الناسك قبل الحرب الصليبية . ويعتقد أنه ولد في بلدة أميان Amiens شمال فرنسا أو في خواسييا . ويحتمل أن يكون قد سافر إل الأراضى المقدسة ، ثم قفل عائدا إلى أوروبا دون أن يتمكن من الوصول إلى بيت المقدس بسبب مضايقات السلاجقة . وهناك من يقول إنه حج فعلا إلى اورشليم ، وشاهد مضايقات السلاجقة للحجاج الغربيين ، وأخذ بعد عودته يثير شعور السلام المسيحي في غرب أوروبا ضد العرب في الشرق . ولا شك أن في وصف بطرس للإساءات التي لحقت بأولئك الحجاج كثير من المبالغة التي كانت تخدم حدى وتجاهوا في النصوص . (٢) ونقول الرواية إنه أخذ يحث دول أوروبا على غزو بيت المقدس ، وكان لدعايته أكبر الأثر في إشعال الحماس الديني في الغرب ، وفي التفاف الناس حوله لتخليص قبر المسيح (٣).

(١) كان سامسروه يرفقه باسم « بطرس الفصيل » نظرا لضعفه . ولكن فطاه الرأس الحاس بالناسك الذي اعتقد له أنه أقوى منه لقبه « الناسك » الذي اشتهر به في التاريخ . أنظر : Runciman, op. cit., I, 113.

Runciman, Hist. of the Crusades, I, 113. (٢)

والعرف من وثائق تلك الفترة أن الحجاج الأوروبيين كانوا يقومون معهم إلى الأراضي المقدسة وهم مائة من مائة من هؤلاء أن يلحقهم أذى أو يصيبهم مكروه ، وذلك مع ما كانت بيت المقدس خاصة للعرب . فقد اشتهروا بضع مدحهم ولما هم الصادق في أمور الدين ولأخريات الشعبية ، ولم يحدث أن تعرضوا لمضايقات الرعي الذين كانوا يريدون لأرضي القدس بهوه حسبما ذكرت أوثاق دعايتهم في أوروبا وقتذاك . فقد انطوى الدين الاسلامي على روح التسامح ولطمة ولا سيما مع أهل القصة والحجاج النزيه . وإن كان أولئك الحجاج قد لقوا بسبب المضايقات على أيدي السلاجقة ، فذلك لأن هذا النصر كان حديث العهد بالاسلام ، ولم يكن قد تمهم منسايه الساسة وأن ما لاساء الحجاج الذين على أيدي لير طين ، وهم المسيحيين الاعريق ، قد فاق بكثير ما لقوه على أيدي التركمان . وهم في طريق رحلتهم إلى اورشليم . أنظر : Atiya, Crus., Commerce and Culture, 39-40. cf. also : Runciman, op. cit., loc. cit; (٣) Alexind, 248-9; Grousset, Crois., I, 5.

وكما كانت مساهمة ذهبه إلى القدس موضع خلاف بين المؤرخين ، كذلك لا يوجد تحت أيدينا ما يؤكد أنه حضر مؤتمر كليرمون الديني ، أو أنه اتصل بالبابا أوربان الثاني بخصوص الدعوة الحجة . فهذه كلها مجرد فروض واحتمالات تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث ليس هنا مجال الاقضية فيها (١) .

وكيفما كان الأمر ، فقد كان بطرس هذا رجلاً شديد الذكاء ، قوى الإرادة ، يميل إلى الخشوع والزمه والتعفف في مله ومأكله ، وفي حياته الخاصة والعامة . كما كان شديد الحساسية ، يمتلك كل مواهب الخطيب الشعبي ، حتى أنه كان يقدرته تحريك الشعوب بخطبه النارية وإثارة روح التعصب الكائنة فيهم ، وكانت شعوب الغرب المسيحية تعتقد أنه قدس وأن إرادة الله قد حلت فيه .

وأما من صفاته الجنائية ، فقد كان قصير القامة ، أسمر اللون ، عسناً بعض الشيء ، وقف قياسي الحمة . وكان لا يأكل الخبز ولا اللحوم ، وفضاؤه لوحيد السمك وقليل من النبيذ (٢) .

وكان جيش بطرس البالغ عدده قرابة ٧٠٠٠ (٣) يتكون من فرنسيين وألمان وبلجيكيين ، وغالبية من المعلمين وأوقاف الأرض ، ومن الرهبان والسيوريخ

(١) فيما يتعلق بأخطورة بطرس الناسك ودوره في الدعوة إلى الحركة الصليبية ، انظر مقال : « المذبح الشعبي في قلب الحركة الصليبية » ، ص ١٩٥ - ١٩٧ والمواش

Grousset, L'épopée des Crois., 12; Daniel-Rops, op. cit., (٢) 548; Runciman, op. cit., I, 313.

(٣) تذكر آل كورنييه في كتابها الاستكشاف (ص ٢٥١) أن عدد من بلغ ثمانين ألفاً من الغناء ومائة ألف من الفرسان . ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه إلى حد كبير . وهذه ظاهرة ملحوظة عند المؤرخين العرب واللاتين في العصور الوسطى ، إذ كانوا يبالغون في ذكر أعداد الميوس والقوت الحربية ، وعدد القتل والأسرى في الصارك إلى محسوبون غلظها .

والنساء والأطفال ، الذين لم يكن لديهم أى خبرة بفن الحرب والقتال واستعمال الأسلحة . وكان كل ما يحصله معظمهم هو المصنوع والقذوس وغير ذلك من أدوات الحرب والزرع التي لا تقاس بما تتطلبه مثل هذه الحروب من استعداد كاف ومن عدة وعتاد . وقد اتجهوا نحو الشرق دون أن يفرقوا ما هم قادرون عليه من عمل وقضائيات ، أو يقدروا بعد الشقة ومسافة الطريق التي سيقطعونها ، أو حتى يصكروا في أم مشكلة من مشاكل الحرب في أى عصر من العصور ، ولغنى بها مشكلة التمويه ، التي ستكون سلاسل اتصالا في يد الامبراطور البيزنطى السكيس كومنجن يفسره في وجوههم كلما حادوا عن جادة الطريق ، أو مالوا حسادا في أراضي دولته .

على أى حال ، بدأ بطرس دصوته من غربي فرنسا متجها إلى الشرق حيث لاقت جيوشا عظيمة في نفوس أنبائه . ونزل هو وعصاباته التي يقصها النظام وحسن الإعداد على سهول أوروبا وبلاد المجر والبلدة البيزنطية ، وقد بدا منظرهم كأنهار عذبة وقد تلتفت مياهها بشفة من كل جانب . (١) ولم يكفوا منذ أن تركوا أوطانهم في الغرب إلى أن تولوا في بيزنطة عن أعمال السب وأشاعة الفوضى .

وقد مروا في طريقهم بمدينة ساجين (٢٠ يونيو ١٠٩٦) التي هاجموا وخربوها ، ثم استولوا عليها وقتلوا عددا كبيرا من سكانها المجرين . وبلغ المؤرخ اللاتيني الثبوت دكس الغوم والمسئولية على عاتق المجرين لاعتنائهم قبل ذلك على رجال الحملة القسمية الأولى بقيادة جوتيه المدم التي سبق أن مرت بأراضيهم ، وثانيا لتآمرهم مع البيزنطيين على الغدر بالصليبيين . (٢) ويتناول

Alexiad, 249. (١)

Albert d'Aix, R.H.C.—H. Occ., IV, 276. (٢)

المؤرخ الفرقي فرديناند شالندون هذا الرأي بالتقد والتحليل ، منها البرت
دكس بالبحر إلى جانب الفرنج . ويقول إن هؤلاء القوم مشتلون من كل
ما حدث ، ويعزى رأيه بما سوى الصليبيين وأعمال الصنف التي قاموا بها أثناء
مهمهم بالمانيا وغيرها من البلاد ، ثم العناصر المختلفة التي كانت تتكون منها
هذه الحملة الشعبية . (١) ولعل هذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب نظراً لطبيعة
هؤلاء القوم واختلاف أهوائهم ومعاربهم . فقد تجزؤا بمناهم وطباهم
الحمدة وتهمهم الشديد وانفاعمهم السريع . وكانوا يفقدون سيطرتهم على
أنفسهم لأسفه الأسباب (٢) .

والهم أن حادثة سملين هذه ستؤثر تأثيراً كبيراً فيما سيتلوه من أحداث .
لن ناحية سترى كولومان ملك المجر عامل الحملات الشعبية الأخرى معاملة
صينة ، وستكون علاقته برعاء الحملات النظامية مشوبة بالحيلة والخلد وعدم
الاطمئنان . ومن ناحية أخرى سيمطر البيزنطيون إلى اتباع سياسة حازمة حيال
الصليبيين جميعاً دون استثناء .

وصفا علم الفرنج باهتمام المجرين الانتقام منهم لما فعلوه بمدينة سملين ،
بادروا بعبور نهر الساف وكان ذلك في ٢٢ يونيو ، ومرروا ببلغراد . ولما سمع
أهل بلغراد بمراد سملين ، تركوا المدينة خوفاً على حياتهم من شرور الفرنج
الذين أحملوا فيها السلب ، ثم واصلوا سبوح إلى مدينة نيش التي بلغوها في ٢ يوليو
وأقاموا أمامها . (٣)

(١) أنظر : Chalandon, Première Crois., 70—1.

Alexiad., 251. (٢)

(٣) سمع مدينة نيش على نهر موفا في قلب شبه جزيرة البلقان . ألكسندر أومان :

الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦ .

ولما علم الامبراطور الكسيس بتزول اتباع بطرس في الاراضي البيزنطية وما
أحدثوه في الطريق ، رسم لنفسه سياسة معينة يسير عليها ليحمي امبراطوريته
من عيث هؤلاء القوم الذين لم يكونوا يعرفون معنى الطاعة أو النظام . فأصدر
أوامره إلى عماله على الأقاليم بمراقبتهم ، وبث من حولهم الميون حتى لا يجهلوا عن
الطريق المرسوم . وأمر بأعدادهم بالزاد على طول الطريق بشرط التزام الهدوء .
وكانت تعليماته إلى رجاله صريحة باستخدام القوة ضد الفرنج إذا ما ثأروا غدا في
أراضيهم . ولقد صاح بهم بعض الأشخاص الذين يجهلون اللاتينية لتنفيذ معهم ،
وللعمل على تسوية أى خلاف قد يقع بين الفريقين . (١)

وبينما كان الصليبيون يسكرون في ضواحي مدينة نيش قامت المفاوضات بين
نيكيتاس Nikitas الحاكم البيزنطي على مقاطعة الدانوب وبين ديم الفرنج .
وأعرب الحاكم البيزنطي عن استعداده لإمدادهم بما يحتاجون إليه إذا لم يجدوا
أى شعب يقدموا الرهائن الكافية لضمان حسن نياتهم . وجم الاتفاق بين الطرفين
على هذا الأساس ، وسله بطرس الناسك الرهائن من الشخصيات البارزة في جيشه .
ولم يحدث طيلة اليوم أى اعتداء من جانب الفرنج على المدينة ، حتى أن السكان
أخذوا يوزعون عليهم الطعام ، ويجودون بالصنقات على البؤساء منهم . وقد
أقاموا أمام نيش يوما واحدا دون حدوث ما يعكر الجو . وفي مساء ذلك اليوم
أعاد الحاكم البيزنطي الرهائن التي كانت في حوزته إلى بطرس . وبعد ذلك سرعان
ما هاجم الفرنج مدينة نيش وأشعلوا النيران في ضواحيها . فلم يجد الجيش البيزنطي
بدأ من التدخل . وقعت موقعة بين الجيشين قتل فيها كثير من الصليبيين ، كرفع
عدد كبير منهم أسرى في قبضة البيزنطيين . وقد استولى الرهبان على الجيش الصليبي
الذي تفتت شمله ، حتى أنه لم يبق مع بطرس سوى بضعة مئات . بينما هرب

الاقول غوة من أن يعمل فيهم جند الامبراطور الفنجي والتفيل . واضطر الصليبيون - بعد أن قطع عنهم التسوين - إلى الالتجاء إلى الحقول المجاورة للدينة للحصول على ما يلزمهم من طعام . وبعد انتهاء الموقعة عمل بطرس على لم شمل جيشه . ثم واصل سيره حتى بلغ مدينة صوفيا حوالي ٨ يوليو ١٠٩٦ م ، ولم يقع أي حادث خلال الطريق .

وفي تلك الاثناء كان الامبراطور الكسيس قد أحبط علما بوصول بطرس الناسك إلى صوفيا ، وربما أحدثه جنوده في كل من سجين ونيش من اضطرابات . فأرسل من قبله رسلا لطلبه . وقد تمت المقابلة في صوفيا بين بطرس والرسل الذين أعربوا له عن حسن نية الامبراطور . وأنهموه أن يسلم بطرس عليه هو وانباؤه لإقامة في أية مدينة أكثر من ثلاثة أيام . ووعدوه بأمنه بما يحتاج اليه من مؤن إذا كشف مصائبه عن إحداث الشغب .

بعد ذلك واصلت العصابات الصليبية سيرها ، فرت بمدينة فيليبوبوليس Philippopolis (١٧ - ١٨ يوليو) حيث أحسن اليها أهلها ، ومنها تقدمت إلى أدونة (٢٤ - ٢٥ يوليو) . وهناك قابل بطرس ميموثا ثانيا من قبل الكسيس أعرب له عن رغبة الامبراطور في رؤيته والتحدث اليه . وأجيرا وصل الزعيم الصليبي ومصائبه إلى القسطنطينية دون وقوع حوادث أخرى ، وكان ذلك في أول أغسطس من سنة ١٠٩٦ م .

وعندما وصل بطرس وجماعته إلى العاصمة البيزنطية ، وحددوا أن بعض القوات الصليبية الأخرى بقيادة جورييه العثم قد سبقتهم اليها . كما تركت بالعاصمة جماعات من شمال إيطاليا ومن جنوبيها . وقد اتفق بطرس وجوقيه على توحيد قواتها ، وتم التهام على أن تعمل الجماعات الإيطالية أيضا تحت إمرة بطرس .

غير أنه لا توجد أدلة ثابتة على أنهم قبلوه وتبنا عليهم . بل حل العكس ، نجد أن القرمباردين الذين جروا آسيا الصغرى تبعدو عليهم دلائل القوموس وعدم النظام . ووجد بطرس أن مهمته غير سهلة في مثل هذه الظروف ، فقد أخذ هذه القوات التي تحته إمرته في الازدياد ، خاصة وإن القادمين الجدد لم يعترفوا بسلطته عليهم . وعلى الرغم من ذلك ، كان الجميع يميلون إلى تحميله مسؤولية ما آلت إليه الحملات الصليبية بسبب الدور الذي قام به حتى ذلك الوقت (١) .

كيفما كان الأمر ، عندما وصل بطرس إلى العاصمة ، ذهب لمقابلة الكيس . وقد صلت البعثة وجه الإمبراطور عندما رأى أمامه رجلا في مسوح الرهبان ، بينما كان ينتظر رؤية قائد حربي . وقد رحب به الكيس ، وأغدق عليه المنح والهدايا وضمره بالذهب والمال . كما أمر بتزويده بالمؤن ، وأسدى إليه النصح بالتزام الهدوء والتريث أمام القسطنطينية إلى أن تحصل الجيوش الصليبية الأخرى التي كانت في طريقها إلى العاصمة ، لأنه كان يعرف ضعف مصابات بطرس من الوجهة الحربية (٢) .

ويقول المؤرخ شاندون إن الكيس كان يرغب في الانفصام بأولئك الحاج الذين قدموا مع بطرس ، ولكنه أدرك بثاقب نظره أنه لن يمكنه تلقى أية معاونة جديدة منهم . فقد كان معظمهم من الرهبان والنساء والشيخوخ والأطفال ، بينما كان النصر السكري معدوما في جيشه (٣) .

Guillaume de Tyr, R.H.C. - H. Occ., I, lap., 56-7; cf. (١)

Chalandon, Première Crois., 75-6; Runciman, op. cit., I, 125-7.

Runciman, op. cit., I, 127; Chalandon, op. cit., 69-77. (٢)

Chalandon, op. cit., 75; cf. Oman, Art of War, I, 272. (٣)

ولكن الفرنج - وكانوا إذ ذاك يسكرون في ضواحي العاصمة - لم يلبثوا أن عادوا إلى سياسة القرمصة ، وكان مسلحهم شائتا وتصرفاتهم غير جيدة . ويبدو أن الكليس لم يسمح لهم بدخول العاصمة لزيارة معابدها وكنائسها وأثارها . فقد كانت القسطنطينية تعج بالنفائس والكثوز ، (١) وهو يعلم سيما جفع أولئك القوم وأطباهم . وقد برهنوا قور وصولهم على ميلهم للفوضى . فهبوا بعض قصور المدينة ودور الهوجا ثم أشعلوا النيران فيها ، وأتزهروا طيفات التصدير التي كانت تغلى ولجها الكنائس وقاموا بيومها الزهبان (٢) . وغضب الإمبراطور غضبا شديدا ، وضايق ذوما بتصرفات بطرس وجماعته ، ودافع على عاصمته من عيشهم غامرة بعد أن بهرتهم كنوزها . ورأى نفسه مضطرا إلى تقييد خطته حيالهم حاية لعاصمته منهم وحفظا لها من عدوانهم ، لئلا ينشعبهم إلى حنفة البسفور الآسيوية (١٧ أغسطس ١٠٩٦ م) حيث يمكنهم انتظار الجيوش الصليبية الأخرى القادمة من الغرب .

وأخذ الأسطول البيزنطي في نقل الفرنج إلى المكان الجديد الذي حددته الإمبراطور لهم ابتداء من ١٧ أغسطس ، وقد استغرقت هذه العملية بضعة أيام . وما يوسف له أنه ليست لدينا أية معلومات عن هذه الفترة التي مر عليها للزوخون من لانتين ويزنطين مرود الكرام .

وعلى الرغم من ذلك فيجد عبورهم البسفور إلى آسيا الصغرى ، لم يتوقفوا لحظة واحدة عن ارتكاب الآثام ، كما أحملوا السلب في المنازل والكنائس .

(١) حير بالذكر أن الزوخ فوسيه ده غارتر قد حير بالنفائس والكثوز التي شامدها في العاصمة البيزنطية ، وسجل ذلك كله في كتابه .

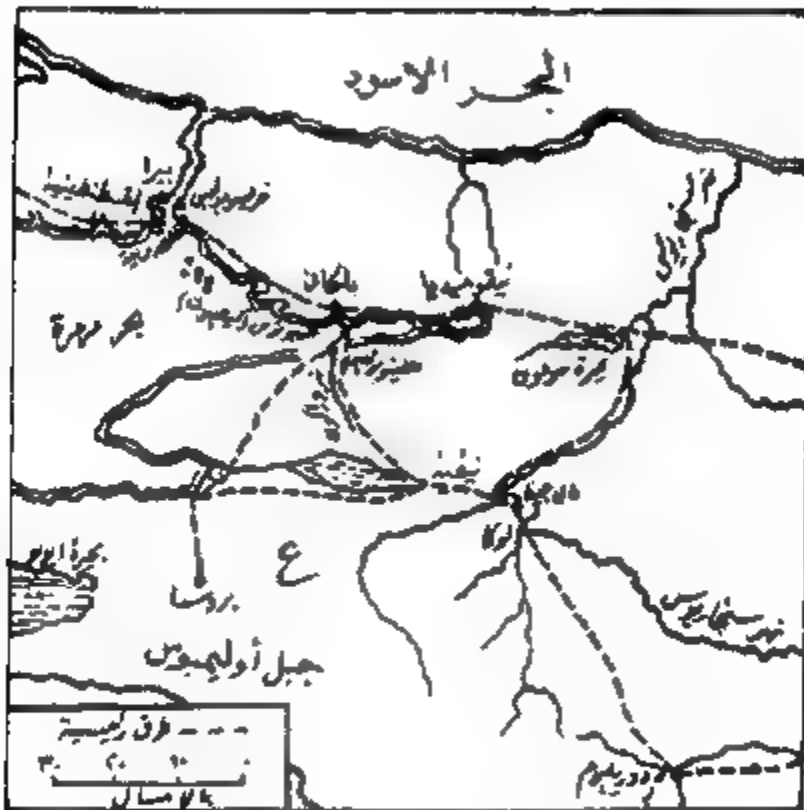
أخر : Foucher de Chartres, R.H.C.-H. Occ., III, 331-2.

(٢) Anonymi Gesta Francorum, 113.

وأمرهم الإمبراطور أن يقوا في قلعة بلدة كسفيتوت Civitot الواقعة على الضفة الجنوبية للخليج نيقوميديا ، وهي القلعة التي كان قد شيدها لإقامة جانب من حرمه الإيجلونيون عاندي . ولكي تصل عصابات بطرس إلى كسفيتوت ، فقد سلكت الطريق المؤدية من خقيدونية إلى خليج نيقوميديا في الطرف الشرق من بحر مرمرية . ثم حرت الضفة للخليج الجنوبية إلى كسفيتوت . ويبدو أن هذه العصابات لم تمسك كلها في تلك الناحية . إذ يتضح من إشارة وردت في كتب المؤرخ المجهول أن الإيطاليين والألمان لم يكونوا على وفاق مع الفرنسيين ، ولم يترفوا بسلطة بطرس التامك عليهم ، وانهم انفصلوا عنهم في نيقوميديا بعد أن احتاروا لهم دليلاً جديداً اسمه رينوه . ويحتمل كذلك أن عصابات الفرنج لم تمسك كلها في كسفيتوت بسبب كثرتها العددية . ولهذا السبب أقام جانب منها في جهات أخرى على الضفة خليج نيقوميديا .

وكان مسلك هؤلاء القوم ، وبخاصة للنورمان ، يتم عن وحشية قاتلة كل وصف . وتذكر الأمانة أن أهم قطعوا أطراف بعض الأطفال ، وفتشوا البعض الآخر على نواح خشبية ثم قاموا بشيهم على النساد ، وأنزلوا شتى صنوف العذاب بالأشخاص الطاعنين في السن . ويستوى عندهم في ذلك المسلمون وأسيحيون الشرقيون . فقد كانوا في نظرهم هراقة لأنهم على غير مذهبهم ، وعندما فاحت رائحة فعالهم ، وشاهد أهالي نيقية ما يدور حولهم ، فتسحروا أبواب مدينتهم وانفسوا نحو الفرنج حيث التجموا معهم في معركة حامية قتلوا بعدها عائدين إلى ديارهم ، يتنازع الثلاثين إلى مسكرهم محملين بالأسلاب التي أمكنهم الحصول عليها . فكان هذا مدعاة لاقتسام عصابات بطرس على نفسها ، كل يريد أن يكون له النصيب الأوفى من الغنيمة . وكان من أثر ذلك أن انسحب النورمان المزعوفون بمشهم من جيش بطرس ، ورحلوا بغيرهم على إحدى المدن الخاضعة للأتراك واسمها كسريجوردوس Xerigordus واستولوا

خريطة رقم ١



سواحي فلسطين وسورية
من الحملة الصليبية الأولى

عليها . ولكن الترك بثروا بقوة كبيرة تمكنت من استعادة المدينة ، وأحلت
السيف في دقاب عدد من أولئك القرومان وأسرت البعض الآخر (١) .

لقد كانت إقامة بطرس ورجله في كيفيتوت فترة تكاسل واسترخاء أطلقوا
فيها الضان لأنفسهم وشبهواتهم ضارين بنصائح الكهنة وأوامره عرض
الخطأ ، فعددوا بذلك مصيرهم ومصدر الخلل الشعبية بصفة عامة . وقد تركت
حياة البطالة والكسل أسوأ الأثر في قلوبهم ، وأضرت بالخدمة ضررا بالغا ،
تسببت هواقبه بوضوح عندما التحمت تلك الصعوبات غير المنظمة بقوات
السلاجقة المدربة أحسن تدريب بالقرب من نيقية .

وحديثنا بالذات أن الكهنة لم يقصر البتة في التزاماته حيالهم ، فكان يمددهم
بالمؤن والزاد . وقد اعترف السليبيون أنفسهم بأن سكان كيفيتوت كانوا
يوردونهم بكل ما هم في حاجة إليه - ولكنهم ، بالرغم من ذلك ، لم يكفروا عن
إتيان العنف في الجهات والنواحي المحيطة بمعسكرهم (٢) .

لم تسكنت مصابات بطرس الناسك بهذا المسك الثاني ، بل صمدت على
مهاجمة الأتراك السلاجقة في عز دارهم بالرغم من قصور أسلحتهم البدائية ،
معتمدين على أن انتصارهم سيتم بمجزة إلهية . وتفصيل ذلك أن الأتراك
عندما ثبتوا من نوايا هذه الجماعات ، أخذوا يعدون القعدة للاقابها وتأديبها .
وومضوا الخطط الكمية بالقضاء عليها ، بأن نصبوا الكائن في مواضع مختصة
على طول الطريق من المعسكر القرمي في كيفيتوت إلى مدينة نيقية ، بقصد الإيقاع

(١) Alexiad, 251; Tudebode, R. H. C. - H.Occ., III, 11-2.

ونطلق أنه كوسين على القائد التركي الذي قاد الحركة اسم Elkhann - ويرى الأوزج ريشه
مرويه أن المقصود بالكلمة المذكورة هو لقب « إيلخان » - ilkhān - اطر :

Grousset, Crois., I, Bn. 2.

Chalandon, Première Crois., 78-80. (٢)

بالتقدمين من الفرنج في اتجاه عاصمتهم . ولما كان السلاجقة يعلمون بمشروع الفرنج وحبهم الشديد للمال ، فقد بشوا اليهم بآتين من رجالهم أو عساكرهم الفرنسيين من اتباع بطرس أن القوات النورماندية التي انسلخت عنهم قد سبقتهم واستولت على نيقية ، وإنها مشغولة بتقسيم ما وجدته يدا من كنوز على أفرادها . وصح ما توقعه السلاجقة ، إذ أنظر هذا النيا فائزتهم ، وقد كان الكلمة المال رهن غريب في آذانهم ، وعز عليهم أن يستولي النورمان دونهم على المدينة وأسلاها . وهكذا أخذت جموعهم تتوغل في غير نظام عبر آسيا الصغرى في الطريق إلى نيقية ، دون أي تقدير لقدرتهم العسكرية ، ودون ترتيب صفوفهم وأعداد أنفسهم إحصاءا سليما للمركبة المرتقة . وكانت النتيجة الطييمة أن وقعوا في الكائن التي لمسيها ، لا تراك لهم بالقرب من نهر دواكون Dron . وسرعان ما تلقفتهم الجيوش السلجوقية ، فأعلنت فيهم السيوف بلا رحمة جزاء وفقا على تهودهم وانساقهم ، ووزعتهم شر مزيعة بالقرب من نيقية . وقد ذهبت أعداد كبيرة من الفرنسيين والنورمان ضحية سيوف السلاجقة ، حتى أن الفرنج عندما كرموا جيش القتل الملقاء على جانبي النهر ولم تكون تلا كبيرا أوفقة عالية أو رابية مرتفعة نحسب ، وإنما جيلا شامعا ذا عور واقصاع حيقين ، وكانت عظام القتلى تشكل هرما هائلا ، ولم ينج من هذه المذبحة سوى بطرس ونفر قليل من اتباعه ، فلانوا بالفرار وقلوا عائدون إلى هيلينوبوليس Helenopolis . وعندما علم الامبراطور بما حل بهم ، عاف أن يقع بطرس في أيدي الترك ، فأرسل مندوبا من قبله على رأس قوة عسكرية مسلحة لانتقائه ومن ثبني معه . وتمكنت القوة البية خلية من انتقامهم وإعادتهم سالمين إلى الكسطين الذي رحب بهم وعاملهم بالحسن واللين . ولكنه أخذ يذكر بطرس بطيشه وتهوده . ميثا له أن الكراوت التي حلت به وبضوانه إنما ترجع لعدم أخذه بتوصيحتي التي كان قد أسداها له من قبل . وقد انكر بطرس أنه السبب فيا

حدث ، والتي يدور الوم على من منه ، متحدا بأنهم لم يستموا إليه ، بل
اتقادرا وراء شهورتهم منها إياهم لأوصى وعربون (١) .

هذا ما ترويه الكتابة أن كومتين بسدد حادثة نيقية . أما المؤرخ المجهول ،
وهو أحد مؤرخي الثلاثين الذين عاصروا الحملة الأولى وكتبوا عنها ، فيذكر أن
الإمبراطور عندما بلغه خبر قتال عصابات بطرس التامك على أيدي التركان فرح
فرحا شديدا . ويستطرد قائلا أن الكيس مكنهم من اجتياز البفور ،
ولكنه احتاط لنفسه فأمر بنزع سلاحهم ، وأنه كان يعلم بوجود الأتراك في
هذه الناحية فيكون في ذلك نهايتهم (٢) .

Alexiad, 251—2; cf. also : Tudebode, R.H.C.-H.Occ., (١)
III, 113. وبما بل في البرت ذكرى حول اتحاد الكيس كومتين لجامعة بطرس التامك:
... Imperator, audito Petro de casu et obsidione
suorum, misericordia motus est, et undique Turcopolis noctis,
et cunctis nationibus regni sui, praecepit sub omni festinatione
trans brachium maris fugitus et obsessis Christianis subvenire,
et Turcos ab obsidione expugnatos effugare. Turci autem,
Imperatoris edicto comperto, media nocte cum captivis Chris-
tianis et spoliis plurimis a praecidio moverunt; et sic inclusi
et obsessi peregrini milites ab impis liberati sunt. - cf. Albert
d'Aix, R. H. C.-H. Occ., IV, 289.

Anonymi Gesta Francorum, 129—130. (٢)
ولقد أمدا كل من
المؤرخ المجهول والبرت ذكرى صورة حية تاملت عن المرحمة وقتاء مظلم قوات بطرس التامك
فيها ، مع بيان الظروف واللايات التي أدت إليها . ويبدو أن المجهول قد استرسل أسلومات
التي أمدها به من أحد أولئك الذين عاصموا الحركة ونجا منها ليس علسه تقاسيها عندما
التي ، في لحظة نيقية . أما البرت ذكرى قسستف من نصحه التامك بالتمسك للإمبراطور
أثير على ، عندما حدث عن كرمه وحسب معاملته لهم وقصدته النصيح اليهم وموافقته ، أنه قد من
في منهم على قبل الحناء حد الحركة . ولو أنه اتفق مع زميله مؤرخ حلة وميسد قبا ذهب
إليه من أن لا الكيس طرح بما حدث قترنجة في نيقية الملاحة .

أثر تخاسل الحركة في . Albert d'Aix, R.H.C.-H. Occ., IV, 284-9.
راجع أيضا من ذلك كتاب : Grousset, Crois., I, p. 9 n. 1. أثير أيضا التي
الأول من الملحق الخامس بآخر الكتاب

ولمسائل أن يقول : هل كان هدف الكيس عندما أرسل الصليبيين إلى صفة البسور الآسيوية أن يلقى بهم إلى حتفهم ؟ أم أن السبب في حادثة نيقية يمرى إلى بطرس وعصاياته ؟ أم أن المستولية مشتركة بين الجمانين البيزنطى والصينى ؟ أم أن هناك عوامل أخرى عارضة عن إرادة كل من الكيس والمرانج أدت إلى وقوع المذبحة ؟ وما هي الآثار المترتبة عليها ؟

يرى بعض المؤرخين اللاتين ، وعلى رأسهم المؤرخ المجهول ، أن الامبراطور البيزنطى هو السبب في ذلك . ويذهب هذا الفريق رأيه بقوله إن الكيس عندما اضطربت الأمور في دولته فليجأ لأعمال السلب التي أحدثتها جموع بطرس في نيش وفي صوليا وفي القسطنطينية نفسها ، اضطر إلى الجهاد في سبيل خلاص منهم ، قبل أن يفلت الزمام من يده ويصبح من المتعذر علاج الموقف . ولذلك حمل بقوة على قتلهم من عاصته إلى آسيا الصغرى ، لكي يثق شرهم ويثق بهم إلى حتفهم أمام الأتراك السلاجقة . أما الفريق الثانى ، وعلى رأسه الأميرة آن كومنين البيزنطية ، فيقول ان بطرس الناسك وعصاياته هم السبب المباشر في هذه الكارثة . إذ أنهم لم يستمعوا لنصيحة الامبراطور بالانتظار في المكان الذى حددته لهم لحين وصول الجيوش النظامية ، بل تمادوا في غيهم دون تقدير لمواقب الأمور .

وباختلاصة أن هناك فريقان على طرفي قبيض فيما يتعلق بهذه المشكلة . الفريق الأول ، ويتكون من المؤرخين اللاتين الذين تأمروا بنى جلدتهم ضد البيزنطيين . أما الفريق الثانى فكان على رأسه الأميرة آن إرنة الامبراطور الكيس ، وقد انتصرت لأبيها ضد الفرنج . ويلاحظ أن الفريقين اتفقا على بعض النقاط واحسبوا حول البعض الآخر . فمن المسائل التي اتفقا عليها ، ذلك المسلك المشين الذى سلكه رجال بطرس الناسك في آسيا الصغرى ، وعدم تقدير بركة

وامبراطورها وسكانها في مساعدتهم وتقديم النصح والإرشاد لهم ، واضطراب
 بيزنطة آخر الأمر إلى قتلهم إلى الضفة الآسيوية البسفور لحاية العاصمة من
 عبثهم ، وأكد الجميع أيضا أن الكيس عندما علم بمذبحة نيقية ، بادى بإرسال فعدة
 لا تقاذ من تبقى من رجال الحق للشمية على قيد الحياة . ومع ذلك فهناك بعض
 النقاط التي تار حولها الخلاف بين المؤرخين ، منها ما ذكرته آن كومنين من
 أن بطرس اشترك في المعركة ، وأن أباحا الامبراطور اقته وفلول قواته عندما
 علم بما حل بهم ، بينما أكد المؤرخ المجهول أن بطرس كان متغيبا في القسطنطينية
 أثناء القتال ، وبأخذ بهذا الرأي كثير من المؤرخين الغربيين المحدثين وعلى
 رأسهم ريتيه روسيه وستيفن رانيلان (١) . كذلك ذكر كل من ألبرت دكس
 ومزدخ حلة بوجيمند أن الكيس فرح عندما علم بأمر المذبحة ، بينما تؤكد آن
 كومنين أن أباحا علمت الكآبة عندما بلغه النبا .

وبالمقارنة بين مختلف النصوص التاريخية والآراء المتضاربة في هذا الشأن ،
 وبالتحليل الجامع الشامل ، يتضح أن السبب الحقيقي في هذه المذبحة لا يرجع
 إلى الكيس ، ولا يرجع إلى بطرس الناسك نفسه ، وإنما يرجع أولا وقبل كل
 شيء إلى مصائب بطرس التي كان يتفصيا النظام وحسن الإعداد والتوجيه والتي
 لم يكن لها أى علم بفن الحرب والقتال . ومع ذلك فقد أقدمت على مهاجمة
 السلاجقة ، وهم قوم صناعتهم الحرب ، ولم تستع إلى نصيحة الامبراطور
 بانتظار الجيوش الصليبية الأخرى النظامية ، حيث يمكنهم بمساعدة مواجبه
 جيش الانراك والتغلب عليه . يضاف إلى ذلك أن امبراطور الروم عندما أمر
 بطرس ورجاله بعبور البسفور إلى آسيا الصغرى ، حثوم من قوة السلاجقة
 وأحاطهم علما بطرقهم في القتال ، كما يذكر كل من المؤرخ المجهول والكاتبه

Grousset, Crois., I, 8; idem, L'épopée des Crois., 14; (١)
 Runciman, Crus., I, 130, 132.

الآغريقية . وينق المؤرخ شاتندون تهمة القتل التيبة على الامبراطور ، ويقول إن الكيس أمر جنود بطرس بد أن يبروا البسفور بأن يلقوا في قلعة كيميوت حيث كان يجمع بالاقوات ، ولكنهم لم يستمعوا لنصيحته ومروا بأوامره هزمه الحائط ، وتوغلوا في آسيا الصغرى حيث انتهى الأمر بكارثة بقية وقتاء غالييتهم (١) . وما يدل على حسن نية الامبراطور أنه بعد هزيمة بطرس ورجاعه ، عمد إلى مساعدتهم في الخلاص من موت محقق ، فأرسل شردمة من جنوده للاشتراك مع بطرس في استعادة غلوق قواته إلى القسطنطينية حيث رحب بهم وأحسن معاملتهم . وإن كان هذا يدل في الوقت ذاته على دهاءه وبعد نظره ، أي يبين أمام الصليبيين بظهر المدافع منهم الذي يمه أمرهم .

وأما فيما يتعلق باشتراك بطرس من عدمه في المعركة ، وعما إذا كان موجودا مع قواته أثناء القتال أم متفيا بالقسطنطينية ، وعما إذا كان الكيس قد فرج هذه الكارثة أم أغم لها ، فإن ذلك لن ينير من الحقيقة الواقعة شيئا . هذا وإن كنا نحيل إلى الأخذ برأى الكتاب اللاتين المعاصرين للحملة ، ومن أن بعدهم من المؤرخين الغربيين القدامى والحديثين ، من أن بطرس كان بالقسطنطينية عند حدوث المنعرج . ولعل أن كومتين قد التبس عليها الأمر عندما ذكرت أن أبها بادر باقتاد بطرس وغلوق قواته عندما علم بما جرى لهم . إذ كانت الكتابة الوحيدة المعاصرة لأحداث تلك الفترة التي أكدت ذلك . فضلا عن أنها لم تدون مذكراتها عن تاريخ حياة أبيها إلا بعد حوالي نصف قرن من انتهاء الحملة .

وانصافا لهذا الامبراطور ، وقريرا الحقيقة والواقع ، نقول إن الكيس إنما أرسل مصابات بطرس الناسك إلى آسيا الصغرى لحوقه على امبراطوريته

من شروها . ولكن ليس معنى ذلك أنه أبعد أولئك القرنج من عاصمته
ليلقى بهم حريما عن عهد وسبق إصرار في أحضان الموت . فتمت مسألة من الصعب
البيت فيها برأى حاسم .

ولا شك أن تلك المذبحة قد أثرت في طبيعة العلاقات بين الصليبيين
والبيزنطيين . إذ تأكدت مخاوف الإمبراطور الكسيس أكثر فأكثر . وأخذ
يتوقع أسوأ الفروض والاحتمالات من قوم كان يعرفهم جيدا من قبل .

ولم تكن حملة بطرس هي آخر الخلات القمعية التي دفعت من الغرب ، إذ
قامت بعدها ثلاث عصابات من الجيوش الشعبية الألمانية بقيادة غولسكار
Volkmur وجوتشالك Gottschalk وكونت إميك Comte Emich^(١) .
وإن الجرائم التي اقترفتها هذه العصابات ، وإن لم تعد الحسود المجرية ، إلا أنها
نهب الكسيس إلى الخطر الذي سوف تعرض له بلاده من الصليبيين ، الأمر
الذي جعله يتخذ كافة الاحتياطات لحاية رعاياه ودونته من هبشم . وسيتك
هذا كله أثره في موقف الإمبراطور البيزنطي من الجيوش النظامية الأخرى التي
كانت في طريقها إلى الأراضي البيزنطية .

وهكذا أخففت أول جماعات صليبية شعبية في تحقيق ما هدفت إليه . ثم
تدهكن من الاستيلاء على بيت المقدس ، وتلقى ضربة شديدة على أيدي
السلاجقة . كما أنها أخففت في إقامة علاقات طيبة مع المسيحيين اللاتين الذين
ارتابوا فيها روى حقيقة نواياها . وإن من تبقى من القتل أو الأسر من جماعات
بطرس ، فقد انتظروا قبالة العاصمة وفي ضواحيها للحن وصول القوات النظامية
في الربيع التالي . وهكذا يسدل الستار على فصل مشير في تاريخ العلاقات العربية
البيزنطية الصليبية ، ليبدأ مشهد جديد أكثر إثارة في رواية لم تم فصلها بعد .

(١) بما يتعلق بالملحقات الألية الشعبية ، انظر : Hunciman, Crus., I, 134-41; Grousset, Crus., I, 9-20 & notes.

الفصل الخامس

الحملات النظامية في بزنطة

لقد خرج الكيس كومنن من حلق جوتيه المهدم وبطرس الناسك
الشعبيتين بنوم لن يفسد . وليس من السهل عليه أن ينسى ما صيئه له هذه
العصابت من متاعب ومضايقات ، ولا تزال ذكرى الانفطاع التي لرتسكتها في
أراضي دولته ماثلة أمام عينيه . وأحسن بما سوف تتعرض له امبراطوريته
وعاصمة ملكه بصفة خاصة من الجيوش الصليبية الأخرى التي كانت في طريقها
إلى القسطنطينية . لذا حدد الامبراطور موقفه منذ البداية حيال هذه القوات
الصليبية المنتظرة وصولها من حين لآخر . وتقوم سياسته بصفة عامة على أساس
الحفاظ على الامبراطورية من عدوان أولئك القوم ، والعمل على استئصالهم اليه
ثم الانتفاع بهم قدر الاستطاعة في تحقيق أغراضه . وقد أكد لهم بأنهم
إذا التزموا الهدوء ، ولم يقوموا بأعمال العدوان التي لرتت اسماء بطرس وفولكار
وغيرهما ، فسوف يعدم بكل ما يحتاجون اليه من أقوات ومال خلال مرورهم
بأراضيهم إلى أن يصلوا إلى حدود السلاجقة في آسيا الصغرى . أما إذا تصرفوا
كقطاع الطرق ، فسوف يشهر سلاحه ضدهم مستخدما القوة مانعا عنهم التورين .
وهل أي حال ، بعد قيام الجيوش الشعبية ، قامت الامتعدادات في غرب
أوروبا قائمة على قسم وساق لسفر الجيوش الصليبية النظامية . وقد استغرق ذلك
نصر الوقت بسبب الاعداد والتنظيم . (١) وقبل استعراض تاريخ هذه الحملات

(١) وجد لينا أومان الثاني أن الحاجة ملته إلى حوطة القبول العربية في الغرب انفس
الجمد والحداد عبر البحر إلى الشرق . ويبدو أن ذلك كان بناء على صيغة دعوى ده سان =

في برنطة ، وعلاقة اللاتين بالأغريق في هذه المرحلة مع بيان الآثار التي تركت عليها ، يحسن أن نعهد لذلك بكلمة سريعة عن الموقف في الغرب الأوروبي وقتذاك (١) ، على يعلينا صورة واضحة عن الوضع العام السائد هناك ، ي ميا الجو لقيام العدوان الصليبي المظم .

كانت أوروبا حتى أواخر القرن العاشر مرتعا خصيباً للفوضى والفساد والاضطرابات ، وذلك منذ تفكك امبراطورية شارلمان واقسامها بين حلفائه ، فانحطت الزراعة والتجارة والصناعة اعطاطا كبيرا ، ودمورت الحصاد والمثل والقيم الأخلاقية تصورا لم يسبق له مثيل في تاريخ تلك القارة . كما انتشرت الأمراض والأوبئة والمجاعات ، وعم الجهل واليأس . وشاع الفساد في الجهاز الكنسي البابوي ، وأصبحت الحاجة ماسة إل الإصلاح . ولذلك كان موقف الغرب حتى ذلك الحين دفاعيا ، ولم يكن باستطاعته القيام بحرب الاستيلاء على الأراضي المقدسة ، أو العمل على استرداد البلاد التي استقر فيها الغرب مثل اسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا . وهكذا كان موقف أهل الغرب منذ الفتح

عن كوت بولور . فأوفد شعوبه من قبله إلى جمهورية جنوة ومنها خطابات يطلب فيها مساعدة أخنة ، ووافقت جنوة على تزويد الجيش الصليبي بالتمن عفرسة . ولكنهم أجبوا في مرمى وحسد أمر إرسال السفن حتى تحاشوا من جدية الحركة الصليبية الزرع قديم . وفي ١٠ من عام ٩٧٠ فقط أبحر هذا الأسطول من جنوة ، بينما عمل كثير من السفينة شارة الصليب الأحمر كاتارو الجنوى :

Caffaro, De Liberatione Civitatum Orientis Liber, R. H. C. H. Occ., V, pt. I, 49-50.

(١) أول المؤرخ سيدى ستر Sidney Painter الموقف في الغرب الأوروبي قبل الحركة الصليبية . من الفصل والتعليق في الجزء الأول من موسوعة تاريخ الحروب الصليبية التي تنشر على انراجها جامعة بنسلفانيا بمدينة فيلادلفيا في أمريكا . أظهر البحث ألفه كوربي : Setton, Hist. of the Crus., I, 3-29 . أظهر أيضا :

Atiya, Crus., Commerce and Culture, 47-52.

حتى أخريات القرن العاشر هو موقف النفاع عن أنفسهم في معظم الأحيان ، وعن بلدانهم التي كانت تستغل. لو اُخذت قلوب الآخرين في قبضة العرب الذين كانوا في موقف القوة وكان مركز الثقل في صالحهم . ومع ذلك ، فقد كانت العرب لا يزال ، ولو من الناحية الشكلية للنظرية ، وحدة كبرى في مجموعها ، له كنيسة واحدة هي كنيسة روما التي تدعى بالمتنوع الكاثوليكي ، وله عاصمة روحية واحدة هي روما واطنة رسمية واحدة هي القبة اللاتينية ، وعلى رأسه بابا واحد هو البابا الروماني يدين له الجميع بالولاء .

وفي نهاية القرن العاشر ظهرت أسطورة تقول ان العالم سيتهوى بنهاية الألف الأولى بما تحفظها من كنوزات وأعمال ، وان المسيح سوف يظهر للمؤمنين به . فأدى هذا إلى ظهور موجة من الزهد والتقص والتعصوف والبعد عن ملذات الحياة ودينيتها . وأخذ الناس يتجهون إلى الله ويعملون على مرضاته بالتكفير عن ذنوبهم وخطاياهم . والأمر الذي لا خلاف فيه أن هذه الأسطورة لا تستحق الاعتبار لأنها لا تقوم على أساس علمي سليم ، وإن صادقت هوى في النفوس وقتذاك في واقع لن فيه أعب الأساطير دواجا كبيرا بين مختلف طبقات الشعب . وهي وإن امتانت بشيء ، فإنما تمتلئ بقيمتها الرمزية لحسب باعتبارها من أسباب نهضة القرن الحادي عشر في أوروبا (١) . فابتداء من ذلك التاريخ يحدث انقلاب في ميزان القوى بين العالم العربي والغرب الأوروبي . فبينما كان الغرب يستعيد قوته ويسترد ألقاهه بعد فترة طويلة من الضعف والانهلال ، كانت القوى العربية في انحسار مستمر وبخاصة في منطقة عربي البحر

(١) 3-102 Conlton, Med. Scene - آخر أبحاث ترجمه العربية : كوتون:

عالم المصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق د. جوزيف نيم يوسف - ط. ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧) - ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

المتوسط . وكان من أثر ذلك أن استولى النورمان على جنوب إيطاليا حلا في
التصف الأول من القرن الحادى عشر وعلى مقلية في النصف الثانى منه ، مستضين
النواح القائم بين العرب والروم لتحقيق أغراضهم . بل اتجهت أطماعهم إلى
ببراطة نفسها محاولين ابتلاعها في آخريات هذا القرن . ولما في أسباب فقد
أحلت الامارات المسيحية في الشمال ، وهي ليون وقشتالة وأرغونة وقافار ،
تعمل على استعادة شبه الجزيرة الايبيرية من العرب ، وكانت تلقى المساعدة من
البلاد المسيحية المجاورة لها وخاصة من فرنسا . وقد أحرزت في ذلك بعض
النجاح الذى ينحصر في استيلائها على مدينة طليطلة سنة ١٠٨٥ م ، رغم
الاتصارات المديدة التى حقها المرايطون ومن بعدهم الموحدون في هذه
المنطقة (١) . ولم يأت عام ١٠٩٥ م حتى كانت شبه الجزيرة مقسمة بين الأسبان
المسيحيين في الشمال وبين العرب المسلمين في الجنوب ، وانحنى ميزان القوى
متأرجحا بين الفريقين دون أن يتمكن أحدهما من إخراج نصر حاسم على
الآخر (٢) . ولهذا الأسباب لم تمكن اسبانيا في حالة تسمح لها بالاشتراك الفعيل
في حروب خارج أوطانها (٣) .

وفي هذا الوقت كانت البابوية في الغرب قد ثبتت دعائمها وتأسست جندورها

Halphen, L'Essor de l'Europe, 47-51, 55-62; Arnold, (١)
Legacy of Islam, 44-5; Mahmud, Story of Islam, 132-3; Oman,
Art of war, I, 231; Pirenne, Med. Cities, 56-7.
عن الصراع الدائر في أسبانيا بين العرب والمسيحيين ، أنظر : بروكسبال : الإسلام في الحرب
والأندلس ، ص ١٢٠ وما بعدها ، عبد الحميد الحادى : الفجل في تاريخ الأندلس ، ص
١٧٢ وما بعدها ؛ سيد رطلول : العلاقة بين صلاح الدين وإبن يوسف يقوب المصور ، مجلة
مجلة الآداب بجامعة الاسكندرية ، الطلطان الخامس والسابع ، ص ٨٤ - ٨٦ .

Setton, Hist. of the Crus., I, 39. (٢)
Setton, op. cit., I, 20-1; Lewis, Arabs in Hist., 125-6. (٣)

ولم يكن أمام البابوات إلا مواصلة السياسة التي كان قد رسمها لهم جريجورى
الكبير فى القرن السادس فيما يتعلق باستقلال البابوية ديقيا وسياسيا على حساب
الحكام والأمراء الملئانيين فى الغرب ، وعلى حساب الدولة البيزنطية فى الشرق
أيضا . وكان هذا أيضا بداية الصراع الشيف بينها وبين القوى الزمنية فى
الغرب ، وعلى رأسها الامبراطورية ، على الأمور الدينية . وقد حدث هذا
فى عهد البابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) ، وكان شخصا مريص
الأمال ، حتى لقد اتهمه اعداؤه بالطموح وحب السيطرة . وفى نفس هذا
الوقت كان يجلس على العرش الامبراطورى صبي صغير هو هنرى الرابع ، فكانت
هذه فرصة ذهبية اعتبها جريجورى لإعلاء شأن البابوية على منازعتها
الامبراطورية . وبدأ النزاع سافرا بين الثماهلين سنة ١٠٧٥ م ، فقام أنباع هنرى
بجمع جريجورى وتسيين بابا مناعض له ، بينما رد البابا على ذلك بصرمان هنرى
واتباعه . وسرعان ما نشبت الحرب بينهما التى انتهت بانتصار البابوية وإذلال
الامبراطورية فى حادثة كانوسا الشهيرة فى تاريخ الكنيسة والبابوية بخاصة وفى
تاريخ أوروبا الوسيط بصفة عامة .

وبعد موت جريجورى خلفه رجل ضعيف للشخصية لم يحظى شيئا يذكر
هو البابا فيسكتور الثالث (١٠٨٥ - ١٠٨٧ م) . وقد مات بعد ثلاث سنوات
تاركا مشاكل البابوية لرجل لا يقل عن جريجورى قوة وفؤذا ، هو البابا
إريبان الثانى (١٠٨٨ - ١٠٩٩ م) الذى واصل سياسة سلفه فى الاقتتال على
حطان الامبراطورية . ولذلك لم تكن العلاقات طيبة بينه وبين خصمه الامبراطور .
وكانت بينهما جولات وحولات انتهت بانتصار إريبان الذى أصدر قرار الحرمان
الكنسى ضد هنرى . وأمل هذا يفسر لنا سبب عدم اشتراك هنرى شخصه فى
الحلة الصليبية الأولى التى دعا إليها هذا البابا فى ختام القرن الحادى عشر ، تاركا

هذا الدور يقوم به كلاً رجال الاقطاع الألمان مثل سودفري وشيفه بديون . وإذا انتقلنا إلى فرنسا وانجلترا ، نجد أن علاقة البابوية بملكيتهما لم تكن بأحسن من علاقتها بالامبراطور الألماني . فقد أصدر أربان قرار الحرمان الكنسي ضد فيليب الأول ملك فرنسا لعلاقته غير المشروعة مع خليلته برتراديه منتمت Bertrada de Montfort ، كما أصدر ليوم الثاني ملك انجلترا النورمان بالحرمان لخروجه على تعاليم الكنيسة . ولهذا السبب لم يكن بوسعها الاشتراك في الحملة المزمع قيامها . وقد أناب فيليب شقيقه هيوغ ده فيرماندوا للاشتراك في الحملة ، التي أسهمت فيها أيضاً قوات رمزية من انجلترا .

وفي نفس هذا الوقت كل النظام الاقطاعي في الغرب قد بلغ ذروة نضجه واكتماله . فازداد نشاط الأمراء الاقطاعيين ومغامراتهم الجنونية زيادة ملحوظة ، كما كثرت عداوتهم لتوسيع اقطاعاتهم على حساب جيرانهم في تلك الحروب الدامية التي كانت تعتبر منظراً عادياً وقتذاك ، والتي عرفته في التاريخ باسم حروب الحدود (١) . وتكاثرت عند السكان بشكل ملحوظ ، سواء أكانت تلك الزيادة بين طبقة الشعب والبيد أو بين طبقة النبلاء والسادة الاقطاعيين ، وازدادت تبعاً لذلك عدد الفرسان المحاربين الذين أصبحوا لا يمتلكون أراضٍ أو اقطاعات مثل بوهيمند النورماندي ومن على شاكلته . ولما كانت حرقهم الأولى التي ردتهم عن آبائهم وأجدادهم الجرمان في الحرب والقتال ، فلم يكن لديهم أي مانع من الخدمة لحساب أي أمير أو سيد اقطاعي ، إرضاء لهذه الرغبة الكامنة في

Halphen, op. cit., 3 ff., 23 ff.; Baldwin, Med. Church, (١)
99, Setton, Hist. of the Crus., I, 10—6, 26—7.

راجع أيضاً الأخير : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ .

تفوسهم من ناحية ، وطمعاً فيما يفتق عليهم من أموال من ناحية أخرى .
ولهذه الأسباب مجتمعة كانت الحرب الصليبية الأولى هي حرب حكايا دجال
الاقطاع ، يمسك الحملات التالية التي قادها ملوك الغرب في وقت كانت فيه
الطرد والاحوال تسمح لهم بالاشتراك بأشخاصهم فيها .

وهكذا بات أولئك النبلاء الذين لم يوقفوا إلى موارث اقطاعي واسع في
بلادهم ينظرون إلى تلك الحملات كوسيلة ناجحة لتأسيس إمارات جديدة يحكمونها
في الشرق ، وقد سبق لهم أن اشتركوا في حملات قريبة للشبه بها في جنوب غربي
أوروبا . وفي هذا أيضاً فرصة طيبة تنطص فيها البابوية من مصايفات أولئك
القوم فيخلو لها الجو لتبسط نفوذها الديني والدنيوي ليس على الغرب المسيحي
فحسب ، وإنما على الدولة البيزنطية والشرق العربي أيضاً (١) . أما طلبة الألقاب
وهيبند الأرض ، وهي التي كانت تدعى بالانعدام وثمن قصص عبء الالتزامات
والقيود الثقيلة المفروضة عليها ، فقد وجدت في تلك الدعوة المنفذ المفق للانفلات
من أغلال الاقطاع ، محسباً في ذلك الكنيسة والبابوية (٢) تحقيقاً للأهداف
الرئيسية الجوهرية لفكرة الصليبية ، والتي كدنا منها في الفصل الثاني من
هذا البحث .

تلك هي الحال التي كانت عليها الغرب قبيل قيام الحملة الأولى . أباطرة
وملوك مرمون كنسياً من البابا وليس بوسهم الاشتراك في الحملة ، ورجال
إقطاع يترقبون لتوسيع نفوذهم وتأسيس مستعمرات جديدة لهم ، وفرسان
حاربون يريدون إبراز مواهبهم الحربية في ميدان القتال ، وأرقاء أدلاء يسمون

Lewis, *Arabs in Hist.*, 150; Mahmud, *Story of Islam*, 132; (١)
Arnold, *Legacy of Islam*, 46 7; Pirenne, *Med. Cities*, 58.

Runciman, *Crusades*, 1, 114. (٢)

بكل وسيلة للتخلص من يهودية الاقطاع . وأخيراً بابوية فرحت دعائها
الزوحية والسياسية على سائر البلاد في الغرب الأوروبي في وقت كان فيه للدين
تأثير كبير على الناس ، فأصبحت قوة مسموعة الكلمة مرهوبة الجانب . وقد
مياً ذلك البابا أربان الثاني مركز الرئيس الأعلى الذي لا منازع لسلطانه في
الغرب ، فحسى بدون كلل ، يؤيده في ذلك الجهاد الكنسى كله ومن وراءه سائر
شعوب أوروبا بكانة طوائفها وطبقاتها ، إلى تحقيق أمنية كانت تجيش في صدره ،
وكان قد رسم عطاؤها بدقة تامة ، تنفيذاً لتلك الأراض البعيدة المدى التي رى
إليها في مد النفوذ الغربي إلى برزخة والعالم العربي (١) .

لن هذه الظروف أخذ الاقطاعيون الرومان والفرنسيون والألمان وغيرهم
من بلدان الغرب الأوروبي في الزحف في ثلاث فرق صليبية كبيرة صوب
القسطنطينية عاصمة الروم . فزحف اللورنجميون بقيادة جودفري دوق اللورين
السمل وأخيه بلندون عن طريق بلاد المجر ، بينما زحف الفرنجيون بقيادة اتين
كونت بلوا ، والبروفنساليون بقيادة ديمون ده سان جيل والمندوب البابوي
ادمبار ده موتى ، عن طريق إقليم إيطاليا . أما غنورمان فتحركوا برا وبحرا
عن طريق دورادو برئاسة بوهيمند وابن اخته تسكريه . وبلغ عدد هؤلاء جميعاً
حوالى ثلاثين ألف مقاتل (٢) .

وكان أول هذه الجيوش الصليبية هو جيش جودفري ده برورن ، وقد

(١) أنظر مقال « المباح الضمى في قيام الحركة الصليبية » ، ص ١٩٨ — ٢٠٥ .
(٢) أنظر لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ ؛ ماكس كرك : الحروب
الصليبية ، ص ٢٩ . ويقول داسان إن عدد الجيوش الصليبية التي وفدت من الغرب
وربما في الآلية المطوية الخبطة في الفترة الواقعة بين سنة ١٠٩٦ م ورمح ١٠٩٧ م
كان يفوق جن سين الفأواة ألف مقاتل . أنظر : Runciman, Crusades, ١, 169 & Appendix II, 336-41; cf. also Heer, Med. World, 103.

اشترك معه أخوه يلدوري الذي سيكون له شأن كبير في الحملة الأولى . وجاء معه أيضا أحد أقاربه واسمه يودان دو بوج Boudouin de Bourg الذي سيلعب اسمه هو الآخر في هذه الحملة ، وسيصبح فيما بعد ملكا على المستعمرة اللاتينية التي أسسها الفرنج في الأراضى المقدسة .

وجودفري هذا من كبار رجال الاقطاع التابعين للامبراطورية الرومانية الألمانية . ودوقيته هي منطقة اللورين السفلى ، وهي تقع على الضفة نهر الراين ، وتندرج في نطاقها مناطق أردن Ardennes وهانز Hainaut وبرابانت Brabant على السطوح القريبة ، وكولونيا Cologne وكس لاشايل على الشاطئ الشرقى . وأغلب هذه البلاد يتكلم الفرنسية ، ولو أنها تقع داخل ألمانيا نفسها . وقام الامبراطور هنرى الرابع بتصيب جودفري على هذا الاقطاع عام ١٠٨٩ م . وكان جودفري من المؤيدين لسياسة الامبراطور في زواجه مع البابوية . ولكنه لم يذهب إلى أبعد من التأييد المعلن ، ولم يتم بأى حل حاسم في هذا الصدد مما قد يثير حفيظة البابوية عليه . وكان يشغل معظم وقته قبل اشتراكه في الحملة الصليبية في حروب صغيرة محدودة ضد رجال الاقطاع المجاورين له . وهو يعتبر صورة كاملة للقارس الاقطاعي في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى . كان طويل القامة ، مفتول العضلات ، عريض الكتفين . كما كان عاريا شجاعا ، ومع ذلك فقد اشتهر بالورع والتقوى ، وبحسن سجاياه ودماثة خلقه (١) .

وتناول شخصية جودفري بالدراسة والتحليل كثير من الكتابات اللاتينية القديمة والمتروخين الغربيين المحدثين . فمنهم من رماه بصفه الشخصية ، ومنهم

(١) أخر - Grousset, Crois., I, 12; Daniel Rops, 550.

شعبه - جودفري وسماته الجبائية بالدراسة كل من جيرت دو بوجان وولف المودري .

أخر - Guibert de Nogent, R. H. C. - H. Occ., IV, 229 - 30.

Guillaume de Tyr, R. H. C. - H. Occ., I, lep., 31.

من أشار إلى الأساطير التي رويت عنه ، ومنهم من اتخذ موقعاً وسطاً فرسمه بالآثران والاعتدال . قرن القريق الأول المورخ شالندون الذي يرى أن جوهرى لم يكن قوى الشخصية والإرادة ، وأنه رغم شجاعته التي اشتهر بها في الغرب ، لم يظهر براعة ملحوظة في فن قيادة الجيش الصليبي في الشرق ، وأنه رغم مركزه المرموق فقد كان تقوده ضعفاً إذا ما قورن بزملائه من رؤساء الحملة الأولى أمثال بوهيمند وسان جيل وشقيقه بلنوين . ويستند شالندون أنه انتخب أول حاكم دنيوى لدولة الصليبيين المنتصبة في بيت المقدس لنفس هذه الأسباب التي تنحصر في ضعف شخصيته وعدم طموحه ، وحتى لا يثير النزاع بين باقي رؤساء القريق (١) . أما شاول ديل فيقول إنه نفأت حول شخصية جوهرى أسطورة يشوبها التهويل والمبالغة ، جعلته منه محرك الحروب الصليبية وبطلها (٢) . ولكن المورخ رينيه جروسيه يرى أن اعتدال هذا الرجل ودعمه أخلاقه كانا عاملين هامين في تهريب وجهات النظر المختلفة المتضاربة بين رؤساء الجيوش الصليبية (٣) :

سافر مع جوهرى شقيقه بلنوين حسباً أسلفنا والذي أصبح بعد موته الحاكم الثاني على مملكة أورشليم اللاتينية . وقد ظهر طموحه وقوة شخصيته عندما استقل بمبادرة الرما ، وعندما أصبح ملكاً على القدس المختلفة فيما بعد وكان هو الآخر طويلاً القامة ، قوى البنية ، مفتول العضلات . إلا أنه يختلف عن أخيه في أنه

Chalandon, Première Crois., 291. (١)

(٢) Diehl, L' Europe Orientale, 19. - وفيما يتعلق بالأسطورة التي نشأت حول شخصية جوهرى ، انظر ذكرها البرف دكس ، وظلها عنه وليم الصوري ، انظر مقال : « الدمع النحسى في قام الحركة الصليبية » ، ص ٩٧ - ١٩٨ والمواشئ .

Grousset, Crois., I, 13. (٣)

كان سارما ساوما متجعرا سلفا متكبرا ، يمثل الخلق اللاتقى أهدق تمثيل . كما كان واسع الثقافة ، إذ أهد لأن يصبح من رجال الدين وليس من رجال الحرب . ولكن لأسباب غير معروفة تماما ، تحول عن ملك الزهينة إلى ملك العروسية . وما يذكر منه أنه أظهر مواهب ممتازة في ميدان القتال . كما انصح ديايمد أن من أم صفاته الجامع والانانية والطموح الذى لا يقف عند حد ، ومع ذلك فقد كان من رجال الإدارة والنعامة . ويقرن هذا كله بالأعمال الصالحة في النظم الادارية التي أدخلها على مملكة الصليبيين في الأراضي المقدسة

وهو ربح هذه الخلة هو البرت دكس الذى اشترك فيها ودون مشاهداته عنها في كتاب وصل اليها بعد فيه جودفرى ونسب اليه الدور الاول في قيادة الجيوش الصليبية . وألحق أنه كان متجعرا لسيدته ، كما هي العادة بالفلسفة المؤرخى الغرب في القرون الوسطى ، إذ أن الدور الذى لعبه جودفرى كان أقل بكثير مما قام به بالى وقساء الفرنج .

على أية حال ، قامت الحملة (١) حوالي ١٠٩٦ م ، أى في نفس التاريخ الذى حدثه البابا أوربان الثاني لسفر الجيوش الفرنجية المقعدة إلى الشرق . وموت بأراضي الدولة المجرية (٢) ، ثم تولت على الدولة البيزنطية . ولما عم الكيس (٣) قرب وصول جودفرى وفوائده ، أرسل مندوبين من قبله قائلوا

(١) ذكرت أن كويمين أن جيش جودفرى كان يتألف من عشرة آلاف من الفرسان وسبع ألفا من المشاة . أنظر : Alexind, 257. - ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه إلى حد كبير .

(٢) كان المجرىون قد اعتنقوا المسيحية وذلك حين . وذلك مسجرا عبيد الصليبية المردود من أراضيهم إلى البلقان فأراضى الدولة البيزنطية . ومنها إلى آسيا الصغرى فالأراضي المقدسة . أنظر : Trevelyan, 149.

(٣) يلاحظ أن المؤرخ القونانجي يطلق على الكيس كويمين في كتابه لفظ «ملك»

الزعيم 'لوثارنجي' في مكان ما بين بلتراد ونيش ، وطلبوا اليه أن يمنع جنده من إحداث الخشب ، وعقدوا معه معاهدة بهذا المعنى . وقد ير الامبراطور البيزنطي يوحنا الفرنج ، فأعد جودفري بما يحتاج اليه من القوت في مدينة نيش . ثم واصل دوق لوثارنجيا السفلى وجنوده السير ، فمروا بأدرنة ومنها إلى سيليفري *Silvry* الواقعة على بحر سمررة (حوالى ١٢ ديسمبر ١٠٩٦) . وهناك أطلقوا لأنفسهم العنان في أعمال النهب . ويتصلح البرت دكس الاطداد لجودفري ، فيقول إن جنوده أكلوا على ذلك انتقاما من الامبراطور الكيس الذي كان قد أسر أحد زعماء الصليبيين وهو هيج ده فيرماقوا أخو فيليب الأول ملك فرنسا ، ورفض إطلاق سراحه (١) . وبالقائه بين مائتوه [بنه الكيس وما يقوله البرت دكس ، يتضح لنا أن هيج لم يكن أسيرا ، وأن الاضطرابات التي حدثت في سيليفري إنما تعزى إلى قراة جودفري التي لم تمكن تعرف النظام ، والتي جعلت على الفوضى (٢) . ويؤيد شالندون أقوال أن كورنين ، ويذكر أن هيج لم يكن معتقلا ، بدليل أنه عندما ذهب بعد ذلك لمقابلة جودفري ، حدثه عن كرم الامبراطور ومخامه وحسن معاملته له وتوجيهه به ، وأعرب له عن رغبته في العودة ثانية اليه . ويستطرد شالندون فيقول إنه ليس من المقبول أن تصدر

= الأمبريل = *Rex Graeciae* . وجير من كلمة « باسيلور » *Basileus* اليونانية باللفظ « ملك » وليس « امبراطور » أعظم :

Albert d'Aix, R. H. C. — H. Occ., IV, 304, 305.

أما باقي المؤرخين اللاتين ، فيطلقون عليه كلمة اسم « امبراطور الاغريق » *Imperator Graecorum* أو « الامبراطور الكيس » *Imperator Alexius* . أعظم من ذلك : *Guibert de Nogent, R. H. C. — H. Occ., IV, 131; Tudebodus, R. H. C. — H. Occ., III, 11 etc.*

Albert d'Aix, IV, 304-5; cf. Guillaume de Tyr, I, lep., 70-80. (١)

(٢) أعظم : *Grouzet, Crois., I, 15.*

هذه الرعب عن أسير ، وإن قوات جودفري تفرحت بهذه الحجة الواهية بقصد السب فحسب ، أو لتغطية موقفها لما بدر منها (١) .

كيفما كان الأمر ، عندما علم الكسيس بما حدث في سيليفري ، أرسل مندوبين (٢) من قبله إلى جودفري ، طالباً منه المبادرة بوضع حد للأعمال التخريبية ونهب الأهلين ، ومواصلة الطريق إلى القسطنطينية . فتوجه إلى العاصمة التي وصلها في ٢٢ ديسمبر ١٠٩٦ م حيث أقام هو وقواده وقواته قبالة أسوارها .

لقد شاب الفعوض موقف جودفري حيال الكسيس أثناء وجوده في العاصمة البيزنطية ، الأمر الذي يحصل منه انقزا يصعب حله . وكان الكسيس حتى ذلك الوقت غير واثق بالمرءة من تصرفات الملايين الغربيين الذين اتصل بهم . كما كان وصول القوات الفرنسية النظامية بمثابة خطر حقيقى يهدد دولته . ثم أن ذكريات الماضي القريب والبعيد جعلت امبراطور الروم يخشى من هجوم صليبي كبير من خاصته التي اشتهرت بترائها الفداحش وذهابها القسمة . وكان هذا هو شغله الهائل في ذلك الحين (٣) .

لقد كان هدف الصليبيين الذي قاموا من أجله بحركتهم هو اقتراح الأراضي المقدسة من قبضة العرب والأتراك السلاجقة . ورأى الامبراطور البيزنطى بعينه المأثرة الأليسى إلى هذه القوات المقاتلة التي وضعا الغرب تحت إمرته .

Chalandon, Première Crois., 118. (١)

(٢) هما فرنسيان كانا يسلان في جامعة الكسيس ، أحدهما سيمى رول يينديلو Roul

Peeledelen والآخر Roger . أنظر : Chalandon, op. cit., 119.

Chalandon, op. cit., 119-20. (٣)



طريق البترول للسياسة النظامية في اراضى الدولة البرية

وأن يستخدمها لخدمة مصالح إمبراطوريته فيما يتعلق باسترداد أملاكه التي كان الأتراك قد استولوا عليها منذ عهد قريب . وبالاختصار رأى الإمبراطور أن يستغل التمسك الذي عند الصليبيين لخدمة أغراضه السياسية في إعادة مجد بيرنطة القديم . وكان هدف الكسيس هو إقناع جودفري بوجهة نظره ، وأن يتم ذلك في أقرب وقت حتى يتفرغ لباقي الزعماء اللاتين الذين كانوا في طريقهم إلى العاصمة . ولتنفيذ هذه السياسة أرسل إليه ميوج قهرقي الذي طلب منه مقابلة الإمبراطور وحلف بين الرلاء له . ولكن جودفري رفض مقابلة الكسيس وقدم فروض للطاعة إليه ، وأخذ ينفذ ميوج قاتلا له في مخبرية : ذات الذي خدمت من بلادك باعتبارك سيدا تحك ثروة هائلة وجيشا كبيرا ، أراك تتحدر بنفسك من هذه المكاة السامية التي كنت تتمتع بها إلى مصاف العيد والأفنان . والآن تقهر على بأن أنسل نفس النهر الذي أقدمت أنت عليه ، كما لو كنت قد أحررت نصرا عظيما ، فأجابه ميوج : وكان يجب علينا إذن البقاء في ديارنا ، وألا نتدخل في شئون غيرنا . ولكن طالما بنى بنا الأمر إلى هذا الحد ، لقد أمسينا في حاجة ملحة إلى حماية الإمبراطور لنا . وسوف تتطور الأمور في غير صالحنا إذا لم نرضخ لمطالبه . ومع ذلك فقد أصر جودفري على موقفه ، وصرف ميوج دون أن يصل إلى نتيجة مرضية .

مكذا انتهت المحادثة بين الرجلين ، بينما أفر الأمير الوثاقين إلى انتظار أمام العاصمة إلى أن تصل الجيوش الصليبية الأخرى ، وحينئذ يمكنه بمساعدة باقي زعماء الفرنج تحدى الإمبراطور ومناجسته ، فيضطر هذا الأخير إلى الاستسلام والتنازل عن مطالبه حتى لا يمرض عاصمته لخطر الجيوش الصليبية المتجمعة أمام أسوارها (١) .

(١) Alexiad, 261; cf. Grousset, Crois., I, 15-6.

كوسيد كاملة في الملحق الثالث بآخر الكتاب .

ويذكر شائعون أن خطة الكيس كانت تتلخص في منع الفرنج من التجمع أمام أسوار العاصمة بأي يمن ، وأنه فهم الغرض الخفي الذي كان يرمى إليه جودفرى . ولذا رأى أن يحسم المسألة بسرعة قبل وصول عدوه القديم بوهيمند ، وحاول حل جودفرى على أداء بين الإخلاص والتبعية له قبل أن يجتاز البحر إلى آسيا الصغرى لقائفة القريكن . ولكن الدوق العتيق كان قد أظهر منذ البداية العناد والعداء للإمبراطور ، ورفض اقتراح ميروج بالانحياز لقائفته وحالف البيزن . ومنذ ذلك الحين توترت العلاقات بينها حتى أن الكيس اضطر إلى استخدام سلاحه الوحيد تشبهاً مع سياسته التي اتبناها حيال الفرنج جميعاً ، قطع التعمين من جودفرى وجنوده فلمهم على الخضوع لإرادته . وعندما رأى البيزن أن جودفرى ذلك ثارت ثائره ، وعاجم البيزنطين وطأت فساداً في عواصم العاصمة ، فشد على الإمبراطور إلى قتلهم إلى مدينة بيريرا Pera الواقعة على القرن الذهبي ليعسكروا فيها ، وحيث تسهل عليه مراقبتهم (١) .

حدث كل هذا في أوائل يناير من عام ١٠٩٧ م وقد أقام جودفرى وجيشه في بيريرا طيلة القههور الثلاثة الأولى من ذلك العام ، ونحن نأصرار مقابلة الإمبراطور وحلفاءه من الولاة له ، ذلك لأنه من وجهة نظره من كبار رجال الاقطاع التابعين للدولة الألمانية . وكان يعتبر الحركة الصليبية ذات صبغة دينية محنة وليس مسألة سياسية (٢) . وهذه الأسباب دفعت الدوق اللواتارنجي أن يقسم بين التسمية للإمبراطور البيزنطي ، وأرسل وقدأ من قبله ليعتبر بذلك . وكان

(١) Chalandon, Alexis Comnène, 178

(٢) Albert d'Aix, IV, 306; Guillaume de Tyr, I, l'op., 83.

وقد أوضحتنا في الفصل الثاني أن الحركة الصليبية كانت على تسكر من ذلك ، وأننا نأخذنا من حامل الدين ستراقتي وراهه ألعابها السياسية المدوينة التوسعية في القرن .

جودفرى ينتظر بفارغ الصبر وصول الجيش النورماندى بقيادة بوهيمند ، حتى يستطيع متى اجتمعت قواتها أن يفعل ما يشاء ، وحينئذ يضطر الامبراطور إلى التنازل عن مطالبه والاتقان لرغبات جودفرى وباقي زعماء الفرنج . ولفس هذا السبب جدد الكيس الامر لقواته بفرض رقابة شديدة على اللوئارنجيين ، كما سرب الحصار حول معسكرهم لمنعهم من الاتصال بغيرهم من الفرنج ، خصوصا وأن بوهيمند كان في طريقه فعلا إلى العاصمة . وغالب الامبراطور غلبة الأمور ، وعزم على التخلص من جودفرى والعمل على إيجاد تسوية سريعة للمسألة ، ولكن دون جدوى . فقد أصر الأخير على موقفه رافضا الاذعان لمطالب الامبراطور . حينئذ قطع الكيس عنهم كل ما كان يرسله اليهم من تموين ، وشدد الرقابة عليهم . وترتب على ذلك حدوث مناوشات بين البيزنطيين والصايبيين سرعان ما تحولت إلى قتال مكشوف . فحاصر البيزنطيون الجيش اللوئارنجى في مدينة ييرا ، ولكن جودفرى وبلون تخلصا من الحصار وتركا المدينة بعد أن نهبها وأشعلا النيران فيها ، ثم توجهوا بقواتها ثانية إلى الضفة الأخرى من القرن الذى وهابا أسوار القسطنطينية بشدة وعنف . وأخذ الفرنج يتعقبون البيزنطيين حتى بلغوا أحد أبواب العاصمة ويسمى باب بلاكرنيس Blakherne فأحرقوه وشرعوا في نهب ضواحي العاصمة ، كما شرع عدد منهم في مهاجمة باب جيروليمين Gyrolimne وأشعلا النيران فيه (١) .

وقد أخذ البيزنطيون على غفلة من هذا الهجوم المفاجئ الذى قام به جيش جودفرى ، ولم يكونوا قد احتاطوا له أو أعدوا defence لمواجهة . لهذا عاد المخرج والمخرج في المحطات الأولى من المعركة ، ليس بين السكان حسب وإنما بين القواد

العسكريين أيضا . ولم تحضر سوى قوة وجيزة حتى وحمت خطط الدفاع ، وأخذ
الامبراطور بنفسه يلبس حارس الجند ، بينما شرع الجيش البيزنطي في الرد على
حركات الفرنجة بمثلهما . واستمر القتال بينهما إلى أن حل الليل . والظاهر أن
المعركة لم تكن بالثة الأهمية ، إذ يذكر المؤرخ الجيهول غسانو البيزنطيين
بسبب من القتل فقط . ويذكر المؤرخون اللاتين أن الصليبيين أحرزوا نصرا
في هذه الليلة . أما ابنة الكيس فتقول إن البيزنطيين هم الذين انتصروا والحقوا
الخيرية بأعدائهم . ويقول شاندون أنه لا يمكن تحديد إحدى الروايتين على
الأخرى ، ولكن يتضح من سهر مجرى الحوادث أن النصر لم يكن في جانب
الفرنج لأكثر من سبب . فقد أخفقوا في الاستيلاء على القسطنطينية وهي الهدف
الذي قاموا من أجله بهجومهم . هنا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم تكن
لديهم المعدات الكافية والآلات اللازمة لضرب حصار منظم حول العاصمة .
يضاف إلى ذلك أنهم كانوا في الواقع تحت رحمة الامبراطور فبا يتعاق بمسألة
التأمين ، ذلك السلاح الفعال الذي كان يهرده في وجوههم كلما دعت الضرورة
إليه ، حتى أنهم اضطروا في النهاية إلى تهب ضواحي العاصمة ليحصلوا على
القوت اللازم (١) . ونلاحظ أيضا أن اخفاص جودفري في آخر الأمر لمطالب
الكيس ومواقفته على حلف اليمين ، دليل على أن النصر لم يكن في جانبه .

واستمر الوضع بين شد وجذب لمدة خمسة أيام أو ستة ، وأخذت حال
الفرنج تزداد سوءا على مر الأيام ، إذ لم يكن هناك من سبيل للاستعانة من
المزق التي قطعت عنهم . وتوالت التنازلات التي كانت تقوم بها القوات الفرنجية من
أجل الحصول على الطعام . وقد لجأ الكيس مرة أخرى إلى أصدقائه من

الصليبيين الذين سبق أن حلفوا له بحين التبعية ، ومنهم هيوج ده لهرماندرا ،
يقصد إقناع جودفري لأداء هذا التحين وأوضح هيوج لندوق اللورين السفلى
الحالة عن حقيقتها ، وأبان له أنه ليس بوسع إلا الرضوخ لرغبة الامبراطور
طالما هو في حاجة إليه ونحت رحمة (١) .

ولسرة الأنهرة توجه هيوج إلى جودفري يطلب منه مقابلة الكيس ،
فرض اندوق وظل مقبضا بموقفه السابق . وأمام هذا الرضخ المتكرر من جانب
جودفري وطند الكيس عزمه على استخدام آتمة العسكرية . فأمر جنوده
بمهاجمة الجيش اللونارنهي ونأريه ، ووقعت بين الفريقين معركة شديدة أهم
فيها جودفري ، واضطر في نهاية الأمر إلى رفع راية الاستسلام والاذعان
لمطالب الامبراطور .

توجه جودفري وبصحبه كبار البارونات إلى قصر البلاكرن الامبراطوري
ليقدموا لالكيس قروض الطاعة ، بينما بقي بلورين على رأس الجيش قبالة
العاصمة . وسجد أمام الامبراطور الجالس على عرشه . وحلف بحين الولاء
والتبعية بين يديه متمهدا أن يكون وجعل الامبراطور ، وقد نجح الكيس
في اقتناع اللوق بوجهة نظره ، وثم الاتفاق بينهما (ابريل ١٠٩٧) على أن يرد
الصليبيون جميع الأقاليم والمدن التي كانت في حوزة الدولة البيزنطية قبل موقعة
ملاز كرد ، وذلك بعد إخراج الأتراك منها . وعلى ذلك فإن هذا القسم لا ينال
من الأناصول كنيحية ودوريليوم غصب ، وإنما يشمل أيضا المدن السورية
مثل املاكية والزعا التي كانت تحت حكم بيزنطة إلى وقت قريب . وبعد أن
أقسم جودفري التحين الكيس وقبله طبقا لتقاليد الاقطاعية . وقد أقرم

الرؤساء الذين كانوا في صحبته يمينا بمائة. (١) وسيكون لذلك الاتفاق أثره فيما بعد في تطور العلاقات بين الصليبيين والعملة البيزنطية طيلة قرن من الزمان.

ولقد رحب الإمبراطور جودفري ومن كان معه خلال إقامتهم في القسطنطينية، وكرمهم بالهدايا والتمتع من ذهب وقصعة، وأمر بأن توزع عليهم الأقمشة والألباس الثمينة والخيول والبغال، وغير ذلك من النفائس التي اشتهرت بها العاصمة. كما سهل لهم مسألة التحوين، وأمر بصرف رواتب لكل فرد منهم، بما يدل على أنه كان يعتبرهم جنوداً مرتزقة في خدمته. وفي اليوم التالي لتوقيع الاتفاق رحل جيش جودفري إلى آسيا الصغرى، وأقام بمدينة بيسان Polokan انتظاراً لوصول الجيش النورماندي بقيادة بوهيموند بن دوبرت جويسكار (٢).

من استمرارنا للحوادث السابقة يتضح لنا أن الكسيس قد ألحح صدوره في بادي. الأمر لجودفري وجيشه، وحاول أن يستميله إليه بكافة الطرق والوسائل، ولكن المذوق لم يمكن برغبته في الاتفاق مع الإمبراطور، ورفض أكثر من مرة مقابلاته وحلف بين الزلاء له، وأصر على موقفه هذا، ولم تنفع

Alexiad, 261; Albert d'Aix, IV, 310-1; Guillaume de Tyr, (١)
I, lep., 87-8. — وفيما على البيت الذي أملاه جودفري وبقاؤه، كما ورد في
حكايات البروت حكي : *Audivi de te quoniam miles et princeps : potentissimus sis in terra tua, et vir prudentissimus ac perfectae fidei. Quapropter te in filium adoptivum suscipio; et universa quae possides in tua potestate constituo, ut per imperium meum et terra a facie praesentis et affuturac multitudinis liberari ac salvari possit.* *

Alexiad, 261; cf. Grousset, Crois., I, 17-9; Chalandon, (٢)
op. cit., 129.

معه وساطة الرسالة . ولا شفاعة الشفعاء . كما أن قواعه لم تكف عن التحرش به ، حتى لقد انتهى بها الأمر إلى مهاجمة العاصمة نفسها محاولة الاستيلاء عليها . وأخيراً مات الأمير الطور قزعا بهذا الدوق ، خصوصاً وأن جيش بوهيمند كان في طريقه إلى العاصمة ، وكانت خطته هي أن يحول دون تقابل الزعيمين أمام أسوارها ، حتى لا يقوموا بحركة عدائية ضده . وكان حل في هذا ، إذ اتجهت نوايا جودفري إلى التمثل واضاعة الوقت لحين وصول باقي الجيوش الفرنجية . وكان الكسيس يعرف تماماً من هو بوهيمند وما هي أطماعه . لذا اضطر مكرها إلى استنخدام القوة وقطع التموين ، وانهم الجيش النورماندي ، وأذن الدوق مرفاً لمطالب الكسيس . وقدم إلى العاصمة حيث حلف بين الأخلاص بين يديه ، ووافق على الرحيل إلى آسيا الصغرى (حوالي ٩ أو ١٠ أبريل سنة ١٠٩٧) في انتظار وصول القوات النورماندية . ولا نعرف على وجه التحديد الفاروق التي تم فيها قتل قوات جودفري إلى الضفة الآسيوية للبسفور .

بعد أن أذن جودفري لمطالب الكسيس ، وبعد أن عبر البسفور إلى آسيا الصغرى ، كان حل الأمير الطور مواجهة المشكل الأكبر في الحرب الصليبية الأولى ، ألا وهو الأمير بوهيمند النورماندي^(١) ابن دوبرت جويسكار الذي ما زال اسمه حياً بأذهانه . وكيف لا وهو الذي هرض حياة دولته للخطر منذ بضع سنوات خلف في الهجوم الذي شنه النورمانديون على الدولة البيزنطية فيما بين

(١) لعب النورمان دوراً كبيراً في الحرب الصليبية الأولى فقد اشترك في مؤتمر كامبريدج ثلاثة أساقفة نورمان ، وحملوا معهم عدد عودتهم إلى بلادهم قرارات المجلس وأخادع الحرب المدعومة المزعج قياها . ولكن يبدو أن الخطة الصليبية لم يكن لها دعاء في مقاطعة نورمانديا . شكى العالي في حق دول الحرب الأوروبي . أسفر :

على ١٠٨ و ١٠٨٥ . وكان من الجائز جداً وقتئذ أن يفقد الإمبراطور هرشه دولته ، لولا أن انتهت الحرب بانتصار الكيس وانسحاب التورماندين (١) . وقد خرج بوهيمند من هذه الحرب بنتيجة تتلخص في أنه ليس بوسعه مهاجمة الدولة البيزنطية في أوروبا لقوتها وبأمرها . ولذلك فقد عدول منذ ذلك اللحظة على تجربة حظه في ميدان جديد له ينجح فيها أخفق فيه سابقاً ، ويستوى عنده إن كان ذلك على حساب العرب أو على حساب بيزنطة نفسها .

ويحدثنا المؤرخ المجهول عن أسباب اشتراك بوهيمند في الحركة الصليبية . فقد كان هذا الأخير يساعد على الكونت روجر الأول صاحب صقلية في حصار مدينة أمالفي Amalfi ثنائره ، وسمع حينئذ أن جيوشاً كثيرة من فرنسا ولواريغيا وألمانيا توجه نحو الشرق لفرز الأراضي المقدسة . وبعد أن سألهم عن شعارهم ووجهتهم والهدف الذي يفتقدونه من حركتهم ، مرهان ما ترك المدينة المحاصرة وتوجه بجيوشه صوب بيت المقدس (٢) . فقد وجد في الفكرة الصليبية فرصة ذهبية للظهور بظهور المسيح الورع التي يترك بلاده للدفاع عن المسيحية وتحرير قبر المسيح . ولكنه في قرارة نفسه كان يفكر في مصالحه الخاصة وأطماعه الذاتية التي ستكشف عنها الأيام .

ويضرب ثنائرون سياسة بوهيمند فيقول إن إيطاليا حانقت بظلامه ، بعد

(١) ويرجع الفضل في ذلك إلى البلاطة الذين وقفوا إلى جانب الإمبراطور البيزنطي في حربه ضد التورمان . إذ قام أسطولهم بقطع طرق مواصلات التورمان ، مقابل الامتيازات التجارية الواسعة التي منحها لهم الإمبراطور في دولته . انظر :

Setton, Hist. of the Normans, 19 - 20; Pirenne, Economic and Social Hist. of Med. Europe, 20.

(٢) انظر رواية المؤرخ المجهول في كتابه جروسه وماكينتر :
Grousset, Crois., I, 20; Haskins, The Normans, 213.

أن وجد فيها مسرحاً لم يعد يصلح لتحقيق أغراضه السياسية . لذا تمحس لفكرة الحرب الصليبية تحمسا كبيرا حيث يمكنه تحقيق آماله المريضة . وبما لاشك فيه أن بوهيمنه كان على دراية تامة بالسياسة البيزنطية وبالمسائل الشرقية ، وكان يعرف مدى قوة بيزنطة وميلع ثروتها ومواطن الضعف فيها ، لأنه كان على صلة بها - كما رأينا - في الحروب للتوسعية النورماندية ^(١) . وكان هذا السيد الطموح يهدف إلى إنشاء إمارة له في الشرق ، خاصة وأن أباه عين قبل موته ابنه الأصغر المسمى روجر بورسا Roger Borsa لينخلفه في الحكم . وهكذا بعد وفاة جويسكار وجد بوهيمنه نفسه بدون أي ممتلكات في الغرب بعد أن آل كل شيء إلى أخيه الأصغر ، اللهم إلا من بعض الأملاك البسيطة التي أمكنه اقتراعهما بالقوة في جنوب إيطاليا . لذا وجد في الحملة الصليبية فرصة طيبة لتحقيق أطماعه الواسعة ^(٢) . وشئت تاريخ بوهيمنه نفسه ، وما كتبته عنه آل كومنن ، أنه قد فكر فعلا في الاستمالة بالدولة البيزنطية لتحقيق هذا الغرض ^(٣) . ويريد أحد المؤرخين الغربيين المحدثين ، وهو شارل هومر هامكنز ، الأمر وضوحا ، فيقول إن بوهيمنه لم تكن تعنيه مصالح بيزنطة أو مسألة تحرير القبر المقدس ، وإن أهدافه انجذبت منذ البداية نحو تأسيس إمارة له في سورية ، مثلما فعل غيره من أفراد أسرته عندما كانوا عاكف لهم في إيطاليا وصقلية ^(٤) .

هنا عن بوهيمنه وسياسه ، وأما عن صفاته الشخصية فتذكر المراجع أنه

Chalandon, Première Crois., 132. (١)

Chalandon, Alexis Comnène, 184; Haskins, Normans, 213. (٢)

Alexiad., 267. (٣)

Haskins, The Normans, 214. (٤) — انظر أيضا باروكر - الحروب

الصليبية ، ص ٢٩ .

كان خادق ، لا يكاد ، لبقا مرعا ، سياسيا حنكا . وليس أدل على ذلك من مراقبه حيال الامبراطور البيزنطى وباتى ذهبا الفرنج في الحلة الاولى . ولم تكن تقصه العملات التي يتحل بها الفارس الاقطاعى . وهو يعتبر بدون شك أبرز شخصية في الحرب الصليبية الاولى ، ومن أمهر قادة الجيوش الصليبية على الإطلاق . وكان هو الرجل الذى توجه إليه الانتظار في المواقف الدقيقة الحرجة . ولم يكن عدله هذه المرة القسطنطينية وإنما الشرق العربى ، إذ سبق أن خبر قوة الدولة البيزنطية في حروبه ضدها . ولم يكن على استعداد لدخول في جولة ثانية معها قد بلغ فيها كل شئ . وقد أقامه وجوده في جنوب إيطاليا حيث كان البيزنطيون قد لبثوا أقدامهم ايذ لفترة طويلة ، وطبقوها بطلبهم الخاص إلى أن طردم منها النورمان . كما كان على اتصال دائم بالعرب في شمال افريقية ، وكان على علم بطبايعهم وطرقهم في الحرب والقتال .

ويقارن ريفيه جروسيه (١) بين يوهيمند وأحد قواد الجيش البيزنطى من المرتزة الفرينج واسمه روسيل (٢) Rousel de Bealeul ، وكان هذا الأخير قد اشترك في موقعة ملاذكرد ضد السلاجقة ، ثم تار بعد ذلك على الامبراطور البيزنطى ، وحاول تأسيس دولة نورماندية في آسيا الصغرى مثبنا حاول يوهيمند في البلقان . ولكن الكيس لم يمكنه من بنيته ، وألحق به الهزيمة ، وتغنى على عظامه وهي لا تزال في مهبها . وطمع يوهيمند في تحقيق نفس الشئ الذى كان يصبر إليه روسيل (٣) . لقد تأكد يوهيمند من قوة الدولة البيزنطية في البلقان ،

Grousset, Hist. des Croisades, I, 21; cf. also Runciman, (١)
Hist. of the Crusades, I, 62-3, 66-7.

(٢) لفر دى الموليت عن روسيل هذا ، أنظر :

Runciman, Hist. of the Crusades, I, 67 & n. 1.

Diehl, L' Europe Orientale, 20; Chahmon, Fremière (٣)
Crois., 133.

وانه لن يمكنه تحقيق مطالبه في اقتطاع الأوروبي منها . ولذلك حول على تأسيس إمارة له في آسيا ، ولا مانع لديه إن كان ذلك بمعاونة خصمه القديم الإمبراطور البيزنطى أم لا . ولذلك كان لزاما عليه أن يعمل على اكتساب قوته ، وأن يتظاهر له بالولاء والإخلاص إلى أن يتم له تحقيق أمله . ولكنه مع كل هذا لم يتمكن من إزالة شكوك الإمبراطور حياله (١) .

هذا عن بوهيمند . أما عن الكيسر فقد كان بطبيعة الحال يتوجس خيفة من عبوه القديم . ولم يفسر القضايا التي سببها له النورمان في الحملة التي شنوها على الدولة البيزنطية قبل ذلك التاريخ بوضع سنوات . ولذلك كان يفسر دائما نوايا هذا الأمير النورماندى ، وإن تظاهر له بالمودة السطحية التي تفل من ورائها الخيعة والحذر (٢) . وهذا ما استكشف عنه أحداث السنوات التالية .

أقد أكدت تلك الأحداث في ذهن الكيسر أنه مهما كانت الدوافع الرسمية للحملة ، فإن الهدف الحقيقي الذى كان الملبديون يسعون إليه هو أن يضعوا لأنفسهم إمارات يحكمونها في الشرق . ولم يترس إمبراطور البيزنطيين على ذلك طالما أن دولته ستترد كل الأراضي التي كانت تدخل في نطاقها قبل غزوات السلاجقة . وعلى هذا تحدثت سياسته حيال الجيش النورمانى بقيادة بوهيمند صديقه (الأسود) (٣) .

ومن الشخصيات البارزة التي اشتركت مع بوهيمند في هذه الحملة أخذته المسماة إيمما Emma ، وابنتها تكريد (٤) التي كان يحبه خاله في كثير من صفاته .

Alexiad, 264. (١)

Chalandon, Première Crois., 132. (٢)

Runciman, op. cit., I, 145. (٣)

(٤) المزيد من الخائب عن إيمما وتكريد: أنظر - 20 n. 2 Grousset, Crois. ,

وقد سافر هو الآخر إلى الشرق وفي نيته تأسيس إمارة له هناك. وكذلك مؤرخ الحملة المعروف بالمؤرخ المجهول الذي شاهد أحداثها وسجلها لنا في كتاب لا يمكن إغفاله عند التعرض لتاريخ هذه الحقبة من الزمن . ويقرر عدد من ساهم في الحملة بمخيماته قارس هذا المشاة .

وبعد إتمام الاستعدادات ، أبحر جيش بوهيمند من مدينة باري ، Bari ، ومن باراتانت Otrante وبرنديزي Brindisi ، وكان ذلك في أوائل نوفمبر من سنة ١٠٩٦ م (١) . ثم نزل في فالونا Valona ، ودورازو Durazzo ، وكانت الخبورات كثيرة متوفرة طوال الطريق . وبعد ذلك جمع بوهيمند جنوده في وادي دروبولي Dropoli ، وأمرهم بالآل يمشوا غسادي الأراضي البيزنطية ، والآل يسلكوا مسلكا شائتا فيها ، وهذه من ذلك ، بطبيعة الحال ، هو كسب ود الكيس تمشيا مع سياسته التي اختطها وسار عليها . ثم واصل الدوق سفره إلى كاستوريا Castoria إحدى بلاد مقدونية (٢٥ ديسمبر) ، وأقام هناك بضعة أيام . وقد حاول التورمان الحصول على ما يلزمهم من الطعام ، ولكن السكان - وكانت ذكرى حرب ١٠٨١ لا تزال باقية في أذهانهم - رفضوا أن يبيعهم أو يعطوهم شيئا . فاستول القرنج عنوة على كل ما يلزمهم . ثم شدوا رحلهم من كستوريا إلى يلاجونيا Pelagonia ، وفي أثناء الطريق أشعلوا النيران في بلدة من كان فيها من المراقبة الآخرين . وبعد أن أمضى الجيش بضعة أيام في يلاجونيا وصل إلى نهر الفرداد Verdaz ، وهناك هاجم جيش الامبراطور المكون من الأتراك السككفين بمراقبة القرنج ، مؤخرة الجيش

(١) تحدثنا الكلمة آن حكوميين من اعتبا كانت وقت بين الاسطولين البيزنطيين والرومان عن نهاية الرحلة . ويضدحاثون أن هذه الرواية من نوع خيالة ، وليس له أي سبب من الصحة . أنظر : Chalandon, op. cit., 134.

النورماندى . ويقول شالندون إن هذا الاعتقاد إنما كان استقاما للبدء الى أحرقهم النورمان بالقرب من يلاجونيا . وعندما علم تسكريد بما حدث ، وكان قد عبر بحر الفردار ، ثارت ثائرتة وارتد على أعقابہ ، وشقت شمل القوات أبير طلية . ويرى كل من المؤرخ المجهول وراؤول ده كلان ، أن تسكريد محق في ذلك . وفيما يتعلق بالأمري الاضيق الذين وقعوا في قبضة الجيش النورماندى خلال هذه المناوشة ، فقد أطلق يوهيمند سراحهم وتركهم لحال سبيلهم حتى لا يوغر صدر الامبراطور عليه ، وحتى يكسب رضائه وتأيدده له في تحقيق رغباته ؛ وحدث ذلك في ١٨ فبراير سنة ١٠٩٧ م (١) .

وفي تلك الاثناء أوفد الكسيس رسلا من قبله الى يوهيمند طلبوا منه أن يمنع جنده من إحداث الخسب في الأراضي البيزنطية . وقام في ذلك الحين نزاع بين يوهيمند وابن أخته تسكريد ، لأن هذا الأخير كان قد عزم على مهاجمة إحدى الحصن البيزنطية ، بينما كان يوهيمند يرى عكس ذلك حتى لا تسوء العلاقات بينه وبين الامبراطور تنفيذاً لخطته المرسومة . وهكذا بينما كان تسكريد يرى اتخاذ القعدة حيال البيزنطيين ، كان حاله يرى اصطلاح البشارة واللين لحاجته الى الكسيس والحاجة في نفسه .

وعندما وصل يوهيمند وجيشه الى سيرا Serra في تراقية قابله مندوبين من قبل الكسيس ووعدهم بالهدايا النفيسة إلى استيق جيشه وذهب الى القسطنطينية ليشول بين يدي الامبراطور وفي أول أبريل من سنة ١٠٩٧ م وصل يوهيمند إلى روسا Rosa تراقية ، وقد قبل التناهب إلى العاصمة تاركا جيشه بقيادة تسكريد ، آملا أن يتال تأيد الامبراطور بالتزول عند إرادته .

Raoul de Caen, R.H.C.-H.Occ., III, 607-10; cf. Chalandon, (١)
op. cit., 135.

وعندما وصل الأمير انورماندى إلى القسطنطينية وحب به الكيس واستقبله استقبالاً لائقاً ، إذ أمر بإعداد الطنافس الجميلة والثوب الكثير من الذهب والفضة ، وغير هذا وذلك على يد شخصاً مثل بوهيمند . وتمع آل كومنين قصة اللقاء الذى تم بين بوهيمند وأبيها وصفاً ممتازاً شيقاً ، فكشف عن صراحة عن حقيقة العلاقات بين الرجلين بصفة خاصة ، وخلق ضوءاً كافياً عن موقف كل من الاثنين والاعرجى حيال الآخر بصفة عامة . ويبدو من سياق حديثها أنها كانت شاهدة حيال هذا اللقاء العجيب . تقول إن أباهما استقبل الأمير النورماندى مرحباً عالياً ، وإن الانسامة لم تكن تمارق وجهه ، وإنه أخذ يسأله عن أحواله وعن رحلته ، والمكان الذى ترك فيه باقى النبلاء الذين جاءوا معه من القرب . وكان بوهيمند صريحاً واضحاً فى إجابته على الأسئلة التى وجهها إليه الكيس . فلم يحاول إخفاء أى شيء حتى يستردفة الامبراطور فيه . وعندما أخذ الكيس يذكره مازحاً بمداخه القديم له ، أجابه بوهيمند قائلاً : « بالرحم من أنتى كنت وقتذاك غصصك وعدوك ، إلا أنتى قادم الآن بمحض إرادتى كصديق عظيم وفى جلالتك » . وكأنه يريد أن يشرح من رأس الامبراطور تلك الفكرة السيئة التى يعرفها عنه . وهكذا يبدو من سياق المحادثة أن كلا من الرجلين كان يرتاب فى صاحبه ، ويحاول قدر الاستطاعة معرفة حقيقة نواياه وإزالة شكوكه حياله ، بالتظاهر بالود السطحي وتناسى الماضى المزعج . وتذكر الكاتبة الاعرجية أن الامبراطور لم يشأ أن يطيل الحديث مع ضربه القديم فى أول لقاء بينهما ، وبعد أن اطمأن إلى أنه لن يتردد فى أداء بين الإخلاص صرفه قائلاً : « لا بد أنك متعب من رحلتك ، ويحسن بك أن تلعب لتتال قسطاً من الراحة . يمكننا التحدث غداً اليوم فى كل ما يمتينا من أمور » . لقد دل الكيس على حكمة وبعد نظر فى موقفه من بوهيمند . وأدركت

ابنته أن ذلك ، لمكتبت من أيها تقول : : لقد اشتهر الامبراطور بفتوته الى
تدعو إل الاعجاب في الحكم على أي فرد ، وفي القوس إلى قراوة نفسه وكشف
خيئته نواياه . وكان على حق في موقفه من يوهيمند ، لعله بما كانت تطوى
عليه نفسه من حقد وخبث ودناء .

ونذكر الكاتبة أن الكسيس ، رغبة منه في الاستغناء بصديقه اللدود ، أمر
باعتاد وليمة فاخرة له . ولكن يوهيمند رفض تناول الطعام خشية أن يكون
الامبراطور قد دس له السم فيه ليتخلص منه ويتق شره . ولم يفتح عن شعوره
هذا ، بل قام بتوزيع الطعام على رجال الامبراطور ، كما لو كان ذلك تصدقا منه
عليهم . وبعد ذلك أمر باعتاد طعام خاص له بمعرفة رجاله الذين أحضرهم معه .
ولم يترك الحادث يمر بسلام ، بل أخذ يستفسر في اليوم التالي عن حال أولئك
الذين تناولوا من طعام الامبراطور ، اعتقادا منه أنهم أصبحوا في عداد
الأموات . وعندما يثق أنهم أصبحوا مفاون وأحياء يردقون ، أبدى اعتذاره
وتأسفه متعللا أنه عندما شاهد انماعة الملكية وعليها عتلف الزمان الطعام ،
رجع بذكره إلى أيام حروبه ضد الامبراطور ، وخشى أن يكون قد دس له
السم لقتله . وتعجب أن كومنين على تصرف الأمير النورماندي بأنه لا يصدر إلا
عن رجل خبيث شرير . وهكذا كان الكسيس يشك دائما في نوايا يوهيمند بن
جريسغار ويتوجس خيفة منه ، وكان يوهيمند نفسه ينظر بسين الريبة إلى
الامبراطور اللينطلي (١) .

وتحدثنا ابنة الكسيس عن جشع يوهيمند وأطامه ، فتقول إن أباهما خصص
له غرفة فاخرة في قصره ، وملاها بمختلف أنواع التحف والثغائس حتى أنه كان

Alexiad, 265-6; cf. Chalandon, Première Crois., 133-6. (١)

بتعلم على المرء أن يجد شيئا من الأرض يسر عليه . وكاف وجاله بمراقبة الأمير عند تقديم تلك الهدايا إليه ، لتعرف على نواياه . وتقول الكاتبة إن بوهيمند عندما رأى كل هذه الكنوز لم يتألك نفسه وصاح قائلا : « لو كنت أملك كل هذا لأصبحت منه زمن بعيد سيداً على كثير من البلاد . » فأجاب رسل الكسيس إن سيدهم أمر بإرسال هذه الهدايا القادرة إليه دون مقابل . وأبسم بوهيمند وأمرها شاكرآ . ولكنه لم يلبث أن غير رأيه ولم تمنح لخطات على موافقته بقبول الهدايا ، وأمر بإعادتها ثانية إلى الكسيس ، موجها الحديث إلى الرسل في نعمة جافة غاضبة : « ولم أكن أتصور أبداً أن يلحق بي الامبراطور مثل هذا العار . » أخذوا هذه الأشياء وأعيدوها إلى ذلك الذي أرسلها . « وتذكر الرواية أن بوهيمند عندما أبصر الرجال يستعدون لخل الكنوز ، عز عليه أن تمنح منه ، وعدل عن رأيه السابق بسرعة مبددا سروره واغتباطه بتقبلها ، ولعله ألد على ذلك حتى لا يشك الامبراطور في حقيقة نواياه إذا ما رفض هداياه . أو لعل الطمع أمهه وخشى أنه تمنح عليه هذه الفرصة .

ولقد الحادثة البسيطة مزاجاً ودلائها في الكشف عن حقيقة دوافع الأمير النورماندى الخاصة ، وعن طباع اللاتين بصفة عامة . وفي ذلك تقول الأميرة آن كومنبي : « إن اللاتين قوم متغلبون لا يشعرون على رأى ولا يفنون على حال ... » ومخلص بوهيمند بكلمات لاذعة ، فتقول إنه « ثير في لخطات كاتبة الحرباء لونها ، فقد كان في طباعه خبث ولؤم . » كما كان على استعداد لتكليف نفسه لكافة الاحتمالات ، وقد فاق جميع اللاتين جرأة وخدايا ، وإن حكان دوتهم همة ومالا ... » وتريد الكاتبة الأمر وضوحاً ، فتروى أنه عندما غادر بلاده إلى الشرق لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئاً . فتظاهر بالرغبة في زيارة القبر المقدس ، وإن كان في قرارة نفسه يسمى سعيها شيئاً لتأسيس ملكه له ، أو اقتناء خطي آية

جويسكار في محاولة هدفها الاستيلاء على بزنطة إن استطاع إلى ذلك سبيلا^(١).
على أى حال ، حلول بوهيمند قدر الاستطاعة إخفاء حقيقته ، والتصرف في
حدود الحيلة التي وسعها لنفسه ، والتي تقتصر في العمل على كسب الكيس إلى
صفه لتحقيق أغراضه وتبديد شكوكه حياله . ولو أدى الأمر إلى مناصرته له ضد
باقي زعماء الفرنج ، هل أن يتشكر له في الوقت المناسب ومتى دعت الضرورة
إلى ذلك كما سيحدث في مسألة انطاكية^(٢) . وتأكيدها لهذه الخطة أقسم بوهيمند
بأن يمدى الكيس بين التسمية والولاء دون أى معارضة أو تردد . وجاء عليه
الامبراطور بكثير من الذهب والفضة والاحجار الكريمة . ويتضح مما سبق أن
هذا الأمير حاول إرضاء الكيس قدر الاستطاعة وبكافة الطرق والوسائل ،
وأن يظهر له بالود حتى يتمكن من تحقيق أغراضه في الشرق . وغلا ظهرت
خليفة نوابه حينما طلب من الامبراطور أن يمنحه وظيفة « خادم الشرق
الأكبر » . وهذه الوظيفة أهميتها بالسمية ليزفلة ، إذ نعى أن يكون صاحبها
سيدا على أنطاكية وضواحيها . ولما نعى الامبراطور ما يرضى اليه بوهيمند ، لم
يعمله ردا صريحا قاطعا ، وظل يراوغه ويمتني بالرجاء حتى لا يجيب أهله فيقلب
عنده . وأخيرا وعده بانقطاعه أرضا في منطقة انطاكية طولها ١٥ يوما وعرضها
ثمانية أيام . وأقسم له الامبراطور أنه سوف لا يبحث بيمينه إذا ما برر بقسمه
الذي قطعه على نفسه^(٣) . ويملأ شائدون موقفه للكيس بقوله : « اعتقد أن
الكيس حينما وعد بوهيمند بانقطاعه أقليا في منطقة انطاكية ، إنما اضطر إلى
ذلك رغما عنه لإرضاء الأمير الثورماندى حتى لا تسوء العلاقات بينهما »^(٤)

(١) Alexiad, 266; Diehl, L'Europe Orientale, 20.

و انصحت الثالث بأحر الكتاب .

(٢) Chalandon, Première Crois., 133.

(٣) Alexiad, 267; cf. Grousset, Crois., I, 22-3.

(٤) Chalandon, Alexis Comnène, 186.

ويذكر المؤرخ المجهول أن الإمبراطور وعد يوهيمند زيادة على ذلك بالمحافظة على سلامته وسلامة دجله . كما تهدد ياروسال جيش بينظلي لحراسة الفرنج برا وبحرا ، ويأمدادهم بما يلزمهم من مؤونة . وقال إنه لن يسمح لأحد بأن يتعرض لجيش يوهيمند بسوء وهو في طريقه إلى القبر المقدس (١) .

أما عن تهتكريد فقد استاء من سياسة غياث ، وجبر البسفور دون أن يمر بالقسطنطينية حتى لا يؤدي القسم المطلوب ، ولحق بالجيش الصليبية الأخرى المتجهة صوب نيقية . هذا في الوقت الذي قام فيه يوهيمند بدور الوسيط الشفيع بين الكيسيس وباقي زعماء الفرنج تمهيدا لخطته وحرصا على حسن صلاته بالإمبراطور (٢) . وأصل أوضح دليل على ذلك موقفه من الخلاف الذي نصب بين الكيسيس وريمون ديه سان جيل أحد زعماء اخلة الأولى . إذ يذكر المؤرخ المجهول أن ريمون أقام في صاحبة من حواشي العاصمة ، وانضأ بعند الذهاب إلى القسطنطينية لحلف النجيين . وبلغ به الأمر أن أخذ يفكر في وسيلة ينتقم بها من جيش الإمبراطور . وقد أوضح بعض كبار الفرنج ، وعلى رأسهم جودفري وروبرت هككونت نورمانديا ، لريمون ديه سان جيل أنه لا يجند بالمسيحيين أن يقاتلوا بعضهم بعضا ، وأنه من الأفضل التفرغ مع الإمبراطور . أما يوهيمند فكان أكثر صراحة ، إذ أكد لكونت تولوز أنه سينفذ إلى جانب الإمبراطور إذا تعرض له بأذى أو سوء . وعندنا استشار ريمون كبار قومه ، أجاوبه أن من مصلحة الرضوخ لرغبة الكيسيس . حيثئذ أقسم باحترام حياة الإمبراطور وشرقه ، متعهدا بعدم التعرض له . ولكن عندما دعي لحلف بين

Anonymi Gesta Francorum, 173. (١)

Raoul de Caen, R.H.C.-H.Occ., III, 612-4; cf. Chalandon, (٢)
Première Crois., 137.

التبعية ، ونقض ذلك رفضا باتا . ويهتأ من هذا الموضوع أن موقف بوهيمند من كوفت تولوز يوضح بجلاء أنه كان قد اتفق مع الامبراطور البيزنطي اتفاقا ثنائيا مستقلا ، وذلك بخلاف الاتفاق العام الذي عقد بين الكيسس وورعما الفرنج (١) .

نستخلص مما سبق ذكره أن البيزنطيين كانوا بلا شك يرهبون جانب بوهيمند أكثر من أي رئيس آخر من رؤساء الفرنج ، ولهم في ذلك عذرهم . لقد عاف الكيسس أن يعمل بوهيمند على تحقيق مقاصد أبيه روبرت جويسكار في الدولة البيزنطية ، مع أن الأمير النورماندي كان مقبلا وكله استعداد للاتفاق مع البيزنطيين ، بل أنصح عن رغبته خلف اثنين أملا أن يكسب بذلك تأييد الامبراطور له في تحقيق مشاريعه السياسية في الشرق ، تلك المشاريع التي أخفق في تنفيذها في التقاطع القريب من الامبراطورية . ولا شك أن ثقته بالانغريز لم تقل من التحفظ . وقد ساد التفاهم في نظامه يده وبين البلاط البيزنطي منذ البداية ، وإن كانت هوامل الزينة بادية متوفرة بين الجانبين ، خاصة وأنه كانت لها مهادن مبهمة قيام الحملة ، كما أحبتها أحداثها وعقبتها .

وي ينبغي ذكره أن هذا الأمير ترك في ذاكرة الأميرة الاغريقية آن كومنن أثرا لايمحى . فقد وصفته في كتابها بأنه « حلاق ، احمر الشعر ، مريض المنكبد ، ذو عيني برأقتين ذراعتين » ، له ضحكة عالية ورائحة جميلة الصورة ، أديب لبق يارع حلو الحديث . « ثم تستورد في وصفه فتقول : « ويبدو أنه كان يحمل بين جوانحه البطولة والحب ، ولم يكن يفوقه سوى الذي الامبراطور في الثراء والبلاغة وباقي الصفات الحميدة التي حبت بها الطبيعة . « ومن العجيب

(١) سقناول هذا الاخلاق شيء من التعميل في الفصل التالي من الكتاب . انظر أيضا رواية كل من آن كومنن ولؤلؤخ الجيول في الملحق الثالث والخميس بآخر الكتاب

حفا أن آل كومنين التي كانت تبض اللاتين ينحنا شديدا كتبت عن بوهيمند
تقول : « لا يوجد في الامبراطورية الرومانية فاطية وجل له مثل شخصية
بوهيمند وصعابه » (١)

بماذا يمر امتداح السكاتية الاعريقية للأمبر التورماندي ؟ لعل ذلك يرجع
إلى مالمسته الأديرة الصغيرة من نواحي البطولة والشجاعة التي ألصق بها هذا
الرجل الطموح ، ثم ما سمعته من أربابا عن مغامراته السابقة في أراضي الدولة
البيزنطية .

على أي حال ، كان الرقاق تاما بين الكيس وبوهيمند ، ومنسثمر العلاقة
بينهما في جو يسوده التفاهم حتى سنة ١٠٩٨ م عندما تظهر في الأفق مشكلة
المطاكية ، وهنا يقبل بوهيمند للامبراطور ظهر الجن ، وتظهر شخصيته على
حقيقتها دون أي تموش ، ويكشف عن غيبته نواياه ، ويقوم بالتزاع سائرا
بينه وبين الامبراطور ، ذلك التزاع الذي سيؤثر تأثيرا بالغا في تطور العلاقات
بين الصليبيين والبيزنطيين طيلة القرن الثاني عشر .

وقامت بعد ذلك الحلة البروفانسالية ، ورئيسها هوريمون الرابع ده سان جيل
كوانت نولوز ومركيز بروفانس (١٠٨٨ - ١١٠٥ م) . وقد حين البابا أربان
الثاني ادعيا ده موتى أسقف مدينة بوى رئيسا ووحيا لتلك الحلة التي أشترك
فيها كثير من القرمسان ووجاه الاقطاع من مشاطمه لاجمويينق Languedoc
بجنوب فرنسا . ويعتبر ريمون هذا من أقوى قادة الحلة الصليبية الأولى ، إن لم
يكن أقوام على الإطلاق .

(١) أنظر رأي آن حكومت في بوهيمند والورمان في سكتاي شارل ديبل .

Diehl, L'Europe Orientale, 20; idem, Figures Byzantines,
2ème Serie, 35.

ومعرف عن هذا الرجل أنه كان معنا وقت قيام الحلة ، كما اشتهر بالودع والتعري . وقد عرف بتأييده المطلق البابوية ، سواء في نزاعها المعروف مع الامبراطورية والنهوى الزمنية الأخرى ، أو فيما كانت تدعو اليه من حروب مقدسة ضد العرب في إسبانيا . وكان ديمون هو الآخر على علم كاف بأحوال العالم العربي لاتصاله به عن طريق الحرب في إسبانيا (١) ، كما كان شجاعا مقداما ، صريحا في رأيه لا يخشى المجاهرة به ، صلبا حازما إلى حد التصلب ، ويتنحى هذا بجلاء في موقفه من الكسيس عندما رفض بإصرار حلف اليمين له . وهو أول من تطوع من رجال الاقطاع في سلك الحرب الصليبية ، وتم ذلك بعد بضعة أيام من انتهاء مؤتمر كليرمون ، مما يحملنا على الاعتقاد أنه كان على اتفاق مع البابا في هذا الشأن قبل انعقاد المؤتمر المذكور . ويحتمل أيضا أن أربان قد فكر في تعيينه قائدا حريا للعملة المرمع قيامها ، وأن يكون ذلك تحت إشراف البابوية ، مثلما عين الأسقف أدميلار رئيسا وروحيا لها . وكان الاتفاق تاما بين ديمون وأدميلار ، إذ ترجع العلاقات بينها إلى عهد بعيد ، كما كانت أسرة الأسقف تعمل في تلبية التكونف .

كان المفروض أن هذا الجيش هو الذي أنهى ليكون الجيش الصليبي الموحد . ولكن قامت جيوش أخرى ، وتعدت المسألة تعقيدا كبيرا كما رأينا . وبلا حظ أن هذا التكونف كان يترج دائما إلى الرقعة والسيطرة ، وإلى فرض إرادته على باقي الفرنج . وما لاشك فيه أن وجود الأسقف في جيوفه كان عاملا هاما على التخفيف من غلوائه والتوفيق بينه وبين الآخرين ، حتى أنه بعد موت أدميلار سرعان ما نصب التراج بين سان جيل ويوهيمتد حول انطاكية ، ولم يوجد من يتوسط بينها .

وماضى سان جيل يدنا على أنه قدم إلى الشرق مدفوعا بسامل القنوى على عكس زميله بوميت ، وذلك استجابة لثناء البابوية وفقا لرواية المؤرخ الفرنسى شالندون . ويقول ميخائيل السورى انه سبق له الحج إلى الأراضى المقدسة قبل قيام الحملة الصليبية الأولى (١) . كما أن مسلكه في الطريق أثناء الحملة ، وبالنسبة للأحداث التي وقعت حتى قيام مسألة انطاكية يؤيد ذلك . فكثيرا ما كان يعرض نفسه للخطر في سبيل رجاله وأفراد جيشه . ثم أن موقفه من الإمبراطور البيزنطى ورفضه أداء يمين التبعية له يدل على عناده وكبريائه ، وأنه كان مدفوعا ولو ظاهريا بالعامل الدين . وحتى قبل سفره إلى الشرق ، قطع على نفسه عهدا بعدم العودة إلى بلاده والبقاء في الأراضى المقدسة حتى يموت فيها . ولكن أحداث السنوات التالية أكدت أن هذا الودع الذى اقصف به سان جيل لم يكن عميما متصلا حسيما كما يبدو من مواقفه في المراحل الأولى من الحركة ، كما أكدت أن هذا الرجل لم يكن يقل عن زملائه اللاتين طمعا وجهما ورجا للسلطان ، الأمر الذى يكشف عن أهداف الحركة الصليبية من بدايتها . لقد انتهى به الأمر إلى أن أصبحت له أطماع عادية ، شأنه شأن غيره من زعماء هذه الحملة ، أو لعل هذه الأطماع كانت كاشفة في قرارة نفسه ، ولم يكشف عنها إلا في الوقت المناسب . وقد سعى في ذلك سعيًا حثيثا حتى نجح آخر الأمر في الحصول على منطقة طرابلس الشام لنفسه ولأسرته من بعده .

قد اشترك مع ريمون كثير من الفرسان ورجال الاقطاع ، وكذلك مؤرخ الحملة المسمى ريمون داجيل ، وهو عادم كنيسة الخاصة الذى ترك لنا كتابا

(١) ... Dans ce temps, et tandis que les Turks dominaient à Jérusalem et sur tout le littoral, un chef nommé Saint Gilles vint visiter la Cité sainte ... - Cf. Michel le Syrien, R.H.G. - Doc. Arm., I, 327.

عن الحملة لا يقل في قيمته عن تأليف زملائه من اشتركوا فيها وسجلوا أصدائها .
وأخيرا في خريف عام ١٠٩٧ قامت الحملة من جنوب فرنسا ، ومرت شمس
إيطاليا وباستريا وكرواتيا وبلغاريا وإليانها ومنها إلى مقدونية . ولم يقع أحد
الطريق حادث ما ، إذا استثنينا موقف الكرواتيين العدائي ، حتى لقد اضطر
المكون من أن يدفع عن نفسه ضد اعتداء المكان عليه وعلى رجاله . ثم واصل
الجيش سيرة إلى دورازو عن طريق راجوزا Ragusa وسكوتاري Scutari .
وأقام كرنك تولوز علاقات ودية مع يوحنا كومنين حاكم منطقة دورازو ،
وهو ابن الإمبراطور الكيس كومنين . وكان الإمبراطور قد كاتبه جيشه
المكون من البجانيكية والكومان والترك والبلغار (١) ، بمراقبة القوات

(١) الواقع أي أبانرة بيرطة تملوا من مصر الإمبراطورية الرومانية القديمة درساً لبلدنا ،
وذلك فيما يتعلق بشؤونهم . فالعروف أن أوطان الرومان الغربيين تركوا أبناء جلدتهم
في الكنائس الرومانية ينضمون لحياة الفجر والفرح ، بينما استخدموا الجرمين كخندق مرتفعة
لحماية دولتهم والعمل على حفظ الأمن والنظام فيها . ولكن تلك الكنائس البيزنطية التي
استخدموها لمعانمة على منكم كانت في الغول تقي مدغم تلك الإمبراطورية . والسبب في
ذلك أن أولئك الجند المرتقة كانوا من جيش واحد وأصل واحد ، وكان من السهل تجميع
كلهم تحت إمرة قائد واحد يوجههم إلى قلب الإمبراطورية . وهذا ما حدث بالفعل في أحداث
هذه ، أما الأباطرة الشرقيون - ومن بينهم الكيس كومنين - فقد لجأوا إلى طريقة أخرى
يمكن بها علاج المساوي التي نجت من وحدة الجيش في صفوف الجيش الغربي . ثم يلجأوا
في استخدام المرتقة على الجند الحرمان وغيرهم من التبرير الذي حلوا منهم عدد ككتاب .
واكن استخدموا أيضا الجند المرتقة من أحاسن أخرى مختلفة وميوله مختلفة وفي بعض الأحيان
من أديان مختلفة ، وبذلك يضمنون عدم توحيد كلمة الجيش للتصديق الأسس والانتماء والمجلس
والدين والسادات والتقاليد تحت إمرة رجل واحد فلا يمكن جمع كلهم وتوجيهها - مد
الإمبراطورية أو الخاضع على المرتز الإمبراطورية . ولذلك نجد إلى جانب ككتاب الحرمان ككتاب
من القرمجة والرومان والمهتر والروس ، وعناصر من الأتراك كالبجانيكية والكومان
والتركوبان وغيرهم . وكان هذا - بلا شك - من بين العوامل التي أدت إلى غناء الإمبراطورية
الرومانية الشرقية حوالي عشرة قرون بعد زوال الدولة الرومانية القديمة . أخطر من ذلك
مراجع التالية :

البروفانسالية أثناء اجتيازها لأراضي امبراطوريته ، وذلك على نحو ما فعله مع الجيوش الصليبية الأخرى ، وتفتينا لسياسة العامة حيال الصليبيين (١) .

وبينما كانت قوات سان جيل تعبر نهر ريلاجونيا ، حدث اشتباك بينها وبين الجيش البيزنطي . وتفصيل ذلك أن الأسقف أجهار ابتعد قليلا عن معسكر وقائه ، مهاجرا وترك وأوقعوه على الأرض فأصيب بهرج في رأسه ، ثم سلبوه ماله ، ولولا نزاع نشب بين مهاجيه في أيهم له الفضل في أسر الأسقف واقتبض هايه ، لتضى عليه ولاصبح في حداد الأموات . وبعد أن أقتد كونت تولوز الأسقف ، أتم هو ورجاله سيرهم إلى أن وصلوا إلى قلعة تسمى بوكينات Buchet ، وكان الخطر محدقا بهم من جميع الجهات . وعلم الكونت أن الأتراك يريدون مهاجمة جيبه في هذه المنطقة ، فمكن لهم بمساعدة بعض الفرسان ، ثم اقتض عليهم وقتل عددا كبيرا منهم ، ولذا الباقون بالفرار خوفا على حياتهم . وفي تلك الأثناء وصل خطاب من الامبراطور البيزنطي يؤمن فيه سان جيل بجماعته على حياتهم ، ثم واصل الجيش البروفانسالي السير إلى سالونيكيا ، وقد اضطر الأسقف إلى التخلي عن مقره . وبقي معه قهر قليل من الجيش (٢) .

بعد ذلك واصل الجيش تقدمه حتى بلغ مدينة روسكوى ، وقد أظهر سكانها العداء للصليبيين الذين اضطروا إلى استخدام القوة ، فهاجموا المدينة واستولوا على

Haucman, Byzantine Civilisation, 15-6; Ostrogorsky, Hist. of the Byzantine State, 304, 319 ff., 328 n. 3, 348; Diehl, Byzance: Grandeur et Décadence, 38, 41; Hussey, The Byzantine World, 15, 52, 97; Oman, The Art of War in the Middle Ages, 11-2.

Grousset, Crois., I, 23 - 4. (١)

Raimond d'Agiles, R.H.C.-H Occ., III, 237. (٢)

استحكاماتها وماتوا فيها فسادا . ولم يلبث البيزنطيون أن تأكلوا هذا العذراء بمثل
 صنعا من اللاتين بمدينة رودستو Rodosto . ولكن القرصنة تمحوها في صد
 هجمات الترك والبيجناكية الذين كانوا جندا مرتزقة في الجيش البيزنطي . وفي تلك
 الأثناء قابل سان جيل سقراءه الذين كان قد أوفدهم إلى الامبراطور الكسيس ،
 وكان يصحبهم رسل من قبل الامبراطور طلبوا إليه أن يستبق غوانه إلى
 القسطنطينية لقابة سيدم . وكان الامبراطور البيزنطي قد أحسن استقبال سقراء
 كونت اولوز ، وغرم بداياهم واستألفهم إليه بسياسة ولباقته . وترك هذا أثره
 في نفوسهم ، فأخبروا سيدم الكونت أن جود فرى وبرهيمند وكونت
 ده فلانروز يرجونه التوجه تورا إلى العاصمة لقابة الامبراطور ، وحثه على
 الاشتراك مع الصليبيين في صراعهم المرقب ضد الأتراك . ويتهم مؤرخ الحقبة
 ريمون داجيل سقراء كونت تولوز بأنهم استجابوا لمطالب الكسيس ،
 وانصاعوا له بفضل هدأياه وسياسة الماكرة وحسن معاملته لهم (١) .

على أي حال قبل سان جيل هذه الدعوة ، وترك جيله وواصل مسيره مع
 جماعة قليلة صوب العاصمة لقابة الامبراطور . ويعتقد مؤرخ الحقبة أن الكسيس
 أراد بهذه الحيلة إبعاد الكونت عن دجاله ، حتى يتمكن الجيش البيزنطي من
 مهاجمة القراة البروطانالية والتغلب عليها بسهولة . وهكذا نراه يدق القوم
 والتبعة على البيزنطيين ، شاء في ذلك شأن باقي القورخين اللاتين مثل فرشييه ده
 شارنر والمؤرخ المجهول . ويفتدشالتدون هذه التهمة كاتلا إنها تهمه باطله .
 وإن المهدف الذي كان يرى إليه الكسيس هو إقناع كونت تولوز بوجهة

(١) انظر ميخائيل السوي : فن للصدر السابق وقس الصفحة .

نظرة أسوة بما فعله مسيح باقى رؤساء الفرنج الذين توافقوا نباعا على القسطنطينية .

وبعد سفر سان جيل بقليل نشبت معركة بين قواته وبين الجيش البيزنطى فى ظروف يشوبها الغموض ، ولم يعرف منها من كان البادىء بالعدوان . وقد منى الفرنج هزيمة شديدة ، إذ قُتلت ثلثهم وسلبوا أسلحتهم وصنادم إلى الجيش البيزنطى . ويذكر شالندون أن هذه المعركة حدثت على اثر تمسك الفرنج على مدينة روسكوى وغيرها . (١) ولما علم كونت تولوز بالكارثة التى لحقت بقواته ، وكان قد وصل إلى القسطنطينية ، استاء كثيرا وامتنع به القصب . وقد ترك هذا الحادث أثره فى نفس سان جيل وفى موقفه من الامبراطور عند عقابته لياه ، أو لعله افلده ذريعة لتشدد فى موقفه من الكيس .

عندما وصل الكونت إلى القسطنطينية أحسن الامبراطور استقباله ، وطلب منه أداء اليمين كما فعل باقى رؤساء الفرنج . وهنا تلاحظ أن الكيس كان مستمرا فى تنفيذ سياسته التى رسمها لنفسه بدقة تامة . وقد رفض الكونت رفضا بانا إجابة الامبراطور إلى طلبه ، لأنه كان يعتبر نفسه تابعا لسيد آخر غير الكيس وهو البابا أربان الثانى . إلا أنه أفهم الامبراطور بأنه إذا وحده بالاشتراك فى الحملة ضد السلاجقة لنزويده المقدس ، فإنه سوف يمنح نفسه وأهلا له ودعوه تحت تصرفه . ولكن الكيس رفض التمسك بذلك ، متعلقا بأنه لا يمكنه ترك دولته معرضة لخطر جبراته من الألمان والمختار والكومان ، الذين

كانوا يغيرون عليها من وقت لآخر^(١). وهكذا نرى أنه في الوقت الذي تمكن فيه الكيس من إقناع ميوج وجود قري وبوميسند وغيرهم من كبار الفرنج بحض اليمين ، ونحن سان جيل بمناد أداء القسم المطلوب .

لم ينته الإمبراطور وكونت تولوز إلى اتفاق ودي ، وكانت الأنباء الخاصة بزيمة البروقانساليين قد وصلت القسطنطينية . وأبدى ريمون استياءه الإهانة التي لحقت به وبقواته على أيدي رجال الإمبراطور ، وأصر على الانتقام لنفسه . ولعله وجد في هذه الحادثة فرصة طيبة للتشبيك بموقفه ، فأوعز لعدد من فرسانه باتهام الكيس بالتقصير من جانبه في حاية قرواته . وأجلب الإمبراطور بأنه لم أن قوات ريمون عانت فسادا في بلاده وأساءت معاملة الأهلين ، وأنه الأجدر بالكونت ألا يجار بالكوي أو يتحدث في هذا الموضوع ، ولما كان الكيس يرغب في حسم الموضوع ، فقد وافق على أن يجري تحقيق لمعرفة من البديء بالعدوان . ولم تكن نتيجة التحقيق في صالح كونت تولوز بما أن ثبت هضم صرحة دمره .

Respondit comes : “ Se ideo non venisae, ut dominum (١)
 alium faceret aut alii militaret, nisi illi propter quem patriam
 et bona patriae suae dimiserat. Et tamen fore, si imperator cum
 exercitu iret Iherosolimam, quod se et suos et sua omnia illi
 committeret.” Sed imperator excusat iter, dicens: “Praemotueret
 se Alemanos et Ungaros et Comanos, aliasque feras gentes,
 quae imperium suum depopularentur, si ipse transitum cum
 peregrinis faceret . . .” Cf. Raimond d'Agilca, R. H. C. — H
 O. c., III, 238.

ومها كان الأمر ، قد أمر ريمون على موقفه ، ولكنه وجد في النهاية أن تثبته سوف يضرب بالحلف الصليبي الذي جند الثلاثين له كل إمكانياتهم . وفي هذه الأثناء وصل إلى العاصمة بقية الجيش البروفانسالي وعلى رأسه الأسقف أدمبار . وقد سار الأسقف لتوفيق بين الإمبراطور وسان جيل ، وأخذ كل من جودفري وكونت ده فلاندرز على عاتقهما إلهام سان جيل أن هناك سيؤثر تأثيرا سبئيا على الحرب الصليبية ، وقد يؤدي إلى فشلها في نهاية الأمر . وأوشعوا له أنه ليس من الصالح العام أن يتقاتل المسيحيون ، والآراك السلاجقة والقرون طم بالمرصاد في نيقية على بعد بضعة كيلو مترات من معسكرهم . كما حاول كل من صوبج وجودفري إقناع سان جيل بخلف البعير المطلوبة . أما بوميمند فقد التحاز صراحة إلى جانب الإمبراطور في موقفه ضد البروفانساليين ليحافظ على حسن صلته به تنفيذ لسياسة التي اتبناها حياله .

وأخيرا قبل ريمون ده سان جيل تحت إلحاح زملائه وحضعت الظروف وغشية اقسام المصروف ، أن يقسم هو ورجاله باحترام حياة الإمبراطور وشرفه ، ولكنه رفض حتى النهاية حلف بيمين قسبية والولاء بالمعنى المعروف من هذا الدين في الغرب الأوروبي . وعندما ترك كونت تولوز الإمبراطور كانت العلاقة بينهما متوترة بعض الشيء ، حتى أن الكيس لم يصدق عليه من المنع والهدايا مثلا قبل مع باقي رؤساء الفرنج (١) .

تلك هي أخبار الجيوش القوطية والترومادية والبروفانسالية ، أما الجيش

Raimond d'Agiles, R. H. C. -- H. Occ., III, 238; cf. (١)
Chalandon, Première Crois., 146--7.

الفرنسي الرئيسي بقيادة روبرت كورت نوحافديا واتين كورت يوا ، قد استبقه
ميوج ده فيرماندا المعروف بميوج العظيم أخو فيليب الأول ملك فرنسا ، وكان
أول من وصل من زعماء الفرنج إلى القسطنطينية . ولم يستطع فيليب الاشراف
بشخصه في الحملة يجب قرار الحرمان الذي أصدره البابا صله ، ولكنه شجع
أتباعه على حل شارة الصليب والذهاب إلى الأراضي المقدسة ، وعين أخاه
قائدا للحملة .

كان ميوج شديد الكبرياء ، متجرفا ، لم يكن يتمتع بمصالح القادة الكبار
أو كفاهاتهم ، ولم يحم بأي دور هام في الحملة اللهم إلا دور الوسيط بين الكيس
وبالق الزعماء للفرنج كما رأينا آنفا . وقد أرسل خطابا إلى الامبراطور قبل
وصوله قال فيه : « ليسكن في حنك أني أعظم من أنجبهم السلام ... » ، وبذلك
كشف عن جانب من طباع اللاتين . ثم طلب منه أن يستقبله بما يليق بشخصه
العظيم من ترحاب وتكريم . وعندما استلم الامبراطور رسالة الكونت أرسل
إلى عماله في الأقاليم طالبا منهم استقباله استقبالا لائما عند وصوله ، مع إحاطته
على بركاته وسكناته . وهذا دليل على ذكاء الكيس ودبلوماسيته وبعد نظره .

ابتدأ ميوج العظيم رحلته من الغرب . ولكن عاصمة عاتية مبيت في الطريق
للمنعت به ومن كان معه على ساحل ابيروس ، ووقع في أيدي البيزنطيين . وقد
أكرم الحاكم البيزنطي وقادته تنفيذ التطلبات الامبراطور ، ثم أرسله مبردا إلى
القسطنطينية حيث استقبله الكيس بحفاوة بالغة كان لها أجسل الأثر في
نفسه (١) .

وكان هيوغ موضع رقابة من وراء الستار . وقد تبين للكيس أن لديه رهينة ثمينة في شخص هذا الرجل ، ورأى بصيرته النافذة أن يستخذه في مفاوضاته مع باقي زعماء الفرنج . لذا تراءى بهما بالحق واليمين ، ولم يجد أدنى صعوبة في الحصول على موافقته على أداء بين التبعية والولاء له ^(١) ، وضمه بالهدايا النفيسة ، وإن كان قد حصل سياسته بقصد الحد من حريته ^(٢) .

وبما يجد ذكره أن الأمير بطور قد استخدم هيوغ في تدليل الصعاب التي قامت بينه وبين زعماء الفرنج الآخرين ، وفي محاولة إقناعهم بوجهة نظره . وقد رأينا مثلاً لذلك في توسطه لدى كل من جودفري وريموند دى سان جيل . وإذ راع أن الدور الذي أمه هيوغ سهل على الكيس مهمته إلى حد كبير .

وبعد ذلك بفترة من الزمن وصلت الحملة الفرنسية الرئيسية بقيادة روبرت كورتيز أمير نورمانديا ^(٣) Robert Courtheuse ، وصهره ابن كوات

Diehl, L'Europe Orientale, 19. ^(١)

^(٢) Runciman, Crusades, I, 144. وقد ذكرت أن كورتيز أن الحسام الذي حمله كورتيز لم يطلق هيوغ مطلق الحرية . بينما أوصفت المصادر الغربية - وخاصة الموزع الجيول والبرت دكس - أنه أجبر كورتيز على مرعوبه به . أنظر : Gesta Francorum, 14; Albert d'Aix, 304.

وليس ملك هيوغ حيال الأحداث التي وقعت فيما بعد ، وخاصة علاقته الطيبة بلام بطور البيرطر ونامة دور الوسيط بين الكيس وباقي زعماء الفرنج تؤكد خلاف ذلك . أنظر تحليل راسن بوقت البيرطرين من هيوغ Runciman, op. cit., I, 144 n. 2.

^(٣) هو الابن الأكبر لولم الفاتح ، ويطلق عليه ساسروود اسم « البروق الطيب » لعبه قلبه وعين سعادته . وعظام برمن دوليته لأخيه للسى ولم رونوس William Rufus ، حتى يسبق له جميع الفاتح اللازمة للاتفاق على الحملة . ويبدو أنه لم يكن متوافقاً مع الأخي الصبي ، بالرغم من أنه قال جبراً بل يجب مع باقي الزعماء الفرنج في تبعية وانطوائية ، كما سألهم في الاستيلاء على القدس . أنظر : Haskins, The Normans, 212; Runciman, Hist. of the Crus., I, 165.

بلوا وشاء نرد^(١)، وروبرت التلقى أمير الأراغون^(٢)، واشترك في هذه الحملة أيضا أدنولف Arnulf الخادم الخاص لكنيسة القوق، والذي لمع اسمه فيما بعد عندما أصبح بطريركا ليوت المقدس. وكذلك للقوق قوشيه ده شارتر الذي سجل لنا أحداثها في حواشي له باللاتينية باسم «أعمال الترجمة الحاجين إلى بيت المقدس». مر روبرت واثين بإيطاليا حيث بلوكها البابا أربان الثاني في روما، ثم واحلا سرحا برقة الجيش إلى مدينة بوى. وبعد ذلك أبحرا من برنديزي إلى البلقان (١٥ أبريل سنة ١٠٩٧)، ونزلا في دوزادو، ومنها إلى سالونيك التي أقاما فيها أربعة أيام، ثم واحلا السير صوب القسطنطينية^(٣).

(١) اشتهر أبي هذا بسة عله واحلاه. وكان فارسا إرزا، وشاعرا رقيقا، وهرت منه المرأة والكريم، وقد تزوج من ابنة وليم الفاضل ملك إنجلترا السبه أدبل Adèle. ويكاد يكون الوحيد من بين الفرع الذي امتدح بصدق واحلاس الكسبس والبيزنطيين؛ فقد اتى على الامبراطور ونومه دون تحفظ. وصعد على ذلك من خطايه اللذين أرساهما من القدر إلى زوجته في أوروبا. وقد انتف ونما الجيش الصليبي بعد استيلاء اللان على مدينة نيشة، واشترك في موقعة هورليوم وحصار الصاكية. ولكنه لم يمتنع شدة القتال وفسوة الحياة وانتشار البجاعة والوباء، فهرب من الميدان عائدا إلى القرب، ومساك أخذ الجميع يعمونه لفراره من ساحة القتال، وكان على رأس هؤلاء زوجته أدبل، ولذلك اشتهر بأول فرقة موابية، واشترك في الجيش الصليبي الذي قام من القرب سنة ١١٠٩ م بقيادة وليم كوت بونيه واسكنه قبل في موقعة الرملة الثانية سنة ١١٠٢ م على أيدي الفاطميين. أنظر عن ذلك: Runciman, op. cit., 165, 232 sqq.; Setton, Hist. of the Crus., I, 276-7, 349-65.

(٢) هو روبرت الثاني ده فلامندز أمير الأراغون الوحشة، وإن روبرت الأول الذي دعم من المؤرخين أن الامبراطور البيزنطي الكسبس حكومت أرسل يستعده سنة ١٠٨٨ م ضد الأراغون السلاحة. راجع عن ذلك: Guibert de Nogent, R.H.C. - H.Occ., IV, 131; Runciman, op. cit., I, 166; Setton, op. cit., I, 275.

ويظهر أن الامبراطور الكيس لم يلق أية صعوبة في إقناع رؤسائه هذه
اخلة بحرف بين التبعة والولاء . وقد ظهر فوشيه ده شارتير بما حرمه القسطنطينية
من النفائس والجواهر الثمينة النادرة . ويذكر هذا القورخ أنه لم يحدث أى
احتكاك أو تصادم بين الجيش الفرنسى والبيزنطيين ، وأن الامبراطور كان يملكهم
بما يزمهم من القون ، كما سمح لهم بالتوجه للصلاة فى كنائس العاصمة ، ولما كان
فى جماعات قليلة وفى ساعات معينة ، حفظا على النظام ومنعا من حدوث الشغب .
وقد قبل كل من كورت نورمانديا وكورت بلوا أداء بين التبعة والإخلاص
الذى طلبه الامبراطور دون أى اعتراض . وبعد ذلك أُلحق عليهم الأموال
والهبات والجواهر (١) .

وجدير بالذكر أن الكورت اتين كتب عندما كان مقبلا بقلمه كيفيتوت
بالقرب من نيقية خطابا إلى زوجته أديل بأوروبا يمدح فيه الامبراطور
البيزنطى ، ويقول إنه استقبل بالخفاوة الزائنة والإكرام البالغ ، وأن الامبراطور
أحسن إليه وأغدق عليه المال ، وغمره بالهدايا النادرة ، وعامله كالركان إبنائه .
ويستمر فى الثناء على الكيس قائلا : « حقا يا عزيزتى لقد أُلح على جلالته
ومازال يصبر على أن يتولى رعاية أحد أبنائنا وأن يقبلاه ... ولا يوجد نفس قبة
السلم من هو أعظم من هذا الرجل ، فقد غمر كل رؤسائنا بالمنح والهدايا ،
وكذلك فعل مع كل فرساننا ، كما أطعم جميع الفقراء ... » ثم يستطرد ويذكر
أن سفين الامبراطور كانت تحمل إليهم الطعام من القسطنطينية إلى قلعة كيفيتوت

Foucher de Chartres, R.H.C.—H. Oer, III, 332-3; cf. (١)

Grousset, Crois., I, 27.

حيث كانوا يسكرون انتظاراً لمهاجرة الأتراك . واختتم الكونت ابن خطاب بنفسه . « لا أعتقد أنه يوجد في ثعالبنا رئيس أو زعيم له مثل شخصية الامبراطور وصيته الذائع . حقا أن آياك يا عزيزي أعطانا الكثير من الهدايا النفيسة ، ولكن ذلك لا يقاس بالنسبة لما أعتفاه علينا الامبراطور ، » (١) . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على شعور بعض اللاتين بحور الكيس ، وعلى الأثر الحسن الذي تركه في قلوبهم في هذه الفترة من التاريخ .

ولعلنا نلاحظ من استعراضنا لوثائق السالفة أن هذه الحملة الصليبية الأخيرة لم تصطدم بالعقبات التي واجهت الحملات السابقة لها ؛ ذلك لأن الجيوش الصليبية

Hagenmeyer, *Epistolae et Chartae*, 138—40; cf. Diehl, (١)

L'Europe Orientale, 22. — وفيما يلي مقتطفات من الخطاب المذكور :

• Imperator vero dignus et honestissimus, et quasi filium suum me diligentissime suscepit, et amplissimis ac pretiosissimis donis dotavit ... Vero, mihi dilecta, ejus imperialis dignitas me persaepe monuit et monet, ut unum ex filiis nostris ei commendemus ... In veritate tibi dico, hodie talis vivens homo non est sub coelo. Ipse enim omnes principes nostros largiaginedat, milites cunctos donis relevat, pauperes omnes dapibus recreat .. Nostris quoque temporibus, ut nobis videtur, non fuit princeps universa morum honestate adeo praeclarus. Pater, mi dilecta, tuus, multa et magna tradidit, sed ad hunc pene nihil fuit ... " Cf. Stephani, comitis Carotensis ad Adelam, uxorem suam, *Epistola*, R. H. C. — H. Occ., III, 285 — 6.

انظر أيضا الترجمة العربية للخطاب في المجلد الرابع بآخر الكتاب تعليلاً عن طاعة ماجبار .

التي سبقتها إلى القسطنطينية كانى قد مهدت لها الطريق إلى حد كبير ، كما أن تلك
الحقبات والمراقيل ، وذلك الصعاب ، وساد التعلل بين البيزنطيين وزعماء الفرنج
قبل وصول الجيش القرسى ، ولذلك عندما مر هذا الجيش بأراضى دولة الروم
الشرقية ، لم يحدث أى احتكاك بينه وبين الإغريق ، وكانت علاقات رؤسائه مع
الامبراطور حل أحسن ما يكون .

الفصل السادس

اتفاقية القسطنطينية ومشكلة انطاكية

أخذ الصليبيون يترافعون على القسطنطينية واحدا في إثر الآخر . وقد عمل
الامبراطور الكيس جاحدا على استئثارهم إليه ، واكتسابهم إلى جانبه ،
وإخضاعهم لسيطرته ، واستخدامهم لمصلحته ، مستحينا في ذلك بالسياسة والمال
وحسن المعاملة والهدايا حينما ، وباستخدام القوة وفرض الرقابة المشددة
والتلويح في وجههم بمسألة التبرين حينما آخر . ووفق الامبراطور إلى حد كبير
في تحقيق الهدف الذي كان يصبو إليه . ويمكن أن يقال عنه ابتداءً أن إنه كان
ماهرًا في إعداد نفسه لسكافة الاحتمالات ، وقد اشتهر بلباقته وحسن تصرفه في
الوقت المناسب (١) .

وكان هيوغ أخو فيليب الأول ملك فرنسا هو أول من وصل من زعماء
الفرنج إلى عاصمة الامبراطورية ، وقد مثل بين يدي الامبراطور الذي لم يجد
صعوبة في إقناعه بحلف بيمين التسمية والولاء (٢) . وقد أصبح من انطاس أهوانه ،

Alexiad, 262. (١)

(٢) يرتبط هنا الجير بنظام الاقطاع الذي كان سائدا في الغرب الأوروبي وقتذاك ، وقد
مر بعده بتطورات تاريخية اجارا من القرن السابع ، إلى أن بلغ ذروة ضخمه واكتناهه خلال
القرنين الحادي عشر والثاني عشر . والاقطاع هنا يرتبط بالأرض ارتباطا وثيقا ، فكان
الامبراطور يهبها للملوك ، وحولاء يهبونها لقبلاء ، والقبلاء لمن دونهم إلى أن وصل إلى
دقيق الأرض في أسفل السلم الاقطاعي . وكان التاج يهبه القياص لمواجهة الاقطاعية لسيده
القيص سد أن يحلف بين يديه بيمين الطاعة والولاء قائلا لمصنعه : « اني أصبح ناسكك بإسدي ،
وأنت ولي سبي من القلاع كذا وكذا . وإن أعذك بمحايتك والذراع منك في المياه وحسب —

واستفاد الامبراطور في محاولة إقناع باقي الزعماء اللاتين بوجهة نظره ثم تبعه جودفري ، وعرف أنه تردد في بادئ الامر في موقفه من الامبراطور ، وأنه دفعن مقابله وتقسيم فروض الطاعة له ، إلا أن الظروف الملحة القاسية ووساطة هيجو دفعت في النهاية إلى الإذعان لرغبة الكسيس وأداء بين الولاء . أما هوجيمند فقد أبدى رغبته منذ البداية في الاتفاق مع الكسيس وإقامة علاقات ودية معه ، ولم يتردد في حلف اليمين تنفيذًا لخطة التي سار عليها ، وهي المحافظة بفن السبل على حسن صلته بالامبراطور حتى يساعده في تحقيق مخطمعه السياسية

== ائوت . ومن أهم الواجبات المفروضة على التابع الانطاسي هي الطاعة والولاء التام لمعبوده وسامعه ، بالتقال في صفوفه ، والاجتماع به في وقت آخر لمشاورته في كل شيء السيل أسره من الشؤون العامة ، مثل اعلان الحرب أو السلم أو عقد المعاهدات فضلاً عن الاتزامات والليود والواجبات التي يفرضها التابع بأدائها لبيده الصبوع مثل الرسوم والضرائب والاحتكارات وما إلى ذلك . أقل كولام وفيو جيلدوف . الانقطاع والصور الوسطى في حرب أوروبا - ترجمة الدكتور عبد مصطفى زيادة ، ص ٦ وما بعدها و ٦٤ وما بعدها ؛ كوتون ، عالم العصور الوسطى في انكلترا والمخاضة (الترجمة العربية) ط ١ - ثانية - ص ٢٨-٤٤ و ٧٣ وما بعدها . Stephenson, Med. Feudalism, 18-9; Downe, Basic Doc., 48-53. ولعل هذا يفسر لنا سبب استمرار الكسيس على أن يؤدى له هؤلاء اللاتين بين النجبة والولاء بمناه أمروا في الحرب وقتذاك مع ما يرتبط به من قيود والتزامات وواجبات لم يسكن من السهل تركها منها ، إلا إذا نكث التابع بيمينه معها فعل هوجيمند عندما استأثر بأحد كية رافض طاعتها إلى بيرجة . وحديث الذكر أن هذا النوع من الانقطاع القوي لم يمكن ساءدا في الحقبة الرومانية القريفة حيث كانت السلطة كلها تتركز في شخص الامبراطور باعتباره ممثل الله على الأرض . وكانت بيرجة على علم بهذا النوع من الانقطاع من طريق سلاتها بالحرب قبل تيم الحق الصليبية نفسها بوقت غير قصير ، وعن طريق استخدام الفريين في حيونها كمرقرة ، وعن طريق حروب الاتباع الانطاسي التي قام بها القرومان في القطاع الغربي من بيرجة . ولذا أراد الكسيس بدعائه أن يربط الترتج بتظلمهم وقواتهم إلى أفروما ودرجوا عليها في بلادهم حتى يضمن ولائهم له ويستغفمهم لتطبيق مخطمعه . وحول الانقطاع انظر هاريس وماركلاف : الحقبة والامبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٠-١١ والحواشي ص ٩٦-٩٧ والحواشي .

في الشرق . وكذلك لم يجد الإمبراطور البيزنطي صعوبة في حث كل من روبرت كونت نورمانديا واثين كونت بلوا على حلف اليمين . ولكن ليس معنى ذلك أن الطريق كان ممهدا أمام الكيس على طول الخط ، فقد اعترضته بعض الصعاب في سبيل إقناع عدد من كبار الفرنج بالانضواء تحت لوائه . فقد رفض ريمون ده سان جيل كونت تولوز رفضا باتا أن يقسم بين التبعية للإمبراطور ، ، ، أدى إلى توتر العلاقات بينهما ولز إلى حين . وقد قبل هذا الكونت بعد توسط بوهيمند وغيره من زعماء اللاتين أن يحلف بالمحافظة على حياة الإمبراطور وشرفه وعدم التمرض له . وعلى أي حال ، فقد أصبحت العلاقات بين الرجلين فيما بعد على أحسن ما يكون ، وبات كونت تولوز من أخلص أعيان الإمبراطور ، الأمر لدى هذا بالأميرة آن كومنين أن تكتب عنه قائلة : « كان الكيس يقدره بنوح خاص ليقتله وإحلاصه وحسن سيرته ، ولعله أنه ما كان ليضع شئ فوق الحق . وكان سان جيل يز جميع كنفوق الشمس على النجوم » (١) . وبما رفض كونت تولوز أداء اليمين ، كذلك رفض تنكريد ابن أخت بوهيمند الذهاب إلى القسطنطينية وتقديم فروض الطاعة لبعض الإمبراطور . ولكن موقف هذين الرجلين لم يؤثر تأثيرا كبيرا على العلاقات بين المسيحيين والدولة البيزنطية بصفة عامة على الأقل في هذه المرحلة من تاريخ الحملة .

لقد تدرج الكيس بالصبر المقترب بالهزم والبقاء خلال مرور الجيوش الصليبية بأراضي إمبراطوريته وبخاصة ملكه . وكان لسياسة التي استتأثرها ملوسا في انضمام كثير من الفرنج إلى جانبه ، وعلى رأسهم هيوج واثين كونت بلوا ، وفي امتداد بعض مؤرخي الحملة من اللاتين له ، مثل البرت دكس وفوشيه

هـ شارتر . كما وجد رؤساء الفرنج أنه من الأفضل أن يحمل الوثاق محل الشقاق بينهم وبين الامبراطور حتى يتألفوا عطفه ويكسبوا تعضده ، ويتعزغوا المهمة التي تركوا أوطانهم وبلادهم من أجلها ، ألا وهي عبادة الاسكندرية على الأراضي المقدسة وتأسيس إمارات لهم بها .

لقد كانت الظروف إذن تستدعي ضرورة الاتفاق بين الكيس والفرنج ، هي الرغم من تصارب المطامع واختلاف الأهداف . فكان زعماء الفرنج أنفسهم يشعرون بوجوب تأييد البيزنطيين لهم لمواصلة حملتهم التوسعية حتى تصل إلى الهدف الذي ينفذونه ، بالاستيلاء على أراض جديدة يمكنها في الشرق . أما بيزنطة فقد رأيت استخدام هذه الجيوش الصليبية لصالحها وتحقيق أهدافها السياسية ، كما كانت تقدم ما قد يقدمه لها جيش الصليبيين من خدمات لاسترداد أملاكها القديمة في آسيا الصغرى من الأتراك السلاجقة الذين كانوا قد استولوا عليها منذ عهد قريب . وفي مايو سنة ١٠٩٧ م عقدت بالقسطنطينية اتفاقية بين الكيس وزعماء الفرنج ، نصت على شروط عامة تعهد بها الطرفان ،

تعهد الصليبيون بأن يعيدوا إلى حظيرة الامبراطورية الأراضي والأقاليم التي كانت تابعة لها فيما مضى وذلك بعد تخليصها من قبضة السلاجقة ، كما تعهدوا بأن يحسموا الامبراطور بين التبعية والإخلاص ، وأن يصبحوا أتباعا له ورجلا مرثقة في خدمته . أما الكيس فقد تعهد في مقابل ذلك بمساعدة الصليبيين والحفاظ على سلامتهم - لئلا مروم عبر أراضي دولته . كما واعد بأن يسبل لهم مسلة النورين . وأن ينع فرقة من الجيش البيزنطي تحت تصرف زعماء الفرنج عند ابتداء الحملة ^(١) . هذا ما رواه الفروخ شاول ديل عن الاعانة .

— Diehl, L'Europe Orientale, 22; Baldwin, Med.Church, 102. (١)

ويذكر شانتون أن الكيس شهد أيضا بالاشتراك في الحرب الصليبية ، وأن يكون على رأس الجيش المتجه صوب بيت المقدس ، وأنه سلم ابنه وعمره كرهائن على احترام تنفيذ المعاهدة . ويستطرد قس اللورخ قائلا إن يوهيمند كانت له اليد الطولى في عقد هذه المعاهدة . ويمل شانتون ذلك بقوله إن تاريخ إبرامها هو مايو سنة ١٠٩٧ م ، أى عقب وصول يوهيمند إلى القسطنطينية مباشرة (١) .

أما كانت الاتفاقية بمسقة عامة محددة واضحة ، وترك آثارها الباقية في تطور العلاقات بين الفرنج والبيزنطيين خلال القرن الثاني عشر . فعندما وضع اللاتين أيديهم على انطاكية ، نكثوا صدم وبدؤا على حقيقتهم وكشفوا عن أهداف حركتهم . ولو أن بزنطة لم تياس في المطالبة بتسليم انطاكية إليها لتنفيذ للاتفاقية . كذلك تار الخلاف بين المؤرخين حول البلاد التي نصت المعاهدة على

ويذكر يومان ييران المولى البيزنطية لم تجد صعوبة في معرفة تكتيكات الفريسي والعرف على قسطنطين ، وأن الكيس فكس بسلته وهلماسيته من الاعتناق بمسكرة امين الانطاكي المروف عند أولئك الفوج في تجت حقوق هؤلاء على كثير من الأراضي التي تم طروها .
أنظر Baynes & Moss, Byzantium, 30.

Chalandon, Alexis Comnène, 188; cf. Ostrogorsky, 322. (١)
ولقد أدرت أن كومتين إلى مفسون الاخائية في مسدد حديثها عن القسم الذي آداء حوكمري إلى الامبراطور البيزنطي ، قد كتبت تقول :

... He went to the Emperor and swore the oath which was required from him, namely, that whatever towns, countries or forts he managed to take which had formerly belonged to the Roman Empire, he would deliver up to the Governor expressly sent by the Emperor for this purpose - Cf. Alexiad, 261.

وهذا هو قس القسم الذي آداء باقي زعماء الفرنج عندما اجتمعوا بالكيس في طاسية دوله . أنظر قس المصدر ، ص ٢٦٣ .

إعادتها إلى بزنطة ، وهل هي تلك التي كانت تحتل في نطاق الإمبراطورية في
أوائل القرن الحادي عشر ، أي قبل موقعة ملاذكرد سنة ١٠٧١ م ، وعلى وجه
التحديد أيام بايزيد الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥) ، أم شملت أيضا المقاطعات القديمة
للإمبراطورية الرومانية الشرقية في عهد هرقل (٦١٠ - ٦٤١) أوجستينيان
مثلا (٥٢٧ - ٥٦٥) ؟ وإن صربان المعاهدة على تلك المناطق كان يعني ليس
فقط إعادة انطاكية وإرها إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية ، وإنما إعادة البيت
القدس أيضا . وهذا أمر بعيد الاحتمال . ويبدو أن مواعيد بزنطة يحدد هذه
الفتنة بالذات لم تكن واضحة تمام الوضوح ، ولم تكن إليها أن كورنين في كتابها
الألكسياد ، خاصة إذا عرفنا أن بزنطة فقدت سلطانتها على القدس منذ فترة
طويلة باستيلاء العرب عليها سنة ١٦ / ٦٣٧ م أيام الإمبراطور هرقل . ثم
أن أسرة كورنين لم تتوان عن المطالبة بالسيادة على كل من أنطاكية وإرها ، في
حين أنها لم تفكر في المطالبة بالقدس أو طرابلس الشام ، وهما مدينتان لم تمتد
إليهما الفتوحات البيزنطية في القرن العاشر الميلادي (١) .

ويذكر جورج استروجورسكي بدلوه في هذا الموضوع . يقول في كتابه

(١) أنظر : Cronasset, L'épopée des crois., 18.

وسلط الزرق شارل أومان على هذه الأنظمة قائلا : لو كان يوسع الكهنة كورنين بوحية
الجيش الصليبي لتحقيق مصالحه صعب ، لكن قد استغفمه في إعلاء السيادة من بليجيسة
واحدة ومرحلة ، وهي مناطق في الرتبة الأولى من الأهمية بالنسبة لبزنطة . هنا من ناحية ،
ومن ناحية أخرى لو كان الحرية سلطة أنفسهم ويوسعهم الصلح كما فعلوا لم دون سخط أو
تمخل من جانب بزنطة ، لأنهم رأوا إلى كينسكة مير آسا المصري ، ولكتاب المطاكة
- وليست بصلح آسيا المصري - هي أول هدف لهم . ولا لم يكن يوسع أي غرض التماسي
عن مطالب الطريق الآخر بسبب تعاضد المصالح وتماثلها ، فقد عرفت انطاكية ترضى كتابها ؟
وحلاصها أن يستولى القرينة على بقية ويضعونها إلى البيزنطيين ، ثم يواصلون بعد ذلك حملتهم
مد فلسطين . أنظر : Oman, Art of War, I, 238.

و تاريخ الدولة البيزنطية ، إن الحركة الصليبية كما تصورها الغرب اللاتيني ، كانت بالانسبة للأمبراطورية البيزنطية شيئا مختلفا تمام الاختلاف . ذلك أنه لم يجد جديد في الحرب القائمة بين البيزنطيين وجيرانهم العرب أو السلاجقة . لقد كانت بالانسبة للبيزنطيين حصيلة ضرورية سياسية ملحة . ولقد اعتبروا غزو الأراضي المقدسة ، التي كانت في وقت ما أرضا بيزنطية ، من واجب الدولة وليست فرضا واجب على المسيحية جمعاء . كانت هذه هي نقطة الخلاف الأول بين وجهتي النظر اللاتينية والبيزنطية . ثم أن الاتفاق بين الكنيستين الشرقية والغربية جعل من غير المستحب ، أكثر من أي وقت مضى ، وجود أساس لعمل مشترك بينهم وبين أهل الغرب . وكان كل ما قُطع فيه بيزنطة هو قوات مرتزقة تعمل في خدمتها بأجر وليس قوات صليبية بالمعنى المفهوم (١) . وفي موضع آخر يقول امستجوردسكي إنه على الرغم من أن بحري الصليبيين إلى أراضي الدولة البيزنطية قد قلب خطط الكيس ومشاربهم وأسا على غضب وكان تهديدا إجماليا لدولته ، إلا أنه حمل على الاستفادة بهم لخدمة مصالحه الخاصة ومصالح بلاده فقد استطاعه . وذلك عندما طالب من اللاتين أداء عين التبعية والولاء له وأن ينهضوا بأن يسددوا إليه كل المدن والبلدان التي يستولون عليها والتي كانت تابع في الماضي للأمبراطورية البيزنطية ، وذلك مقابل الوعود التي بذلها لهم . وعلى هذا الأساس عقدت اتفاقية ١٠٩٧ بينه وبينهم (٢) .

ويضيف جون هاسي John Hussey إلى ما تقدم قائلا إن الكيس عندما طلب عندما مرتزقة من الغرب لم يهدف من وراء ذلك التوجه إلى البيت المقدس مباشرة للاستيلاء عليه . فقد كانت هناك أمور أخرى أكثر أهمية والحاسما من

Ostrogorsky, op. cit., 320. (١)

Ostrogorsky, op. cit., 322. (٢)

اليك المقدس ، وتمس أمن الدولة مباشرة . ولقد جعلت التقاليد الامبراطورية والحاجيات الملحة لبرنطة من الاستعجال على أي امبراطور يزنطى أن يتصور حركة سلبية عنهمها القريب . لقد كان مفهوم الحملة التي يريدها الكيسس يختلف عما يقصده اللاتين في أمرين رئيسيين على أقل تقدير . لقد كانت الحروب بين بيزنطة والمسلمين أمراً عادياً مألوفاً وليست شيئاً جديداً أو مستجداً . وعلى هذا يجب - من وجهة النظر البيزنطية - تدوير مثل هذه الحروب بروح واقعية تدخل في حسابها كافة خصائص ومميزات السياسة البيزنطية . لذا كان من العيب التوجه الى مدينة بيت المقدس مباشرة للاستيلاء عليها ، لأن مثل هذا التصرف كان يعني ترك المؤخرة في آسيا الصغرى غير محمية بما فيه الكفاية . وقد يكون من الضروري الاتفاق مع المسلمين إذا كانت الظروف في غير هذه الجبهة تستلزم ذلك ، كان تقوم ثورات في البلقان أو هجرم غادر يقبضه الثورمان . ويتفق هاسي مع زميله أستروجورسكي أنه من وجهة نظر جغرافية يبدو أن الحروب مع المسلمين في آسيا الصغرى وسورية وقلطين هي من اختصاص الامبراطورية الرومانية الشرقية بخاصة ، وإيسه مسئولية العالم المسيحي كله بصفة عامة (١) .

وكيفما كان الأمر فقد وجد الكيسس كومننن أنه مضطر أمام الأمر الواقع إلى عقد الاتفاق الذي أشرنا إليه حاية لندسته ، مع العمل في نفس الوقت على الاستعداد إلى أقصى حد ممكن من الثروات للصليبية التي قلب بها الثرب إلى الشرق . وهنا يجدر بنا أن نذكر أن هذا الاتفاق ما كان ليتم أو يخرج إلى حيز التنفيذ لولا جهودات الكيسس كومننن الذي رسم لنفسه سياسة خاصة بحركة محكمة الأطراب ، اتبناها بدقة تامة ، وقتلناها بخلافها مع جميع رؤساء الفرنج الذين

توافدوا تباعاً على عاصمة أمبراطوريتهم . وقد نجح الامبراطور إلى حد كبير فيما كان يرمى إليه حتى الوقت الذي تم فيه عقد الاتفاقية ، وهو حماية دولته من اللاتين ، ثم الحصول على موافقتهم بالانضمام إليه والدخول في خدمته كجند مرتزقة ، والتمهيد بحد بمتلكاته إليه بعد الاستيلاء عليها . وسنحاول فيما بعد أن تبين مدى عاقلة واحترام كل من زعماء الفرنج والامبراطور الكيس لتعهداتهم التي نصت عليها اتفاقية القسطنطينية ، والآثار التي تركت عليها وانعكست نتائجها على العلاقات بين اللاتين والإغريق من ناحية وبين اللاتين والعرب من ناحية أخرى .

وكيفما كان الأمر ، فلم ينس الامبراطور الكيس أن يزود الجيوش الفرنجية المختلفة قبل رحيلها من العاصمة والتوجه لمحاربة السلاجقة ، بإوشادائه ولصاحبه . فنعلم من الترياق وأحاطهم علما بطرق عاربتهم لأن كان أعلم منهم بهذا العنصر وبوسائله في الحرب والقتال (١) . وبعد ذلك سافر الفرنج وعبروا البسفور إلى آسيا الصغرى حيث التحقوا بالقوات الصليبية الأخرى المتجمعة هناك .

ونقول أن كورنين في صراحة إن أباهما الامبراطور نفس الصعداء بعد رحيل القوات اللاتينية عن عاصمة ملكه نتيجة لإهمال التخريب التي تسببت في حدوثها . وتذكر أن الكيس أبقى ديمون ديه سان جيل إلى جانبه بعض الوقت ، وأنه كثير ما كشف له عن شكوكه في نوايا الفرنج وما يتوقع أنه يحدث لهم خلال الطريق . وتستطرد الكاية البيزنطية قائلة : « ولعلنا نرد الامبراطور هذه الأقوال على مسامه ، ونفتح له مقاليق نفسه » . ولما كان الامبراطور يثق

(١) Alexiad, 264. وهنا ما يؤكدُه أيضا الكتاب اللاتين الذين سافروا معه وشاهدوا أحداثها ، مثل الفوزج البهول ، وورمون هاجيل ، والبرت دكس ، وروبي ديه عامتر ، وابن ديه بلوا ، ومن أتى سدم من المحدثين كويغيه جيروسيه والسيان .

في سان جيل قلة كبيرة ، فقد طلب منه مراقبة عدوه القديم يوهيمند ، والعمل على ردهه إذا حث بقسمه ، مسح إحباط مشاريعه العدوانية بكل الطرق والوسائل . وهذا يؤكد أن الامبراطور كان لا يزال يشك في نوايا الأمير النورماندى ، ويتوقع إخلاله باليمين التى أداها له . وقد عزز كونت تولوز عازوقه الكيس عندما ذكره بأن يوهيمند قد ورث القدر ونكث العهد مع آباءه وأجداده ، وأنها ستكون مسخرة حقاً إذا ما حافظ على قسمه . وبعد أن وعد سان جيل الامبراطور ببذل قصارى جهده لتنفيذ طلباته في هذا الصدد ، استودعه وأسرع لينضم إلى الجيش الفرنجى في آسيا الصغرى (١) .

وسرعان ما توجهت هذه الجيوش المألفة من اللاتين المتحطشين للغزو وسفك الدماء صوب حدود السلاجقة ، ووصلوا عاصمتهم نيقية في ٦ مايو سنة ١٠٩٧ م . ونقع هذه المدينة على مسافة يسيرة من خليج نيقوميديا ، وقد اشتهرت بمنازلها وحصانتها ، نظراً لثانة أسوارها والبحيرة الكائنة في جنوبها (٢) . وهناك أفام الفرنج خيامهم استعداداً للحرب . وسرعان ما حاربوا الحصار حول المدينة تمهيداً للاستيلاء عليها ، وكان يساعدهم في هذه المهمة جيوش يزنطى أرسله الكيس بقيادة نائبه تاتيكوس Tatikios . كما كان الامبراطور يرسل إليهم تباها الإمدادات من المؤن والأقوات عن طريق البحر والبحر تفضيلاً للانفاقية . ولما كان يوجد في جنوب المدينة بحيرة واسعة لها أهمية كبيرة بالفسبة الأتراك حيث كانوا يصنعون فيها سفنهم ، فقد بث زعماء الصليبيين إلى الامبراطور يطلبون منه إرسال قوارب لمخ الأتراك من استخدام هذه البحيرة . فأرسل لهم الكيس

(١) Alexiad, 267-8. - انظر التفاصيل في الملحق الثالث بآخر الكتاب .

(٢) انظر خريطة خط سير الصليبيين في آسيا الصغرى وشمال الشام في ص ٢٢٠ من هذا الكتاب .

عددا من القوارب بها جماعة من رجاله المدججين بالسلاح لمساعدتهم في عملية الحصار . وقد سحق الأتراك حذر رأى هذه القوات المسلحة وتلك الاستعدادات الخفية ، فأرسلوا وقدأ من قبلهم إلى الامبراطور يخبره باستعدادهم لتسليم المدينة له على شريطة أن يتعهد بالمحافظة على حياتهم وسلامتهم . وقد وافق الامبراطور على ذلك حتى لا يعرض المدينة للخطر . وفي أواخر يونيو سنة ١٠٩٧ م سلت المدينة لالكسيس ، وكان فرجه عظيما يعودتها إلى حظيرة امبراطوريته ، وأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين ابتهاجا بهذا النصر (١) . ويقول المؤرخ اللاتيني ريمون داجيل إن الامبراطور وعد القرنجة وكبار رجالهم بإعطائهم كل ما في نيقتة من ذهب وقنص وخيول ومحتاج . كما وعدهم بأن يشيخه في المدينة ديرا لاتين على مذهبهم الكاثوليكي وملجأ للمراء من الصليبيين . وأغدق المال على جميع رجال الجيش حتى يجاروا في صفوفه (٢) .

وإن الباحث للدق في تأليف المؤرخين اللاتين يجد أن الوسيلة التي لجأ إليها الكسيس للاستيلاء على المدينة لم ترق لهم كثيرا . وهم يملكون ذلك يقولون إن

Anonymi Gesta Francorum, 177-94; cf. Foucher de Clair- (١)
tres, R. H. C.—H. Occ., III, 494.
فيجد ابن الأديم في كتابه ذيل تاريخ دمشق ، من ١٣٥ ، يقول إن « الأفرج مد فمورم
عادوا ملكا قروم ووصوه بأن يسلوا اليه أول هذا يصغونه ، فغنوا ببله ومي أول
مكاه فغوه »

... Promiserat Alexius principibus et genti Francorum, (٢)
quod totam aurum et argentum, et equos, et omnia appell-
eculem quae minus erat eis redderet; et monasterium Latinum,
et hospitium pauperibus Francorum ibi faceret, praeterea
tantum de propriis unicuique po exercitu daret, ut illi semper
militare velint ... - Cf. Raimond d'Agiles, R. H. C. — H. Occ.,
III, 239-40.



خط سحر الصليبيين في آسيا الصغرى وشمال الشام

الامبراطور عندما وجد الفرنج يستعملون لاخت نيقية عنوة ، خشي أن تقع في أيديهم ويرفضوا تسليمها إليه طبقاً للإتفاقية . ولما كان هدفه هو العمل بكافة الوسائل على إعادتها إلى حظيرة بيزنطة ، وروغبة منه في ألا تصاب المدينة بسوء على أيدي أولئك القوم ، فقد بادى بمفاوضة الأتراك لتسليمها إليه دون قتال أو سبك للدماء . ولهذا السبب وافق على شروطهم في أن يخرجوا من المدينة سالمين مقابل ذلك

ويبدو أن اللاتين كانوا على حق فيما ذهبوا إليه . إذ ذكرت آن كومنين أن لامبراطور كان يود الاشتراك بشخصه مع الفرنج في قتال الأتراك لولا خشيتهم من أعدامهم العفوية التي كانت مصدقاً دائماً بالنسبة له . لذلك وجد أنه من الأصلى الإقامة في مدينة بلكان القريبة من نيقية انتظاراً لما قد تفر عنه الأحداث ، وحتى يكون على علم بحركات الأمور والأحوال أولاً بأول . وتستطرد الكتابة فتقول إنه أدرك بثاقب نظره أنها سوف تكون حربة قاسية إذا أخفق في إحراز أى نصر عسكري في مثل هذه الظروف المرونية . وهي لا تخفى أن أباحا كان يود استعادة مدينة نيقية بدون أى مساعدة من قبل الفرنج ، وذلك حتى لا يسلبها منهم بعد امتلاكها تنفيذاً لتهدياتهم له ، ومن يدري لربما يخلون بهذه التهديدات . ولهذا أخفى نواياه على الكتبتين ، وأرسل أحد خواصه واسمته بوتومايت Botumites إلى المدينة لإقناع أهلها بتسليمها له مقابل تأمينهم على حياتهم ، وكلف رسوله أن يسلم في ذلك الوقت على اثلة عشارف الأماة من الفرنج ، وما سوف يترتبون له من الولاءات على أيديهم إذا وقعت المدينة في قبضتهم (١) . وقد نجحت هذه الخطة المزدوجة في عودة نيقية إلى بيزنطة .

وتكشف هذه الرواية أن الكيس كان يرقب دائماً في نوايا ضيقه اللاتين ، وكان يتوقع إغلاطهم بسهولة إذا ما اتحدوا دونه بامتلاك حاضرة السلاجقة ، وأنهم قد يمتنرون عن إعادتها إليه ضاربين باتفاقية مايو ١٠٩٧ . عرض الحائط . وقد رأينا كيف أخطأ حديثه مع كونت سان جيل الثام عن مخوفه . وربما يكون الكيس على حق في موقفه من اللاتين ، خاصة وأن أحداث الشهور التالية أثبتت صحة هذه التخاوف . ولا شك أن أهل الغرب كانوا يصدرون هم أيضاً لحسابهم الخاص دون أن يعرفوا مصالح بيزنطة أى اهتمام . ويصح القول أيضاً أن هذا الموقف من جانب الكيس - على الرغم من الحجج التي تمثل بها - فيه خروج على الاتفاقية .

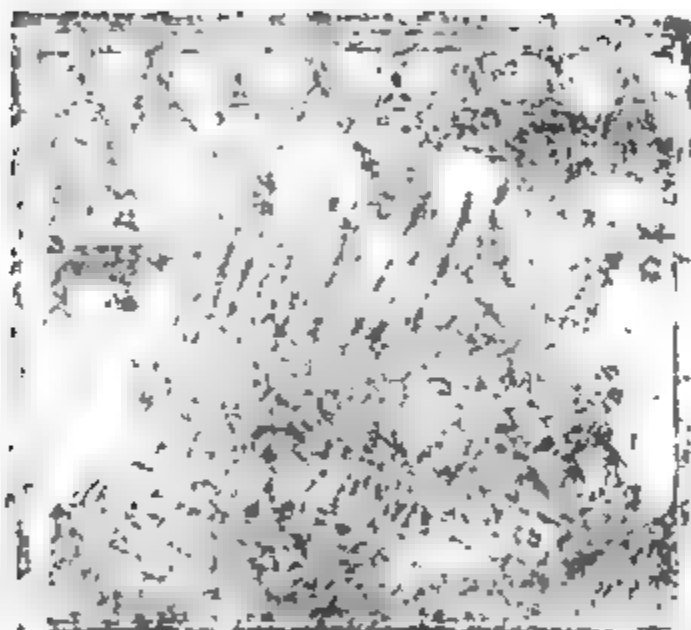
وكيفما كان الأمر ، قد أهدت نيقية إلى حكومة الإمبراطورية (٢٩ يونيو ١٠٩٧) بعد أن استمرت تحت حكم السلاجقة ١٦ عاماً . وأصبح بوسع القسطنطينية التنفس بحرية بعد إجلاء الترك من هذا المقلد الأمامي الحديدي (١) . وبالرغم من تلك الاتصالات الخفية التي جرت بين البيزنطيين والسلاجقة حول مدينة نيقية ، فن الثابت أن تسليم المدينة إلى بيزنطة كان مطابقاً للاتفاق المبرم بين الكيس ورؤساء الصليبيين . ويقول بعض المؤرخين إن البيزنطيين عندما تسلموا المدينة لم يجمعوا القرنج بواباتها إلا في جماعات قليلة . والواقع أن الجيش البيزنطي لم يقدم على ذلك إلا متعاً للسلب وإحداث الخصب . أما الكيس فقد جند حامية من بين أولئك الصليبيين الذين انضموا تحت لوائه وقبلوا بالدمار في طاعته . ويقول المؤرخ جروسه إن الكيس وفي بكل تعهداته التي فسر عليها الاتفاق ، حتى أن رؤساء اللاتين ذهبوا إليه في اليوم التالي للاستيلاء .

على بقية لشكره وتهنئته قبل أن يتوغلوا في آسيا الصغرى . وقد وافق الصليبيون الامبراطور في الموعد الذي ضربه لهم ، ولم يعارض أحد منهم في تسليم المدينة إليه ، وجددوا له القسم ماعدا تنكريد وسان جيل اللذان أصرا منذ البداية على عدم التمسك بأي قسم الامبراطور (١) . كذلك تخلف اثنين كونت بلوا من الدعاب مع بقية الرعايا الفرنج لتهنئة الامبراطور ، حتى يقضى له المصاهرة على المدينة والدفاع عنها ضد أى هجوم مفاجئ .

لقد كانت بقية هي أول مدينة طبق عليها الاتفاق بدقة تامة ، وذلك بصرف النظر عما قيل حول الكيفية التي سلك بها إلى الكيس . فقد نفذ كلا الطرفين تعهداته التي تمت عليها الاتفاقية ، فسلم لهم الامبراطور من ناحيته مسألة القرين وساعدهم عسكريا وزودهم بمصانعه وإرشاداته ولم يخل عليهم بشئ . وغير ذلك فإنه كافاً أولئك الفرنج وأحسن إليهم بعد الاستيلاء عليها . وكذلك سلم الفرنج من ناحيتهم المدينة للكيس تنفيذاً لتعهداتهم التي أقصروا على احترامها . وقد طرأ على كل من تنكريد وسان جيل ، ولكن موقفاهما لم يؤثر تأثيراً كبيراً في العلاقات بين اللاتين والدولة البيزنطية .

فادر الجيش الصليبي بقية في الأيام الأخيرة من شهر يونيو سنة ١٠٩٧ م ، وعلى وجه التحديد في الفترة الممتدة من ٢٦ إلى ٢٩ من ذلك الشهر ، ويحتمل أنهم تركوها على دفعات . وأخذوا يتوغلون في آسيا الصغرى متجهين صوب الجنوب الشرقى . وفي أول يوليو اصطدموا بجيش الأتراك بقيادة قلع أرسلان في مدينة دوريليوم (اسكى شهر) ، حيث قامت معركة حامية بين الفريقين أثبت فيها الفرنج عدم جدائتهم بفن التكتيكات الحربية . وكلفت أن تدمر بهم مربة كبيرة لولا أنهم تمكنوا في النهاية من التغلب على الترك نظراً لكثرتهم العددية

لوحة رقم ٢



موقع دورنيوم

من ناحية وتنازع الأتراك فيما بينهم من ناحية أخرى . وتم لهم الاستيلاء على المدينة على الرغم من الشجاعة الفائقة التي أبدتها الترك في القتال (١) . ولعلنا نصرأهمية خاصة ، إذ فتح لهم الطريق إلى الأراضى المقدسة . ونظر المؤرخون إلى معركة دويليوم باعتبارها من المعارك الفاصلة في التاريخ ، شأنها شأن موتمه ملاذكرد قبل ذلك الوقت بحوالي ربع قرن . فبها تمكن اللاتين من القضاء على سلطان السلاجقة لعنة أجيال قادمة في وقت كانت فيه القوى العربية في المنطقة ضعيفة منقسمة على نفسها ، مما مهيأ للدخيل الأجنبي فرصة لإحراز هذه المكاسب السريعة الحظيفة .

واصل الصليبيون بعد ذلك تقدمهم نحو الجنوب ، فاستولوا على قونية وهرقية بعد أن قاسوا الآلمين من شدة الحر والعطش ومن هجمات التركان القذيمة . وعندما وصلوا منطقة أرمينية في جبال طرمس تغيرت الأحوال لصالحهم ، إذ مد لهم سكانها من الأرمن المسيحيين يد المساعدة ، وأحسنوا استقبالهم ومعاملتهم ، وزودهم بكل ما كانوا يحتاجون إليه من مؤن وأقوات . ولولا ذلك لربما أخفق الفرنج في مواصلة الزحف ، ولأنق بهم السلاجقة هزيمة مسكرة ، ولما دوا إن ديارهم بخفي حنين دون أن يعضوا لبائتهم . ولكن هذه المساعدات التي تلقوها من الأرمن هيأت لهم الجور لمواصلة العدوان المسلح والتوغل في الشرق العربي . فبعد أن عبروا جبال طرمس بلغوا مدينة أنطاكية ، وكان ذلك في أكتوبر من عام ١٠٩٧ . وسرعان ما ضربوا الحصار حولها (٢) .

(١) أطر : Oman, Art of War (A. D. 378—1515), 71.

Grousset, Crois., I, 31-43; Oman, Art of War, I, 272-8; (٢)

Mahmud, Story of Islam, 134.

وفيما يتعلق بتعاون الأرمن مع المسلمين ضد الفرنج خلال الحركة الصليبية ، انظر كتابي

« الوحدة وحركات البثلة العربية » ، ص ١١ و ١٢ .

في تلك الأثناء أقبل كل من بلدين شقيق جودقري وتسكريد ابن أخت
جودميسند من الجيش الصليبي الرتيقو بحثاً وراء أطاعهما ، وانجها نحو منطقة
كليبيكي في آسيا الصغرى . ولما كان كل منهما يعمل لحسابه الخاص ، فقد
تعارضت مصالحهما واصطدما أكثر من مرة وحب الخلاف بينهما ، ولم يعبرا
مضاح يدونة واتفاقية القسطنطينية أى اهتمام . وقد اضطر بلدين آخر الأمر
إلى ترك المنطقة لتسكريد باحثاً عن صيد جديد في تلك الرقعة من العالم التي
تفيض لبنا وعسلا بنص قول البابا أوبان نفسه . ووجد ضالته في مدينة الرها
التي توجه إليها حيث تفناه صاحبها الأرمني للسن المسمى ثوروس (١) Thoros ،
وأشركه معه في الحكم . ولم تلبس فترة طويلة حتى اغتال الأرمن حاكمهم هذا .
وبتهم بعض المؤرخين ، ومن بينهم حتى الأرمن ، بلدين قائلين إن له يد في
مصرعه ، ولأنه اشترك مع زوجة ثوروس في تغيير الإمارة لينطوله الجوع ، ثم
تزوج منها بعد ذلك لكي يضمن حل حكمه في البلاد صيغة شرعية . وكانت الرها
هذه هي أول مستعمرة لاتينية يؤسسها الفرنج في الشرق العربي في أعالي الغرات ،
وكان بلدين شقيق جودقري هو أول من تول أمرها . وقد تمت هذه الأحداث
في أوائل عام ١٠٩٨ م (٢) .

(١) ميا يسلان ثوروس آخر :

Matt. d'Edesse, R. H. C. Doc. Arm., I, 30 n. 1; Grousset, L'Empire
du Levant, 183-4, 297.

Matt. d'Edesse, I, 37-8 & 38 n. 4; Michel le Syrien, (٢)

R. H. C. Doc. Arm., I, 328; Foucher de Chartres, R. H. C. —

Grousset, Crois., I, 43-68 & notes: H. Occ., III, 496 7.

وكا كانت الرها هي أول إمارة يؤسسها الفرنج بالعام في الحملة الأولى ، كذلك كان أول
إمارة يفردها العرب بعد ذلك للتوزيع بحوال نصف قرن من الزمان عندما استولى عليها
عماد الدين زنكي سنة ١١٤٤/١١٤٤ م في جوسلين الثاني . انظر عن ذلك : ابن الغضائري :
ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٩ - ٢٨٠ : ابن الأثير : إنباء الكامل ، ص ١١٨ - ١٢٥ :
أبو علقمة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٦ - ٣٧ . راجع أيضا كتاب :

Grégoire le Prêtre, R. H. C.-Doc. Arm., I, 157.

وتمكننا نجد أنه بعد الاستيلاء على نيقية يواصل الصليبيون سيرهم في آسيا الصغرى ، وكانوا كلما يستولون على مدينة من الأتراك يردونها إلى يزر نقطة ، بينما كان الامبراطور يمدم من جانبه بكل ما م في ساحة اليه . وبذلك يمكن القول بأن الاتفاق بين اللاتين والبيزنطيين قد نفذ خلال مرور الجيش الصليبي بآسيا الصغرى ، إذا استثنينا مدن كيليكية التي لم يلق عليها الاتفاق ، إذ رفض تنكريد وبلدوين - بعد الاستيلاء عليها - إعادتها إلى الامبراطور ، ذلك لأن أرملها لم يكن مقيدا بأي قسم مع الكيس ، أما بلدوين وإن كان قد حلف له فيها بعد تبين الولاء ، إلا أنه لم يحم أي وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف إلى ذلك . ولهذا السبب رفض بلدوين رد أرمها إلى الامبراطور بعد أن سلبها الأرمين له دون حرب أو قتال . ومع ذلك لم تؤد مسألتى كيليكية وأرمها إلى إثارة المشاكل أو توتر العلاقات بين الفريقين ، وترك لمسألة انطاكية القيام بهذا الدور (١) .

لقد ظل الاتفاق قائما بين الفرنج والبيزنطيين خلال عبور الجيوش الغربية في آسيا الصغرى ، ولكن لم تلبث أن انتهت الظروف وتبدلت الأحوال عندما أصبح الفرنج أمام انطاكية في أكتوبر سنة ١٠٩٧ م . وما أن وصل الجيش إلى هذه المدينة حتى ضرب الحصار حولها ، وقد استمر ذلك بضعة أشهر (أكتوبر ١٠٩٧ - يونيو ١٠٩٨) . وكانت مدينة حصينة غاية الحصانة ، فالجبال تحيط بها من الشرق والجنوب ، والأنهار من الشمال والغرب ، الأمر الذي أكسبها قوة

(١) Ostrogorsky, 322-3. ويذكر المؤرخ المذكور (نفس المرجع ، ص ٢٢٧) أن : « كليس تمكن فلا يملأه الفرج من استعادة التنوة التي على على المسرة الفرنج - من آسيا الصغرى . »

هائلة ومماعة طليعية (١) وكان يحكمها آنذاك ياغي سيان التركاني ، وهو رجل عرف بشجاعته وشدة بأسه ، كما كان سياسياً عنكاً وقائداً ممتازاً . وما أن علم بحركة الفرنج حتى استعد لقتالهم وقتالهم ، وزود المدينة بالمؤن التي تكفيها لعدة أشهر . ولكن أقسام الأتراك وقتذاك حال دون تحقيق النصر على الصليبيين . وكما أن أقسام السلاجقة أدى إلى هزيمتهم في أنطاكية . كذلك أدت مسألة أنطاكية إلى إثارة التراجع بين بوهيموند والكسيس بصفة خاصة وإلى توتر العلاقات بين اللاتين والروم الإغريق بصفة عامة .

ذكرنا أن بوهيموند التورماندي كان طموحاً إلى حد كبير ، وله طامع سياسية بعيدة كان يصبو إلى تحقيقها . وعرفنا أنه اشترك في الحرب الصليبية على أمل أن يؤسس له إمارة لاتينية في الشرق . وكان هدفه هو الاستيلاء على أنطاكية لنفسه ، إذ درك أنها أفضل بيت المقدس تحسباً من عتاجيين للتجارية والاستراتيجية (٢) . ولقد حاول تحقيق هذا الهدف في أول الأمر بمساعدة الدولة البيزنطية وتمتعيد الكسيس ، ولذلك كانت خطته التي رسمها لنفسه منذ أن حل في بيزنطة هي أن يعمل على تقدير أصحاب الإمبراطور بذكائه ودهائه وسياسته الماكرة ، وأن يتظاهر له بالود والولاء . ففعلاً نراه يجمع جنده في وادي دروبولي Dropoli وينصحهم بالانزاع المهدوء في بداية رحلته من الغرب ، وبألا يسبقوا إلى إغوانهم الإغريق خلال مروجهم عبر الأراضي البيزنطية . ونراه في مناسبة أخرى يطلق سراح بعض الأسرى البيزنطيين الذين كانوا في حوزته إثر مناوشة وقعت بين

(١) أحداث الرحلة والجغرافيون العرب بذكر أهمية أنطاكية وحضارتها . راجع تفاصيل في : الفتوح - ص ٤٤٠ ، ص ١٢٦ ؛ أبو الفداء : فتوح البلدان ، ص ٢٥٧ ؛ ابن الفلك : القدر المختار ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

التورمانديين وجيش الكيس حتى يكسب بذلك ولاء الامبراطور. وأخيرا نراه لا يتردد في حلف بين التبعية بين يدي الكيس، وقام بدور الوسيط بين وبين رؤساء الفرنج ، كما كان أول الداعين للاتفاق معه . وبالاختصار حاول بوهيمند إرساء الامبراطور اليزقيلي بكافة الطرق حتى لا تسوء العلاقات بينهما ، ولكن يحصل على تأييده له ومساعدته إياه في تحقيق مطالبه في الشرق . ولقد أبان بوهيمند عن حذقة نواياه عندما طلب من الكيس أن يستد إليه منصب خادم الشرق الأكبر ، أو بكلمة أخرى أن يجعله حاكما على منطقة انطاكية والاقليم المجاورة لها . ولما كان الامبراطور يشعر في قرارة نفسه بحقيقة ما يهدف إليه هذا الإله التورماندي ، فقد رفض إجابته بل طلبه ، معللا إياه بالأمل حتى لا تسوء العلاقات بينهما .

على أي حال ظل بوهيمند على حسن صلاته بالامبراطور ولم يظهر له العداء هناك أن يظهر منه بجملة المقصود . ولكن بعد أن يش من تحقيق أمنيته بمساعدة الامبراطور ، وبعد أن وجد أن سياسته لم تأت بالثمر المرجوة ، تغير خطته وقلب لالكيس ظهر المحن ، وبعد أن كان من أكبر أهواؤه ومناصبه أصبح من ألد أعدائه ومعارضيه . ومنذ تلك اللحظة عمل على الاستيلاء على انطاكية دون موارد ودعم إرادة آل كومنجن ، ومهما كلفه هذا من عناء . ودمم لنفسه خطة جديدة مزدوجة تدل على بعد نظره وسعة حيلته . فساكن عليه أن يتخلص أولا وقبل كل شيء من الجيش اليزقيلي بقيادة تاتيكوس الذي كان يماون الجيش الصليبي في حصار انطاكية . وبعد ذلك كان عليه أن يحصل من رؤساء الفرنج على وعد صريح بالتنازل له عن إمارة انطاكية بعد غزوها . وقد عمل فورا وبدون إبطاء على تنفيذ خطته بما عرف عنه من حكمة ودهاء .

لقد رأى بوهيمند بفراسته أنه إذا استمر جيش تاتيكوس يماون الفرنج

إلى أن يتم الاستيلاء على المدينة ، فإن هذا القائد سيطالب بمردها إلى حظيرة
الامبراطورية تنفيذاً لمعاهدة القسطنطينية التي كان يوهيمند نفسه أول الحائزين
لها الداعين إليها . وكان الموقف يحتاج إلى شيء من الخيلة بهذا مالم يكن بنفس
الأمير التورماندى . فقد أوم تاتيكوس أن باقى زعماء الصليبيين يتم موته
على أيديهم وبالاتفاق مع الأتراك ضدكم ، وأنهم يدبرون مؤامرة لاختطافه . وقد
لمحسب الخطة ، إذ خالف القائد البيزنطى على حياته ، وترك الحصن الصليبي (بنابر
أو فبراير ١٠٩٨) متدنياً بالذهاب لإرسال إمدادات ومعدات جديدة من بزنطة
للجيوش الصليبية (١) . ولكن المؤرخ المجهول يدافع عن سيده يوهيمند قائلاً إن
تاتيكوس هرب في أثناء عملية الحصار عندما أصبح الجيش الصليبي في مركز
حرج ، وحينما علم بأن جيشاً تركياً كبيراً في طريقه إلى أنطاكية لتطويق
الفرنج . ولذا تمكنه الخوف ، واعتقد أن الجيش التركي سوف يفتك بالجيوش
الفرنجية فرحارياً حتى لا يمرض حياته للخطر (٢) .

وبعد أن تخلص يوهيمند من الجيش البيزنطى للمساعدة بقيادة تاتيكوس ،
وسواء أكل قرار هذا القائد خوفاً من أن يعطش به الفرنج نتيجة لخسرة يوهيمند
أم خشية من الجيوش التركية التي كانت في طريقها إلى أنطاكية ، فقد عمل
الأمير التورماندى على تنفيذ العقد الثاني من خطته ، وهو التخلص من منافسة
باقى زعماء الفرنج له . ويقول المؤرخ المجهول إن يوهيمند بعد أن اتفق مع
أحد ضباط حامية أنطاكية المسمى فيروز على أن يسهل له الدخول إلى المدينة ،
وبعد أن وثق أنها ستسلم له ، تقدم إلى باقى رؤساء الفرنج وطالب منهم أن
يملكوه المدينة بعد الاستيلاء عليها . ولكنهم لم يوافقوا على طلبه في أول الأمر .

(١) Grousset, Crois., I, 80-1.

(٢) Anonymi Gesta Francorum, 261-2.

فأثبث لهم أنهم سيتقاسمون فيها بينهم بعد امتلاكها لأنهم اشتركوا جميعاً في عملية الحصار . وقد أيقن يوهيمند عندما سمع هذا الكلام ، وانسحب في الحال دون أن ينس بحرف واحد . ولكن سرعان ما تغير الموقف ، وبات الجيش الصليبي مهدداً بالخطر ، وكان جيشاً تركياً بقيادة كربوغا حاكم الموصل في طريقه إلى المدينة . فاستغل يوهيمند . وكان مسيطراً على الموقف . هذه الفرصة السانحة لتحقيق أهدافه . وعقد زعماء الفرنج مجلساً قرروا فيه استمدادهم للتنازل عن المدينة ليوهيمند حالما يتم الاستيلاء عليها . أما ريمون كونت سان جيل فقد رفض التمسك بذلك ، وسيكون هذا سبباً لإثارة الزعاج والتخاصم بين الرجلين فيها بعد (١) .

بعد أن أصبح يوهيمند في تنفيذ خطته بشخصها ، وبعد أن استوثق من أن المدينة المحاصرة ستؤول إليه فور امتلاكها ، أخذ يحارب بكل ما أوتي من قوة ، وأظهر شجاعة فائقة في أثناء الحصار ، غير مهال بالصواب التي واجهته حتى انتهى الأمر بسقوطها واستيلاء الفرنج عليها في ٢ يونيو ١٠٩٨ م .

وفي هذه الأثناء وصل الجيش التركي بقيادة كربوغا إلى أنطاكية وحرب الحصار حولها ، ونحرج موقف الفرنج في الداخل فخرجوا كجراً ، وحمت المجاعة وانتشر الوباء وتعذرت القوات ومات عدد كبير منهم ، وكافت حياة الباقين قلب فرسين أو أدنى . وصيق كربوغا عليهم الحثاق ، حتى أن الكونت أنين الذي كان زعماء الفرنج قد انتخبوه قائداً على الجيش ، تظاهر بالمرض وهرب من المعسكر إلى بلاده خشية الموت . وفي طريقه قابل الأمير بطوراكسيس الذي كان متوجهاً صوب أنطاكية بجيش كبير ، وأخبره أن الترك قد حيطوا الحصار على

الفرنج الذين أصبحوا مهدين بالقضاء داخل المدينة . فاستولى العرب على
الامبراطور ، وترجع بسرعة حتى لا يصيبه ما أصاب الجيش للمسلمين المحاصر
داخل انطاكية .

وهكذا كانت الامور تسير بالنسبة للمسلمين المحاصرين من حين إلى آوان ،
رغم ما أبداه يوهيمند من شجاعة وحزم . وظهرت في تلك الأثناء التي
بدأ فيها التخاذل واستعصا بين الفرنج ، بعض الأساطير والروايات التي كانت
تهدف إلى إثارة الحماس الديني وتقوية الروح المعنوية المتهاذلة بينهم . ظهرت هذه
الأساطير لتؤدي دورها على مسرح الأحداث . وقتذاك . ومنها ما تروى أن
أحد الأتراكين شاهد في منامه قديساً من القديسين ، بينما ادعى البعض أنهم رأوا
المسيح أو العذراء . وهناك من يقول بأن الخطاب الذي دهم غرقى من المؤرخين
أن الكسيس كومنين أرسله إلى روبرت أمير الأراض الواطنة لم يصدر عن
الامبراطور البيزنطي ، وإنما وضع في غرب أوروبا في تلك الفترة بإذات بقصد
حث الغربيين على إرسال التعينات إلى اخوتهم الفرنج المحاصرين داخل المدينة .
وإلّا أم هذه الأساطير أسطورة الفرنجي يدعى بطرس برنولاموس دهم إثر
رؤيا ظهرت له في المنام أنه اكتشف الحربة المقدسة التي طعن بها المسيح في
جنبه . ولا شك أن الهدف من أمثال هذه الروايات التي ظهرت وقتذاك ، هو
العمل على دفع الروح المعنوية بين أفراد الجيش الفرنجي حتى يواصلوا القتال
إلى أن يحققوا غايتهم من حملتهم . كما أنها تبين بجملة كيف استغل أهل الغرب
العامل الديني لتحقيق أطماعهم ومآربهم في رقعة الشرق العربي . وكان من أثر
هذه المزعجلات أن تبدل الحال ، وألحظ يوهيمند حواس الجند وكلين اليأس قد
استولى عليهم وكذا أن أن يشتلوا ، فهبوا حبة واحدة وقاموا في وجه الأتراك

والحقوا بهم المخرقة ، ولأذكريونا وجماعته بالقرار (٢٨ يونيو ١٠٩٨) (١). وبعد أن تم قنصر القرنج استولوا على قلعة المدينة . وكانت الأبراج العليا من حوزة بوهيمند ، ولكنه سرعان ما التجأ إلى القوة ، وطرد قوات سان جيل ودوبرت وجودفري من القلعة ووضع يده عليها . ولم يدس الأمير النورماندى أن رؤساء الفرنج قد وعدوه بمنحه انطاكية بعد الاستيلاء عليها ، لا سيما وأن الفضل الأول في ذلك يرجع إليه . لذا طلب منهم في أواخر يونيو من سنة ١٠٩٨ أن يملكوه المدينة ، وأن يسلوه أبوابا وحصونها التي كانت لا تزال في قبضتهم . وقد استجاب الكل إلى طلبه ما عدا سان جيل الذي كان يطمع مثله في إمارة انطاكية . لذلك ونحس التنازل عن المراكز التي كان يحتلها ، وأخذ في تحصينها . وعلى هذا أصبح يتنازع المدينة - بعد أن تنازل جودفري ودوبرت عن حقوقهما فيها - كل من بوهيمند وسان جيل . وكان الأول يحتل الأجزاء الشمالية والشرقية والوسطى بما في ذلك القلعة ، بينما كانت المنطقة الجنوبية الغربية من نصيب سان جيل وهي مدينة انطاكية الحالية (٢) . ويذكر المؤرخ المجهول أن سان جيل رفض تسليم المدينة إلى الأمير النورماندى حتى لا يفتتق نفسه . لذا أداه للإمبراطور . وقد عقد زعماء الفرنج عدة اجتماعات في كنيسة القديس بطرس بالمدينة لحسم التراع القائم بين الرجلين . فمرض بوهيمند على المجتمعين الاتفاق الذي أبرمه معهم والذي ينص على تنازله عن انطاكية له ،

Raimond d'Agiles, 253-7; Anonymi Cesta Francorum, 353 (١)
80; Matt. d'Edesse, 39-43; cf. Hitti, Hist. of Syria, 593 & notes.

انظر أيضا رواية أبي الحسن في كتابه النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١١٩ - ١٢٨ ، عن قصة الخربة للقدس .

حيثما أطلعهم سان جيل على نص اليمين الذي أقسمه بين يدي الكسيس بناء على نصيحة بوهيمند نفسه ، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة حاسمة مرضية (١) . وليس من السهل تفسير موقف سان جيل ، وعلى كل حال ذلك رغبة صادقة منه في المساعدة على اليمين الذي أداه للإمبراطور البيزنطي ، أم طمعاً في الاستحواذ على المدينة لنفسه ، أم استجابة لطلب الكسيس الذي كلفه بمراقبة بوهيمند والسعي دون تحقيق أطاعه على حساب بيزنطة قبل مغادرته القسطنطينية إلى آسيا الصغرى . فهذه مجرد احتمالات لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء للوصول إل رأى نهائي بشأنها . هذا ولو أن أحداث السنوات التالية تعزز الرأى القائل بأن سان جيل كان يطمع مثل بوهيمند في تأسيس إمارة له ولاسره من بعده .

وإذا انتقلنا إل حق بيزنطة في انطاكية نرى أن معاهدة القسطنطينية كانت تنص على إعادة المدينة وجميع الممتلكات التي كانت في حوزة الدولة البيزنطية قبل مراقبة ملاذ كرد إل حظيرة الإمبراطورية بعد الاستيلاء عليها ، وقد أقسم زعماء الفرنج بذلك . كما اشترك الإمبراطور الكسيس في الحرب الصليبية على هذا الأساس .

ويذكر جروسيه أن جودفري ، وروبرت ده فلاندرز ، وروبرت ده نورمانديا ، قد برأوا بقسمهم وصمموا على إعادة انطاكية إل الإمبراطور بعد

(١) Anonymi Gesta Francorum, 394 5. - وجدير بالذكر أن ابروار مؤرخ مجلة ريتلود قلب الأسد امتنع في كتابه الذي وضعه شعراً عن تلك الحملة ، كما من بوهيمند وابي اخته تكريمه ، لا أن لا ينحصر الذي أعزاه حا وافي الفرنج الاستيلاء على انطاكية بحر من الأمور التي تروى في التاريخ . ورجعنا أن نوضح أن قصة النصب ووجهة النظر الثرية حياله تلك الأحداث تظهر أن جملة في شعر ابروار . أنظر :

Ambroise, *Crusade of Richard Lion-Heart*, 393-4.

أن تم لهم فتحها ، أيضاً كان كل من بوهيمند وسان جيل يعمل لحسابه الخاص كما رأينا سابقاً . وبناء على ذلك عقد زعماء الفريج اجتماعاً آخر في أوائل يوليو ١٠٩٨ م حضره ريمون ديه سان جيل وبوهيمند ، وقرروا إرسال هيوج ديه فورماندرا وبفدوين ديه هافوا إلى الامبراطور يطلبون إليه الحضور لتسلم المدينة لتعيذاً للانتفاضة المبرمة بينها . وقد قتل بفدوين في الطريق على أيدي جماعة من الترك في خدمة الجيش البيزنطي . أما هيوج فواصل سيره إلى القسطنطينية ، ولكنه لم يجد إلى وفاته ثانية .

لقد كان الصليبيون على استعداد لإعادة انطلاقية إلى الامبراطور على شريطة أن يشترك معهم في الحملة ضد بيت المقدس ، وأن يقدم بما يحتاجون إليه من أقوات . ولكن الكيس ترك هذه الفرصة تمر دون أن يستغلها لمصلحته . ولم يعطهم رأياً صريحاً فاعلموا في هذا الشأن . هذا باستثناء موقف بعض كبار اللاتين من أمثال بوهيمند وسان جيل وبفدوين وتسكريد الذين كانوا يعملون منفردين عن باقي زملائهم وعن الامبراطور الكيس نفسه . ويجب ألا يغرب عن البال أن جميع الأطراف المعنية من لاتين واغريق على السواء كانت تسعى لتحقيق مصالحها الذاتية فحسب دون نظر إلى أي اعتبار آخر . وأنه لهذا السبب بداخل المصالح ، وتضارب الأوهام ، وثارت الخلافات ، واسطلم اللاتين بعضهم بعضاً ، كما اشتبكوا مع البيزنطيين . ويظهر هذا أمثالاً للخلافات السيقة ، الحضارية والفكرية والسياسية والقومية ، التي كانت قائمة بين اللاتين والاعريق منذ قرون عديدة سبقت الحركة الصليبية نفسها .

وأخيراً في أبريل سنة ١٠٩٩ م قرر الصليبيون السير بمصافهم صوب بيت المقدس . وفي هذه الأثناء وصلهم خطاب من الكيس يفصح فيه عن استعداده

للاشتراك معهم في الحملة على أن يردوا إليه انطاكية وأن ينتظروه حتى شهر يوليو من تلك السنة . وقد وصلت هروص الامبراطور بعد أن قاتل الوقت وبعد أن أفلت الزمام ، إذ قرر الزعماء ألا ينتظروه ، وأن يواصلوا السير بجوانهم الجواراة صوب اورشليم . هذا في الوقت الذي عزز فيه بوهيمند مركزه في انطاكية رافعا تسميتها إلى بزنطة ، بما أدى إلى قيام التراع ونشوب الحرب بينها لمدة طويلة . وامن هذا هو الذي حدا بالامبراطور الكيس إلى تغيير موقفه من الصليبيين بصفة عامة ، وإلى ازدياد روح العداء والقبضاء بين الفريقين .

وفي الوقت الذي تمهد فيه الكيس بالاشتراك مع الصليبيين في حركتهم . يقال إنه كان على اتصال بأعدائهم الفاطميين في مصر ، وأنه عقد معهم اتفاقا سريا (١) . وإن دل هذا على شيء فإلما يدل على أن الكيس لم يكن صادق الرغبة في مساعدة اللاتين في هذه المرحلة من الحملة . أو لعله بعد أن تكشفت له نواياهم ، أراد أن يحمي ظهره من عدوانهم فانفق مع حيراته الفاطميين حذم . ويقول شالندون إن اقتصاب بوهيمند لمدينة انطاكية أثار غضب الامبراطور وسخطه على الصليبيين مما دفعه على الاتفاق حذم مع الفاطميين ، بينما يمزج جروسية ضياع المدينة من قبضة الكيس إلى تردده وهم مطالبته بها ، وأنه لو كان قد أصر على إعادتها إلى حظيرة امبراطوريتهم لثم له ذلك .

وما يدل على حسن نية الصليبيين حيال البيزنطيين انهم بعد الاستيلاء على انطاكية أحسنوا معاملة سكانها والبطريق لغير على يوحنا الرابع وأعادوا تنصيبه على الكرسي البطريركي في احتفال عظيم ، ولم يفرقوا بين المقرس اللاتينية

(١) حذر ما ذكر أن أمر هذا الاتفاق السري الذي عقد بين الكيس والفاطميين ورد ذكره في المصادر العربية فقط ، فيما لم تتعرض له الأصول العربية بكتابة واحدة . ولهذا يحس عند ثاوله سري الحملة واخبر .

واللقوس الإغريقية . ولكن بعد أن اتفق مع القاطنين ضد الصليبيين ، إن صحت الرواية القريبة في هذا الصدد ، فتور الموقف وأخذوا يتحولون عنه . وكان بروميسند في ذلك الحين قد ثبت قدمه نهائياً في انطاكية وتخلص من منافسة سان جيل له ، ثم حول الطريق البرطلي وحين عجل بطريقاً لاتينياً هو برنولد ده فالانس Bernard de Valence . فكان هذا إنساناً يتحول انطاكية إلى مستعمرة لاتينية (١) ، وستستمر هكذا لمدة مائة وسبعين سنة تقريباً (١٠٩٨ - ١٢٦٨) عندما استعادها العرب نهائياً في مايو من عام ١٢٦٨ (٦٥٨ هـ) أيام السلطان الظاهر بيبرس (٢) . ولعل هذا الموقف من جانب بروميسند يكشف كيف اصطنع اللاتين في بادئ الأمر سياسة اللين والهدوء حيال الأتراك وشعائرهم ، وما استتبت لهم الأمور ظهروا على حقيقتهم ، فأزالوا اللقوس الأرثوذكسية وأحلوا محلها طقوسهم الكاثوليكية . وهذا يبرز ماسبق أن أوضحناه فيما يتعلق بموقف اللاتين من ميوت الله من مساجد وكنائس شرقية ، ويبلغ ضلوع أهل حقيقة الجاهات العنوان الصليبي (٣) .

وإذا كان بعض المؤرخين الغربيين المحدثين أمثال جروسيه قد وقفوا إلى جانب اللاتين في نزاعهم مع الكسبيس كومنين والبيزنطيين فيما يتعلق بمسكلة انطاكية ، فقد وجد فريق آخر ألقى اللوم على الصليبيين وحمل رأسه شارل ديبل . يقول هذا المؤرخ إن الفريق لم تمكن لديهم رغبة صادقة في مواجهة الأمبراطور

(١) Grousset, Crois., I, 116-5, 137-40.

(٢) راجع التفاصيل في: النوري: نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، لوحة ٩٤-٩٦ ؛ الكبي: فوت الوجبات ، ج ١ ، ص ٨٧ و ٨٩ ؛ القرطبي: السلوك ، ج ٩ ، ص ٢ ، ص ٥٦٧-٥٦٨ ؛ أبو المحاسن: التجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٦ .

(٣) أظن ماسبق ، ص ٦٩ - ٧٠ من هذا الكتاب .

البر نطى والتمام معه الوصول إلى حل يرضى الطرفين . وكان من أثر ذلك أن العلاقات بينهما آلت إلى شبه انقضاء . ويستطرد دبل فيذكر أنه ليست هناك غير أن ثبت أن الكيس لم يرحب بأولئك القوم ولم يضرهم بالمال ، وأنه بما ورعه عليهم من مبالغ طائلة كان يوسعه تخصيصها لمحاربة الأتراك والتغلب عليهم ، وأن الكيس قد وفى بتعهداته قبلهم . وهذا لا يمكن أن يقال من الصليبيين زهد أن شكروا الهد برفضهم إعادة أنطاكية إلى برنطة . ويختم دفاعه بأن هذا يمكن الحكم بما يقرب من الصحة على حقيقة العلاقات بين الكيس والفرنج خلال الحرب الصليبية الأولى (١) .

وبالطبع بعد أن تباينت آراء المؤرخين فيما يتعلق بموقف كل من اللاتين والآخرين حيال الآخر حول مشكاه أنطاكية ، لنا أن نسأل : هل حافظ كل من الكيس والصليبيين على تعهداتهم التي نصت عليها اتفاقية القسطنطينية فيما يخص هذه المسألة ؟ وهل كتف من تقع مسؤولية المناعقات الخطيرة التي أنجبت من تأزمها ؟

يرى البعض أنه كان يجب على الصليبيين إعادة أنطاكية إلى برنطة تنفيذاً للاتفاق المبرم مع الكيس ، وأن اغتصابهم المدينة على هذا الوجه يعتبر تجاوزاً واضحاً للاتفاق ونكثاً بالوعد المتطوع ، وأن ذلك كان إيذاناً بوقوع أحداث جسام في السنوات التالية . ولعل لم يتنازل البيزنطيون عن حقوقهم في أنطاكية ، مما أدى إلى اشتعال نيران الحرب بين بوهيمند والكيس . وكانت هذه المسألة في القرن الثاني عشر على رأس المسائل الشائكة في سياسة برنطة في سورية . وإليها أيضاً يرجع السبب فيما بلغه خلفاء الكيس من مجهودات للتوسط من

خلفاء بوهيمند (١) . هذا بينما يرى فريق آخر من المؤرخين أن الكسيس هو المسئول الأول عن ضياع حق بيزنطة في أنطاكية . ويمرون ذلك إلى ترده وتهاونه وعدم تنفيذه لبعض الشروط التي نصت عليها معاهدة مايو ١٠٩٧ م ، في حين أن الفرنج بادروا بإرسال مندوب عنهم يطالب الإمبراطور البيزنطي بالحضور لاستلام المدينة ، وأنه لم يسر هذا التدهاء أى التفتت في الوقت ، الذي أخذ يتسارع فيه مع دولة الفاطميين بمصر لتكوين جبهة مشتركة ضد بوهيمند والفرنج .

ولكن بالمقارنة بين مختلف التصورين يتضح أن هذه الأقوال مبالغ فيها إلى حد كبير . حقيقة أن معاهدة التسططينية نصت على إعادة أنطاكية إلى الكسيس بعد الاستيلاء عليها ، ولكنها نصت أيضاً على تمديد الإمبراطور بالاشتراك مع الصليبيين في حروبهم ضد السلاجقة ، ومساعدتهم حروباً وإمدادهم بالمؤونة . فهل ساعد الكسيس الفرنج ، أو بر يتجهاته لهم في هذه المرحلة من الحملة ؟ يرى الباحث المدقق أن الإمبراطور أدخل بوعوده . حقيقة أن جيشاً بيزنطياً بقيادة تاتيكوس كان يساهم الصليبيين عند حصار أنطاكية ، ولكن هذا القليل هرب في أثناء الحصار قبل أن يتم الاستيلاء على المدينة . ومهما كانت البواش التي دفعت إلى ذلك ، فإن فراره قبل سقوط أنطاكية يعتبر تجاهلاً للاتفاق . وهذا ما يمكن أن يقال أيضاً بالنسبة للكسيس نفسه عندما قابله ابنه ديه بلوا وهو في طريقه إلى أنطاكية ، وأخبره بالحال التي وصل إليها الفرنج المحاصرون داخل المدينة ، وكيف أنهم باتوا مهددين بالخطر أثناء حصار كربوغاها . فأمر السلامة ورجع بنواته من حيث آو . بمعنى أن الإمبراطور وقاعته تركوا الفرنج بدون

أى مساهمة في هذه المرحلة من حملتهم . حقيقة لقد بر الكيس بتمهيداته
للعلميين خلال مرورهم في آسيا الصغرى ، ولكننا لا نجد مصدراً يؤيد الرأى
القائل بأنه أمدم بما كانوا في حاجة إليه في أثناء عملية حصار أنطاكية ، وهذا
يعتبر إخلالا لشرط أساسى في المعاهدة . يضاف إلى ما تقدم أن الكيسى رفض
الاشتراك في الحملة ضد بيت المقدس ، أو على الأقل لم يحطهم وعداً صريحاً بذلك ،
هذا في الوقت الذى كان فيه على صلة بالفاطميين . وإن صح هذا فإنه يكفى
لهم حق برونطة في المطالبة بملكية أنطاكية . وعلى أى حال ، قد سحقت الفرصة
للكيسى لاسترداد المدينة والظهور بظهر الزعيم الدينى ، ولكنه تركها تمر
دون أن يستغلها . وأخيراً فإن اغتصاب اللاتين لأنطاكية ما كان ليتم لولا
ضعف الامبراطور وتردده في المطالبة بها . وقد وجد يومئذ الطموح لى تردد
الكيسى وإخلاله بتمهيداته فرصة ذهبية لتحقيق حلمه المنشود .

وكيفما كان الأمر ، فلقد كان استيلاء اللاتين على أنطاكية يعتبر من أكبر
إنجازاتهم الحربية منذ أن قاموا بحركتهم في آخريات القرن الحادى عشر .
وإذا قرأنا ما كتبه المؤرخون الغربيون عن هذا الحدث ، نلحس الأثر الذى تركه
في نفوسهم وفق نفوس مواطنيهم في غرب أوروبا . لقد نفى أهل الغرب بهذا
النصر لأجيال طويلة ، إذ أنه فتح أمامهم الطريق إلى الأراضى المقدسة .

ويستبر الاسفيلاء على تلك المدينة ومن بعدها بيت المقدس ، دعاية للحركة
الصليبية لا تقل بحال عن دعاء البابا اربان الثانى أو دعاية بطرس الثاسك وغيره
من الرعايا والمبشرين . وكانت هذه الانتصارات السريعة المتلاحقة التى أحرزها
أولئك القوم نغمة من الزمن هى الحركة النخيم لذلك الجهود الذى بذلته أوروبا
خلال ثلاثة قرون من الزمان لىكى تحتفظ بسيطرتها على هذه البقعة المقدسة التى
اغتنبتها من أصحابها العرب مدعية أنها كانت ترى فيها مهداً للروحى .

لقد نال الكتاب اللاتين للمعمرون لعملة في حكمهم حل الكسيس سلب
 حلقاته بالصليبيين . كما كانت بين التبعة التي طلبها من رؤسائهم بأعنة حل
 استيائهم الشديد . ويبدو ذلك واضحا في كتبهم وثا ليهم . وسأول أولئك
 المؤرخون اتشال مختلف الأعداد لفرنج لما سمجوه نوعا من الإذلال المتعمد
 من جانب البيزنطيين . وصرح أحدهم بأن مثل أولئك الجنود الواسل لم يفعلوا
 ما فعلوه إلا بعد أن وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى ذلك بحكم الضرورة ، إذ لم يكن
 برسمهم مقاتلة المسيحيين الإغريق . ويقول مؤرخ آخر إن أولئك القوم رفضوا
 أن يعودوا إلى بلادهم قبل أن يتمموا ما قدموا من أجله ، وأنهم لهذا السبب
 إستمادوا من الكسيس ونصراته . ولم يترددوا في اتهامه بالمكر والخداع
 والحياة ، كما نسبوا إلى رعاياه الكذب والجبن ، واتهموا الإغريق بصفة عامة
 بأنهم السبب في الهزائم العديدة التي حلت بالصليبيين فيما بعد . مع أنه من الإنصاف
 القول بأن عدم كفاءة القادة اللاتين ، وتنافسهم ، وتنازعهم فيما بينهم ، ثم
 ما كانوا يتميزون به من عدم التجرؤ وانعدام الإرادة - كل هذا كان السبب
 فيما حل بهم من كراوت وويلات .

وإذا أمعنا النظر في مجريات الأمور وجدنا أن الاختلافات بين المنصرين
 تجعل التفاهم بينها يكاد أن يكون مستحيلا . ويحتمل أيضا أن الاتفاق بين
 الإغريق واللاتين لم يكن في منتهى الإخلاص . فكان الامبراطور البيزنطي
 يريد الانتفاع بالفرنج لصالحه ؛ بينما هم من ناحيتهم لم يشكروا في القرو والتمتع
 إلا لحسابهم الخاص . ولعل هذا هو أقرب الآراء إلى الحقيقة والواقع .

ورغما عن الأخطاء والنزاع والاشتباكات بين الصليبيين أنفسهم وبينهم
 وبين البيزنطيين ، فقد كانت نتائج عام ١٠٩٩ لاشك فيها . إذ نجحت أقلام
 البيزنطيين في آسيا الصغرى ، وتم تأسيس مستعمرات لاتينية في سورية . وقد

كل من المسكن لو اتفق الصليبيون والبيزنطيون وقتذاك على مهاجمة الأتراك ،
أن يبرزوا نصراً حاسماً عليهم . ولكن مسألة أنطاكية والحلقات السابقة
حالت دون ذلك .

كان يوهيمند يهدف بعد أن أصبح سيداً على أنطاكية إلى توسيع رقعة إمارته .
وقد حاول عام ١٠٩٩ بمعاونة اليازية اقتراح اللاذقية من قبضة البيزنطيين ،
وهاجم عام ١١٠٠ مدينتي حلب وناقمية ، وكانت الأخيرة قد دعت إلى دولة
الروم . ومع أنه وقع في أيدي الأتراك في نفس العام ، إلا أن ابن أخته تشكريد
الذي تول شئون أنطاكية في فترة غيابه في الأسر ، كان يتابع سياسة عماله في
التوسع على حساب بيزنطة . وكان من مصلحته ألا يطلق سراح يوهيمند في
وقت قريب . لذلك لم يحاول التفاوض لإطلاق سراحه .

قام تشكريد بتول شئون أنطاكية نيابة عن عماله خير قيام ، دالاً بذلك
على بعد نظره . فهو لم يحمل لقب أمير أنطاكية . وعلى الرغم من أنه مك حملة
باسمه ، إلا أن هناك أسطورة دينية مكتوبة بلغة يونانية رديئة أطاعت عليه
إسم « خادم الله » . وكان يطلق على نفسه في بعض الأحيان لقب « الأمير الجليل » .
Grand Emir . وكان أمراً محتملاً ومتوقفاً أن الرأي العام الأنطاكي سوف
يقف حائلاً أمامه إذا تمادى في مطامحه . وكان التورمان لا يزالون يعتبرون
يوهيمند قائمهم . وكان يوهيمند صديق حميم في شخص البطريرك اللاتيني المدمر
برنارد ديه فالانس ، الذي كان قد عينه قبل وقوعه في الأسر مباشرة . ومن أجله
أيضاً طرد الأمير الأسير البطريرك الآخر يوحنا الرابع John the Oxite .
وكان تشكريد يسير على نفس سياسة عماله . ففي الداخل عمل على تثبيت الإدارة في
الإمارة ، وتحريك الكنيسة الشرقية إلى المنصب اللاتيني الكاثوليكي . أما في

الخارج فقد سعى إلى الإثراء على حساب البيزنطيين والأمراء المسلمين المجاورين . ومع ذلك فقد كانت مصلحته عليه أكثر منها عالمية ، وذلك على العكس من حاله .

على أية حال ، يادرج تشكريد بالهجوم على اللاتينية واستولى هيما في عام ١١٠٢ . وكان امتلاك هذه المدينة ذا أهمية كبيرة ، إذ أنها تفتح للإمارة منفذا إلى البحر وإلى الغرب . وقد شغلت هذه السياسة العادية بالامبراطور البيزنطي ، مما حله على الاتفاق مع ديمون ديه سان جيل ضد النورمانديين . بل إنه في سبيل مضايقة النورمانديين ، عاون سان جيل على تثبيت أقدامه في طرابس الشام عام ١١٠٢ (١) . ولما عاد بومبيند من أسره إلى أنطاكية في ربيع عام ١١٠٣ طالبه الامبراطور البيزنطي بحرم بإرجاع المدينة إليه . ولكن بومبيند رفض إجابته إلى طلبه . وقعت الحرب بينهما . واتخذ البيزنطيون منه المرة موقف الهجوم ضد بومبيند . واستولوا على كيليسكية وأدنه Adana وماميسترا Mamistra . ثم ضربوا الحصار حول اللاذقية ، واستولوا على بعض المراكز الاستراتيجية الهامة على الساحل . وفي نفس الوقت كان الأتراك من الجهة الأخرى يهاجمون الصليبيين ، وأزولوا بهم هزيمة شكا . عام ١١٠٤ هدد مدينة حران ، وحاصروا الرها بعد ذلك بفترة وجيزة .

ولما وجد بومبيند أنه ليس بمقدوره في مثل هذه الظروف قتال البيزنطيين بمفرده ، اضرم التوجه إلى الغرب بنية التجهيز بحرب صليبية جديدة ، ولكنها ليست ضد الغرب هذه المرة ، وإنما ضد امبراطور الدولة البيزنطية . وقد أفلح بحيلة بارعة من اختراق صفوف البيزنطيين التي كانت تراقب الساحل السوري .

(١) حول طرابس الشام وتأسس إمارة صليبية بها ، أنظر السيد عبد البر و سالم : طرابس الشام في القاموس الإسلامي (الإسكندرية ١٩٦٧) - ص ١٢٥ وما بعدها .

ووصل إل كرفو ، ومن هناك أرسل كتابا إلى الكيس يتحداه فيه تحديا صريحا . ويشير في هذا الخطاب الذي استعظت بنصه الأميرة آن كومبي إلى الحرب التي قاتلها والده دوبرت جويسكار ضد الامبراطورية ، ويختتمه بقوله : « رحلنا أصل إلى القارة (يعني أوروبا) ساجع من حولي القوم باردين والصليبيين والألمان وكافة المواطنين الأفرنج ، وكلهم مشهود لهم بالشجاعة الفائقة ، وسأثير الاضطرابات في الامبراطورية الرومانية التي تحكمها . وبمساعدة هؤلاء الرجال ، سأجعل السماء تسيل أنهارا في المدن والبلدان التي تحت إمرتك ، حتى يحين الوقت المناسب لأثبت نفسي في بزنطة . »

وفي يناير سنة ١١٠٥ بلغ بومينند مدينة بوميا ، وكان موضع المفارقة في كل مكان حل به . ومنذ إليه إلبا أحد رجال الدين لدهاية الحرب الصليبية التي كان يرمع القيام بها . واستقبله بعد ذلك فيليب الأول ملك فرنسا وزوجه من ابنته ، وقدم له كافة التسهيلات اللازمة . وقد نسب الأمير النورماندي فشل الحملات التي قام بها الأفرنج ضد العرب في الشرق في أعوام ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ إلى الكيس والبيزنطيين . ونجح في إثارة الرأي العام في الغرب الأوروبي ضد البيزنطيين متهميا إياهم بغيابة اللاتين وتوجيه الطعنات لهم من وراء ظهورهم . ولم يكلفه جمع الجيوش لحملته الجديدة أي مجهود . وفي خريف عام ١١٠٧ كان قد حشد حوالي ٣٤ ألف مقاتل . وعبط بهذا الجيش في مدينة أفلونا Avlona ، وحرب الحصار حول مدينة دورادو . وهكذا تبيد حملة ١٠٨٦ نفسها بعد حتى ما يقرب من ربع قرن ، مع فارق أساسي وهو أن الكيس كانت تحت إمرته هذه المرة قوات كبيرة غمارية خصمه الشديد ، كما كان أسطوله يسيطر على البحر . وسرعان ما هاجم الجيش البيزنطي بومينند برا وبحرا ، واشتد في قتاله حتى وجد نفسه محاصرا داخل معسكره . ولم تلبث قواته أن تمسكها اليأس ،

والت الإمبراطور بعد أن أختارها المجرع وبعد أن أمر عليها رسل الإمبراطور . ولم يجد بوهيمند بدا من طلب المقارعة وإيقاف القتال . وسمح الكسيس لخصمه القديم بمقايضته بشروط تمنح كرامته وكبريائه . إلا أنه كان مضطراً لقبول هذه الشروط للهنية . وذهب إلى المعسكر البيزنطى حيث نوقشت بنود المعاهدة الجديدة التى عرفته باسم معاهدة ديفول Treaty of Devol واتى نصت على احترام الأمير النورماندى بتميمته للإمبراطور ولنجلته من بعده ، وحذف بين التبعية والولاء بين يديه . كما نهد بالألا يحمل السلاح ضد مرة أخرى ، رالا يقوم بهجوم جديد على أرامى الدولة البيزنطية بما يمرض سلامتها للخطر ، وأن يقاتل فى سبيله مهما كانت الظروف ، وان يحتفى بالأراضي المنصوص عليها فى المعاهدة وهى التى تنازلت عنها الكسيس . كما وعد بوهيمند أن يعيد إلى بيزنطة جميع البلدان التى فتحها واتى كانت من أملاكها من قبل . وتتميزاً للاتفاقية أعاد بوهيمند كيليكية واللاذمية إلى حظيرة الإمبراطورية ، وذلك خلاف مواقع أخرى على الساحل . وفيما يتعلق بأنطاكية فقد تسلمها بوهيمند انطاها من الكسيس الذى بادر بممارسة سلطانه فيها ، فأسر الا تتبع بطريركية انطاكية الطقوس اللاتينية الغربية ، وأن يكون بطريقها ارتوذكسيا بختاره الكسيس من بين هيئة رجال الدين بكثيرة سانت صوفيا البيزنطية . وفى شروط أخرى نصت عليها الاتفاقية يبدو مدى ما لحق بالأمير النورماندى من اللذة بعد انكماش إمارته . وقد غمر الإمبراطور الأمير بوهيمند بالخلع كمادته ، وأسبغ عليه لقب Sebastos ، أى المحترم ، وتم توقيع المعاهدة سنة ١١٠٨ .

ولماعة دخول سنة ١١٠٨ أمية لاقل بحال من معاهدة القسطنطينية سنة ١٠٩٧ . فهى تسلط الضوء على الحال التى كان الكسيس كومتين يفكر فيه للشكفة الصليوية . لقد كان مستعداً للساح لآى أمير لاتينى بأن يتولى إدارة

الناطق الواقعة على الحدود بما في ذلك انطاكية ، طالما أن هذا الأمير مرتبط به بموجب واجبات التبعية الإقطاعية وفقاً للتقاليد اللاتينية الغربية ، وطالما أن بيزنطة تمارس نفوذها وسلطانها بطريقة غير مباشرة بواسطة الكنيسة الشرقية . بالإضافة إلى أن الكيس كان يدرك بحكم منصبه أنه مسئول عن سلامة المسيحيين الشرقيين .

ومع ذلك فقد ظلت المعاهدة جراً على ورق . ولكننا نضت على بوهيمند الذي لم يصر بالمرة على استعراض عضلاته أو حتى مجرد الظهور مرة أخرى في الشرق ، فإنه بعد أن تحطمت آماله على هذا الوجه أبحر إلى إيطاليا تاركاً وراءه كل شيء ، وتول في لومبارديا حيث وافته منيته عام ١١١١ م دون أن يتسنى له العودة إلى انطاكية ثانية ومواصلة كفاحه ضد الأبراطور . وقد ترك خلفه قاصرين من زيجته الفرنسية لم يثا حفرته في انطاكية .

وكان هذا نصراً عظيماً للكيس بعد أن يشر بنفسه العمليات الحربية والمفاوضات الدبلوماسية . إذ تمكن من أن يلحق المزيمة بمنصبه الذي وقف صبة كأداء في طريقه منذ أن تولى العرش ، والذي كان بدون شك أبرز شخصية في الحرب الصليبية الأولى . وقد كان هذا النجاح من دواهي الفخر والسرور في القسطنطينية ، ويمكننا التثبت من ذلك مما كتبه آن كومنين في هذا الصدد . على أن هذا الفرح لم يدم طويلاً ، إذ رفض تنكريد الذي حلف بالله في أنطاكية رفضاً باتاً تنفيذ شروط المعاهدة ، وواصل سياسة بوهيمند وقتواته ، فاستول على اللاذقية في عام ١١٠٨ ، وعلى جانب من اقليم كيليكية عام ١١٠٩ . ولم يكن من السهل إيقافه عند حده بدون استخدام القوة . ولم توث المفاوضات التي أجراها البيزنطيون في طرابلس وبيت المقدس لهذا الغرض النتيجة المرجوة . وفي

عام ١١١٢ توفي تذكرك ، ورغم ذلك لم يطرأ أى تغيير جوهرى على الموقف المتأزم ، ولم يكن الكيسى نفسه في مركز يسمح له بالتدخل العسكرى لنسوية هذه التركيبة المتفككة بالمشاكل . وعلى ذلك فقد ظلت مسألة انطاكية على ما هي عليه . وكانت هذه المشكلة جديدة بأن تمثّل مكانة هامة في التاريخ البيزنطى في القرن الثاني عشر (١) .

Diehl, L'Europe Orientale, 24-7; Ostrugorsky, 323-4; (١)
Runciman, Crusades, II, 32-6, 39-55.

وبالحمد أن يزنطة لم تنهض في العمل على تثبيت حقوقها في انطاكية بلحاظ ما حدث في ١١٠٧ و ١١٠٨ ، بمنح سبيلته إلى أو الحرب نارة وسباسة التراوح السبلى غارة أخرى . وأحد كل من يوحنا كومنين (١١١٨ - ١١٤٢) ومانويل الأول (١١٤٣ - ١١٨٠) سياسة الكيسى في هذا الشأن ، بل أن مانويل - في سبيل تدعيم النفوذ البيزنطى في انطاكية - تروج من الأميرة ماري الانطاكية . كما استغل الحملة الصليبية الثانية لتثبيت السيادة البيزنطية على تلك الإمارة . فبعث إلى لويس السابع وهو في طريقه بوانه من أوروبا إلى الشرق ، يبرس عليه قووى الجيش الفرنسى مقابل اعتراف لويس بسلطان يزنطة على انطاكية ، وتسكن هذه العرض لم يلق قبولا من لويس مما أدى إلى غضب مانويل وتقيام النزاع بينه وبين لئاده . مسألة الصليبية ، بن والاتفاق مع محمود سلطان قونية مدمم . وقد سرىب كومنين لنفس الحملة الصليبية ، ولم يأس أناطرة يزنطة في المطالبة بحقوقهم في انطاكية ، إلى أن جاءت الحملة الرابعة سنة ١٢٠٤ وأصبحت لها إمارة لانيقية في التسلطية فيها . فشكل هذا ما شغل بيزنطيين في الحين من المطالبة بانطاكية إلى العمل على تحرير بلادهم من رجة اللاتين . أظن .

Diehl, L'Empire Byzantin, 147-50; Chalandon, Comnènes, II, 289-90; Runciman, Crusades, II, 359-60.

راجع أيضا حسن جوى : نور الدين والصليبيون ، ص ٥١ .

ولقد ريد من المعلومات والتفاصيل عن أحداث السنوات التي طلت عودة يوحنا من الأسر إلى إمارة في انطاكية سنة ١١٠٣ إلى حين وفاته سنة ١١١١ . أظهر من المصادر العربية مؤلفات ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ، وابن القلاسى (ديل تاريخ دمشق) ، وابن الصديم (منتخبات من تاريخ حلب) ، وابن الجوزى (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) . ومن المصادر الأجنبية راجع تأليف فريتز دكس ، ورامول ده كان ، وموشيه ده خارتر ، ودي أنجلوى ، وبيثايل الجوى ، وآن كوسين .

الفصل السابع

حركة البقعة العربية

في القرن الثاني عشر

إن الاستمرار في البيع مملكة انطاكية وما أتت به من خلافات حادة بين اللاتين الكاثوليك والروم الأرثوذكس كان لها أثرها في تطور العلاقات بينها في الأحياء التالية ، لا يبعدنا عن مواصلة الحديث عن تقدم الفزاة الأجانب في المشرق العربي ، وهو الهدف الرئيسي من حركتهم العدوانية .

لقد وقعت انطاكية في قبضة اللاتين كما وقعت من قبلها نيقية ودوريليوم وغيرهما من البلدان التي كانت في حوزة السلاجقة . والواقع أن السبب الرئيسي في نجاح الفرنج في الاستيلاء عليها لا يرجع إلى صفات خاصة تميزوا بها دون خصومهم كالجرأة أو الشجاعة ، وإنما يرجع أولا وقبل كل شيء إلى انقسام السلاجقة على أنفسهم . وهو ما أوضحه المؤرخ شاذل أرميان في كتابه تاريخ الحرب والقتال في العصور الوسطى ، . فلو كان رؤسوف صاحب حلب ودقاق صاحب دمشق قد اتفقا وقتذاك للاحقا بالعدو الفصيل شرقا ، ولحالا بينه وبين الترغل في آسيا الصغرى وشمال الشام . ولكنهما على الرغم من الخطر السام الذي كان يهددهما ، وبدلا من الاتحاد لمواجهة هذا العدو المشترك ، لم يذلا أي مجهود في سبيل وقف التقدم الصليبي في المشرق العربي (١) .

(١) محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الناصرية ، ص ١٢٨-١٢٩ : السد
المرمى : مصر في عصر الأيوبيين ، ص ٦٦ : عهد الرحمن دكي : معركة المنصورة ،
ص ٩ - ١١

وكما أن الخلافات التي نشبت بين الصليبيين وبعضهم البعض من جهة ، وبينهم وبين بيزنطة من جهة أخرى ، ستؤدي في النهاية إلى استحالة للقضاء على القوى العربية الواعية في منطقة الشرق الأوسط ، فإن الخلاف المستعكم بين ملوك العرب وأسرانهم سيؤدي أيضاً إلى تحقيق حلم الثلاثين ، ولو إلى حين ، وهو الاستيلاء على أورشليم والأراضي المقدسة وتأسيس مستعمرات لاتينية بها . فقد كان العالم العربي آنذاك مقسماً على نفسه سياسياً ودينيّاً . ففي مصر خلافة الفاطميين الشيعة على غير وثق مع خلافة العباسيين السنية في بغداد ، وقد دب في أوصالها الضعف والانحلال . فالانقسام بينهما سياسى ودينى ، والتناحر على أشده . وهكذا نجد أن كلا الفريقين كان آخذاً في التدهور ، بينما القبائل التركمانية ومن بينها السلاجقة تحتلف من أملاك الفاطميين أو العباسيين على السواء . ما يمكن اختصاره من الأقاليم كما حدث مثلاً عند استيلائهم على بلاد الشام من الفاطميين . وكانت سلطنة السلاجقة قد انقسمت هي الأخرى إلى دويلات صغرى يحكم كل منها أمير مثلاً حدث في حلب واطاكية ودمشق (١) . يحدث كل هذا والعدو الفرنجى واقف يترصد بالعرب المتدثر ، وهو مرتبط أشد الارتباط لهذا الانقسام الواضح في صفوفهم . وإذاً لا عجب إذ كانت هذه هي حال العرب في الشرق من أن يقتصر عليهم الصليبيون بعد وصولهم إلى قسطنطينية واختراقهم الأناضول واستيلائهم على المعاقل الأمامية في آسيا الصغرى وشمال الشام . ولا عجب أيضاً أن يتم هذا كله في سنوات معدودات (٢) .

(١) راجع عن ذلك : Grousset, *Sum of Hist.*, 173-4; Lane-Poole, *Hist. of Egypt*, 163; Mahmud, *Story of Islam*, 83, 133, 134; Setton, *Hist. of the Crus.*, I, 96-7. راجع أيضاً : القزوينى : *معادى المنا* ، ص ٢٨٧ - ٢٩٩ .

(٢) Oman, *Art of War*, I, 233. وذكر أومان (فى المرجع والصدفة) :-

على أية حال ، كان قزو انطاكية تجربة حية كشفت عن حقيقة نوايا أولئك القوم . وأن هدفهم الحقيقي لم يكن تحرير قبر المسيح حسبما كانوا يدعون ، وإنما تخفيف الطامع الذاتية والرغبة الكامنة في نفوسهم في التوسع والسيطرة وبسط النفوذ والسلطان والعمل أولا وقبل كل شيء على تصفية الوجود العربي والقضاء على الحضارة العربية . فبعد أن قرعوا من انطاكية ، واصلوا الرحل بقيادة ريمون ديه سان جيل إلى بيت المقدس ، متجنبين الاحتكاك بالمدن المحصنة . وأخيراً في ٧ يونيو سنة ١٠٩٩ م بلغوا المدينة المقدسة (١) ، وكانت إذ ذاك في قبضة الفاطميين الذين استغلوا الفوضى والاضطراب في الشمال ضد الفرنج ، وقاموا بانزاعها منهم في آخريات أغسطس سنة ١٠٩٨ م . وكان حاكمها من قبل مصر يدهي الأمير نجر الدولة . وفي الحال ضربوا الحصار حولها الذي استمر من ٧ يوليو إلى ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ م . وقد تأسى الفزاة الأمرين بسبب نقص الذخيرة وقلة المياه وحرارة الجو في مثل هذا الوقت من العام ، فضلاً عن العود بالأسل الذي قامت به الحامية العربية داخل المدينة في سبيل دفع اللاتين عنها .

عالمه لم يكن من السهل على القوات الصليبية إحتراز أي نصر عسكري في الشرق بسبب ضعفها من الوجهة الحربية . فلم تكن هناك قيادة موحدة يمين لها الجميع بالولاء ، بل وجدت عدة جيوش الصاعدة منقطة متفرقة وضعت من هي اتجاه الغرب الأوروبي ، وكان ينقصها النظام وحسن الاعداد والذخيرة واللائمات الكافي بالتكتيكات الحربية الصليبية . ومع ذلك فقد أغلقت في الأسابيع على انطاكية وبيت المقدس وغيرها من الأماكن بسبب انعدام السور وقوام المصدات والنفقات والتأخر بينهم وفقدانهم . ولولا ذلك لا أمكن الفرنج إحتراز أي نصر عسكري على قوات كانت تلوهم اعداداً وتربوا وعظماً وعمرانياً .

(١) كان الأتراك قد انزعوا هذه المدينة من الفاطميين سنة ١٠٧٠ م شهرين مرسة خضهم . وظلت بأيديهم حتى سنة ١٠٩٨ م عندما استردوها الفاطميون بقيادة الأصل بن بدر الخلال أمير الحيرش مستعيناً بالأسلم الأتراك على أنفسهم وقتذاك وانضم إليهم الصليبيون في العبادة ومينوا الأمير نجر الدولة حاكماً عليها من قبلهم . انظر من ذلك : ابن التلاني : ملل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ ؛ ابن الأثير : علة المختصر ٤ : ٢ ، ص ١١ .



بيت المقدس من جبل الزيتون

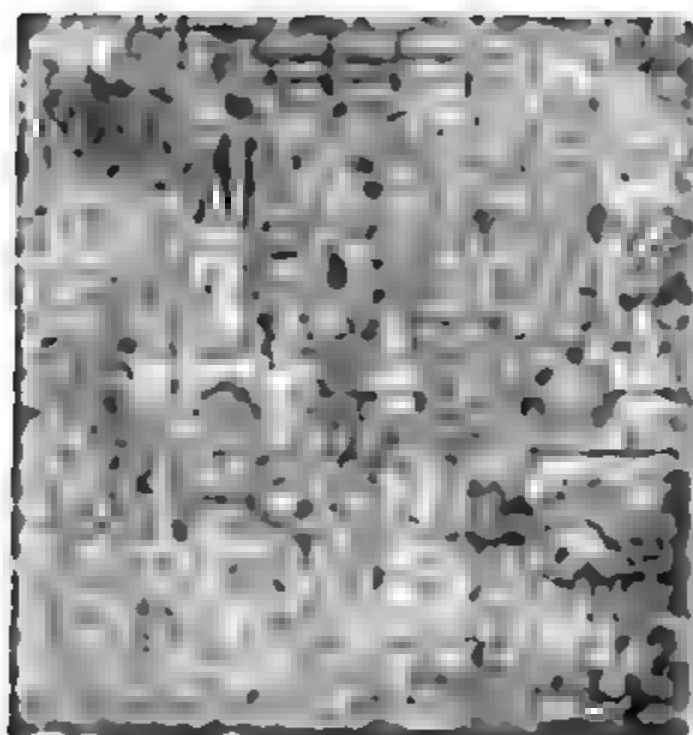
وتظهر في الصورة قمة الصخرة والمسجد الأقصى إلى اليسار ،

وكنيسة القيامة خلف قمة الصخرة إلى اليمين

وكان هذا أمراً طبعياً . فكما كانت القدس من الأماكن المقدسة عند المسيحيين ، كذلك كانت تعتبر من الأماكن المقدسة عند المسلمين حيث أسرى الله برسوله نبياً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . وأخذ الفرنج يشتدون في قتال المدينة إلى أن وجدوا متعذراً في ناحية منها لم يتم العرب بتحصينها ، فدخلوا منه بجيوشهم وحيلهم ، وأخذوا يتعقبون الأتالي الأمنيين الذين وجسوا أنفسهم وقد أحاط بهم العدو للماكر من كل جانب ، فلبأوا إلى قبة الصخرة والمسجد الأقصى للاهتمام بها ، إيماناً صادقاً منهم أنهم سيجدون فيها أمناً وسلاماً من بطش الفرنج وغفروهم ، وأنه مهما بلغ تعاضل أولئك القوم لسفك الدماء ، لأن يجرؤوا على اقتحام الأماكن المقدسة وإتيان المنكر فيها . ولكن الفرنج لم يرهوا حرمة بيوت الله ، وأخذوا يعملون فيهم سيولتهم دون رحمة أو مراعاة لامل السن أو الجنس ، حتى مالت الدماء أنهاراً وخاض فيها الفزاة إلى دكبيهم (١) .

ولم يكتف المقيمون بذلك ، بل كشفوا عن تعصبهم وحقدهم على العروبة والعرب في موقفهم من بيوت الله . عندما حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة لائيلية سموها « معبد السيد » ، *Templum Domini* ، كما استخدموا المسجد الأقصى لصالحهم ، وأطلقوا عليه اسم « معبد سليمان » ، *Templum Solomonis* . وقسموه إلى ثلاثة أقسام ، فعملوا القسم الأول كنيسة والثاني مسكناً لفرسان الداوية والقسم الأخير مستودعاً لثيابهم . ثم اتخذوا بعد ذلك السرايب التي تحمى المسجد استطلا لحيواتهم . وهذا يكشف في ذات الوقت عن أحد درافع

(١) Raymond d'Agiles, 291 sqq., Albert d'Aix, 470 sqq., cf. (١)
Lemo Poole, Hist. of Egypt, 164. — أنظر أيضاً ابن القلائس: القليل من ١٣٦ وما بعدها . وتناول الدكتور حسن جعلى تفاصيل استيلاء الفرنج على القدس في كتابه :
الصلبة الأولى ، ص ٨٩ وما بعدها .



الحركة الصليبية ، وهو العمل على جعل العالم العربي أرضاً لا تبذى تدين
بالكاثوليكية على ملهوب روما ، واقتضاء على الإسلام وثقافته من المنطقة ،
وعلى المسيحية الشرقية وديانتها الأرثوذكسية (١) .

تلك هي وحشية الأوربيين التي تميزت بها أعمالهم واعتبرت وصمة ماز في
جبين المسيحية الغربية . وهي وحشية تحملت عنها الكتاب الغربيون الذين
حاصروا أحداث تلك الحركة وكانوا شهود عيان لها ، أمثال ريمون داجيل
ونوشيه هـ شارتر ووليم الصوري ، وعنه نقل المحدثون مثل جروسيه
ورالسيان وغيرهما من المتخصصين في تاريخ الحركة الصليبية . فكانوا إذا ما حلوا
ببلد عربي يأتون على الأخضر واليابس ، ويحرقون الغنم ، ويسيلون النساء
أشجاراً ، ويرتكبون من الجرائم البشعة ما تشعرون حوله الأبدان ولحمته
من ذكره النفوس . كما كانوا في حملاتهم لا يفرقون بين المحاربين والنساء والشيخوخ
والأطفال . فلكل منهم سواء ، يتلون وينهون من يصادفونه منهم ،
ويسبون لساداً في القرى والبلد التي يحلون بها . ثم يفرمون بعد ذلك بصنع
الجهات التي ينتصبت بها ويحسون إمارات لهم بها بصيغة لائنية كاثوليكية
بمئة ، بعد أن يزيلوا منها العناصر الإسلامية والمسيحية الشرقية (٢) . ولا شك

(١) أنظر طوب بلغا الخلف : تاريخ القدس ، ص ٧١ - ٧٢ و ٧٤ و ٧٥ وحيدير بالسكر
أن هذه كانت نفس السياسة التي ساروا عليها عندما أغلوا على الدار المصرية في حنى جان ده
برن ولويس التاسع ؛ إذ أغلوا مسجد حياط لك كنيسة لائنية وحملوا على شيوخ شمامسة
وطرسهم بالمدينة . أنظر : ابن واصل : مروج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٠٨٧ ؛ السيوطي :
حسن المغامرة ، ج ٢ ، ص ٢٨ ؛ أبو القداء : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٢٨ ؛ ابن الجوزى :
مختصر المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٧ . وانح أيضاً :

Joinville, (ed. Wailly), 96; Rothelin, R. H. C.-H. Occ., II, 594.

(٢) من المراجع الغربية التي تحدثت عن وحشية العدوان الصليبي في الشرق العربي يجب أن
نذكر للترزي : الخط ، ج ١ ، ص ٢٦٧ ؛ ابن العباد : سفريات القعب ، ج ٢ ، ص ٥٥ =

لهم وجدوا في ضعف العرب واقسامهم في بداية العدوان الصليبي فرصة ذهبية لارتكاب تلك الشرور والآثام.

وهكذا انتهى الأمر باستسلام المدينة المقدسة ووقوعها في قبضة الغربيين في منتصف يوليو من عام ١٠٩٩-١٠٠٠^(١). وبذلك تحقق لهم أحلام كانت تداعب خيالهم في يوم ما، ويؤسسون على كتفهم الصليبية في تلك الأرض العربية، ويعملون على رأسها أحد زعمائهم وهو جودفرى دوق اللورين السفلى الذي قسمها إلى إمارات إقطاعية^(٢) ودعها بين زملائه، وكأنها فركة آبائهم وأجدادهم يتقاسمونها فيما بينهم، وأيسر أرضاً عربية اختصروها من أهلها مستغلين في ذلك فرصة نفسكهم واقسامهم. وفي ذلك يقول مارشال بلدون إنه هل ضو. تجارب الغرب المعروفة في التوسع والاستعمار، يمكن اعتبار الإمارات

== من ١٦ : ابن كثير . النجاة والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٨٣-٨٤ : أبو الفداء . المختصر ، ج ٣ ، ص ١٢٨ و ١٢٩ : ابن الوردي : مختصر ، ج ٢ ، ص ١٣٧ . راجع أيضا جودفرى دوق اللورين : الوحدة وحركات الخطأ العربية ، ص ١٥ - ١٩ .

(١) يذكر ابن الفلاس (الذي ، ص ١٣٧) أن الماسكر المصرية بقيادة الأفضل قامت بجدة المدينة ولكن بعد فوات الوقت، فغزى الأفضل بظلمة هلال انتصار الرسول الأسطول المصري في البحر، وقد انتصر الفرنج حصد القرعة، فاجسوا عليه وهم في نفوة انصارهم واستولوا المدينة، وأعملوا سيوفهم في القنات العربية. ويقال إن حصد القنات من الفرسان و لسطوة منع زهاء خمسة آلاف نس، وكان ذلك في ١٢ أغسطس سنة ١٠٩٩. أطلس أيضا أبو الحسن : التجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .

(٢) يذكر الاستاذ كويلاند أنه لم تكن توجد حكومة نظامية نموذجية في دولة من الدول الأوروبية في العصور الوسطى نظرا لاختلاف ظروف هذه الدول، وأما لانجد مثالا نموذجيا للحكم النظامي إلا ملحة الأوروبيون منهم من بلادهم إلى الشرق أيام الحروب الصليبية، حيث أسسوا مملكتهم في أرض أجنبية عنهم وعزلت عن النظام الأوروبي الذي لم يتركوا يقيمون نظاما غير الحكم. ألكويلاند : الانقضاء والصور الوسطى في غرب أوروبا ، ص ٧٤ (ترجمة الدكتور زائدة).

الصليبية التي تم تأميمها في شرق البحر الأبيض المتوسط هي الفصل الأول في تاريخ أوروبا الطويل قيا ورواء البحار (١) .

يتضح مما سبق أن الدور الأول من الحركة الصليبية قد تميز برجعان كفة الصليبيين الفزاة على العرب أصحاب البلاد . ويمكن تحديد هذا الدور زمنياً ببدء الحرب الصليبية الأولى وتحقيق هدفها بتأسيس المستعمرات اللاتينية الأربع في الأراضي المقدسة ، وما أعقب ذلك من الاستيلاء على بعض المعاقل والقلاع والمدن الساحلية بالقيام في السنوات التالية التي تلت قيام هذه الحرب (٢) ، وقد تم هذا في وقت كان فيه الشرق العربي متقسماً على نفسه ، مما أعجزه عن مواجهة العدوان الغربي ، وما حياً للآتين فرصة تحقيق أهدافهم الاستعمارية في هذه المنطقة من العالم باسم الدين ونحوه فانه (٣) .

وليس من السهل أن ندرك أن أهل الغرب كانوا يعملون عامداً ، ومنذ اللحظة الأولى ، أنه بوسع العرب في مصر والعام وشمال العراق ، إذا تحللت جهودهم وانفقت كلمتهم وتكثرت قواهم في صدق وإخلاص ، أن يدفروا عنهم الخطر

(١) Baldwin, Mod. Church, 103.

(٢) حدير بالذكر في هذا المقام أن اللؤخ وبنو جيروسيه هم المحروبون الصليبي إلى ثلاثة أمداد رئيسية ، وهي التي جعلها أساساً لولته الكبير وكتابه المختصر عن تلك الحروب . الدور الأول وهو الذي رحدث فيه كفة الصليبيين على العرب هو الدور الثاني وهو فترة العوارن بين القرنين المتحاربين ، والدور الثالث والأخير وهو دور انتصار العرب على الصليبيين الذي انتهى بمرورهم من الأراضي المقدسة باستئصال مكان قبضتهم سنة ١٢٩١ . أنظر قد الدكتور عزير سوريال عليه آلاف جيروسيه الكبير في تاريخ الحروب الصليبية في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ، ص ٣١٦ - ٣٢٢ .

(٣) حسن حجازي : نور الدين والصليبيون ، ص ٢٠ وما بعدها . أنظر أيضاً كتاب :

Mahmud, Story of Islam, 134.

الصليبي ، وأن يعملوا على القضاء على التفرع بشق الطرق والوسائل . ثم أن العرب أنفسهم لم ينفوا بعد أن ما أحرزه أولئك الدخلاء من نجاح سريع في بداية حركتهم العدوانية ، إنما كان بسبب ضعف القوى العربية واقسامها . وأنهم كلما اتحدوا كلما كان ذلك بشراً بحركة بحث عربي ووثبة مباركة وانتفاضة عملاقة تمضيها حركات مضادة على الغزاة وإماداتهم في الشرق . في اتحادهم وقوتهم لقضاء على اللاتين المعتدين وعلى كل أثر لهم ، وفي ضعفهم واقسامهم خذلان لهم وتمكين لنفوذ أعدائهم في المنطقة (١) . وليس أدل على ذلك من أن الفتوحات العربية شرقاً وغرباً في القرن السابع ما كانت لتتم لولا اتحاد العرب واتفاق كلمتهم على صعيد واحد ، في وقت نزل فيه القرآن الكريم بالوحى على رسول الله يدعو فيه العرب جميعاً إلى الاتحاد والتآلف والمحبة ونيل الفرقة والخلاف . وقد اكتمت الاتصالات العربية الحاسمة في القرنين الثامن والتاسع أنه بوسع العرب إذا اتحدوا أن يأتوا بالمعجزات . في خلال هذه الفترة القصيرة من عمر الزمن ، تمكنوا من امتلاك بلاد الشام وشرق آسيا الصغرى ومصر وشمال أفريقيا ، وأصبحت قواتهم على أبواب القسطنطينية عاصمة دولة الروم الشرقية التي باتت عاجزة تماماً عن الوقوف أمام هذا التقدم . كما استول العرب على بعض الجزر في البحر المتوسط ومن أهمها قبرص ورودمس . هذا في الجهة الشرقية ، أما في الجهة الغربية فقد امتدت الفتوحات العربية حتى أسبانيا ،

(١) جويريف سيم يوسف : حزمة لويس التاسع على خلاف قليل ، ص ٦٣ - ٢٤ . ولويس التاسع في الشرق الأوسط ، ص ١٦٧ وما بعدها . وقد تناولت هذه العسكرية بالدراسة في كتابي : لويس التاسع في الشرق الأوسط ، وخمسة في القرنين الثالث والرابع ، ص ١١٦ - ٢٠٣ ، عندما أشرفت على المطبوعات العسكرية التي قام بها الملك الفرنسي لويس التاسع لتحقيق الإلمام الصليبي في الشرق ، مستلذاً في ذلك أعمال العرب ومناجزاتهم المظاهرة ولذلك ، وكيف أن العرب عندما اتحدوا تمكنوا من توجيه القوية الخامسة إلى قلب القوى الصليبية في المنطقة .

ومنها عبروا جبال البرانس ووصلوا إلى فرنسا نفسها ، وإن لم تساعد الظروف على بقائهم هناك . كما استولوا على جزيرة كريت ووقعت صقلية وجنوبي إيطاليا في قبضتهم . (١)

ولعل من أهم نتائج قيام الدولة العربية الفتية وحركة الفتح في المجهتين الشرقية والغربية ، ما أكده المؤرخون ، القدامى والمحدثون ، من أن البحر الأبيض المتوسط الذي كان فيما مضى بحراً رومانياً غربياً ، أصبح الآن بحراً عربياً تنتشر على طول شواطئه مدن وبلدان عربية ذات حضارة عربية وتكلم اللسان العربي (٢) .

ولكن الموقف تغير عندما بدأ الضعف يعم في أوصال هذا العالم العربي الكبير . وكانت انتصارات الروم في القرن العاشر أيام الأسرة المقدونية على حساب ضعف القوى العربية عندما دب الانحلال السياسي في كيان الدولة العباسية وتلك ، وهذا ما يمكن أن يقال أيضاً بالنسبة لانتصارات أهل الغرب في الحملة الصليبية الأولى في ختام القرن الحادي عشر . إذ أغلحوا في تحقيق أطماعهم ، وتأسيس مستعمرات لهم في الشرق لتتكون شوكة في جنبات الدول العربية ، وكان ذلك أيضاً على حساب العالم العربي ، الأمر الذي سهل على الغزاة مهدهم في بلاد عربية عنهم ، وفي أرض غير أرضهم وملك غير ملكهم . قد انصرف الحكام العرب والملاحقة بسبب الاقسام والمنازعات والحروب التي قامت بينهم ، وسالة الضعف التي استشرت في أوصالهم ، عن الجهاد ضد الغزاة القادمين من الغرب

(١) أظن ملحق ، ص ٧٧ ح ١ و ١٤١-١٤٢ من هذا الكتاب .

(٢) أظن من ذلك : Pirenne, Economic and Social Hist. of Med. Europe, 2-3; idem, Med. Cities 15-16.

راجع أيضاً كتابي . الوحدة وحركات البقعة العربية ، ص ١-٥ .

ووقف يارم الجاوى (١).

وغير عاف أنه لو كان قد قدر للقوى العربية الاتحاد عند قيام الحملة الصليبية الأولى ، لما تمكن اللاتين إطلاقاً من إحراز أى نصر حركى أو سياسى فى الشرق العربى ، ولتضى الحرب عليهم قبل أن يصلوا إلى فلسطين ويؤسوا مستعمراتهم بها . ولو قدر لهم الاتحاد عندما حل الصليبيون بأراضيهم ، ونسوا ما بينهم من خلافات ، وغلبوا المصالح العربى العام على المصالح الشخصية ، لا أتاحوا للدخلاء فرصة العمل على تثبيت دعائم دولتهم ، ولا استطاعوا أن يحفظوا فلسطين من هبت الطواغيت الدخيل .

ومع ذلك فبالرغم من النجاح المصطنع السريع الذى حققه الفرنج خلال سنوات قليلة نتيجة لطروف طارئة تتعلق بالمنطقة ، فاقنا نلس بوضوح أن كينهم بالشرق بدأ متدهاها متها لكاً منهاوا . ذلك أن دولتهم ولدت ضعيفة هزيلة لا تقوى على الوقوف على قدميها ، ولا تتوافر فيها مقومات الدول والحكومات القشرية ، وكانت هوامل الضعف تنخر كالسوس فى مجتمعهم الصليبي منذ اليوم الأول ، نذكر منها مثالة هواردم المالية ، وقلة الهادين الفذين كانوا نعند إمرتهم ، وتضارب مصالحهم ونباين مشاربهم ، واختلاف أجناسهم ، واختلافهم الحلقى ، وهغور الخامس الدينى هندم بشكل ملحوظ . فعلا عن الخلافات المستمرة بين الفرنج الهجدد الرافدين من الغرب والفرنج القلاى المستوطنين فى الشرق ،

(١) من القلاسى : قبل تاريخ دمشق ، من ١٣٤-١٣٥ : السيولى : حسن الحضارة

٢٠٢٠ من ١٦٠٠ . وفي هنا نلقى يقول الكاتب الفرنسى دانيال رويس :

« La désunion de l'Islam devait aider grandement l'entreprise chrétienne. » cf. Daniel-Rops, La Cathédrale et la Croisade, 543.

أظهر أيضا : الحروب الصليبية ، من ٢٨ (الترجمة العربية) .

حول المصالح القانية وإستلاك الأراضي (١). وأخيرا شعورهم بأنهم يعيشون بين أصحاب البلاد الأصليين الذين يتطلعون إلى اليوم الذي تتحد فيه صفوفهم توطئة لتوجيه ضربتهم القاضية وإسترداد أراضيهم المسلوبة .

وكان يقابل ذلك من الجانب الآخر إحساس العرب بالعدو الجاثم الخلق بهم ، وشعورهم أن وجود إمارات اللاتين بين ظهرانهم كان يشكل خطرا جسيما يجب عليهم القضاء عليه قبل أن يستفحل ويسرى في بقية أجزاء الوطن العربي ، الأمر الذي أدى إلى ظهور بوادر البعث العربي ضد اللاتين الغرباء إحتبارا من السنوات الأولى من القرن الثاني عشر (٢) . وعلى هذا يمكن القول بأن الضعف الذي انتاب العالم العربي في أخريات القرن الحادى عشر ، كان هو نفسه مصدر يقضيه وقوته في القرن الثاني عشر . ونشأت الظروف السببية ألا يظهر على المسرح العربي ضد بداية العدوان زعيم يستطيع تكوين جبهة عربية قوية متحدة ضد أولئك القوم . وكان الفرنج يولجسون في هذه الفترة المبكرة أسراء متفرقين متخاصمين حسبما أسلفنا . فاستغلوا هذه الظروف إلى أقصى حد ممكن ، وعمدوا على الإيقاع بين الحكام العرب تمكيننا لنفوذهم (٣) .

(١) أظن قدر : أودباى الصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٨٢ و ١٨٥ .

(٢) تناول الدكتور حسن جعفرى كتابه « نور الدين والصابييون » ص ١٢ وما بعدها ، المراحل التي مرت بها حركة الإخلاء والتجبع العربي في القرن الثاني عشر ، وأنها في تكوين جبهة قوية لمواجهة الفرنج المتسلط وطردهم من أرض الروبة .

(٣) يذكر حروسية أن الصليبيين جمعوا بقوا تباللثام لم يترددوا لحظة واحدة في التحالف مع الفاطميين بمصر ضد السلاجقة ، مستعينين بالثلاث السياسية والذهبية الطاعة بهما ، وبذلك جعلوهم الجولصديق مآريجهم السماوية . وهكذا فيما كان الأتراك مغلوبين مع الفرنج في شمال الشام ، تمكن الفاطميون من استعادة بيت المقدس . ولكن ما أن استولى اللاتين على اعلاكية وألقوا الفرعة بالخراب ، حتى انقلبوا على الفاطميين وانفزعوا اليه المقدس منهم في سنة ١٠٩٩ . أظن عن ذلك مؤلف كل من ديبه حروسية وسنابق ابن بول :

ولكن العرب عندما استمروا بهذا الخطر القام المحقق لهم ، بادروا إلى توحيد صفوفهم ولم تلهم لمقاومة الفرنج وطردهم من ديارهم . وقد ظهرت بوادر هذا اليمع بشكل عام في حصر والشام وشمال العراق ، بظهور بعض القوى الإسلامية الفتية التي أخذت على عاتقها مهمة توحيد العرب لمقاومة الفرنج ودرء خطرهم (١) . وهنا بدأ اللاتين يحسون بالخطر المائل ، وأن مقامهم إلى زوال إن أهلا أو عاجلا (٢) ، وكانت دولتهم آنذاك في طور التدهور والانهيار (٣) . وأصبحت المسألة مسألة زمن لحسب .

كل هذا أوجد حالة من التوازن بين الفريقين : العرب أصحاب الديار والفرنج الدخلاء ، بحيث لم يتمكن أي منهما في هذا الدور الثاني من الكفاح من إحراز نصر حاسم على خصمه (٤) . وقد وجدت هذه ظروف ساعدت الفزاة في

Grousset, *Sum of Hist.*, 174-5; Lane-Poole, *Hist. of Egypt*, 164.

وغير بالذكر أن سياسة الإيقاع والتفريق بين العرب كانت سياسة عامة اتبناها حكام مملكة بيت المقدس اللاتين كما صنعت لهم القرمة بذلك . ولذكروا نيت التمثل آخر الأمر بعد أن تسكفت أمرهما ، وبما أن تمكث العرب لنزع العيون عن ديارهم .

(١) أنظر ابن الأثير : *ذيل تاريخ دمشق* ، ص ١٨٩ ؛ ابن الأثير : *أنبك الموصل* (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية) ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ ؛ Albert d'Aix, R. H. C., 433-434 ; H. Occ., IV, 670; Matt. d'Edessa, R. H. C. - Doc. Arm., I, 96-7.

(٢) ابن الأثير : *الذيل* ، ص ٢٢٣ و ٢٢٩ - ٢٤٢ ؛ ابن الأثير : *أنبك الموصل* ، ص ١٩٤ و ٢٠٧ و ٢١٩ - ٢٢٤ و ٢٢٣ - ٢٢٦ ؛ ابن الأثير : *الذيل* ، ص ٢١٩ ؛ راجع كذلك : Guillaume de Tyr, I, 2a. p., 895-7.

(٣) أنظر قليشداوي : *العرب واللام ومن المدونات الصليبية* ، ص ١٢-١٣ . وكذلك : Mahmud, *Story of Islam*, 136.

(٤) تناول حروسية بالدراسة المركزة الدور الذي تاملت فيه كافة كل من العرب والصليبيين في كتابه المختصر من *الحروب الصليبية* . أنظر :

Grousset, *L'épopée des crois.*, 136-61.

أنظر أيضا كتابي : *الوحدة وحركات البعثة العربية* ، ص ٢١ - ٢٦ .

هذا الدور من المحافظة على كيانهم المتنامي ، منها سياسة بناء الاستحكامات والقلاع وتحصين المدن الساحلية ، واستغلالهم أي اهتمام بين العرب والعمل على بنو بدور التفات يهتم ، ثم تقوم لجماعات أو جماعات من المحتاج الأوروبيين المسلمين ، وإن كان ذلك بصفة غير منتظمة وبأعداد غير كافية . فضلاً عن سياسة التراجع التي درجوا عليها الرطب بين مختلف الامارات اللاتينية المتنازعة ، والعمل على توحيد صفوفها قدر استطاعة . وأخيراً استمارة أوائك القوم بالجماعات الرهبانية العسكرية ، وبأساطيل الجاليات الإيطالية التجارية في الاستيلاء على الموانئ العربية بالساحل الشامى ، نظير اتفاقيات يتقاسم فيها الطرفان المكاسب والأسلاب . ولولا ذلك لانهى الأمر في هذا الدور بتفوق العرب على الصليبيين الذين كانوا يحاطون من الشمال والشرق والجنوب الغربي بقوات أعدائهم التي كانت تنتظر الفرصة المواتية للقيام بدورها الإيجابي في المنطقة . وقد انحصر أفرنج الشام في شريط ضيق على الحوض الشرقى للبحر المتوسط (١) ، وباتوا يعدون جيداً أنهم هالكون لا محالة . ولم يكن أمامهم إلا أحد أمرين كلاهما مر . إما أن ينهوا إيجيائهم عن طريق البحر فائدين إلى بلادهم ، وإما أن يقدفوا في البحر بواسطة قوات أعدائهم القوية المرسجة لهم وفي الوقت المناسب .

هذا من اللاتين ، أما العرب فلم يكن أمامهم في هذه المرحلة من الكفاح سوى طريقتين لا ثالث لهما . إما أن يسدوا على اللاتين الطريق الساحلى شرق البحر المتوسط ، ولم يكن هذا بالأمر المستطاع وقتذاك ، نظراً لقلاع والموانئ التي كاد العدو يتحصن بها على طول الساحل . وحتى إحرار النصر النهائي عن هذا الطريق لم يكن مضمون النتائج بسبب الظروف التي شرحناها . فضلاً عن الحروب

من حدوث نكسات أو ثورات في الداخل قد ينفذ منها العدو ، وبذلك يفوت الفرصة على الشعوب العربية في طرده من ديارها ، أو على الأقل تأخير إتمام هذه العملية . أما الحل الثاني فهو أن يبادر العرب بتكوين جبهة متحدة متناسكة من أقصى الشمال في الشام والعراق إلى أقصى الجنوب في مصر ، بحيث تطبق على دولة الخزانة من جميع الجهات ، وتنفذها بقوة وحلف نحو البحر حتى تنكشف وتنقلص شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي الأمر بوزائها . وهذا ما حدث بالفعل في الدور الثالث والآخر من هذه الحروب .

وفي هذا الدور برزت أسماء إسلامية لامعة مثل عماد الدين زنكي ، وابنه نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي مؤسس أسرة الأيوبيين بمصر ، والذي تمكن من تشكيل الصفوف والعمل على تذبذبة الفرقة والاقسام لتعمل عليهما حراًمل القوة والمنعة (١) . وانتهى الأمر بتوحيد الجبهة العربية لمفككة بالشرق الأوسط من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، من العراق إلى القاهرة ، ومن العراق إلى النيل ، في دولة عربية واحدة مسموعة الكلمة مرموقة الجانب يعمل لها العدو الشغيل ألف حساب . وقد أمكنها في فترة قصيرة تطويق ممتلكات اللاتين بعد أن قصت على كل أمل لهم في الامتداد والتوسع (٢) . وبعد أن اطمان صلاح الدين

(١) من المصادر العربية القائمة عن جهاد هؤلاء الزعماء المسلمين الثلاثة في سبيل توحيد الجبهة العربية نومة لترجمة القصائد الأخيرة عنه المستعربين مذكر ابن النديم : تاريخ حلب (عمدة الحروب الصليبية - المؤرخون الصوريون ، ج ٣ ، ص ٦٥٨) ؛ ابن الأثير : اناكدة الموصل (نفس المصنوعة السابقة ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص ٦١ - ٦٥ و ١١٨ - ١٢٥) ؛ أبو عمارة : الروتين ، ص ١٠٠ ، ص ٣٢ و ٣٤ و ٣٦ - ٣٧ . ومن المراجع المطبوعة أخطر كتاب : الباز العريق ، مصر في عصر الأيوبيين ، ص ١٤ . وابتدع : جلال الدين الفيلالي : تاريخ مصر الإسلامية ، ج ٢ (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ١٢ - ٢٠ ، ٦٣ - ٧٨ .

Baldwin, *Med.Church*, 104; Grousset, *Sum of Hist.*, 176, (٢)
179-80; Lewis, *Arabs in Hist.*, 152-3.

إلى سلامة الكيان العربي الواحد ، قام بجهاده المعروف ضد الفرنج القراة الذي انتهى بهزيمتهم شر هزيمة في موقعة حطين سنة ١١٨٧ م ، وطردهم من البيت المقدس في أكتوبر من نفس العام ليعود إلى أهله وأصحابه . وبذلك كان قد تحدد بصفة نهائية مصير دولة اللاتين التي خلقوها في قلب العالم العربي ، واعتدل ميزان القوى في المنطقة لصالح العرب . وتترك لحلفاء صلاح الدين من الأيوبيين والمماليك ، توازن القوى الصحية المتخجرة في المنطقة ، مهمة إتمام هذا الجهاد المقدس ، إلى أن انتهى الأمر بطرد الفرنج من أرض العروبة في آخريات القرن الثالث عشر ، عندما استرد السلطان الأشرف خليل آخر معاقلهم الحصينة بالساحل الشامى وهي صكا في سنة ١٢٩١ م . وبقيت بعد ذلك بضعة معازل ساحلية سقطت في قبضة العرب تباعا في نفس العام (١) . وكانت محاولات الأوربيين إحياء الروح الصليبية البهيمية في القرن الرابع عشر مجرد فكرة مزيلة عفا عليها الزمن ، ولم يندرها النجاح بعد أن شهد العالم بعقبة تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة ، كان لها أثرها في سير مجرى الأحداث .

وبتدهور سلطان الكنيسة والبابوية في الغرب في آخريات العصور الوسطى ، وظهور عصر النهضة ، أدرك الأوربيون أن الفكرة الصليبية بمعناها المأثرف لم تعد تصلح فتاعا لإخفاء أطماعهم القديعة في العالم العربي ، بل أصبحت مجرد كزى لماض بغيض . وأخذ العالم يتجه نحو مثل ومبادئه مقابرة لما كان معروفا في العصور الوسطى . وأخذت حركة التاريخ تكتس طرزيها في سرعة مذهلة وسط أحداث وتقلبات عامة شهدتها عصرنا الحديث . وقامت حربان عالميتان قلبتا الأوضاع وميزان القوى في العالم رأسا على عقب . وظلت أطماع أهل الغرب

(١) ديا يلقى جهاد المالك ضد الصليبيين وقائمه ، أطر : سيد عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البعرة ، ص ٥١ - ٦٩ ؛ جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ وما بعدها و ٢٣٥ وما بعدها .

اللاتين في منطقتنا كما هي دون تغيير ، بالرغم من التغير الجوهرى الذى طرأ على كافة الظروف من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية وغيرها ، لم تزل الاطماع الاستعمارية ولم تتغير ، ولانما الشيء الوحيد الذى زال هو الرداء الذى البسوه هذه الاطماع . فبعد أن كان رداء صليبياً في مصر يقبل مثل هذه الأوضاع ولا يفهم شيئاً سواها ، خلع اليوم رداءه ، وكشف عن حقيقة البهيمية التى لا سند لها إلا الظلم والظلمانيان .

كما سبق يمكن أن نستخلص عدة حقائق عامة تتعلق بدور الشعب العربى فى صد المستعمرين الأوروبيين أيام الحروب الصليبية . (١) وأولها أن مصر كانت خلال الكفاح القامى المبرر عبر القرون المتعاقبة ، قلب العروبة الثابته بالحياة ، ومعلها المنيع ، ومركز إمدادها بالرجال والمال والميرة والسلاح (٢) ، ومنها كانت تنبع دائماً سبعة للجهاد الحقة ضد الغزاة الصليبيين ومن أتى بعدهم (٣) ، كما تحمل شعبها وحده نصب الأكر في مواجهة الحملات الصليبية وصلها . ولم شهد الجامع الأزهر من خطب كانت تلقى من فوق منبره أمام الآلاف المؤلفة من أبناء الشعب العربى الذين قامت على أكتافهم مهمة الحفاظ على أرض العروبة من أطماع الطامعين والتجارين للفرس ، لقد حملت مصر فى صدق وإخلاص لواء

(١) نرى من كتابى : الوحدة وحركته المخططة نظرية إبان المعوان الصليبي ، ص ٤٤ - ٦٤ ، لأمم الآراء والاستنتاجات التى يمكن استخلاصها من المدونات الصليبي من العام الحروب والفرس المساعدة منه ، وذلك فى ضوء من التصيل والتحليل .

(٢) أظن من ذلك جال الدين السيل : بحل تلويح دياط (الاسكندرية ١٩٤٩) ، St. Lane-Poole, A Hist. of Egypt in the Middle Ages, ٤٠ ص 218; idem, The Story of Cairo, 193.

(٣) حول الجهاد القدس ضد الصليبيين الغزاة ، ووقائع بيت القدس والقمام ، أسير ص ٩٤-٩٦ والمواشى من هذا الكتاب .

الزعامة ، وإليها بلا شك يرجع الفضل الأول في تكتيل القوى العربية وإجلاء المريع الدحلاء من العالم العربي (١) . وهي وإن كانت قد حملت هذا اللواء في الماضي أيام الفرنج والمغول وغيرهما من الغزاة ، فلا زالت تحمله عن جدارة واستحقاق حتى اليوم بثقة في جهوريتها للعربية الفتية .

وإن الحديث عن الوثبات العربية ودور مصر الإيجابي فيها إبان العدوان الصليبي ، يقودنا إلى مسألة جوهرية بالغة الأهمية تركبها الأحداث التي تعرضت لها المنطقة ، وهي أن فكرة توحيد الجبهة العربية في كيان متكامل غير منقسم ووحدة واحدة لا تتجزأ ، تعتبر مرحلة عامة أساسية من مراحل جهاد العرب ضد الدخلاء . ذلك أن الوطن العربي عندما كان مقسماً على نفسه ، لم يكن بوسعها إطلاقاً الوقوف في وجه الغزاة الصليبيين ، أو إحراز أي نصر حاسم عليهم . وإن كل الحملات التي قامت ضد المغيرين كانت حملات ضعيفة لم يقدر لها النجاح بسبب الخلاف والانقسامات . وكانت أهدافهم يملكون ذلك تمام العلم ، ويستغلون سياسة الفرقة والفرق لتحقيق مآربهم . ولكن عندما تكتل العرب ، كان بوسعهم مواجهة خصومهم صفاً واحداً وجيشاً واحداً ، وأخيراً وطناً كبيراً واحداً . وكانت هذه خطوة أولى في طريق النصر على العدو الرابض في فلسطين . وهذه ظاهرة دورية عامة في تاريخ العرب والعرب منذ القدم وحتى يومنا هذا . وقد رأينا شواهد لها في المصور الوسطى عقب حركة القنق و أيام صلاح الدين . أما اليوم فإتينا نعيش فعلاً في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا . وقد أثبتت الأحداث أنه حيانا للنصر الحاسم الأكيد ، يجب أن تسبق عملية الجهاد الأكبر عملية لا تقل عنها خطراً وشأناً ، ألا وهي عملية توحيد الجبهة

(١) أنظر ص ٤٢-٤٣ من كتاب قصة الثورة العربية في بلاد الشام؛ راجع أيضاً Lewis, Arabs in Hist., 153.

العربية . فهي مرحلة أولى ضرورية من مراحل هذا الجهاد القدس (١) .

أما الحقيقة الثالثة التي نود الإشارة إليها ، فهي أن الالتزامات التي تعرض لها الوطن العربي أيام العدوان الصليبي ، أوضحت بما لا يفتح مجالاً للشك أن الشعوب العربية لم تكن بمنزلة من تلك الأحداث . فقد أثبتت وعياً كبيراً وفهماً عميقاً لمبريات الأمور والأحوال ، وأكفّت وجودها وعروبتها حتى في أوقات الضعف والتفكك . والمصادر العربية والأجنبية غنية بالأمثلة الدالة على ذلك . فعندما كان اللاتين الدخلاء يهاجمون إحدى الدول العربية ، كانت الشعوب العربية تهب من كل مكان للانتقام منهم والإغارة على ممتلكاتهم . وليس هذا الموضوع في شق مراحل الحركة الصليبية . ولتضرب مثلاً بالحقبة الصليبية السابقة . فعندما هاجم لويس التاسع ملك فرنسا مدينة دمياط واستولى عليها ، يادر الشعب السوري بالمهجوم على معقل اللاتين المتجنية لهم بالساحل الشامى ، وذلك بقصد مضايقتهم ومحاولة صرفهم عما هم قادمون عليه (٢) . وكان هذا هو نفس ما يحدث عندما تتعرض بلاد الشام لعدوان غربي ، فيبادر إخوانهم في المغرب إلى مساندتهم ضد العدو المشترك . والمقاومة الشعبية دموجيد في دفع الخطر الغربي عن الوطن العربي . نذكر منها موقف أمالي المنصورة من حملة لويس التاسع (٣) .

(١) أوضح الزورخ ولیم ستيفسون أن السياسة العامة التي سار عليها الزعماء والحكام العرب إبان العدوان الصليبي هي الامتناع عن الاستسلامة من مهاجمة الإمارات اللاتينية بالفرس ، أو المصرة و حرب خابرة مع اللاتين في الوقت الذي كانوا يؤسسون فيه دولتهم . انظر : Stevenson, *Crusaders in the East*, 723-4.

(٢) انظر ابن واصل : مخرج الكروب ، ج ٢ ، لوحة ٣٥٧ ب ؛ القرزى : السلوك ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢٢٧ ؛ وكذلك كتابي : هزعة لويس التاسع على ضفاف النيل ، ص ٢٣ و .

(٣) ابن واصل : مخرج الكروب ، ج ٢ ، لوحة ١٢٦٦ ؛ القرزى : السلوك ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢٢٧ ؛ انظر كذلك : Joinville, (ed. Wailly), 120; Rothelin, R. H. C.-H. Occ., II, 605.

وموقف أمل الشام من الحملات التي تعرضت لها بلادهم . كذلك وجد أوثاما
روحى وثيق بين أمل الشرق والمغرب ، فبينما كان الأولون يجاهدون ضد الفرنج
في شرق البحر المتوسط ، كان إخوانهم المغاربة يجاهدون هم أيضا ضد الأوربيين
في غرب ذلك البحر (١) . فكل هذا يسر من وحدة متينة ربطت بين العرب جميعا
من المحيط إلى الخليج ضد العدو المشترك .

ورغبة مسألة أخرى ترتبط بأسئلتها وتتعلق بفكرة القومية العربية التي هي
أساس الوحدة العربية الشاملة ، وعما إذا كانت مثل هذه الهزات العنيفة التي كان
العالم العربي يتعرض لها من حين لآخر هي السبب في خلقها ، أم كانت هذه
الهزات مجرد عامل مساعد على إيقاظها وبعثها من مرقدتها . لقد تناول هذه المسألة
بالبحث بعض الكتاب المحدثين ، فذكر منهم جوستاف فون جرونباوم الألماني
Gustave von Grunbaum (٢) ، وكلود كاهن الفرنسي Claude Cahen (٣) ،
وخلاصة أقوالها أن الخطر الصليبي لم يكن الدافع الأساسي لحركة الوحدة العربية
التي يمكن إدراج أصولها إلى ما قبل قيام الحركة الصليبية نفسها بفترة طويلة . كما
ذكر أن الاستعمار الغربي لم يهدد إطلاقا قلبه العالم العربي ، ولم يستطع بالرشم
من كل شيء أن ينفذ إلى صميمه ويستقر فيه . ولكن المالحين المذكورين لم يوضحوا
لنا صراحة أصول الوحدة العربية وظهرها المبيقة .

(١) انظر سعد زغول : العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف جتوب ، ص ٨٤ وما
يليه ، وكذلك كتابي « الوحدة وسرعات القطة العربية » ، ص ٩٠ - ٩١ وبسوامي ،
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين والعراق في الأندلس ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ و ٣٣١ - ٣٣٢ ،
والنربا الكبير - ج ٢ (العصر الإسلامي) ، ص ٧١٨ - ٧٢٨ و ٧٢٩ - ٨٠١ و ٨٠٥ -
٨١٥ و ٨١٩ - ٨٢٨ .

(٢) انظر : جرونباوم : حضارة الإسلام ، ص ٥٠٥ (الحركة العربية) .

(٣) Cahen, La Syrie du Nord, 374-7. انظر من ذلك أيضا كتاب

الدكتور عمر كمال توفيق : ملكة بيت لقصص الصليبية ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

وما وإن لم يفتأ برأى نهائى قاطع في هذه المسألة ، إلا أن أحدث البحوث التاريخية والأثرية التي قام بها أستاذنا الكبير الدكتور أحمد فكري في كل من المدخل والجوهر الأول من موسوعته ومساجد القاهرة ومدابرسها ، أثبتت وجود نظرية الوحدة العربية منذ أن وجد العرب ، وذلك في ناحية هامة من نواحي الحضارة العربية ، ونفى بها الفتنون التي تعتبر مرآة صادقة تنعكس عليها آمال الشعوب ومشلم ومبادئهم وأفكارهم ومنهجهم في الحياة (١) . وإذا تلقينا هذه النظرية في شتى مناحي الحضارة والحياة عند العرب من المحيط إلى الخليج ، نجد أنها نظرية أصيلة متأصلة ، تعبر عن وحدة عضوية شاملة كاملة ، ثابتة متمكنة ، راسخة الدعائم ، متينة البنيان . وحدة لها أصولها وجنودها وعتادها منذ أقدم عصور التاريخ . وحدة في اللغة وفي الأصل وفي الجنس وفي الأرض وفي التاريخ ، لخصلاهن وحدة في التقاليد والعادات والثقافة والفكر والنظم الاجتماعية والتراث الحضاري العربي (٢) . وحدة كانت تبحثها وتوظفها من غفرتها أحداث الزمان

(١) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدابرسها (المدخل) ، ص ٤٣ - ٤٩ ؛ مساجد القاهرة ومدابرسها - ١٠ (العصر المملوكي) ، ص ٢١٠ - وقد أكد الدكتور فكري هذه النظرية في أكثر من موضع في الكتابين .

(٢) من حسن الحظ أن المكتبة العربية أصبحت الآن عامرة بمهرات الكتب العربية والعربية التي تناول فكرة القومية والوحدة العربية بالعناية المبالغة والبحث العميق ، مع بيان عناصر هذه الوحدة ونقح أصولها وجنودها منذ أقدم عصور التاريخ حتى يومنا هذا . انظر : الحروب : القومية العربية ، ص ٩٠ وما بعدها ، ص ١١٤ وما بعدها . و - مدد الرءوس . ج محمد فوزي والاستاذ محمود خلف في كتابها : القومية العربية ، ص ٣٣ و ٣٤ و ٩٠ و ١١٢ و ١٣١ عناصر القومية في الأمة العربية ، ص وحدة اللغة ، والأصل ، والدين ، والتاريخ ، والوحدة الجغرافية ، مما جعل الأمم العربية وحدة واحدة متبذرة من غيرها من الأمم . ويضيف الدكتور الحروب في مؤلفه : القومية العربية ، ص ٢٢ وما بعدها ، للفرقات السائدة اللاهارة لها ، وحدة التقاليد والعادات والثقافة والنظم الاجتماعية التي تميز للقبائل العربي في تحديد الفرق من غير . انظر أيضا : Lewis, Arabs in Hist., 9-13.

قوتوف في وجه العدوان الأجنبي ، في شتى صورته ومظاهره ، من مختلف
صوره ، وأيا كان مصوره (١) .

وعلى هذا يجب أن تفرق بين فكرة الوحدة العربية كحقيقة واقعة من
المكافرة لإنكارها ، وبين حركات اليقظة والإفاقة التي كانت تنبعث من وقت
آخر عندما يستنصر العرب بالخطر ويهتفون من غفوتهم ، فكان هذا بطبيعة
الحال ما يذكر في تلك الوحدة ويؤكد وجودها . والعروبة تاريخ طويل مع
الاستعمار سائل بالإنسان التضحية والجهد والاستعداد في سبيلها .

ولقد استمرت هذه الرابطة العربية المقدسة تؤدي دورها بنجاح تام ،
وتدفع من العروبة غائلة المستعدين . وكثيرا ما أثار هذا زهر المستعمر وأوقع
الخليل والاضطراب في صفوفه . فكان يتحين الفرص القليل منها والتفكيك
فيها كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، تحفيضا لمصالحه بطبيعة الحال . ولم يعدم أن يجد
في مختلف الصور بعض الضعفاء المتخاذلين الذين كانوا يتعاونون معه في سبيل

== ويوضح الدكتور إبراهيم جبه في كتابه : « إيديولوجية القومية العربية » ص ٤١ وما بعدها
و ص ٩٢ وما بعدها ، أن القومية العربية هي حركة أصيلة غير مستأجرة ، وأنها حافلة تاريخية
ناجدة لأعمال لإنكارها . أما جاك بولين ، فيحاول في كتابه المسمى « مع القومية العربية » ،
ص ١٥ وما بعدها التحريف بسفاهة القومية ، مع شرح لتأنيها وتطويعها على نفسه الثاني ،
والدور الذي لعبت به في محاربة الاستعمار لتحرير الوطن العربي . ونتج هذا التبعج سلبه المصري
في كتابه : « نفوه القسكرة القومية » ، ص ١٨٧ وما بعدها و ص ٢٢٨ وما بعدها و ص ٢٦٠
وما بعدها . ومن الكتب القيمة التي ظهرت أخيرا في السوق العربية مؤلف الدكتور لحسن عبد
الرحمن يحيى : « الكيان العربي بين القوميات والامتيازات » - بيروت ١٩٦٥ . وقد تناول فيه
بالبحث والدراسة والتحريف الكيان القوي العربي وأساسه ومقوماته ، أظهر نتائج
٢١٣ وما بعدها و ٢٢١ وما بعدها و ٢٥٢ وما بعدها .

(١) أخطر من ذلك حال الدين الشيالة وحدة مصر وسورية في العصر الإسلامي ، ص ٢٠.

مصالحهم الخاصة ، ولكن أمثال هؤلاء لم يكونوا أكثر من قن لا يلبث أن تنزوه وبيع الحرية للتمتعة في تجمع الشعوب العربية الواعية المنحدرة ، واثلاثها حول المخلصين من أبنائها وقادتها ، والامثلة على ذلك في تاريخ العروبة - قديما وحديثا - عديدة لا تحصى .

ومعكدا ظل الاستعمار يعمل جاهدا مستميتا على إعاقة أى نهضة عربية شاملة أو رغبة عربية مباركة ، وكل أن يفتت وحدة العرب كلها بدت في الألفى بأداة تسمى بإرزاها . وكما قامت الحروب الصليبية في نهاية القرن الحادى عشر الاستيلاء على فلسطين باسم الدين وتحت قناعه الزائف ، كذلك خلق الاستعمار إسرائيل - وليلة وعد بلفورد - بعد ذلك التاريخ بمثابة قرون أو يريد لتسكون عياله ومحيطه في البلاد العربية المجاورة . وكما جهد الصليبيون في تحقيق أهدافهم العدوانية بسبب تفكك العرب وقتذاك ، كذلك نجح أحقادهم في انقاء وطن نوى اليهود في فلسطين للمتمتعة سنة ١٩٤٨ نتيجة لاقسام المحكام العرب وتبعثر قوامه . وكان هذا بداية الحرب التي قامت بين الدول العربية وبين إسرائيل والتي استمرت حتى يناير ١٩٤٩ (١) . وكلنا يعرف نكبة العرب في هذه الحرب ، وما تطلتها من مأس وغدر وخيانة هجمات بتلك النهاية الالهية . وكما أفاق العرب في القرن الثانى عشر إلى وحدتهم لمواجهة العدوان الصليبي إلى أن انتهى الأمر بالقضاء عليه تماما في أشريات القرون الرابع عشر ، كذلك بدأ أمل العروبة يفتقون بعد ثورة ٢٣ يوليو المباركة ليؤدوا دورهم السعيد على مسرح الأحداث ، وهم يعلمون تماما أن أمامهم طريقا شاقا طويلا وعرا . وكما تطلب هذا جهاد الآباء والأجداد في الماضي التاريخ السحيق ، كذلك يتطلب منا اليوم

جهاد الأبناء والأحفاد لتحقيق مجد العروبة ، وحتى تحتل الأمة العربية مكانها الصحيح اللائق بها بين أمم العالم .

وان الفصل وأصدق ما يمكن أن نختتم به هذه الدراسة عن الوحدة واليقظة العربية ، هو أحد الأقوال المأثورة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، العرب أمة واحدة ، ذلك أول الطريق وآخره ، ووسيلة المجد وغايته . . فلي هذا القول من العبر البينة والمعاني العميقة والدروس الحائلة . ما ينفي عن أي شرح أو إضافة أو تطبيق .

خاتمة

يتضح من دراساتنا السابقة أن الحركة الصليبية تعتبر مرحلة عامة رئيسية من مراحل الصراع الطويل بين الشرق والغرب الذي يمتد منذ عهد اليونان والرومان القدماء حتى وقتنا هذا . وهي في الوقت ذاته حركة لها كياناتها ومقوماتها الخاصة بها . ثم أنها فوق هذا وذاك تعتبر فصلاً هاماً في تاريخ الاستعمار . وإن الباحث المدقق في تاريخ الاستعمار الحديث في العالم العربي سيجد أن جذوره تمتد إلى زمن الحروب الصليبية في العصور الوسطى . فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الحملات الصليبية هي حملات استعمارية توسعية تحت قناع الدين . ويمكن القول دون مغالاة إن الاستعمار الذي نعرض ولا يزال يتعرض له العالم العربي في الشرق والغرب في العصر الحديث هو نوع من الحروب الصليبية ، أو هو امتداد لها بصورة جديدة وفي ثوب مغاير .

لقد سارع أهل الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي منذ آخر عرصات القرن الحادي عشر ، وهم يتحرقون شوقاً للاستيلاء على الأراضي وتأسيس الممالك والإمارات لحسابهم الخاص ، ولكنهم قسروا تحت اسم الدين والرغبة في اقتاذ قبر المسيح لتحقيق غاياتهم ، في وقت كان فيه الدين مكانته التي لا تخفى على أحد ، حتى أنهم كانوا عندما يفكرون في إعداد هوان جديد يلجأون إلى التاحية الدينية صلباً لنهبه . فزلوا أول ما زلوا في الأراضي المقدسة بحجة تحرير كنيسة القيامة ، وتهية طريق آمن للحجاج الغربيين إلى أرض فلسطين . ثم أسسوا مستعمراتهم في الأراضي المقدسة . ولكن صلاح الدين بعد أن وحد الجبهة العربية استعاد القدس منهم في آخريات القرن الثاني عشر . وتوالت بعد ذلك هجراتهم على مصر خلال القرن الثالث عشر . ولكن يخفوا أغراضهم التوسعية ، ادعوا أنه لا بد

من القدماء هل مصر أولا باعتبارها زعيمة العالم العربي حتى يسلم عليهم امتلاك أندشيم . ثم اتجهت الجماعات آخر الأمر نحو الشمال الافريقي ، عندما أعاد لويس التاسع على تونس سنة ١٢٧٠ م ، وعندما كرر نفس المحاولة لويس الثاني دوق بوربون هجومه على المهدية سنة ١٣٩٠ م . وكانت حجتهم في العنوان هل شمال افريقية أن الاستيلاء عليها سوف يسهل لهم الوصول إلى الديار المصرية عبر الصحراء الغربية ، ومنها يمكنهم مواصلة الزحف شمالا إلى الأراضي المقدسة .

وهكذا نرى أنه باسم الدين وتحت شارة الصليب حاشم اللائين الشعوب العربية في مصر والشام وشمال افريقية . وباسم الدين وتحت شارة الصليب أيضاً تعددت حملاتهم الاستعمارية على العالم العربي منذ آخريات القرن الحادى عشر إلى آخريات القرن الرابع عشر ، تلك الحملات التي لم يحدد لها النجاح ، والتي كان فشلها بمثابة نهاية حلم كبير للاوروبيين الغربيين . ولقد صدق الأستاذ برنارد لويس عندما قال أن المرحلة الأولى من المدوان الصليبي التي تتميز باستقرار الغزاة في سودية ، كانت عبادة من نوع من الاستعمار الاستيطاني ، أعقبته عملية التمثيل والمضم (١) . ومع ذلك فقد اضطفت آراء كثير من المؤرخين الغربيين المحدثين بصيغة قومية بحثت تبديها نفمة التمصب واضحة ، ما بعد بها وجههم من الحق والآراء العلية . ومن هؤلاء هانيال دويس الذي قال أن المسيحية الغربية افتتحت بالحروب الصليبية صفحة جديدة في تاريخها (٢) .

ويمكن القول بناء على ما تقدم إن الحركة الصليبية لا زالت قائمة إلى يومنا

(١) Lewis, Arabs in Hist., 150 sqq.

(٢) "Une page admirable de son histoire s'ouvrit" Cf. Daniel — Rops, 547, 602.

هذا (١)، وأنها لم تصل إلى نهايتها الحتمية بعد ظلالا أن الاستمرار للفرق لا زال ينظر إلى العالم العربي من المحيط إلى الخليج بأعين ملوثةا الخند والكراهية والشرة والاطماع .

على أية حال ، لقد أدى قيام الحركة الصليبية إلى احتكاك القوى الثلاث التي كانت موجودة على مسرح الأحداث في ذلك الحين ، ونفخ بها للعالم العربي والغرب الأوروبي وببذخ . فقد ارتبطت هذه القوى بعضها بأند الارتباط ، وتفاعلت فيما بينها ، واشتبكت مصالحها ، بحيث لا يمكن للتصدي للعدوان الصليبي فصل أحدها عن الأخرى أو غص الطرف عنها . ويمكن تقسيم الصراع بين هذه القوى الثلاث قبل قيام الحركة نفسها إلى مرحلتين رئيسيتين : المرحلة الأولى وتبدأ بالفتح العربي منذ أوائل القرن السابع وتمتد حتى القرن التاسع الميلادي تقريبا . وفيها التزم أوروبا في الجبهتين الشرقية والغربية جانب الملاح من نفسها بسبب الضعف الذي أصاب أوصالها ، في وقت كانت تتقدم فيه الأمة العربية الفتية دفعا صادقا من ضيقة تؤمن بها وحفظاً لى كيائها وتأميناً لمجتمعها الجديد . ولذلك كان ميزان القوى في هذا الدور في صالح العرب الذين أحرزوا انتصارات سريعة منخمة شرقا وغربا حتى أصبح البحر المتوسط بحق بحراً عربياً عاصماً . بعد أن كان فيما مضى رومانيا . أما المرحلة الثانية من الصراع فهي تمتد من القرن العاشر حتى قيام الحركة الصليبية . وفيها يتقلب ميزان القوى لصالح الروم واللاتين الذين أخذوا يستعيدون قوتهم وتماسكهم ، فاستردوا الكثير من البلاد التي كانت في قبضة العرب ، في وقت أصاب فيه العالم العربي بعض التفكك والارمن . ولذلك عندما قام العدوان الصليبي كانت الظروف مواتية لأن يحقق

الغرب الأوروبي تلك الانتصارات السريعة التي لم يكن يعلم بها في يوم ما ، وان
كان قد تقدم فيها بعد يتفلسف السرعة التي تمت بها .

ومها يكن من أمر ، فقد كان أول احتكاك مع بداية العداء بين الكاثوليك
الغربيين والروم الأرثوذكس . وقد رأينا أن العلاقات بينهما لم يكن يسودها
الاخلاص التام المتبادل والتفاهم الودي والرغبة الصادقة في حل ما أشكل بالطرق
الودية . فكان البيزنطيون يريدون الانتفاع بالفرج لخدمة أغراضهم السياسية ،
بينهم من جانبهم لم يفكروا في التزو والتفتح إلا لصلحتهم الخاصة . وكانت
العلاقات بينهما في أثناء الحملة الأولى مزيجاً من المتنافسات اختلط فيها سوء النية
من جانب الغربيين بحسن المعاملة في بعض الأحيان . وكان الروايع الأكبر عن
ذلك هو شعور الطرفين بما قد يجنبه من النخبة بالتعاون مع أخيه . فإذا
تعارضت المصالح ظهر كل فريق على حقيقته ، وأوضح مثل لدينا موقف بومبيند
من الكيس عندما ثارت في الأفق مشكلة إيطالية . وكانت هذه العلاقات
تؤديها لما ستكون عليه الصلات بين اللاتين واللاتين في الحملات التالية . وقد
سأصت أوجه الخلاف المدينة بينهما ، لا سيما في الأمور الدينية ، في أوقات
كثيرة إلى ازدياد سوء التفاهم . فلم ينس الغربيون الكاثوليك أن البيزنطيين
الأرثوذكس كانوا ضالين من جادة الدين الحقيقي في نظر الكنيسة الرومانية ،
بما جعلهم مكروهين في الأوساط اللاتينية . ويوجب هذا العداء إلى ما قبل قيام
الحركة الصليبية بقرون عديدة ، وعلى وجه التحديد إلى أوائل القرن الرابع
عشر عندما انتقل قسطنطين الكبير إلى القسطنطينية واعترف بالمسيحية كدين رسمي
للدولة . ومنذ ذلك الحين والحالات ناتجة بين شق العالم المسيحي إلى أن وصلت
ذروتها بقلية سنة ١٠٥٤ م . ولذلك عندما قامت الحرب الصليبية الأولى لم تجد
أرضاً صالحة للتفاهم بين مسيحي الشرق والغرب . وقد كشفت كتابات

المؤرخين اللاتين وآراؤهم في البيزنطيين ، عن العداء القديم المتأصل بين الطرفين . وبالمثل نجد الكتابة الاغريقية أن كومتين تتناول في كتابها النصر اللاتيني بالقدس والتم الشديدين . لقد كان كل منها يحقد على الآخر ويعتبره مهرطقاً لأنه على غير مذهبه .

ولاشك أنه واجهت بيزنطة الكثير من المتاعب بسبب احتكاكها بالغربيين في الحملة الأولى . وقد وصلت سيطرة الدوافع الدينية مداها ونهايتها المتطرفة في الحملة الرابعة عندما أصبحت الحركة الصليبية أداة للغزو استخدمها اللاتين ضد المسيحيين في الشرق . (١) وكانت النتيجة أن فتق هذا الغزو وحدة الدولة البيزنطية التي عاشت منذ ذلك الحين شبه محترقة إلى أن انتهى الأمر بسقوطها في قبضة العثمانيين سنة ١٤٥٣ م (٢) .

وإذا عدنا إلى أهداف اللاتين في إعادة بيزنطة إلى حظيرة الكاثوليك ، نجد أنهم أخفقوا في ذلك إما إغفاق . فقد كانت العلاقات الملهية قائمة فعلا قبل الحركة ، وزادت الخلافات الصليبية من حدتها . ولذلك فشلت جميع المحاولات التي بذلت في القرون التالية لتوحيد بين الكنيستين الشرقية والغربية . (٣) ولا زالت باهوية دوما تسمى حتى اليوم لتحقيق هذا الاتحاد . ورأب الصدع الذي ترجع جذوره إلى أعمق التاريخ ، والذي زاده القرون المتعاقبة شدة وعمقا وعميقا .

(١) أنظر : Ostrogorsky, Byzantine State, 368.

(٢) عندما وصل الإفرنج في الحملة الأولى إلى القسطنطينية حركات لفرقة وبني و اخوة الخلافة . وكانت القصة السريّة في اساءة الخلافة حتى لك اغتوايا ، مما نرت عليه أنجيل استيلاء العرب على القسطنطينية حتى أولسبط القرن الخامس عشر . وكان هذا الأمر ماديا لايمان في حركات القرن الخامس عشر . أنظر . 191. Grousset, Sum of Hist.

(٣) أنظر : Atiya, Crusade in the Later Middle Ages, 261-8; Heer, Med. World, 98-9.

وجدير بالذكر أن الدعوة التي وجهتها بابوية روما من القاتنيكان إلى عقد مجلس الكنائس العالمي المسكوني في أكتوبر ١٩٦٢ ما هي إلا استمرار لنفس السياسة التقليدية القديمة التي سارت عليها بابوية القرون الوسطى ، لاسيما بعد الانشقاقات المذهبية المعروفة داخل الكنيسة المسيحية . وإن يكون هذا المجمع المسكوني في نظر البحث المدقق في وقتنا هذا أكثر من محاولة طلية في شكلها ومظهرها ، تعود به وبذكريته إلى قرون طويلة مضت وذهبت بمثلها ومبادئها إلى غير رجعة . إذ ترك العداء التقليدي القديم بين شقي العالم المسيحي آثاره الوخيمة حتى هذا اليوم بالنسبة لأتباع الكنيستين الشرقية والغربية (١) .

وإذا كانت العلاقات بين مسيحي الشرق والغرب في الحلة الأولى وما تلاها من حلات قد اتخذت هذه الصبغة العدائية في أغلب الأحيان ، فقد كان هذا أيضاً هو الطابع المسيطر على العلاقات بين العرب واللاتين . وقد حدد طبيعة هذه العلاقات منذ البداية فكرة تولى الفزاة الأوروبية في قلب الوطن العربي للعمل على استمرازه واستغلال خيراته وتقنيته وحده . ولا يجب أن ننسى أن أهل الغرب كانوا يعتبرون العربي - مسلماً كان أم مسيحياً شرقياً - غير مؤمن لأنه على غير مذهبهم . ولذلك امتدت أحلامهم إلى محاولة مسيح العالم العربي بالصيغة الكاثوليكية من طريق البعثات التبشيرية التي تعتبر في الواقع جزءاً منها لفكرة المسيحية نفسها .

ولكن هذه كلها كانت أحلاماً . فلم تحقق الحركة الصليبية شيئاً مما استهدفه الغرب ، سواء بالنسبة لانتهاء الفخاق الذي بين المسيحيين ، أو فيما يتعلق بالفكرة التبشيرية أو تحقيق الأطماع الاستعمارية التوسعية في المنطقة

(١) أنظر Herz, Med. World, 96, 98.

المرية (١). ولقد أدى فعل الحركة إلى تراجع المسيحية الغربية مؤثراً عما ادعت له نفسها من حقوق لوجود لها في فلسطين . ووقع هذا القتل على الأوروبيين وقع الصاعقة ، وأهبطته كوارث اقتصادية أطاحت بآمالهم . إذا اضطرت الفرنج إلى ترك مخازنهم ومستودعاتهم التي كانوا يمتلكونها في الشرق العربي ، ودفعوا دابة الاستسلام للماليك الذين احتسروا التجارة مع الشرق الأقصى ، فتجمعت لديهم رؤوس طائلة ، بينما ارتفعت أثمان الضائع التي كان الغرب في حاجة ماسة إليها من الشرقيين الأوسط والأقصى . ولذلك لم تكذب تخيلات خمسون سنة على رحيل آخر جندي صليبي من الأراضي المقدسة ، حتى كان حرب آسيا يهاجمون أوروبا من أضيق نقطة لها وقتذاك ، ونقض بها الإمبراطورية البيزنطية (٢) .

وإذا ضربنا صفحا من نتائج العدوان الصليبي التي جاءت مخيبة لآمال الغربيين على طول الخط ، فلا يجب أن ننفل أن هذا العدوان أكد تأكيداً قاطعاً وجود فكرة الوحدة الميرية من المحيط إلى الخليج ، تلك الفكرة التي امتدت جندوها إلى مئات السنين . ولقد أدرك العرب بعد سنوات قلائل من انتهاء الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المستعمرات الغربية في فلسطين ، أنه لن يتأتى لهم تصفية حسابهم مع الاستعمار إلا إذا تمخ وحديثهم ، تلك الوحدة التي يؤكدها شعورهم العميق المتأصل بقوميتهم وعروبهم . ولذلك كانت حركة التكتل والاتفاق أيام عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود والبطريرك صلاح الدين الأيوبي ، رد فعل طبيعي للسيطرة الصليبية التي رزحت تحتها بلدان الشرق العربي وقتذاك . وكان تمهينها كافياً لقتاء على النفوذ اللاتيني في المنطقة وحيلاب مصالح الغرب فيها . لاسيا فرنسا التي قتلت ذهرة شبابها وفرنسانها في حروب عارضية لم تمتد عنها بأية

(١) أنظر : Trevelyan, Shortened Hist. of England, 142.

(٢) أنظر : Grousset, Sam of Hist., 192.

قائمه . وقد أدرك ذلك أحد المؤرخين المحدثين ، إذ قال إنه كان الأجدد بفرنسا أن تحتفظ بقواها ومواردها لمشروعات تتصل بشؤونها الحسيرة اتصالا مباشرا بما يعود عليها بالنفع والرفاهية ، أو لعلاج مشاكلها وأخطارها بما لها الداخلية (١) .

ولو تركنا جانب أحداث الماضي ، وأمعنا النظر في أحداث الحاضر ، نجد التشابه المريب في أهداف الاستعمار ونماياته وإن اختلفت الأساليب والوسائل . ونجد كذلك التشابه الكبير بين عرب الأمم والعرب اليوم ، فالعرب العربية هي لم تغير . إذ سرعان ما تسكتل وتتجمع إذا ما أحاق بها خطر أو أخطارها مسكروه ، وذلك دفاعا عن وحدتها وكيانها ومصورها ووجودها . لقد حدث هذا في القرون الوسطى عقب ظهور الاسلام وإبان العدوان الصليبي ، وزاء يحدث اليوم في وقت خلق فيه الاستعمار إسرائيل في قلب المنطقة العربية لتسكون رأس جسر له ، ولتعمل على تفتيت وحدتها وإعاقة توحيدها . وتعتبر ثورة ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ هدا فاصلا في تاريخ العرب الحديث ، بين عهد كانوا فيه منقسمين مشتتين يزدحرون تحت نهال استعمار الظاهر أو الخفي ، وبين عهد بدأوا يستفرون فيه بالخطر ويهجون من كل مكان في الوطن العربي لتجميع قواهم وتوحيد جهودهم حتى يصل جهادهم إلى تحقيق الهدف المنشود .

الملاحق

تمهيد

يستهدف هذا البحث تخطيط الدخول على الفكرة الصليبية بما تنطوى عليه من اتجاهات عدوانية توسعية استعمارية متدكل من العالم العربي ودولة الروم . كما يكشف عن العلاقات القضاية المعقدة المتداخلة في بعضها بين كل من العرب واللاتين الغربيين والروم البيزنطيين إبان الحملة الصليبية الأولى ، والآثار المترتبة على تلك العلاقات ومضاعفاتها في الأقطاب التالية وحتى اليوم .

واللاحق السبعة التالية خاصة مباشرة بموضوع البحث ، فضلا عن أهميتها التاريخية . فهي تتضمن نصرا ووثائق مستقاة من مصادر أصلية وضعت زمن العدوان الصليبي ، ومؤلفوها كتاب مؤرخوهم ، شهد خمسة منهم بداية العدوان ، بينما حاصر اثنان العدوان في مرحلة احتضاره . وبعض هذه النصوص والوثائق لا يزال بلغته الأصلية التي دون بها ، مثل خطاب كل من الكسيس كومنين وأغن د بلوا ونفس قوشيه د شاورز . وبعضها مترجم إلى اللغة الحديثة ، مثل كتاب الألكسياد الذي قلته إليزابيث داورس من اليونانية القديمة إلى الإنجليزية ، وكذلك كتاب دأونج التامرا ، مؤلفه حتى البارزي الذي قلته ج. ا. جيل من اللاتينية إلى الإنجليزية ، وقصيدة الشاعر الفرنسي ولیم رليف المترجمة من الفرنسية القديمة إلى الإنجليزية والتي نشرها ج. ماسون في مؤلفه فرنسا في العصور الوسطى من عهد هيوغ كاييه حتى بداية القرن السادس عشر .

ويتضمن أحد هذه اللاحق مقتطفات من كتاب الألكسياد للأديرة آن كومنين ، وهي تعبر عن الأحداث من وجهة نظر بيزنطية . وقد وضعنا عناوين

جانبية لهذه المقطعات توضحها لها . ويصور ملحقان آخران الأحداث من وجهة نظر غربية بحثة ، وهما يتضمنان خصوصا ماخوذة من كتابي القورح المجهول وفروشييه ده شاور . ويمثل ملحق رابع وجهة نظر عايدة ، ونعني بذلك خطاب اتين ده بلوا أحد زعماء الخلة الأولى . ومرة ملحقان أحدهما لكاهن من البياردي والآخر الثاني للشاهر ولیم وثيف ، يشتملان على مقطعات تعبر عن وجهة نظر متحيزة متعلقة في تلك الصور التي تبين فيها الغرب بالتمسك الديني . وهناك ملحق يتضمن وثيقة مفكوك في صحتها وضعت في الغرب الأوروبي عند بداية الحركة الصيفية لتحقيق أغراضها العدوانية ، وتقتصد بذلك الخطاب المنسوب إلى الإمبراطور البيزنطي الكيس كومنن . وقد ذبنا الترجمة العربية لوثائق والنصوص المنشارة إليها بعدد من التعليقات والإيضاحات في الحواشي .

يتضمن الملحق الأول ترجمة مقطعات من الخطاب الذي يقال إن الإمبراطور البيزنطي الكيس الأول كومنن بعث به إلى دوبرت الأول أمير الأراضى الرواطنة حوالي عام ١٠٨٨ ، يستحث فيه دوبرت وأهل الغرب على التقدم لنجدة الدولة البيزنطية ثم التوجه للاستيلاء على الأراضى المقتصة . وقد ثارت حول هذا الخطاب كثير من الشكوك ، وقامت حوله كثير من النظريات بعضها يعتقد في صحتها وينسب إلى الكيس والآخر ينادى بزيغه وبأنه منسوس عليه . ولكل فريق حجة التي يركز عليها . والثاني الكاتب أنه لا توجد نسخة أبدينا ، حتى الآن ، أدلة قاطعة حاسمة تثبت صحة الخطاب أو تنفي صدوره من إمبراطور البيزنطين (١).

(١) تعرضت المطالب في شيء من التركيز والابهاز في الفصل الثاني من هذا الكتاب (أظر ص ٥٢ - ٥٤) . وتناولته بالتفصيل والتدقيق والتحليل في مقال « النافع الشخصي في قيام الحركة الصيفية » - مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - العدد ١٦ - الإسكندرية ١٩٦٣ - ص ١٨٨ - ١٩٥ .

يبدأ الخطاب بمقدمة قصيرة تتضمن التحية والسلام من الإمبراطور البيزنطي إلى أمم الأراضي الرومانية والمستوطنين في القرب . ويستغل واضع الخطاب بعد ذلك مباشرة إلى الحديث عن تهديد الأتراك السلاجقة للدولة البيزنطية واستيلائهم على جانب كبير من أملاكها في آسيا الصغرى حتى أصبحت القسطنطينية معرضة للسقوط في قبضتهم بين وقت وآخر . وبعد أن تعرض الخطاب للحالة السيئة التي وصلت إليها دولة الروم وقتذاك ، يلتمس مرسله العون والمساعدة من الأمم الفلنكية وروبرت الأول . وحتى يستحثه هو وأهل القرب لنجدة بيزنطة ، تراه يحذرم بأن القسطنطينية سوف تقع غنيمة بلردة في قبضة الأتراك إذا لم يبادروا بإتخاذها . وفي سبيل ذلك يضرب واضع الخطاب ، في غيبه ومكر ردهاء ، على الوتر الديني ، وهو يعلم مدى تأثيره في قلوب الغربيين في تلك ائسم فيه القرب بالتحصب الإسم في هذه الناحية . إذا أعلن أنه توجد في العاصمة البيزنطية آئمن آثار ومخلفات السيد المسيح وكثير من الشواهد الدينية وبقايا أجساد القديسين التي سيفوز بها الأتراك إذا لم يسرع الغربيون بوضع أيديهم عليها . وإذا كان العامل الديني أهميته في إثارة النعرة الدينية لدى أهل القرب ضد المسلمين في الشرق ، فلم ينس واضع الخطاب تقديم الفرييات المادية وهو على علم بمشجع اللاتين وحجيم الزائد لمال ، الأمر الذي أكدته أن كومنجن أكثر من مرة في كتابها ، الألكسياد . قراء يحدثنا عن ثراء القسطنطينية وما تحويه من كنائس وكثوز لا توجد في أي مكان آخر في العالم ، والتي سنكون من نصيب اللاتين إذا ياددوا بالمخضور لاتقاديوزنقة من خطر السلاجقة . وفي عاتمة الخطاب دعوة صريحة موجهة إلى الغربيين لإرسال النجدة لمساعدة الدولة البيزنطية ، ثم التوجه للاستيلاء على الأراضي المقدسة وتخليص قبر المسيح .

تلك هي محتويات الرسالة التي يجب تناولها في شيء من الحيلة والحذر، والتي يزعم المؤرخ اللاتيني جيجرت أنه نوبل أن أعطانا نصها ، والتي يرى الكاتب بول ريان أن واحدا هو روبرت الرابع . كما يجب اعتبارها معرفة رغم استنادها على حقيقة واقعة . ذلك أن روبرت الأول أمير الأراضي الواطنة كان قد ذهب للبحث إلى الأراضي المقدسة، وعند عودته حوالي عام ١٠٨٧ من بأراضي الإمبراطور البيزنطي ، ووعد الكسيس كومنين بإرسال خمسمائة فارس إليه لحماية دولته من خطر السلاجقة . وحوالي عام ١٠٨٨ أو عام ١٠٨٩ ، أرسل الكسيس يذكر روبرت بوعده له . وكان الأمر لا يعدو أكثر من طاب جند مرتزقة يعملون في خدمة الدولة البيزنطية مقابل أجر يتقاضونه على ذلك . ولهذا السبب ألهم الكسيس إلى البابا لوبان الثاني يرجوه تسهيل إرسال الجند المرتزقة للعمل في خدمته . وقد دعم المؤرخ فرديناند شالنتون هذه النظرية في كتابه عن الكسيس كومنين (١) .

والواقع أنه يوجد فرق كبير بين فكرة إرسال جند مرتزقة كطلب الكسيس كومنين ، وبين إرسال حملة لاثنية غربية كبيرة تعمل لحسابها الخاص مستقلة في ذلك عن بيزنطة . وإن مسألة قيام حملة صليبية بالمعنى المفهوم من الفكرة الصليبية في الغرب ، لا يجب إدراجها إلى طلب الكسيس كومنين وإنما إلى الدور الذي قام به الجهاد الكندي البابوي في أوروبا وعلى رأسه بابا روما اربان الثاني في أواخر القرن الحادي عشر (٢) .

(١) أنظر مقال « الباطن الفخفى في قيام الحركة الصليبية » ، ص ١٨٨ وما بعدها من ٢٠٠ . وفيما يتعلق باستخدام بيزنطة لجند المرتزقة ، أنظر ص ١٤٦ و ٢٠٧ ح ١ من هذا الكتاب . وقد وردت الإشارات إلى ذلك في أكثر من موضع من الكتاب .

(٢) أنظر ما سبق من ٥٦-٥٧ من هذا الكتاب ؛ راجع أيضا كتاب :

وهذا يعودنا إلى الملحق الثاني ، وهو يشتمل على نص متقول من كتاب المؤرخ اللاتيني فوشيه ده شارتر يتحدث فيه عن الأحوال السائدة في الغرب الأوروبي عندما دعا البابا أربان الثاني إلى عقد مؤتمر كليرمون الكنسي في نوفمبر ١٠٩٥ . وإن نظرة سريعة إلى هذا النص تعطينا فكرة واضحة عن الظروف والأوضاع في الغرب قبل قيام الحرب الصليبية الأولى ، من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية . وقد تعرض المؤرخ بعد ذلك ، في جمل قصيدة سريعة ، الخطر الذي يواجهه الحجاج الغربيون وهم في طريقهم إلى الأراضي المقدسة بسبب مضايقات الأتراك السلاجقة ، فضلا عن تهديدهم لبيزنطة . وتحدث آخر الأمر عن عقد مؤتمر لمعالجة هذه المسائل ، وهو مؤتمر كليرمون نسبة إلى المدينة التي عقد فيها .

ويأتي المؤرخ ميخائيل السورى ، الذى كانت ظروف إقامته في الشرق تؤهله لمعرفة أسباب التدخل اللاتيني في شئون فلسطين ، حورا واضحا هل ما تقدم ، عندما تحدث عن السلاجقة ومضايقتهم للحجاج الغربيين الذين يلهبون لزيادة بيت القدس وكنيسة القيامة . وكانت هذه هي الركيزة التي ارتكز عليها البابا أربان لتحقيق مشروعه الصليبي ضد كل من العالم العربي والجمهورية البيزنطية ، والذي يبدو أنه قد احتفظ بسريته مدة طويلة قبل أن يسلط على الملأ . وقد أوضح شاندون أن فكرة إرسال حملة صليبية إلى الشرق لم تقتصر في ذهن البابا الرومان إلا في وقت متأخر ، وأنه لم يكشف عنها إلا بعد أن نصحت تماما وبعد أن امتدحها الاستعداد الكافي (١) .

(١) أطلس التفاصيل في مقال « الواقع النحصر في قيام الحركة الصليبية » ص ١٩٨ وما بعدها .

ويشتمل الملحق الثالث على مقتطفات من كتاب «الأسكياد» الأسيديّة أن كورنين عن الحملة الصليبية الأولى بشقيها التقني والتنظيمي. وهي تمر من وجهة نظر البيزنطيين بحال الأحداث التي كانت أراضى بيزنطة والشرق العربي مسرحاً لها في بداية العدوان الصليبي. كما تكشف بوضوح عن سوء التفاهم الذي كان قائماً بين اللاتين والبيزنطيين أو بين أهل الغرب الكاثوليكي وأهل الشرق الأرثوذكسي، والذي كانت جذوره العميقة ترجع إلى ما قبل قيام الحركة الصليبية بقرون عديدة. وهي تكشف أيضاً في أسلوب لاذع عن الصفات التي يتميز بها أهل الغرب، وأهمها الجشع والطمع وحب المال والنفرة والصف والتعالي، فضلاً عن حقد وكرههم للسلم والمسيحيين الشرقيين. وهي تؤكد في أكثر من مناسبة مخاوف بيزنطة من اللاتين القريبين الذين لم يستدعهم السكيس، وإنما هم بوصولهم إلى أراضى دولته عن طريق الإغارات والأتاويل. لقد أثار قدوم هذه الجيوش الجرارة مخاوف بيزنطة، وتعتبر أحداث الحملة الصليبية الرابعة خير دليل على ذلك. ويمكن أن اللاتين - حسبما يتضح من كتابات آن - كانوا مصدر قلق ومتاعب لبيزنطة أكثر من السلاجقة المحدثين بها الملقين عليها (١).

وفي صراحة وبساطة تحدثت الكاتبة الإمبريقية عن حقيقة دوافع العدوان الصليبي هي كل من العالم العربي ودولة الروم، فتقول إن الطامعين أمهكتهم التأثير على السلاج ويطأ العقول الذين كانت تغلبهم الرغبة الحقيقية للحج إلى الأراضي المقدسة. أما أصحاب الأمواء والمصالح فقد كان هدفهم الاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية وإقامة إمارة لاتينية بها، ثم التوجه

(١) للمزيد من المعلومات عن وجهة نظر آن كورنين في اللاتين، انظر :

Zoe Oldenbourg, Les Croisades (1965), 82 ff.

للاستيلاء على الأراضى التى كانت وقتذاك فى قبضة السلاجقة وإتمام الزحف إلى الأراضى المقدسة . وتستشهد آن يموقف بوهيمند النورماندى من أيها أنشاء الحملة الأولى وبعد انتهائها عندما برزت إلى الوجود مشكلة إطلاكية ، كما تشير إلى اطلاع آية روبرت جويسكار فى بيزنطة قبيل قيام الحملة الأولى بسفريات معقدات ، الأمر الذى سبب لدولة الروم جرحا عميقا لا يمتد . وهو توضح كيف استفاد أصحاب الإطماع شخصا مثل بطرس التاسك الذى كان يدير الحركة فى الغرب ، فى القيام بمهمات لتحقيق أغراضهم فى الشرق . وهكذا يظهر أن بظهر النوع والفكرى ، وإن كانوا فى الحقيقة أبدا ما يكون من ذلك .

هذا ، وتعتقد أن كورنيل أن بطرس التاسك هو الذى قام بتنظيم الحركة الصليبية . ولعل ذلك يرجع إلى أن أول احتكاك حدث بين البيزنطيين واللاتين الصليبيين كان يقدم بطرس التاسك ومن معه من الرماح (١) . وقد ثبت بعد الدراسة أن أسطورة بطرس هذه ليس لها نصيب من الصحة ، ويجب حذفها نهائيا من سجل التاريخ (٢) . ويجدر بالملاحظة أيضا أن الكاتبة الأخرى عندما كانت تترجم لأبيها الكيس والمظهر وشخصيته ، كانت تتناول فى عبارات يبدو فيها التملق والإطراء . فهو ، فى نظرنا ، ملك الملوك ، وأعظم من أن يهتبه السامع ، وأشجع الشجعان ، وأغنى الأغنياء . ويبدو هذا بوصف فى المقارنة التى تقدمها بينه وبين عدوه اللدود بوهيمند النورماندى (٣)

أما الملحق الرابع فهو يشتمل على ترجمة فقرات من الخطاب الذى أرسله

(١) أنظر من ذلك Runciman, Crusades, I, 117 n. 1.

(٢) أنظر مقال « الدافع العنصرى » ، ص ١٩٥-١٩٧ .

(٣) أنظر Runciman, op. cit., I, 71 n. 1. ونجد تقييلا مقنا مركزا

لخصية الكيس كورنيل فى كتاب شالاندون .

إنهم كونت بلوا وشارتر إلى زوجته أديل في القرب. والخطاب عود من معسكر الجيش الصليبي بالقرب من مدينة نيقية في ٢٤ يونيو من سنة ١٠٩٧. وكان إنهم قد أرسل قبل ذلك خطابا آخر إلى زوجته، يمتد به إليها من مدينة القسطنطينية، ووصف فيه رحلته إلى العاصمة البيزنطية. ولكن هذا الخطاب - لسوء الحظ - فقد ولم يصلنا (١). وتكون أهمية الخطاب للنسب تخص أيدينا في أن كاتبه لاثين غربي أتق على الكيس والبيزنطيين، بينما وقف وملاقه اللاتين أمثال المجهول وفروشييه ده شارتر ورويمون داجيل موغف الصفاء الصريح من بين نطفة وإمبراطورهما، بسبب الصفاء القديم المستحكم بين شقي العالم المسيحي نتيجة الاختلافات الحضارية والفنية والثقافية والجنسية والجغرافية - تلك الاختلافات التي ساعدت على قيام سوء التفاهم بين اللاتين والبيزنطيين عندما تقابلا وجهًا لوجه في الحملة الصليبية الأولى. وعلى هذا يجر إنهم في رسالته عن وجهة نظر محايدة غير متمسكة تعني على أمثاله أهمية خاصة.

ويتضمن الملحق الخامس ثلاثة نصوص من كتاب المؤرخ المجهول (٢) عن الحملة الأولى: النص الأول ويتحدث عن وصول بطرس التاسك إلى القسطنطينية ومذبة نيقية التي قضى فيها قضاء تاماً تقريباً على الحملة الشعبية. ويلقب المجهول تلووم صراحة على الكيس منها إياه بأنه السبب فيما حدث لبطرس ورجاله ممراً بذلك عن وجهة نظر غالبية اللاتين. ويتعلق النص الثاني برمول جودفري دوق اللورين السفلى وجيشه إلى العاصمة البيزنطية، ويكشف المؤلف فيه عن حقيقة العلاقات بين جودفري وبين إمبراطور البيزنطيين. أما النص الثالث فهو خاص بيمين التبعة والولاء الذي أحياه زعماء الفرنج بين يدي

(١) أنظر من ذلك Runciman, op. cit., I, 169 n. 1.

(٢) قام الدكتور حسن جهمي بترجمة كتاب المجهول إلى العربية تحت اسم «تاريخ الفرنجة وحجاج بيت المقدس - القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٨ (الطبعة الثانية)».

الكبير بناء على طلبه ، مع تحليل الأسباب التي دعت للاتين لأداء هذا القسم .
وتكشف هذه التصور من ثلاثة كيف كان القريون يصورون الأحداث
ويتصورونها ، وكيف كانوا يتصرفون ، وفيما كانوا يصكرون ، وماذا كانت
مواقفهم حيال الأحداث التي مروا بها وموت بهم ، وحقيقة مشاهيرهم
وأحاسيسهم ، وماذا كانوا يبحثون في دخيلة قلوبهم .

ويحتوى الملحق السادس على ترجمة مقاطع من التصبئة التي كتبها بالفرنسية
الفرنسية الوسيطة الشاعر جولي ديف (١٢٤٥-١٢٨٥) الذي عاش عصر احتضار
الفكرة الصليبية . وفيها يسخر من الجهاز الكنسي البابوي ومن رجال الدين
في الغرب ، كما يتند بالفكرة الصليبية التي لم تعد تلقى القبول والزوج في أوروبا
بعد أن انفض الناس من حولها ، وبعد أن ذاب الحماس للصطنع الذي صاحب
بدايتها ، وبعد أن بدأ كل فرد في الغرب يتجه إلى مصالحه الخاصة والدول إلى
معاكها الداخلية .

وقد تناول ديف ذلك كله في أسلوب ساخر نهكي عبر فيه تعبيرا صادقا
عن موقف ذوي التنقل من الرجال الأحرار في الغرب وقتذاك من أمثال
الإمبراطور الألماني فردريك الثاني (١٢١٥ - ١٢٥٠) والكامن الإنجليزي من
البأريزي (المتوفى سنة ١٢٥٩) ، والذي يحتوى الملحق السابع والأخير على
مقتطفات من كتابه المعنون « تاريخ إنجلترا » . وفيها يتهم تها لاذعا سريرا
على الجهاز الكنسي البابوي في الغرب ابتداء من البابا حتى أسقف قس . كما
يهاجم الفكرة الصليبية هجومًا عنيفًا وصرعًا . ولهذا التصريحات دلالتها
وأهميتها ووزنها . فقد صدرت عن أحد رجال الدين للاتين الأحرار لتعبر - في
بساطة - عن موقف ذوي البصيرة والتنقل والفطرة البعيدة الرافعية ، في وقت

كانت فيه الكنيسة اللاتينية تفسيراً مغلطاً سريعاً نحو التدهور والانحلال بسبب الفساد الذي تطفل في كيائنها .

وجدير بالذكر أن المصادر التاريخية والأدبية القروية التي عاصرت العدوان الصليبي وكتبت عنه ، فضلاً عن الآداب الشعبية ، قد تناولت العدوان بالنقد والسخرية والتهكم . وهي تكشف عن وجود شعور شعبي في الغرب ضد الفكرة الصليبية وغير متحمس لها . كما تكشف عن تطور الحالة النفسية للجماهير في الغرب وقتذاك . وهذا أمر له أهمية كبرى في تفهم الرأي العام الغربي ومعارضته للعدوان الصليبي ضد العرب ، وتدينه بهذا العدوان ، وشكك وتفككه فيه وفي قيمته وجهده ، ونتائجه . وسواء أكانت هذه المعارضة وذلك الفك في الفكرة الصليبية من جانب الغربيين لأسباب تتعلق بشؤونهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ، أم لعدم إيمانهم أساساً بفكرة الحرب والعدوان - فإنها تكشف عن وجود رأي عام معاد للحرب ضد العرب كان يسرى كالتيار في الغرب . وغير خاف أن هذا كان سندا قوياً لموقف العرب ولتمنياتهم العادلة لا يمكن التهور من شأنه . كما كان عاملاً له أثره في تقويض دولة الفروقة في الشرق العربي في عصر العدوان الصليبي في وقت كان فيه ميزان القوى قد اعتدل لصالح العرب (١) .

(١) حدير يذكر أن للراجع الغربية الحديثة التي تناولت الحركة الصليبية النقد ، وإن كشفت عن أسلوب على من سلوة الرأي العام الغربي للعدوان الصليبي ضد العرب ، فبلة جد . ولا يزال هذا الموضوع في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة . ومن أهم الكتب التي تعرضت له نذكر :

Lenient, Satire en France au moyen âge; P. Throop, Criticism of the Crusade, Amsterdam, 1940.

الملحق الأول

مقتطفات من خطاب الامبراطور البيزنطي
الكسيس الأول كومنن الى روبرت الأول أمير
الاراضي الرومانية (حوالي عام ١٠٨٨). (١)

من امبراطور القسطنطينية الى السيد الأجل الورد روبرت أمير الاراضي
الرومانية ، وإلى جميع كبار رجال المملكة المؤمنين بالعقيدة المسيحية ، وإلى رجال
الدين والدنيا - تحية وسلاما ...

أيها السيد العظيم على العقيدة المسيحية . . أود أن أحيطك علماً بما وصل
إليه تهديد البجاة ناكية (٢) ، والاتراك (٣) للإمبراطورية الاغريقية المسيحية
المقدسة (٤) . فهم يصلون فيها السلب والتخريب كل يوم ، ويتوغلون في
أراضيها دون انقطاع . وكمن مداح وقنيل وجرائم تفوق حد الوصف
يقترفونها ضد المسيحيين الاغريق (٥) ، فضلا عن السخيرة والتخفير ...
فأنهم يذهبون الأطفال والشباب داخل أماكن التعميد ، حيث يرقون دماء
القتل محترقين بذلك المسيح .

(١) هذه هي الترجمة البريئة لنص اللاتين للخطاب علامي طلبة عاجلنا .
Epistola Alexii I komneni imperatoris ad Robertum : I comitem Flandrensem (circa annum 1088); cf. Hagenmeyer,
H. (ed.), Epistolae et chartae ad historiam primi belli sacri
spectantes, Heidelberg, 1901 (pp. 129-136).

(٢) آثار ماسيق ، ص ١٢٨ ج ١ من هذا الكتاب .

(٣) القمود السلافة

(٤) القمود بذلك الصولة البيزنطية . ويلاحظ أن الخطاب يشير إلى البيزنطيين بهذا

« الاغريق المسيحيين » .

(٥) أي البيزنطيين .

قد استولى أولئك انتم على كل البلاد الواقعة بين بيت المقدس وبلاد
الافريق . إذ امتلكوا بلاد اليونان كلها ، بما في ذلك أجزاؤها العليا ، وهي
كبادوكية الصغرى ، وكبادوكية الكبرى ، وفريجية ، وبشقية ، وفريجية الصغرى
أى طرواده ، وكذلك بختش ، وغلاطية ، وليدية ، وبشقية ، وأيسورية ،
وليكية ، وجزائر جبوس وميليتا الرئيسية . كما وضعوا أيديهم على مناطق وجزائر
أخرى حتى تراقية ، وغير هذا وذلك ما لا يقع تحت عدد أو حصر . ولم يبق الآن
قريبا سوى القسطنطينية .

لذا استخفك بحجة الله ، وباسم جميع السبعين الافريق ، أن تمد لنا
والمسيحيين الافريق يد العون والمساعدة ؛ وذلك بتقديم جميع الجهود المسيحية .
من كبير وصغير ، فضلا عن العامة من يلقى بعضهم من بلادك ...

وبناء على ذلك ، يجب أن نحاربوا بكل ما أوتيناه من قوة وشجاعة لبل
سقوط القسطنطينية (١) . وسنحاربون ويكون لكم في السبأ أجرا عظيما .
ومن الأمل أن تكون القسطنطينية في حوزتكم وليس في لجنة الأتراك ،
لأن بها الأمن آثار السيد ، وهو الصليب الذى صلب عليه ، والسوط الذى ضرب
به ، والرداء القرمزى الذى ألبسوه إياه وتاج الشوك ... وكذلك الملابس التى
زهدت عنه أمام الصليب ، وقطعة كبيرة من خشب الصليب الذى صلب عليه ،
ورأس يوحنا المعمدان وخصلات شعره بأكلها ولحيته ، فضلا عن بقايا
أجساد كثير من القديسين ...

فإذا لم يحضرهم (٢) كل هذا القتال ويفضلون عليه اللعب ، فغرف يهدونه

(١) الحديث هنا موجه إلى أهل الغرب .

(٢) للصوص أهل الغرب .

في هذا المكان أكثر مما يوجد في العالم كله . فكنائس القسطنطينية ملأى بكنوز
من الفضة والذهب والحلي والأحجار الكريمة والمنسوجات الحريرية التي تستخدم
في صنع الأردية والملابس التي تكفي جميع كنائس العالم ...

سارعوا إذن بكامل رجالكم ، وحاربوا بكل ما لديكم من قوة حتى لا تفزع
كل هذه الكنوز والثغاس في أيدي البجائنة والأتراك^(١) . إذ ينتظر وصول
مستين ألفا منهم بين وقت وآخر ...

ولله الأسباب بحسنة ، إعملوا قبل فوات الأوان كيلا تفقدوا ما كنتم
مسيحية ، وما هو أهم وأعظم قبر المسيح^(٢) . وسوف يكون جرائكم ليس
الديونة في هذا العالم وإنما ثواب الآخرة عند الله .

[نهاية الخطاب]

(١) أنظر ملحة « الأتراك » لبارتولد Barthold في دائرة المعارف الإسلامية ،
وكذلك مادة « السلاجقة » لمونتيا Houtsma في دائرة المعارف البريطانية .
(٢) يعرف أيضا باسم كنيسة القبلة والحجر القدس .

الملحق الثاني

رواية المؤرخ اللايتني فوشيه ده شارتر
عن الظروف التي دعا فيها البابا الروماني
أربان الثاني إلى مؤتمر كليرمون الكلسي
في نوفمبر ١٠٩٥ . (١)

في سنة ١٠٩٥ ميلادية كان هنري الذي يلقب إمبراطورا يقض على أخته
الحكم في ألمانيا ، وكان فيليب آنتد ملكا على فرنسا . هذا ، بينما أخذ الفساد
يتغلغل في كافة أنحاء أوروبا ، الأمر الذي تسبب في تزعزع العقيدة المسيحية .
وكان يشرف على مدينة روما في ذلك الحين البابا أربان الثاني . وكان رجلا كفء
حسن السيرة والخلق . وقد أبدى هذا البابا مهارة ونشاطا فائقين في إدارة شؤون
الكنيسة المختصة ، كما بذل قصارى جهده لتعرض بها .

وكان البابا يدرك هذه الأمور . اتد لاح أن العقيدة المسيحية أخذت تصير
بخطى واسعة نحو التدهور والاضلال على أيدي الجميع من دجله الدنيا والدين ،
عندما طرح أمراء الإقطاع جانبا فكرة السلم ، وأصبحوا في قتال مستمر بعد
أن وقع الخلف بينهم . وكانت خيرات الأرض غنبا لظلمهم . وأمرا الكثيرون ،
وكبارا بالأغلال والتي بهم في ضياع السجون ، ولم يستردوا حريتهم إلا بعد
أن دفعوا الثمن غالبا ، والاكثروا يمرضون لمختلف أنواع العذاب التي لا يمكن
تصورها . ومات كثير من الناس بسبب ما طسوه من شدة الجوع والعطش
وما حانوه من قوة البرد ووطأة الإرهاق (٢) .

(١) هذه هي الترجمة العربية لتمر اللايتني تلامن « مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية » .
أختر . Foucher de chartres, Gesta Francorum Iherusalem
Peregrinantium (1095 — 1127), ed. R. H. C. — H. Oco., III,
Paris, 1866 (p. 311).

(٢) أنظر ماسبق ، ص ١٧٥ — ١٧٨ من هذا الكتاب .

هذا ، وقد غرقت الأماكن للقنصة ، وأحرقت القرى والأديرة ، ولم يسل أحد من الأذى . وأصبح كل ما يتصل بأمور الدين والدنيا محلا للخرقة . وبلغ البابا أن الأتراك أخذوا من المسيحيين الاغريق بعض المناطق الداخلة في نطاق العالم الروماني ،^(١) وأخضعوا هذه البلاد لحكمهم بعد هجوم مدمر عنيف . ونتيجة لذلك أودى البابا في ماطفته الدينية وحلت فيه إرادة الله . فبحر الجبال ونزل في بلاد الفلك^(٢) حيث عقد مؤتمرا دينيا في مدينة يطلق عليها اسم كليرمون^(٣) . وكان قد دعا إلى هذا المؤتمر سلفا من طريق مندوبين وسفراء من قبله كان قد بعث بهم إلى كل مكان^(٤) .

(١) المقصود الامبراطورية الرومانية الشرقية .

(٢) المقصود هنا أي فرنسا .

(٣) أورد حطاب البابا أوربة من المؤرخين المسيحيين المعاصرين له في موضع هذا شارتر ، وروبرت الزاهب ، وبودري ده بورجى ، وحيبرت ده نوجل . وهناك مؤرخ خمس مائة سيمامو وليام مانتيسورى ، أثبت اشتباها بعد فراه غلابيس سنة من تاريخه . انظر : William of Malmesbury, Gesta Regum (ed. W. Stubbs,), Rolls Series, 2 vols, London, 1887-9, cf. Vol. II, 393-8. الأربعة الأولون المطابحين كما لو كانوا قد حضروا المؤتمر وعلموا ما دار فيه . وأما بودري أنه حضر المؤتمر ، وإن كان كل من بودري وحيبرت قد ذكر أن ما أوردته عن الخطاب قد لا يكون هو النص الحقيقى . والواقع أن النصوص الحقة بالخطاب اعتقدت على بعضها اختلافات . وقد حاول مؤثرونا نقد وتحليل هذه الاختلافات في محاولة مدققة متور على النص الأصلي للخطاب ، وذلك بتجميع النقاط التي اختلف المؤرخون عليها . انظر : Munro, "The Speech of Pope Urban II at Clermont", cf. the American Historical Review, Vol.—XI, 231 ff. ويقولون مسمى رانسيك أنه من التوسع أن يكلام هؤلاء المؤرخين الحقة قد دون الحقة التي اعتد أن البابا قد ألقاها في كليرمون ، بعد أن أصاب إليها من عنده بعض الخيل الخفايا ، ومن هذا انظر : Runciman, op. cit. وذلك من ذلك 1, 108 n. 1.

(٤) مما ينبغي مذكرات البابا أوربان الثاني قبل مؤتمر كليرمون ، انظر .

Chalandon, Histoire de la première Croisade, 19-22.

الملحق الثالث

مقتطفات من كتاب «الالكسياد»
ترجمته الأديبة آن كومنين (١).

دوافع العدوان الصليبي :

... ولم يسكد الإمبراطور [أي الكيسر كومنين] بتمتع براحة قصيرة حتى بلغه أن جيوشا فرنجية لا عد لها ولا حصر على وشك الوصول . وقد تملكه الرعب لمقدم هؤلاء القوم لما كان يهرقه عن حلابهم في الهجوم ، وما يسمعون به من التقلب وعدم الثبات ، فضلا عن خصالهم الفريية الفطرية الملازمة لهم والتي كانوا يتميزون بها . وكان يعرف عنهم حبيهم الدائم للمال . ويبدو أنهم كانوا على استعداد لشكك مهودهم وقطنهم إذا كان هناك سبب يدعوهم إلى ذلك . وكثيرا ما سمع الإمبراطور كل هذا يروى عنهم ، وقد تأكد من صدقه وصحته . ومع ذلك لم يتملكه اليأس ، ولم تزداه شجاعته ، بل أعد نفسه لمواجهة كافة الاحتمالات حتى يسكون على استعداد لنزالهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك . أما المخاطر الثابتة فقد كانت ، في واقع الأمر ، أشد هولاً مما أشيع عنهم . ذلك أن أهل الغرب كله ، وكذلك قبائل المتبربرين التي تقطن فيما بين أقصى الأدرياتيك ومهودا هرقسل (٢) - قد نزحوا في كتل متراصة متفرقة أوروبا صوب آسيا ، معطمين معهم في رحلتهم هذه عائلاتهم وذويهم .

(١) أنظر : Anna Comnena, The Alexiad, English Trans. by Elizabeth A.S. Dawes, London, 1928 (pp. 248-268).

(٢) حاجيل طارن ومشر .

رحلة بطرس التاسك إلى القسطنطينية :

ويمزى هذا الطوطان البشرى ، في قليل أو كثير ، إلى الأسباب التالية .
ذلك أن أحد الفريجة ويدعى بطرس ، ويقب على جبل السخرة ، بطرس
الطرطور ، (١) . كان قد ذهب لتعبد عند القبر المقدس . وبعد أن قامى الكثير
من المحن والأموال على أيدي الأتراك والعرب الذين عاثوا في آسيا ، قفل هالدا
إلى بلدته بعد معقة كبيرة ، وقد ضايقه إخفاؤه في تحقيق بنيته ، وأراد القيام بنفس
الرحلة مرة ثانية . وأدرك أنه يجب عليه ألا يذهب بمفرده إلى القبر المقدس
خشية أن يلحق به أذى أو يصيبه مكروه . لذا دبر خطة مأكرة ثيمة ،
مفادها أن يفتر في جميع المدن اللاتينية بأن صوت الله يأمرني بدعوة جميع نبل
فرنسا لترك ديارهم والتوجه لأداء فروض العبادة عند القبر المقدس ، وأن يجب
الجميع قلبا واحدا وبدا واحدة لتخليص أورشليم من قبضة الأتراك . وقد
نجح في ذلك نجاحا كبيرا . وبعد أن أثار النفوس والمشاعر بهذا النداء شبه
المقدس ، أهد القادة بحيث يتجمع الفرنج من كل حذب وصوب ، الواحد إثر الآخر ،
ومعهم الأسلحة والخيول وكل معدات الحرب ولوازم القتال ، وقد ملائهم
القوة واستبدت بهم الحراسة لقتال حتى ازدحم بهم المسالك والطرق .
وانضمت إلى هؤلاء الجنود من الفرنج جماعات أخرى بغير سلاح ، وقد فاق
هدمها دمال البحر ونهم السماء (٢) . ووضع الجميع الصليبان فوق أكتافهم ،

(١) هو بطرس التاسك ، وقد تناول سيرته وأصله وحياته المكره في شيء من التصيل
الفرنج حاسبير في كتابه : Hagenmeyer, H., Le Vrai et le Faux sur :
Pierre l'Hermitte, trans. by Farcy Raynaud, Paris, 1883, 17-63.
كذلك تعرض الفرنج البرت دكن خمسة بطرس الشبية في شيء من الإسهام . أظهر عن
ذلك كتاب : Runciman, op. cit., I, 121 n. 1.

(٢) تناولتوهي أولمبورج رواية آن كوسين عن بطرس التاسك بالتفصيل . أطر
Z. Oldenbourg, Croissades, 82-3.

وحلوا سيف التحل. كذلك تركت القسوة والأطفال أوطانها وانصمت إلى هذا
الرحف. وبدأ منظرهم كأنهار عذبة وقد تدفقت مياهها بهذه من كل
جانب ...

... وعندما بدأت الأفراج الأولى من هذه الانجاعات في مجرى سهل الجارديا
متفرقة، استدعى الإمبراطور [البيزنطي] عددا من قادة الجيش الروماني، ثم
بعث بهم إلى ضواحي دورانيوم وقالوا بعد أن رزقهم بتعليماته التي تنص
بالترحاب بالفرنج الذين عبروا أراضيهم واستقبالهم استقبالاً حسناً. كما طلب إليهم
أن يجمعوا كليات وافرة من الكون من كل المدن التي يمرون بها، وأن يقوموا بعد
ذلك بتعقب أولئك الفرنج ومراقبتهم طوال الوقت دون أن يجهلوا يسرعون
بهم. أما إذا عاثوا في البلاد فساداً أثناء الطريق، فعلى هؤلاء الرجال الكشف
عن حقيقتهم واستخدام القوة لجرم ودفعهم. وقد صاحب هؤلاء عدد
من الرجال الذين يجيدون اللسان اللاتيني، للعمل على تسوية أي نزاع قد ينشب
بين الفرنجين.

هود إلى دوافع المدون السليبي :

... ولم يحدث أن سجل التاريخ مثل هذا الطوفان من الرجال والنساء.
وكانت تدفع المذبح والبسطة والرغبة الحقيقية في التسبب عند قبر السيد وزياوة
الأممكي المقدسة. أما دور القطة والحيلة والعباءة، وبخاصة شخص مثل
بوهيموند ومن على شاكلته، فكان يدفعهم غرض آخر شنيء ألا وهو محاولة
الاستيلاء على العاصمة (١) نفسها أثناء الرحلة، كما لو كان هذا العمل أمراً متروكاً

(١) الأسود المستطية، وقد كشفت اللجنة السليبية الرابطة عن أطلال اللاتين بها.

على رحلتهم هذه . وقد أثار بوهيست صقول كثير من القبلا ، مدلا بذلك على
حقنه التدين على الامبراطور .

بطرس الناسك وعذبة نيقية :

... .. وبعد أن قام بطرس الناسك بتبليغ رسالته ، عبر سهول لمبارديا
قبل أي شخص آخر . واشترك معه محامون ألف من المشاة ومائة ألف من
الفرسان (١) ، ووصل العاصمة عن طريق بلاد الجمر . ويرى البعض أن الجيش
الفرنجي يسمى بطيحه الحاد ، فضلا عن تهوره وإنفاقه الشديدين . وعندما يتصعب
لقضية أو لفكرة ما سرعان ما يفقد سيطرته على نفسه .

ولما كان الامبراطور يعلم ما سبق أن فاسد بطرس على أيدي الأتراك ، فقد
أصحح بالانتظار ريثما يصل باقي القبلا . ولكن بطرس لم يستمع إليه ، معتدنا
في ذلك على تلك الجروح الغفيرة من أتباعه . لذا عبر المصيق (٢) وأقام معسكره
بالقرب من مدينة صغيرة تسمى طينو يوليس . وتبعه النورمان البالغ عددهم
عشرة آلاف ، ولكنهم انفصلوا عن باقي الجيش وأعملوا التخريب في المدن
المحيطة بمدينة نيقية . وكان مسلحهم يتم من وحشية فاق كل وصف . إذ قتلوا
أطراف بعض الأطفال ، وثبتوا البعض الآخر على ألواح خشبية وقاموا بفهم
على النار ، وأزروا شتى صنوف العذاب بالمقدمين في السن . وعندما شاهد أهالي
نيقية هذه التصرفات فتحروا أبولب مدينتهم واندفعوا نحوهم حيث اشتبكوا
معهم في معركة عنيفة قتلوا بعدها عاتدين إلى قلعهم بسبب ما أبداه النورس
من شجاعة فاقته أثناء القتال . وهكذا فتم الفرنج جميع الأسلاب ، وقملوا

(١) هذا العدد يتراوح فيه إلى حد كبير . أظن ما سبق ، من ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) البخور

عائدين إلى مدينة هليوبوليس . وكلماتهم دائماً ، مرطبان ما تشب الزاح بينهم وبين أولئك الذين لم يشتركوا معهم في المعركة . فقد اشتعلت قلوب الذين تخلفوا عن القتال حسداً وشيعة . وقبيل هذا في قيام حدام بين الفريقين انسحب بعده النورمان المشهورون بسلامهم . ثم زحفوا على مدينة تدعى كسريهوردوس واستولوا عليها .

وعندما علم السلطان [السلجوقي] بما حدث ، أرسل إليهم أحد رجاله ويدعى إلخان Elchanes على رأس قوة كبيرة . وقد تمكن من استعادة المدينة ، وأهل السيف في عدد من النورمان ، كما أسر البعض الآخر . ثم وضع الخطط الكفيلة باصطياد الذين تخلفوا مع بطرس الناسك . إذ نصبه إلخان في مواقع مختلفة بقصد الإيقاع بالقادحين من المعسكر الفرنجي في اتجاه مدينة نيقية ، فيلقون بذلك حشدهم . ولما كان السلطان يعلم أن الفرنجة ، فضلاً عما تقدم ، قوم جشعون عجوزون لئال ، فقد بحث في طلب اثنين من رجاله الأذكياء ، وأمرهما بالتوجه إلى معسكر بطرس وإطلاق إشاعة مفادها أن النورمان قد استولوا على نيقية وأنهم يقومون بتقسيم ما وجدوه بها [من خنائم وأسلاب] على أنفسهم . وعندما شاع هذا النبأ بين أتباع بطرس أذهبهم أيعا [ذعاج] ، فقد كان لكلهم ، التقسيم ، و المال ، و دهن غريب في أذانهم (١) . فالتجعت جموعهم في غير نظام إلى نيقية دون أي تقدير لقدرة العسكرية ، ودون إعداد أنفسهم إعداداً سليماً للمعركة ؛ وهذا أمر أساسي وبدهي بالقبة لأولئك الذين يستمدون لحوض غمار معركة ما . فاللاتين - حسب أسلفتنا - قوم عجوزون لئال ، وبصفة خاصة إذا كان الأمر يتعلق

(١) يلاحظ أن الأبيوة البيزنطية تركز بشكل واضح على بيع اللاتين الغربيين ولطفهم على احتجاز لئال . وتكرر هذه الفكرة في أكثر من موضع في كتابها .

بغزو مدينة ما . عندئذ يفتقدون وعيهم وسيطرتهم على أنفسهم . وهكذا رحلوا دون ترتيب صفوفهم وإعداد فرقهم ، وكانت النتيجة أن وهوا في السكائن التي نصبها لهم الأتراك بالقرب من نهر دنا كون ، وقتلوا وهم في حالة يرثى لها . لقد ذهبت أعداد كبيرة من الفرنج والنورمان ضحية سيوف السلاجقة ، حتى أن الأتراك عندما كرموا جثث القتلى الملقاة على جانبي النهر لم تكون تلاكيبدا أو رابية مرتفعة أو قمة عالية ، وإنما كونت جبلا شاهقا ذا غور والساح شديدين . وكل بعض ضخامة هذا الحرم المكون من عظام القتلى ...

وهكذا وفوا جميعاً ضحية السيف . ولم ينج منهم سوى بطرس ونفر قليل من أتباعه قتلوا عاتدين إلى هليوبوليس . ونصب له الأتراك كينا جديدا بنية أسره . وعندما تلقى الإمبراطور معلومات أكيدة بما حدث ، وبعد أن بلغه أمر تلك المذبحة الرهيبة ، عنى أن يكون بطرس قد وقع في الأسر . فاستدعى أحد رجاله ويدعى قسطنطين كثا كلون إيرفوريينوس وزوجه بقرة كبيرة أجمرت على ظهر سفن حربية عبر المضيق لإيقاد بطرس . وما أن شاهده الأتراك حتى ولوا هاربين . وفي الحال انتقل قسطنطين بطرس وأتباعه الذين كانوا أقل ، وماد بهم سالحين معانين إلى الإمبراطور . وأخذ الإمبراطور يذكره [أى بطرس] بطيفه والنعاه ونموه ، وأن الكوارث التي حلت به كانت بسبب هتم أخذه بنصيحت . ولكن بطرس ، ذلك اللاتى الحديث للتطرس ، لم يعترف أنه السبب فيما حدث ، وألقى اللوم على الآخرين متعللا بأنهم لم يستمعوا إليه ، بل انصاعوا وداء رغباتهم وشهواتهم . وانهمم بأنهم نصوص وغربون وأن السيد لن يسمح لهم بالسجود عند قبره المقدس .

يوهينند التروماندى ومواقع الحركة الصليبية :

وقد وجد بعض اللاتين أمثال يوهينند ومن هم على شاكلته ممن كانوا

بطلعمون في الإمبراطورية الرومانية^(١) ويريدون الاستيلاء عليها - أقول وبعد
حوالا. دومة يتعاملون بها في تشير بطرس الناسك بالحلقة حسب أسنفا. وخذعوا
بسطاء العقول، وتسيبوا في قيلم هذا الطوفان البشري المائل، وباعوا ممتلكاتهم
بحجة توجيههم لتخليص القبر المقدس من قبضة الأتراك ...

هيموج ده غيرماندوا يؤدي بين التسعة بين يدى الإمبراطور البيزنطي :

... وقد استقبله الإمبراطور [البيزنطي] استقبالا حافلا ، معربا له من
صداقته ، مبدقا عليه الكثير من المال . وهكذا أئتمه بأن يصبح رجلا
الإمبراطور ، ، وأن يؤدي له اليدين المألوف لدى اللاتين ...

جود لرى ده بويون دوق اللورين السفلى والكسيس كومنين :

... وحوالى ذلك الوقت قام جود لرى^(٢) وبوغفته عدد كبير من النبلاء
وجيش يتألف من عشرة آلاف من الفرسان وسبعين الفا من المشاة ، ولما وصل
العاصمة ترك جيشه بالحرب من مصيق البسفور ... وهناك استقبله الإمبراطور
لكى يعبر المضيق ، ترك الأيام تمر تباعا ، وأخذ عاظم من جانبه و إجابته إلى
طلبه متملا بسبب أو بآخر . والحقيقة أنه كان ينتظر وصول بوجيمند وباني
النبلاء ، وعلى الرغم من أن بطرس [الناسك] عندما قام بهذه الرحلة الكبيرة

(١) نرى الإمبراطورية الرومانية الشرقية أى الدولة البيزنطية .

(٢) وصف المرت دكس رحلة جود لرى إلى يرفطة ومقا تخلصا سها في مؤلفه . أطر :
Albert d'Aix, R.H.C. H.Occ., IV, 299—305.

وبلاحظ أن الصادر الاعريقة لم تعرض لهذه الرحلة . وفيما يتعلق بوقت دوق اللورين
من الكسيس كومنين ، يقدم مؤلف كل من كد كومنين والبرت وحكس أوى ما جاء هذا
المحورس - أطر . Albert d'Aix, 305—311 . ويذكر شاليدون في كتابه « تاريخ
الحمة صبية الأولى » أن رواية الكانة البيزنطية تفضل رواية المرت دكس ، كما أنما أذكر
إنعاما ، ويمكن قلبا حرف الخطر من مبالتها في وصف قوة جيش جود لرى . أطر .

F. Chalandon, Hist. de la Première Croisade, 119 sqq.

إنما كان يستهدف زيارة القبر المقدس ، إلا أن باقى النبلاء ، وعلى رأسهم يوهيمند الذى كان يعتقد على الإمبراطور ، كانوا يتعينون الفرصة للانتقام منه بسبب ذلك النصر الباهر الذى سبق أن أحرزه ضد يوهيمند فى القتال الذى دار بينهما عند مدينة لاوسيا . وقد وافق باقى النبلاء على الخطة التى رسمها يوهيمند . ولما كانت الآمال تداعبهم فى الاستيلاء على العاصمة ، فقد استقر رأيهم على التظاهر بأن هدف رحلتهم هو البيت المقدس ، بينما كانوا يعملون فى الواقع إلى خلع الإمبراطور والاستيلاء على العاصمة ..

... وفى اليوم التالى توجه هيرج إلى جودفرى فاصحاه إياه بالإذعان لرغبة الإمبراطور حتى لا يتعرض لتجربة ثانية يلقه فيها الإمبراطور درساً فى مدى مقدرة العسكرية . وأشار عليه بأن يؤدى بين يديه عين الولاء . ولكن جودفرى صفه بهذه قائلاً : « أنت يا من قدمت من بلك بأختيارك سيداً تلك ثروة هائلة وجيشاً كبيراً ، أذاك الآن تنزل بنفسك من هذه المكانة السامية التى تشتمع بها إلى مصافى القبيح والافتان . والآن . . . أنصحنى أن أعمل نفس الشيء الذى فعلته أنت ، كما لو كنت قد أحرزت كسباً عظيماً ، فأجابه الآخر قائلاً : وكان يجب عليا ، إذن ، أن نبقى فى ديارنا ، وألا نتدخل فى شئون غيرنا الحادجية . ولكن طالما بلغ بنا الأمر هذا الحد ، فقد أمسينا فى أشد الحاجة إلى حماية الإمبراطور لنا . وسوف تتطور الأمور فى غير صالحنا إذا لم نرضخ لمطالبه . . . ولكن جودفرى صرف هيوچ دون أن يصل الاثنان إلى نتيجة ما ، هذا ، فى الوقت الذى بلغ فيه الإمبراطور قرب وصول النبلاء [الثلاثة] . فأنفذ عدداً من قواده على رأس قواتهم ، وأوصاهم بمحاولة إسداء النصح لجودفرى بهجره المصيق ، مع إجباره على عبوره إذا استلزم الأمر ذلك . وما أن أبصر الثلاثة أروك القوم حتى استمدوا الحرب والقتال فى دعوة ودون أن يبرئوا

دليقة واحدة أو يستفسروا منهم عن حقيقة مهمتهم. رفضت معركة حامية بين الفريقين سقط فيها عدد كبير منهما... وقد تراجع اللاتين أمام الشجاعة التي أبدتها القوات الامبراطورية أثناء القتال. وكان من أثر ذلك أن باءر جودفري بالإذعان لمطالب الامبراطور. فتوجه إليه حيث حلق اليمين الذي طلب منه ، وفعوا أنه يجب عليه المبادأة بإعادة جميع المدن والبلدان والقتلاع التي استولى عليها، والتي كانت فيما مضى في حوزة الامبراطورية الرومانية، إل المنتوب الذي سيوفده الامبراطور لهذا الغرض. وبعد أن أدى القسم أهدق عليه الامبراطور مبالغ طائلة ، ثم دماه إلى قصره وأقام له وليمة فاخرة. وبعد ذلك هجر جودفري المضيق حيث صكر بالقوب من مدينة بلسكان^(١). حيث أصر الامبراطور ثعلبائه بإعدامهم بكميات وافرة من المؤن والأقوات...

تبلاء الفرنج يؤدون بين التبعة والاعلاص للامبراطور :

... وقدمت بعده جموع أخرى غفيرة تنتمي إلى أجناس مختلفة ، وقد تجتمعت من كافة المدن الفرنجية ومعها قادتها وملوكها^(٢) ، لتعلا من الدوقات

(١) موقع مدينة بلسكان غير معروف على وجه التحديد. ويذكر ليب Raimond في طبعته لكتاب الألكبيد أنها تقع على بعد حوالي ١٦ ميلاً غرب نيقوميديا. بينما يقول واسزي Raimond في مؤلفه القسي و جغرافية آسيا الصغرى التاريخية ، أنها تقع بالقرب من مدينة حلفديونية. ويضع عما أوردته أن في كتابها أنها قريبة من بحر النهر المؤدي إلى قلعة كيمبوت ، وأنها في موقع يحلها على صلة بالساسنة البيزنطية. هذا ، ووفقاً لرواية السكابة الارمنية ، استغل الكيسس الصليبين بعد سقوط مدينة بقية في مدينة بلسكان. مما جعل هذه الآراء ، وتزيد من الغموض حول موقع بلسكان ، أنظر :

Runciman, Crusades, I, 152 n. 1.

أنظر أيضاً موقع المدينة على الخريطة رقم ١ ص ١٦٣ من هذا الكتاب.

(٢) المروف أن الحملة العلية الأولى هي الحملة الوحيدة التي لم يترجمها ملوك بسط ظروف الحرب الأوروبية وقتها ، التي حالت بين ملوك الغرب وبين الاعتراف فيها. أنظر من ١٢٦—١٢٧ من هذا الكتاب.

والكائنات والأساطفة . وأرسل الامبراطور وجالا من قبله لاستقبالهم استقبالا حسنا ، وقد طلب منهم أن يقدموا بتقديم مساعدات مناسبة لهم . والحقيقة أن الامبراطور كان ماهرا في إعداد قسمة لكافة الاحتمالات ، وفي سرعة التصرف في الوقت المناسب . فأصدر تعليماته إلى عدد من الرجال الذين حينهم لهذا الغرض بإمدادهم بالموثوق والاقوات خلال رحلتهم ، حتى لا يجدوا ذريعة يشترطون بها للاحتكاك به . وذهب الصليبيون مسرعين نحو العاصمة . ويمكن تشبيههم بنجوم السماء والرمال المتكدسة عند شاطئ البحر . فقد كان عدد هؤلاء الرجال الذين أمرهم صوب القسطنطينية - حسبما يقول هوميروس - مثل ، أوراق الفصح والأزهار في فصل الربيع . . وليس بوسع سرد أسماء القادة وإن كشفه أود ذلك ، إذ سيصبح يباقي بسبب فهم استطاعوا نطق هذه الأسماء الغريبة التي يصعب نطقها . (١) هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى بسبب كثرتهم العديدة...

وكان الامبراطور شديد الرغبة في أن يؤديوا له قسمة الذين الذي أداء جوهرى . ولهذا دعاهم فرادى ، وأخذ يتحدث إلى كل منهم حديثا خاصا أوضح فيه رغباته ومطالبه . واستخدم قوى التمثل منهم ليقوموا بدور الوسطاء بينه وبين المنبشرين . ولكنهم رفضوا إجابته إلى طلبه ، إذ كانوا يشترطون وصول بروميسند . وتطلوا بأسياب عديدة لتتخلص منه ، كأن يتقدموا دون اقتطاع بمطالب جديدة لا أول لها ولا آخر . وأدرك الامبراطور لأول مرة ما يرمون إليه من دولة أهناهم الزلعية ، وأجبرهم على حلف قسمة الذين الذي سبق أن أداء جوهرى مستخدما كافة الوسائل لتحقيق بغيته . ثم أرسل

(١) سول عدم مرة أن كومتين أسماء الفرنجة . أنظر :

Runciman, op. cit., I, 153 n. 1.

و طلب جودفرى من مدينة بلكان الواقعة قيا وراء البحر حتى يكون متواجدا عند أداء اليمين . وهكذا اجتمعوا كلهم ومعهم جودفرى .

وبعد أن أقسموا جميعا اليمين للطالب ، تقدم أحد النبلاء المخاضرين وجلس على العرش . ولكن الامبراطور تظاهر بعدم رقبته ولم يلبس بكلمة واحدة ، إذ كان يعلم أن اللاتين قوم متطرسون متكبرون . حينئذ تقدم من هذا الشخص الكونت بلديون وجذبه من يده ، ثم سحبه من مكانه وأخذ يربحه بمنطق قائلا : « لقد أخطأت يا قائدك على مثل هذا التصرف هنا ، وبخاصة بعد أن أدبت اليمين الامبراطور . إذ ليس من عادة أباطرة الرومان السماح لرجالهم بالجلوس إلى جانبهم على العرش . ويجب على أولئك الذين يصبحون أنباها خصمين لجلالته . مراعاة تقاليد البلاد وعاداتها » . ولم يرد الكونت على بلديون ، ولكنه أخذ يتطلع إلى الامبراطور في حدة ، ثم تمنى بضحكات بلنسة بلاده قائلا : « ألا فانظروا ! هاكم مخلوقا يبنى جالسا بينما كل هؤلاء قادة النظام واقفون من حوله » . ولم تقب من الامبراطور تسمية هذا اللاتينى ، فاستدعى أحد الزاجرة من صبيدون هذه اللغة مستفرا منه عن مضمون أقواله . ولما عرف لمحوها لم يقل شيئا لهذا اللاتينى فترة من الوقت محتفظا في دخيلة نفسه بما يريد قوله . وعندما استأذن التلاء من الامبراطور في الانصراف ، استدعى إليه هذا اللاتينى المنتظر من الجرى وأخذ يستقر منه عن يكون ومن أى بلد قدم وإلى أى نسب ينتمى . فأجابه قائلا : « إني فرنجى هريق فى التبل . وكل ما أهرمه أنه يوجد هيكى قديم عند مفارق المدينة التى قدمت منها ، يلتقى هنده كل من يرغب الزلاى فى معركة فردية . وهناك يلتقى الفرد مشاققون من الله و

انظار العنصر الذي سيطلبه التزال . وكثيرا ما آقت في هذا المكان أترقب الخصم الذي سوف أبارزه ، ولكن أحدا لم يهرق على التقدم لثلاثي . . حيث قال الامبراطور ودا عليه : وإن لم تكن قد عثرت على من عاقه متسا كيت تسمى حثيثا إلى ذلك ، فقد حان الوقت الذي يمكنك فيه أن تشيع رغبتك في القتال . ولكنني أنصحك بشدة ألا تبق في مؤخرة الجيش وألا تصدر مقدمة الصفوف . ولكن مكانك وقلب الجيش نظرا لخبز الطويلة ، ومعزتي بومائل الأتراك وأساليبهم في الحرب والقتال . . ولم يكتف الامبراطور بتوجيه هذه النصيحة إليه فحسب ، بل سبق له أن حذر الآخرين بما سوف يحدث خلال الرحلة ، مشفرا عليهم بدم تعقب الأتراك بعيدا إذا ما هيا الله لهم النصر عليهم ، حتى لا ينهبوا ضحية السكان التي ينصبونها لهم .

يوهيمند النورماندي في القسطنطينية :

وعندما بلغ يوهيمند وغريمه من النبلاء البيروسي ، أوضح أنه لا ينبغي من أصل عريق ، وأنه لا يضطرب معه قوة كبيرة بسبب ضرره ، وأن كل ما يعنيه هو كسب ود الامبراطور . هذا ، في الوقت الذي أعنف فيه مشايريه صده . وهكذا ترك وراءه باقي النبلاء ، وتوجه مسرعا صوب العاصمة في صحبة عشرة من المرافق . ولما كان الامبراطور يعلم الكثير عن دسائس يوهيمند وغريمه ، فقد أبدى رغبته في التحدث إليه قبل وصول باقي النبلاء ، والاستماع إلى ما يريد قوله ، مع إقاعه بالعبور إلى آسيا [الصغرى] قبل وصول الآخرين حتى لا يعظم إليهم ويؤثر عليهم . وعندما دخل يوهيمند على الامبراطور . فقبله الأخير مبتسما مرحبا بحيا . ثم سأله عن رحلته والمكان الذي ترك به باقي

التبلاء . وكان بوهيمند صريحا واضحا في إجابته هل تلك الأسرة . وعندئذ أخذ الإمبراطور يذكره مازحا بتصرفاته السابقة في مدينة دورا حيوم وعذاته القديم له . فأجابه الأخير قائلا : « هل الرغم من أنني كنت وقتذاك خضعت وعذوك ، فقد قدمت الآن بحسن إرادتي كمديني لجلالتك . » وتحدث إليه الإمبراطور في أمور شتى ، مستظلا نواياه حياله . ولما أدرك أنه لن يتردد في أداء عين الإخلاص صرعه قائلا : « لا بد أنك متعب من رحلتك ، وبحسن بك أن تلمس لتتال قسطا من الراحة . ويمكننا التحدث غدا في كل ما يفتينا من أمور . . . »

لقد اشتهر الإمبراطور ببنده التي تنحدر إلى الاحجاب في الحكم هل أي شخص ، وفي القمص إلى قرادة نفسه وكشف خبيثة نواياه . وقد كان هل حتى في موقفه منه ، لعله بما كانت تطوى عليه نفسه من حقد وخبث ودهاء

وفي اليوم التال استدعى الإمبراطور بوهيمند وطلب منه أداء اليمين المألوف لدى اللاتين . وصرطان ما استجاب له ، (١) وهو مدرك لظروفه ، فهو لا ينحدر من أصل هرقى . ولم يكن لديه المال الوفير ، كالم تكن تحت إمرته القوات الكافية ، بل قليل من الأنباغ القرنج . ثم أنه كان على اعتماد طبيعته الخفى نفسه وقمض مهده . وبعد ذلك اختار الإمبراطور إحدى الغرف في قصره وفرش أرضيتها بكل أنواع التفاتى وهكذا ملا القرعة بالاردينة

(١) جدير بالذكر أن القورخ اللاتنى البرت ذكره هو الوحيد الذى ذكر أن بوهيمند أدى القسم المطلوب دون رغبة منه وذلك على عكس ما جاء فى المصادر الأخرى . انظر : Albert d'Aix, R.H.C. - H. Occ., IV, 312. ويدعو بما أكدته آن كوينى وما فى المصادر اللاتنية ، ومن سبق الأحداث ونهايتها ، أن ما جاء بكاتب ذكره غير صحيح . انظر ص ١٩٨ و ٢٠٢ من هذا الكتاب .

والدعب والفضة وغير ذلك من التحف التي لا تقل منها قيمة ، حتى أنه كان يتسلل على المرء لسير فيها لكثرة ما بها . وطالب الرجال الذين كلهم بتقديم هذه الأشياء إلى بوهيمند ، بفتح أبواب الترفه أمامه فجأة (١) . وقد اعترت بوهيمند الدهشة عند مرأى هذه الثغائن ، وتجب قاتلا . ولو كنت أملاك كل هذه الكنوز لأصبحت منذ زمن بعيد سيدا على كثير من البلاد ، فأجابته النابح قائلا : وإن الامبراطور يهديك كل هذه الثغائن ، وقد سر بوهيمند لذلك . وبعد أن شكر السامع على الهدايا ذهب لتسريح في المنزل الذي أعد له . ولكن هذا الرجل الذي سبق أن أبدى إعجابه بهذه الكنوز ، سرعان ما غير رأيه عندما أرسلت إليه ، وقال لمن أحضروا الهدايا : ولم أكن أقصود أن يلحق بي الامبراطور مثل هذا العار ، أخذوا هذه الأشياء وأعيدوها إلى ذاك الذي أرسلها ، ولما كان الامبراطور يعرف أن اللاتين قوم متقلبون لا يشتون على رأى ولا يقفون على حال ، فقد تشبه بالمثل الشعبي المعروف : دح المكروه يحمق بأهله ، ولكن لما أبصر بوهيمند الحالين وهم يحزمون الهدايا التي كان قد رفضها مستاء منذ دليمة مضت ، سرعان ما عدل عن رأيه وابتسم في وجه الحالين ، كما تغير الحرباء ثوبها في لحظات . فقد كان في طباعه خبث ولؤم ، كما كان على استعداد لتكليف نفسه وفقا لكانه الاحتمالات . إذ فاق جميع اللاتين الذين قدموا حتى الآن جرأة وحداها ، وإن كان عدتهم عدة ومالا .

.. وهكذا نجد أن هذا الرجل الذي رفض الهدايا بأذى ذى به ، يقبها بعد ذلك بسرور عظيم . فكان مما يحز في نفسه أنه ترك بلاده وهو غافل الوقتين لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، وقد تنظروا بالزغب في زيارة القبر المقدس وإن

(١) أنه كان يريد اختبار الأمير الثورماني وسرقة خفية نواياه عليه .

كان في قرارة نفسه يسمى جليدا لتأسيس مملكة ، والسير على منهاج أبيه ، (١)
باغتصاب الامبراطورية الرومانية نفسها إن استطاع إلى ذلك سبيلا ...

لقد بدّل الامبراطور قساري جهده ليحول دون وجود ما من شأنه أن
يساعد هذا الأمير على تحقيق خطته ومشاريعه الخفية ، وهو يعلم جيدا أن بوهيمند
وجلسي ، الطبايع والحاصل . ولهذا السبب لم ينظر بوهيمند بأمنيته عندما طلب
من الامبراطور أن يمنحه وظيفة « حاكم الشرق الأكبر » . فقد خفى الامبراطور
أن يأخذ بوهيمند باقى التبلد أسرى إذا دأبت له الفرصة ، ثم يجبرهم على تنفيذ
ما يريد . ثم أنه كان يهجم ألا تساور بوهيمند الشكوك في أنه واقع تحت رقابة
مستترة . وأخذ يرأب رغبته ويمنه بالأمال المذبذبة قائلا : « لم يكن الوقت بعد لتحقيق
هذه الرغبات . ولكنك ستفوز بما تنوق إليه نفسك بفضل نشاطك ومسلكتك
وإخلاصك أولا وقبل كل شيء . »

وبعد أن انتهى الحديث ، أحاط الامبراطور الفرنج بمظاهر القرف
والاحترام ، وغرم بالهدايا والمال . وأخذ يتحدث إليهم موجهًا النصح لهم
فيما يتعلق بالصحاب التي ستصادفهم في الطريق . كذلك زودهم بتوجيهاته ،
وأحاطهم علما بأسلوب الأتراك في الحرب والقتال . وأوضح لهم كيف ينظرون
قرايتهم ويرتبون صفوفهم ، كما أشار عليهم بعدم التيادي في تعقب الأتراك بعيدا
عندما يفرون أمامهم . وبعد أن خفف من غلاوتهم وعدا من حدة طلباتهم بما
أعده عليهم من مال ومازودهم به من إرشادات ، أقرح عليهم عبور البسفور
إلى آسيا [الأخرى] ...

(١) روبرت جويكار صاحب الأملح المعروفة في الدولة البيزنطية . والفرد من
المعلومات عن الحرب الرومانية بين جويكار والشكيس كوتين . أخر :

ريمون ديه سان جيل والكسيس كومنجن :

وكان الامبراطور يود كونت سان جيل (١) بصقة عامة لحكته العاقبة وإخلاصه الحقيقي وبقاء سريره . وقد اعترف بأنه ما كان ليضع شيئاً فوق الحق ، وأنه يذبح جميع اللاتين كما يذبح الشمس لعموم السبل . ولهذا السبب أبقاه إلى جانبهم بعض الوقت . وقد استأذن جميع النبلاء في الانصراف ، وذهبوا مضيق البسفور حتى بلغوا مدينة دماليوم . وحيث تنفس الامبراطور الصعداء ، نظرا للاضطرابات التي تسببوا في حدوثها . وكثيرا ما كان يمتدح في طلب سان جيل ليوضح له ما يتوقع أن يحدث لللاتين خلال الطريق . كذلك كشف له عن شكوكه وأرائيه في نوايا الفرنج . وكثيرا ما ردد هذه الأقوال على مسامعه ، كما فتح له مغاليل نفسه . وبعد أن أوضح له كل الأمور ، طلب إليه مراقبة بوهيمند وكبح جماحه إذا ما حدث بفسه ، مع السبل على احتياط مشاريبه وخطئه بكل الطرق والوسائل . وأجابه سان جيل قائلا : لقد ورث بوهيمند القدر ونسك اليهود من آباءه وأجداده ، وستكون ممجزة حقاً إذا بر بفسه . وهل أية حال ، سأبذل قصارى جهدي لتنفيذ أوامرك . وبعد أن استردع الامبراطور ، ذهب ليلحق بالجيش الفرنجي ...

الاجيلاء على نيقية :

... وكان الامبراطور يود الاشتراك مع الفرنج في قتال الأتراك ، لكن أعدادهم النغيرة كانت معدودات وفرح بالنسبة له . ورأى أنه من الأفضل التوجه

(١) أشار إلى رحلة ريمون إلى السلطانية بتفصيل واسهاب مؤرخ حياته ريمون داجيل . ونسخت روايته من خط ومسارة زائدين من جانب اللاتين ضد البيزنطيين . أنظر : Raimond d'Agiles, R.H.C.---H. Occ., III, 235-8.

إلى مدينة بلكان الغربية من مدينة نيقية ، والانتظار بها حتى يكون على علم
بمسيرات الأمور والأحوال أولا بأول كما أدرك بنائب نظره أنها ستكون
عسيرة قاسية إذا أخفق في إحراز نصر عسكري . وكان يود الاستيلاء على نيقية
دون مساعدة من جانب الفرنج إذا ما واثق الفرصة لتحقيق هذا الغرض ،
وذلك حتى لا يتسللها من الفرنج بموجب تعهداتهم له . ولكنه أخفى خطته
على الكتبان ، وأرسل أحد خواصه بمن يثق فيهم ويدهى بواو مايت
Butumites في محاولة مدنها الاستيلاء على نيقية ، وهي أن يعد أهلها ، الألمان
وأن يعمل في نفس الوقت على إثارة عداوتهم ضد الفرنج بما سوف يخاسرونه على
أيديهم إذا وقعت المدينة في قبضتهم ...

الملحق الرابع

مقتطفات من خطاب الكونت اتين
صاحب شارتر وبلوا الذي بعث به من
الشرق الى زوجته الكونتيسة أديل في
الغروب الأدوبي . (حرو من مذكر
الجيش الصليبي بالقرب من مدينة بيلية
في ٢٤ يونيو سنة ١٠٩٧) (١) .

من الكونت اتين الى حبيبته وزوجته الكونتيسة أديل . . وصلت بحمد
الله وسلامته الى مدينة القسطنطينية ، وكان فرحى رائدا وسرورى عظيما . ولقد
أحسن الامبراطور (٢) استقبالي وأكرم وطاقني وعاملني كما لو كنت ابنا له . كما
أعقد علي الكثير من الهدايا النفيسة . كذلك كنت موضع ثقة الامبراطور
ومحبته أكثر من أى شخص آخر في جيش الله ، سواء أكان ذلك الشخص دوقا
أم كونتا أم أحد النظار . لقد أُلح علي جلالة ، وما زال يلح ، بأعزيتي ، هل أن
يكفل أحد أبنائنا وأن يتبناه . . .

حقا لا يوجد تحت قبة السماء من هو أعظم منه . فقد غمر جميع رؤسائنا
بالمح والهدايا ، وكذلك فعل مع كل فرساننا ، كما أطعم جميع الفقراء . ويوجد
علي مقربة من مدينة فيقية قلعة تسمى كيفيتوت ، وبالقرب منها منيق بحر

(١) هذه هي الترجمة العربية للنس اللاتيني لخطاب الذي نشره هاجنماير أسطر .

Epistula I Stephani comitis carnomensis ad Adelem uxorem
suam (Scripta e castris prope Niccam a 1097 ca 24 diem juni),
ed. H. Hagenmeyer, Epistolae et chartae ad historiam primi
belli spectantes, Heidelberg, 1901 (pp. 138-140).

(٢) يحدد السكيس كوتس .

تبحر فيه ليل نهار سفن الامبراطور المتجهة صوب القسطنطينية ، وتقوم هذه السفن بنقل الطعام والمؤن من العاصمة إلى كيفيتوت حيث توزع على البلوج القفيرة هناك ، ولا أعتقد أنه يوجد في زماننا هذا رئيس أوزيم له مثل شخصية الامبراطور وصيته الذائع . إن أباك في الحقيقة ، يا عزيزي ، غمرنا بكثير من الهدايا الثمينة ، ولكن ذلك لا يقاس بالنسبة لما أهداه علينا الامبراطور . . .

الملحق الخامس

كتاب نصوح من كتاب المؤرخ المجهول
عن الحملة الصليبية الأولى (١).

النص الأول

وحمل بطرس التناك وقتا جيده بالقرب من نيقية (٢)

كان بطرس سالف الذكر ومن معه من الألمان م أول من وصلوا إلى القسطنطينية، وكان ذلك في الأول من أغسطس سنة ١٠٩٦. فوجد هناك جماعات من الباريدين والتجوباردين، فضلا عن كثيرين غيرهم. وقد أمر الإمبراطور بتزويدهم بالمؤن بالقدر الذي تسمح به أحوال العاصمة، وقال مخاطبا إياهم: «لا تعبروا المضيق (٣)، وانتظروا ربنا نصل الجيوش المسيحية الأخرى، لأنكم آله في العدد، وليس بوسعكم منازلة الأتراك». وقد ملك هؤلاء المسيحيون مسلحا هائلا، إذ حطموا قصور المدينة وأشعلوا فيها النيران. كما أشروا طبقات القصدير التي كانت تغطي واجهات الكنائس وباعوها لليونانيين (٤). وطغى الأسباب غضب الإمبراطور، وأمرهم بمبور القسطنطين. ولكنهم لم يكتفوا

(١) هذه هي الترجمة العربية لنصوص اللاتينية الثلاثة المأخوذة من كتاب نصوح المؤرخ المجهول
علا من طبعة هاجنماير - أنظر: Hagenmeyer, H. (ed.), *Anonymi Gesta Francorum et Aliorum Hierosolimitanorum*, Vol. I, Heidelberg, 1907.

(٢) أنظر الفصل الثاني من كتاب المؤرخ المجهول، ص ١٠٦ وما بعدها. وفارن يه
درواية كل من المؤرخ المجهول وكل كوستن في هذا الشأن. أنظر الملحق الثالث في هذا الكتاب.

(٣) المقصود المضيق.

(٤) أي البيزنطيين.

بعد أن اجتازوا هذا الحيق عن ارتكاب الآثام والقتل ، كما أعملوا الذهب والذهب في المنازل والكنائس ...

وقد استبد الفرح بالامبراطور عندما علم أن الأتراك هزموا قوات بطرس الناسك ، ولكنه أرسل إليهم ومعهم من عبور البسفور ، وأمر بإزع سلاحهم حتى يأمن شرهم ...

النص الثاني

جودفري دوق اللورين السفلى وجيشه في القسطنطينية (١)

وفي ٢٣ ديسمبر من سنة ١٠٩٦ وصلت إلى القسطنطينية أول جيوش الصليبيين بقيادة الدوق جودفري الذي كان أكثر زعماء الصليبيين صيتاً وشهرة . وأنزل الدوق عند وصوله خارج العاصمة إلى أن أمر الامبراطور الخبيث باستضافته في ضواحيها . وبعد أن استقر الدوق في هذا المكان ، أخذ يرسل حامل دروعه كل يوم لتزويد الخيل بما يلزمها من القش دون أن يحشى عليهم شراً . وقد اعتقد جودفري ورجاله أن بوسهم الثقيل كيفما شاءوا دون أن يتعرض لهم أحد بسوء . ولكن الامبراطور الكسيس ، بما عرف عنه من خبث ودهاء ، عمل على أن يقضوا الليل خارج المدينة . ثم أمر رجاله من الركوبول والبندنج (٢) بمهاجمتهم والقضاء عليهم . ولما علم بطروني أخو الدوق بذلك ، كتب لهم حتى حشر على القن قتلوا رجاله ، فهاجمهم بشجاعة فائقة ،

(١) أنظر النص الثالث من كتاب المؤرخ المجهول ، ص ١٤٠ وما بعدها (طبعة حاجيبار) .

(٢) يطلق عليهم المؤرخ المجهول لفظ *Tarapopolis* و *Pincinatis* وربما جنى بهذين النسرين أنظر ص ١٢٨ ح ٢١ من هذا الكتاب .

ونمكن بمحبة الله من التغلب عليهم . وقد أسر ستين شخصا منهم ، وقتل البعض وأرسل البعض الآخر إلى أخيه الدوق . وعندما علم الإمبراطور بما حدث غضب غضبا شديدا . أما الدوق وجيشه فقد غادروا العاصمة التي كانوا نازلين بها ، وأقلموا خارج المدينة . ولما أقبل المساء أمر الإمبراطور جيشه بالمجيء على الدوق ورجله . وتمكن الدوق من إحراز النصر ، ثم قام بتتبع الأعداء وقتل سبعة منهم ، ولاحق البعض الآخر حتى أحد أبواب العاصمة . وبعد ذلك رجع الدوق إلى معسكره حيث أقام فيه حمة أيام . وأخيرا فقد اتفاقا مع الإمبراطور الذي طالب إليه أن يعبر الفيض متسهدا بإعداده بكل ما يلزمه من المؤن والألوات . كما وعد بتوزيع الصدقات على الفقراء والمعوزين منهم ...

النص الثالث

دعاه القرنج يؤدون بين التبعة والولاء بين يدي الكيسس^(١)

عندما علم الإمبراطور بوصول بومبيد التوسل أمر باستقباله استقبالا لائقا وإضافته لخارج المدينة . وبعد ذلك أرسل الإمبراطور الخييت^(٢) في طلبه سرا ليتحدث إليه . وقد شهد هذا الاجتماع الدوق جوردفري وأخوه . وبعد ذلك أخذ السكونت سان جيل يقترب من العاصمة . لذا ففكر الإمبراطور

(١) أنظر الفصل السادس من كتاب تلؤيخ الجيول ، ص ١٦٨ وما بعدها . (طبعة هاجينابر) . نرى من رواية كل من الجيول ومؤلفه الألكسياد حول هذا الخييت - أنظر من ذلك المعنى الثالث في هذا الكتاب .

(٢) لاحظ أن تلؤيخ الجيول عندما بصحت من الإمبراطور الجيول يصفه في معظم الأحيان بالإمبراطور الخييت *malignus imperator* والإمبراطور الذي اشتبه بالخبيث والدماء *imperator Alexius sagaciter faciebat eos excubare* - أنظر ص ١١٠ و ١٦٨ من كتاب الجيول (طبعة هاجينابر) .

— وقد استبد به الحق والقيظ — في وسيلة كلها حيث ودعا، تمكنه من التغلب على
فرسان المسيح . ولم يجد الامبراطور أو وجده ، بفضل العناية الإلهية ، أية
وسيلة لإلحاق الأذى برجالنا . وأخيراً عقد اجتماع حضره جميع كبار رجال
الدولة الذين كانوا في القسطنطينية في ذلك الوقت . ونحبه أن يفقدوا بلادهم ،
فقد وضعوا الخطط الباردة والمشاريع الخبيثة لكي يحملوا قوادنا وزعماءنا
وكبار رجالنا على أداء بعض التبعية للامبراطور . ولكنهم رفضوا رفضاً باتاً
وقالوا : « إن هذه لفئة لنا . ويلوح أنه ليس من العدالة في شيء أن تؤدي له
بعض الولاء مهما كانت الظروف . » ولكن قد يعجب زعمائنا أمالنا فيهم (١) .
ثم ماذا هم فاعلون في نهاية الأمر ؟ يقولون إن الضرورة الملحة اضطرتهم إلى
النزول على رغبة الامبراطور الخبيث سواء قبلوا أم كرموا (٢) . وقال
الامبراطور لبوميسند الشجاع — وكان يخافه أشد الخوف لأنه سبق أن ألحق به
ومعيشه الخزيمة أكثر من مرة في ساحة القتال (٣) — قال له (٤) إذا حلف اليمين
برضائه ، فإنه [أي الامبراطور] سيمتعه أرضاً في منطقة أنطاكية طولها خمسة
عشر يوماً ورضائها ثمانية أيام . وقد أقسم الامبراطور لبوميسند بأنه إذا
حافظ على يمينه ، فإنه من فاجيته لن يخل بتمديداته له . ولكن ، لماذا أقدم
فرساننا الذين لم تكن تنقصهم القوة والشجاعة على هذا العمل ؟ لاشك أن
الضرورة القصوى قد اضطرتهم إلى ذلك . . .

(١) أي إذا رضوا بالامبراطور وأدعوا لحذاه .

(٢) يحاول المجهول الناسي لأحداثنا ليني حلفه بسبب وموحيهم لرغبة الامبراطور
اليرطلى وأدعائهم اليجن المقلوب .

(٣) يقصد بذلك الحروب النوبارية مدبر حملة في القلعة في عهد دويرت جويكار
وإيه بوميسند فيما بين عامي ١٠٨١ و ١٠٨٥ . أنظر ملحق من ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣
و ١٤٤ من هذا الكتاب .

هذا ، وقد وعد الامبراطور جميع رجالنا آمنا وسلاما . كما أقسم بمراقبتنا على رأس جيشه برا وبحرا . وتهد أيضا بإمدادنا بالثمن عن طريق البحر والبحر ، وبشروط كل خسائرتنا بسرعة . كذلك أقسم بأنه لا يرغب ولن يسمح لاحد بأن يتعرض لمجاننا بسوء . أو يلحق بهم الأذى وهم في طريقهم إلى القسطنطينية المقدسة . أما كونى سان جيل فقد ترك جيشه وأقام في صاحبة مجمع خارج العاصمة . وطلب منه الامبراطور أداء بين التبتية والولاء أسرة بما فعله الآخرون . وفي تلك الأثناء كان الكونى يدير حيلة للانتقام من جيش الامبراطور . وقد قال له الموق جودفوى وروبرت أمير الأراضي الواطئة وباقى الزعماء ، إنه لمن العار أن يقاتل المسيحيون بعضهم بعضا . كما أخبره بوهيمند الحكيم أنه في حل من أن ينضم إلى صف الامبراطور إذا أود الكونى به شرا أو حاول التعرض لمن يريد أداء اليمين له . وعلى ذلك قبل الكونى نصيحة قومه ، وأقسم بالمحافظة على حياة الامبراطور وشرفه ؛ وقال إنه لن يسمح لنفسه أو لغيره بالتعرض له . وحينما طلب منه أداء بين التبتية أجاب بالرفض ولودفع حياته ثمنا لذلك . وفي تلك الآونة اقرب جيش بوهيمند العظيم من القسطنطينية ...

الملحق السادس

مقتطفات من قصيدة الشاعر الفرنسي
وليم روتبف في التمديد بالفكرة الصليبية. (١)

في لحظة ساعرة تهكية لأذنة ، يوجه الشاعر حديثه إلى البابا والجهان
السكنى وإلى أهل القرب بهامة . يقول :

لقد أصبح بوسع أى فرد الاتصال بالله وهو آمن مطمئن في هذه البلاد دون
الغفارة بعباده .. وأرى أن الشخص الذى يضع نفسه تحت رحمة الآخرين هو
أحق بهي ، طالما كان بوسعه الحصول على رضاه فى وطنه ..

لم أنطىء بقول هذا ، ولم يتدبر من أحد .. إلى أنذهب إلى فراشى مبكراً ،
وأنام نيتاً ملء جفوني ، وأكن لأصدقائى ومعارفى الحب والود .. ويروى
أن أحيى بين ظهرائهم ، فأحصل على المنحة والعزاء ..

ألا فأنهبوا سيدكم السلطان (٢) أنه لا تمنى تديناته .. وستكون العاقبة
أسوأ إذا حل بأرضنا .. ولكنى لن أتعذب خارج ديارنا ..

فليخط الأمراء المتوجون ، والأساقفة ، ورؤساءهم النظام .. وليسمعوا
الكهنة والأساقفة البار الذى لحق بالله .. فهو الذى جيبهم أرضاتهم .. ولديهم

(١) القصيدة بالترجمة العربية وعنوانها *La despotisme du croisé et du descroisé*.
A. Kressner, Rutebeuf وقد تم نشرها *Gedichte, Wolfenbüttel, 1885*.
ولقد ترجمت القصيدة إلى اللغات الأوروبية الحديثة ،
وهذه الترجمة العربية تتألف من كتاب : *Medieval France from the Reign of Hugues Capet to the Beginning of the Sixteenth Century*, London, 1888 (pp. 96-7).

(٢) يقصد حاكم مصر .

الشيء الوفير من الطعام والشراب .. فإذا أمكنهم الاتصال بأحد من هذا السبيل ،
فإن الحالة الرجوع عنه لأنه أفضل السبل !!

وهناك من يقول : « لتودع ياسيد ماتمك على رعاياك .. وهذا لعمري
رأى شديد .. ولكنني أعتقد ، بحق القديس بطرس الروماني ، أنه من الأفضل
لي البقاء هنا ... » (١)

(١) بعد ذلك امر أنه يؤخر البقاء في بلاده بدلاً من الضيقة له عنوان سلمي سد
الدائم لعمري .

الملحق السابع

مقتطفات من كتاب الراهب الانجليزى
حتى البابوزى في مهاجمة الفكرة الصليبية
والجهاد الكنسى البابوى في الغرب (١) .

... لقد ألح كل من كونت بواتيه وكونت برونانس (٢) إلى البابا (٣) ،
من طرف آخر ، أن جمعه وجه العديد لئال مما السبب في كل هذه الكوارث
السالف الإثارة إليها (٤) ... لقد أغشى القال بصيرته ...

... رحماك ياربى .. يامن بيدك الانتقام لنا . . متى ستسطح سيفك البشار
حتى يتوهج كرميض البرق وينفخ في دماء أمثال هؤلاء القوم (٥) ... حقا ،
إن آثامنا وخطايانا هي التي جلبت علينا كل تلك المصائب والويلات ...

... وهكذا نرى البابا ، وهو أبونا الروحى الذى اقتضى على الامبراطور
قسطنطين ، وكان الأجدر به أن يمنح حنو القديس بطرس ، بسبب الكثير من
الغلايل والاضطرابات في العالم ...

(١) أنظر . M. Paris, English History from the year 1235 to 1273, translated from the Latin by J. A. Giles, Vol. II, London, 1853 (pp. 400, 403, 498).

(٢) ما حقيقا الملك الفرنسى لويس التاسع ، التوفى ده بوايه ، وشاول ده برونانس ؟
وكايف قد عادنا إلى مرما حد حزمة لويس التاسع في مصر وتوجيهه إلى سورية ، وذلك بعد
حت البابا انوسنت الرابع الدعوة إلى حملة جديدة ضد العرب في الشرق . أنظر من ذلك
كتاب لويس التاسع في الشرق الأوسط . ص ٩٠-٩٣ . وفيما يتعلق بموقف البابا من الحركة
الصليبية ، أنظر محمى المرجع ٩٣-٩٦ .

(٣) المقصود انوسنت الرابع .

(٤) يلمذ الكوارث التي حلت بالصليبيين الفرنج في الشرق للبرق .

(٥) يلمذ البابا ورجل الدين .

المراجع

أولا - مجموعات الحروب الصليبية^(١)

Les Archives de l'Orient Latin, publiées par la Société de l'Orient Latin, 2 vols. Paris, 1881 et 1884. (Textes, inventaires, et études originales).

Bongart, J., Gesta Dei per Francos, sive orientalium expeditionum et regni Francorum hierosolimitani historia (ab a. 1095 ad 1420) a variis, sed illius aevi scriptoribus, literis., 2 t. Hanover, 1612.

Hagenmeyer, H. (Ed.), Die Kreuzzugebrüche : Epistolae et chartae ad historiam primi belli sacri spectantes, Innsbrück, 1901.

Palestine Pilgrims' Text Society, 13 vols. London, 1887-1897.

Recueil des Historiens des Croisades, publié par les soins de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in 16 huge folio vols. Paris, 1841-1906 :

- I. Historiens Occidentaux, 5 tomes (1844-1895);
- II. Historiens Orientaux (Arabes), 5 tomes (1872-1906);
- III. Historiens Grecs, 2 tomes (1875-1881);
- IV. Documents Arméniens, 2 tomes (1869-1906);
- V. Lois, 2 tomes (1841-1843).

(١) انصرفت منا على ذكر المجموعات التي وجعنا اليها فقط. وقد دمجت الى مجموعة أرشيف المشرق اللاتيني بالحروف التالية (A.O.L.) - كما دمجت الى مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (لؤلؤ حوض التريون) - (R.H.C.-H.Occ.) ولؤلؤ حوض التريون - (R.H.C.-H.Or.) والوثائق الأرمنية - (R.H.C.-Doc. Arm.).

ثانياً - المصادر الأصلية

(١) المصادر العربية^(١)

ابن الأثير الجردى (ت ٥٦٣٠ / ١٢٢٤ م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم
الملقب عز الدين :

« تاريخ الدولة الأتابكية ملوك الموصل » ، أظفر :

R.H.C. - H. Or., t. II, 2e partie. Paris, 1866 (pp. 5-375).

ابن إبيك (ت ٥٧٢٢ / ١٢٣١ م) أبو بكر بن عبد الله :

« كنز القدر وجامع القدر - ٩٠ - » - مخطوط بدار الكتب المصرية - رقم
٦٦٤٣ تاريخ.

ابن جبير (ت ٥٦١٤ / ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي :

« رحلة ابن جبير » - تحقيق الدكتور حسين نصار - القاهرة ١٩٥٥ .

ابن دقماق (ت ٥٨٠٩ / ١٤٠٧ م) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أبي
السلاني :

« زهرة الأنعام في تاريخ الإسلام - الموجود منه قطعتان : إحداهما في مجلد
مأخوذة بالتصوير النسخي وتبتدئ من ٦٢٨ وتنتهي إلى ٦٥٩ ،
والثانية في مجلد مخطوط تبتدئ من ٧٧٨ وتنتهي إلى ٨٠٤ - دار
الكتب المصرية - رقم ١٧٤٠ تاريخ .

ابن الفحنة (ت ٥٧٩٠ / ١٤٨٥ م) أبو الفضل محمد بن الفحنة الحلبي :

« أهر المستنصب في تاريخ مملكة حلب - بيروت ١٩٠٩ .

(١) أشرقت في حواشي البحث إلى المخطوط بـ (لوحة) ، والطبع بـ (صحف) .

ابن العديم (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩٢ م) كال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله :

منتخبات من تاريخ حلب - أنظر: R.H.C. - H.Or., III, Paris, 1884 (pp. 571-690).

ابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) أبو الفلاح عبد الحمى بن علي بن محمد :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ٨ ج - القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .

ابن القلائس (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد :

تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلائس ، المعروف بذييل تاريخ دمشق -

بيروت ١٩٠٨ .

ابن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ابن عمر :

البداية والنهاية في التاريخ - ١٤ ج - القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨ هـ .

ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدين أبو المظفر أسامة بن مرشد

القائى :

كتاب الاخبار - اعنى بتصحيحه هرتوج وديرج - لندن ١٨٨٤ .

ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٣٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :

١ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - ويصرف أيضا بتاريخ الواصلين

في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين - مجلدان مأخوذان بالتصوير

المسمى بالمكتبة العامة لجامعة الاسكندرية - رقم ٧٤ مخطوط .

٢ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - نشر وتحقيق الدكتور

جمال الدين الشبل - ظهر منه الآن ثلاثة أجزاء - القاهرة

١٩٥٣ - ١٩٦٠ م .

ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن

عمر بن محمد :

تتمة المختصر في أخبار البشر - ويرصف بتاريخ ابن الوردي - ج ٢ -
القاهرة ١٨٦٨ .

أبو شامة (ت ١٢٦٥ / م ١٢٦٧) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان :
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية - جزءان في مجلد -
القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ .

أبو الفداء (ت ١٢٧٢ / م ١٢٧١) الملك حماد الدين أبو الفداء إسماعيل :
١ - المختصر في أخبار البشر - ويرصف بتاريخ أبي الفداء - ج ٤ -
استانة ١٢٨٦ .

٢ - تهديم البلدان - نشره رينو وديسلان - باديس ١٨٤٠ .

أبو الحسن (ت ١٢٧٤ / م ١٤٦٩) جمال الدين أبو الحسن يوسف بن
نعمى بردى :

١ - التاجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ١٢ ج - القاهرة
١٩٢٩ - ١٩٥٦ .

٢ - المنهل الصافي والمحتوفى بمد الواقى - ج ٢ - مخطوط بنار الكتب
المصرية - رقم ٣٣٥٥ تاريخ .

أبو اليمن الملبى (ت ١٢٧٧ / م ١٥٣١) أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد :
الآنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - ج ٢ - القاهرة ١٢٨٣ .

السيوطى (ت ١٢١١ / م ١٥٠٥) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين :
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - ج ٢ - القاهرة ١٢٢٧ .

المينى (ت ١٢٥٥ / م ١٤٥١) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى :
١ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - ٣٣ جزءاً في ٦٩ مجلداً - دار
الكتب المصرية - تصوير شمسى - رقم ١٥٨٤ تاريخ .

٢ — منتخبات من عقد الخزان في تاريخ أهل الزمان - أنظر :

R.H.C. · A. Or., II, 1re partie. Paris, 1887 (pp. 181-250).

القفندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أحمد بن حل بن أحمد هبة الله :

صبح الأمل في صناعة الإنشاء - ١٤ - القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٠ .

الكنبي (ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن :

فوات الوفيات - ٢ - في مجلد واحد - القاهرة ١٣٩٩ هـ .

المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) علي الدين أبو العباس أحمد :

١ — المواظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار - ٣ - القاهرة ١٣٧٠ هـ .

٢ — السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزء الأول والثاني إلى سنة ٧٥٥ هـ -

نشره وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٣٤-١٩٥٨ .

٣ — اتعاظ الخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - نشر وتحقيق الدكتور

جمال الدين الشيبان - القاهرة ١٩٤٨ .

النزدي السكندري (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

ابن محمد :

نهاية الأرب في فنون الأدب - ٥٥ مجلدا - تصوير شمسي - دار الكتب

المصرية - رقم ٤٤٩ معارف عامة .

(ب) المصادر الاخرى

Albert d'Aix, *Historia Hierosolymitana*. Ed. R.H.C.-H. Occ., IV. Paris, 1879. (pp. 265-713).

Alexios Comnenus,

1 — Alexii Comneni ad Robertum I, Flandriae comitem, Epistola. Ed. R.H.C.-H. Occ., IV. Paris, 1879. (pp. 131-132).

2 — Epistola Alexii I Komneni imperatoris ad Robertum I comitem Flandrensem. Ed. Hagenmeyer, *Epistolae et chartae*, (pp. 129-136).

Ambroise, *The Crusade of Richard Lion-Heart*. Tr. from the old French by M.J. Hubert. New York, 1941.

Anna Comnena, *The Alexiad*. An English trans. by Elisabeth A. S. Dawes. London, 1928.

Anonymous, *Historia Belli Sacri*. Ed. R.H.C.-H. Occ., III, Paris, 1866. (pp. 165-160).

Raudri de Bourgues), *Historia Ierosolimitana*. Ed. R.H.C. · H. Occ., IV. Paris, 1879. (pp. 1-111).

Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land* (A. D 1280). Tr. from the original latin by A. Stewart. London, 1896. Cf. *Palestine Pilgrims' Text Society*, XII, pp. 1-136.

Caffaro de Caschifelano, *De Liberatione Civitatum Orientis Liber*, ed. R.H.C.-H. Occ., Vol. V, pt. I.

Downs, N. (Ed.), *Basic Documents in Medieval History*. New York, 1959.

Eracles, *L'Estoire de Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'Oultremer*, ed. R.H.C.-H. Occ., t. II, Paris, 1859. (pp. 1-181).

Etienne de Blois,

- 1 — **Stephani, Comitis Carnotensis ad Adelam, uxorem suam, Epistola**. Ed. R.H.C.-H. Occ., III. (pp. 885-887).
- 2 — **Epistola I Stephani comitis Carnotensis ad Adelam, uxorem suam**. Ed. Hagenmeyer, *Epistolae et chartae*, (pp. 138-140).

Foucher de Chartres, *Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium* (ab anno 1095 usque ad annum 1127). Ed. R.H.C.-H. Occ., III. (pp. 311-485).

Grégoire le Prêtre, *Chronique de Grégoire le Prêtre*. Ed. H.H. C.—Doc. Arm., I (pp. 151-201).

Guibert de Nogent, *Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos*. Ed. R.H.C.—H. Occ., IV. (pp. 113-263).

Guillaume de Tyr, *Historia rerum in partibus transmarinis gestarum*. Ed. R.H.C.—H. Occ., I, 1re. partie (pp. 1-702); I, 2e. partie (pp. 703-1134). Paris, 1844.

Hagenmeyer, H. (Ed.), *Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum*. Heidelberg, 1890.

Joinville, J. de,

- 1 — **Histoire de Saint Louis**. Texte original du XIVe Siècle, accompagné d'une traduction en Français moderne par M. Natalis de Wailly. Paris, 1874.
- 2 — **Memoirs of Louis IX, King of France**. An English Translation by Johnes of Hafod, ed. *Chronicles of the Crusades*, Bohm's ed., London, 1848 (pp. 341-556).

3 — Saint Louis, King of France, tr. into English by
James Hutton, London, 1868.

Matthieu d'Edesse, Extraits de la chronique de Matthieu
d'Edesse. Ed. R.H.C.-Doc. Arm., I, Paris, 1869. (pp. 1-150).

Matthew Paris, Matthew Paris' English History from the year
1235 to 1273. Tr. from the Latin by J. A. Ciles. 2 vols.
London. 1852-3.

Matthew of Westminster, The Flowers of History. Tr. from the
original by C.D. Yonge, from A.D. 1066 to 1307. 2 vols.
London, 1853.

Michel le Syrien, Extrait de la chronique de Michel le Syrien.
Ed. R.H.C.-Doc. Arm., I. (pp. 309-409).

Raimond d'Agiles, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem.
Ed. R.H.C.—H.Occ., III. (pp. 231—309).

Raoul de Caen, Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana.
Ed. R.H.C.—H.Occ., III. (pp. 587—716).

Robert le Moine, Historia Iherosolimitana. Ed. R.H.C.—H.
Occ., III. (pp. 717—882).

Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr dite du manuscrit
de Rothelin (1229—1261). Ed. R.H.C.—H.Occ., II. Paris,
1859. (pp. 489—639).

Tudebodus, P., Historia de Hierosolymitano itinere. Ed. R.H.
C.—H.Occ., III. (pp. 3—117).

Tudebodus abbreviatus, Gesta Francorum et Aliorum Hierosoly-
mitanorum. Ed. R.H.C.—H.Occ., III. (pp. 119—163).

Vincent de Beauvais, Selecta e speculo Historiali Vincentii
Bellovacensis. Ed. Bouquet, Recueil des Historiens des
Gaulles et de la France, XXI. (pp. 71—75).

ثالثاً - المراجع الحديثة

(١) للمراجع العربية

إبراهيم أحمد الصمدى (الدكتور) : الأمويون والبيزنطيون - البحر المتوسط بحيرة إسلامية - القاهرة ١٩٦٣ .

إبراهيم جمعة (الدكتور) : أيديولوجية القومية العربية - القاهرة ١٩٦٠ .
إبراهيم على طرغان (الدكتور) : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة - القاهرة ١٩٥٩ .

أحمد فكري (الدكتور) :

- ١ - مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) - القاهرة ١٩٦١ .
- ٢ - مساجد القاهرة ومدارسها - ١٣ (العصر الفاطمي) القاهرة ١٩٦٥ .

جمال عبد الناصر (الرئيس) :

- ١ - فلسفة الثورة (الطبعة التاسعة) - القاهرة .
- ٢ - خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٥٢ - ١٩٥٩)
- ١١ - (مجموعة اخترنا لك) .
- ٣ - مشروع الوثائق الوطنية (٢١ مايو ١٩٦٢) .

جمال الدين الشيال (الدكتور) :

- ١ - مجمل تاريخ ديماط سياسيا واقتصاديا - الاسكندرية ١٩٤٩ .
- ٢ - « وحدة مصر ومصرية في العصر الاسلامي » - القاهرة الثانية من المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية في العام الجامعي ١٩٥٨/٥٧ - الاسكندرية ١٩٥٨ .
- ٣ - مجموعة الوثائق للفاطمية - الجزء الاول (وثائق الخلافة والوزارة) - ط ٢ - الاسكندرية ١٩٦٥ .

٤ — تاريخ مصر الإسلامية - جزآن - الاسكندرية ١٩٦٧ .

جوزيف سليم يوسف (الدكتور) :

١ - لويس التاسع في الشرق الأوسط - قضية فلسطين في مصر المحروبة
الصلبية - القاهرة ١٩٥٩ .

٢ - هزيمة لويس التاسع على شعاف النيل - القاهرة ١٩٦٠ .

٣ - الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية - مجلة كلية الآداب
بالاسكندرية - المجلد السادس عشر (١٩٦٢ - ١٩٦٣) - الاسكندرية
١٩٦٣ (ص ١٨٣ - ٢١١) .

٤ - الوحدة وحركات البفظة العربية إبان العدوان الصليبي -
الاسكندرية ١٩٦٧ .

٥ - الصهيونية في فلسطين إمتداد طبيعي للاستعمار الصليبي - مجلة
العهد الجديد - العدد ١١٤٥ - مايو ١٩٦٧ .

٦ - والعدوان الغربي الاستعماري على العالم العربي قديما وحديثا - قاسم
مشترك أعظم - مجلة العهد الجديد - العدد ١١٥٤ - سبتمبر ١٩٦٧ .

حسن حبشي (الدكتور) :

١ - الحرب الصليبية الأولى - القاهرة (الطبعة الأولى) ١٩٤٧ .

٢ - نور الدين والصليبيون - القاهرة ١٩٤٨ .

٣ - الشرق العربي بين شق الرضى - القاهرة ١٩٤٩ .

زكى محمد حسن (الدكتور) : الرسالة المسلمون في الصور الوسطى -
القاهرة ١٩٤٥ .

زكى القاش (الدكتور) : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب
والفرنج - بيروت ١٩٥٨ .

ساطع المصري : محاضرات في نشوء الفكرة القومية - بيروت ١٩٥٩ .

سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) : العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف
يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن الموحدي - مجلة كلية الآداب - جامعة
الاسكندرية - المجلدان السادس والسابع (١٩٥٢ - ١٩٥٣) ص ٨٤ - ١٠٠ .

سميد عبد الفتاح ماثور (الدكتور) :

- ١ - قبرس والحروب الصليبية - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢ - أوروبا المصور الوسطى - الجزء الأول - القاهرة ١٩٥٨ .
- ٣ - مصر في عصر دولة المماليك البحرية - القاهرة ١٩٥٩ .

السيد البلا العريبي (الدكتور) :

- ١ - مصر في عهد الأيوبيين - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢ - الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١ م) - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣ - مؤرخو الحروب الصليبية - القاهرة ١٩٦٢ .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

- ١ - تاريخ المسلمين وأنارم في الأندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط
الحلافة قرطبة - بيروت ١٩٦٣ .
- ٢ - المغرب الكبير - الجزء الثاني (العصر الإسلامي) - الاسكندرية ١٩٦٦ .
- ٣ - طرابلس للشام في التاريخ الإسلامي - الاسكندرية ١٩٦٧ .

سيمة اسماعيل كاشف (الدكتور) :

- ١ - مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢ - مصر في عهد الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية -
القاهرة (بدون تاريخ) .

مارف باشا الطارف : تاريخ القدس - القاهرة ١٩٥١ .

عبد الحميد الميادى : المجلد فى تاريخ الأندلس - جمع مادته احمد ابراهيم الشريف ،
رواجه الدكتور عتار الميادى - القاهرة ١٩٥٨ .

عبد الرحمن زكى (الدكتور العقيد) : معركة المتصورة وأثرها فى الحروب
الصليبية - القاهرة ١٩٦٠ .

عبد المنعم ماجد (الدكتور) :

١ - مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى - تعريف بمصادر التاريخ الاسلامى
ومنهاجه الحديث - ط. ثانية - القاهرة ١٩٦٤ .

٢ - العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٦ .

عبد النعم حسن (الدكتور) : سلاجقة إيران والعراق - القاهرة ١٩٥٩ .
[المكتبة التاريخية - العدد السابع] .

عبد سورىال عطية (الدكتور) : قد مؤلفات جروسية عن الحرب الصليبية
ومن فلسفة التاريخ - المجلة التاريخية المصرية - المجلد الاول - (ص ٣١٢ -
٣٢٢) - القاهرة ١٩٤٨ .

على حسن الحروبولى (الدكتور) :

١ - عهد والقومية العربية - القاهرة ١٩٥٩ .

٢ - القومية العربية من القصر إلى الظهر - القاهرة (بدون تاريخ) .

على عبد الواحد داني (الدكتور) : عبد الرحمن بن خلدون - القاهرة ١٩٦٢ .

عمر كمال توفيق (الدكتور) :

١ - ملكة بيت المقدس الصليبية - الاسكندرية ١٩٥٨ .

- ٢ — الامبراطور قفور فوكاس واسترجاع الاراضى المقتنصة (٩٦٣ - ٩٦٩) - الاسكندرية ١٩٥٩ .
- ٣ — مقتنيات المدون الصليبي - الامبراطور يوحنا كومنينوس وسياساته الشرقية - الاسكندرية ١٩٦٦ .
- ٤ — تاريخ الامبراطورية البيزنطية - الاسكندرية ١٩٦٧ .
- لطفي عبد الوهاب يحيى (الدكتور) : الكيان العربي بين المفومات والإمكانات - بيروت ١٩٦٥ .
- محمد أبو زهرة (الشيخ) : نظرية الحرب في الاسلام - القاهرة ١٩٦١ .
- محمد جمال الدين سرور (الدكتور) : عصر في عصر الدولة الفاطمية - القاهرة ١٩٦٠ .
- محمد شديد : الجهاد في الاسلام - القاهرة (بدون تاريخ) .
- محمد عبد الله حنان :
- ١ — مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية - القاهرة ١٩٣١ .
- ٢ — تراجم إسلامية شرقية وأندلسية - القاهرة ١٩٤٧ .
- محمد عبد الغنى حسن :
- ١ — صراع العرب خلال الصعود - القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٢ — علم التاريخ عند العرب - القاهرة ١٩٦١ .
- محمد عبد الحزى نصر (الدكتور) : المسيحية في الجبال العلوية - القاهرة (بدون تاريخ) .
- محمد حل حلوب : فلسطين وجاراتها ، أصباغ ونتائج - القاهرة ١٩٥٤ .
- محمد فوزى (لواء ا.ح.) وعمود حافظ : القومية العربية حقيقة ومطلب - القاهرة (بدون تاريخ) .

محمد مصطفى زيادة (الدكتور) :

- ١ - المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي - القاهرة ١٩٥٤ .
 - ٢ - حملة لويس التاسع على مصر ومويعته في المنصورة - القاهرة ١٩٦١ .
- مصطفى الشكعة (الدكتور) : سيف الدولة الحمداني - القاهرة ١٩٥٩ [المكتبة التاريخية - العدد الثامن] .

فطير حسان سعداوى (الدكتور) :

- ١ - ثلاثة من مؤرخى الحروب الصليبية - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢ - الحرب والسلام زمن المندوان الصليبي - القاهرة ١٩٦١ .

(ب) للمراجع العربية

- أرفولد (توماس) : تراث الاسلام - أشرف على نشره ميرو توماس أرفولد ، وقام بتعريبه الدكتور حسين مؤنس وآخرون - جردان - القاهرة ١٩٣٦ .
- أومان : الامبراطورية البيزنطية - ترجمة الدكتور مصطفى طه بدر - القاهرة ١٩٥٣ .
- باركر (إرنست) : الحروب الصليبية - ترجمة الدكتور السيد الباز العريضي - القاهرة ١٩٦٠ .
- برونسل (ليني) : الاسلام في المغرب والاندلس - ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلى ، ومراجعة الدكتور لطفي عبد البديع - القاهرة ١٩٥٦ .
- يور (ايلين) : تماذج بشرية من الصور للوسطى - ترجمة محمد توفيق حسين - بيروت ١٩٥٧ .

بولين (جاك) : مع القومية العربية - تعريب فريدة عاجز وسعيد الفز -
جهاز ١٩٥٩ .

بينز (نورمان) : الامبراطورية البيزنطية - ترجمة الدكتور حسين مؤنس
ومحمود يونس زايد - القاهرة ١٩٥٠ .

تشارلز دورث (م. ب.) : الامبراطورية الرومانية - ترجمة حمزي عبد جرجس،
ومراجعة الدكتور محمد صقر خواجه - القاهرة ١٩٦١ .

تويني (أولولد) :

١ - مختصر دراسة لتاريخ - جرمان - ترجمة الاستاذ فؤاد محمد شبل -
القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦١ .

٢ - الحضارة في الميزان - ترجمة أمين محمود الشريف - القاهرة (بدون
تاريخ) .

جرديناوم (جوسلاف فون) : حضارة الاسلام - ترجمة عبد العزيز توفيق
جاويد - القاهرة ١٩٥٦ .

ديفو (ه. و. كلرس) :

١ - أوروبا في العصور الوسطى - ترجمة الدكتور عبد الحيد حدى محمود -
الاسكندرية ١٩٥٨ .

٢ - شارلمان - ترجمة الدكتور السيد الباز العربي - القاهرة ١٩٥٩ .

ديل (شارل) : البندقية جمهورية أرستقراطية - ترجمة الدكتور أحمد عزت
عبد الكريم وتوفيق إسكندر - القاهرة ١٩٤٨ .

ونسيان (ستيفن) : الحضارة البيزنطية - ترجمة الاستاذ عبد العزيز جاويد،
ومراجعة الاستاذ زكى على - القاهرة ١٩٦١ .

فشر (ه. ا. ل.) : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - جرمان - ترجمة الدكتور

محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريفي والدكتور إبراهيم احمد
العنوي - القاهرة ١٩٥٠ و ١٩٥٤ .

كلابري (ر.) : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين - ترجمة وتقديم د. حسن
حبيشى - القاهرة ١٩٦٤ .

كوبلاند (ج. و.) وفينوجرادوف (ب.) : الانقلاص والصور الوسطى في
حرب أوروبا - ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٤٨ .

كولتون (ج. ج.) : عالم الصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق
د. جوزيف نعيم يوسف - ط ٢ ثانية - الاسكندرية ١٩٦٧ .

كولنجرود (ر. ج.) : فكرة التاريخ - ترجمة الاستاذ محمد بكير خليل -
القاهرة ١٩٥٨ .

لانجر (ولیم) : موسوعة تاريخ العالم - ٣ ج - أشرف على الترجمة الدكتور
محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٥٩ و ١٩٦٢ .

هارتمان (ل. م.) وباراكلاف (ج.) : النبوة والامبراطورية في الصور
الوسطى - ترجمة وتعليق د. جوزيف نعيم يوسف - الاسكندرية ١٩٦٦ .

(ج) المراجع الأفرنجية

Arnold, T. & Guillaume, A. (Eds.), *The Legacy of Islam*. London, 1952.

Atiya, A.S.,

1 — *The Crusade of Nicopolis*. London, 1934.

2 — *The Crusade in the Later Middle Ages*. London, 1938.

3 — *Crusade, Commerce and Culture*. Bloomington, 1962.

4 — *The Crusade: Historiography and Bibliography*. Bloomington, 1962.

Atiyah, E., *The Arabs*. Edinburgh, 1958. (Penguin Books).

Bailly, A., *Byzance*. Paris, 1939.

Baldwin, M. W., *The Medieval Church*. New York, 1960.

Barker, E. (tr.), *Social and Political Thought in Byzantium from Justinian I to the Late Palaeologus*. Oxford, 1957.

Darrow, R.H., *The Romans*. London, 1955. (Penguin Books).

Raynes, N. & Moss, H. (Eds.), *Byzantium*. Oxford, 1953.

Berger, E., *Saint Louis et Innocent IV — Étude sur les Rapports de la France et du Saint-Siège*. Paris, 1893.

Bloy, J., *Constantinople et Byzance*. Paris, 1917.

Bray, A.E., *The Good Saint Louis and His Times*. London, 1870.

Cahen, C., *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la Principauté Franque d'Antioche*. Paris, 1940.

Campbell, G. A., *The Crusades*. London, 1935.

Contor, N.F. (ed.), *The Medieval World: 300 - 1300*. New York, 1963.

Chalandon, F.,

- 1 — *Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène*. Paris, 1900.
- 2 — *Histoire de la Première Croisade jusqu'à l'élection de Godefroi de Bouillon*. Paris, 1925.
- 3 — *Les Comnènes*, Tome II. Paris, 1908.


Coulton, G. G.,

- 1 — *The Inquisition*. London, 1929.
- 2 — *Medieval Panorama*. New York, 1955.
- 3 — *Medieval Village, Manor, and Monastery*. New York, 1960.
- 4 — *Medieval Scene*. Cambridge, 1961.

Daniel-Rops, L'Eglise de la Cathédrale et de la Croisade.
Paris, 1952.

Davis, E. J., The Invasion of Egypt in A.D. 1249 (A.H. 647)
by Louis IX of France (St. Louis). London, 1897.

Diehl, Ch.,

- 1 — *Byzance — Grandeur et Décadence*. Paris, 1919.
- 2 — *Histoire de l'Empire Byzantin*. Paris, 1920.
- 3 — *Figures Byzantines (Deuxième Série)*. Paris, 1921. 
- 4 — *L'Europe Orientale de 1801-1453. (Moyen Age, t. IX)*
Paris, 1945.

Gibb, H. A. R., Mohammedanism. London, 1957.

Grousset, R.,

- 1 — *L'Epopée des Croisades*. Paris, 1947.
- 2 — *Histoire des Croisades*. 3 vols. Paris, 1948.
- 3 — *L'Empire du Levant: Histoire de la Question d'Orient*.
Paris, 1949.

- 4 — *The Sum of History*. English version by A. & H. Temple Patterson. Oxford, 1951.
- Halphen, L., *L'Essor de l'Europe (X^e - XIII^e Siècles)*. Paris, 1941. Cf. *Peuples et Civilisation*, Vol. VI.
- Haskins, C. H., *The Normans in European History*. New York, 1959.
- Heer, F., *The Medieval World (Europe from 1100 to 1350)*. Translated from the German by J. Sondheimer. London, 1962.
- Heyd, W., *Histoire du commerce du Levant au moyen-âge*. Ed. Française refondue et considérablement augmentée par l'auteur, publiée sous le patronage de la Société de l'Orient Latin par F. Raynaud. 2 vols. Leipzig, 1885-1886.
- Hitti, P. K.,
1 — *History of Syria*. London, 1951.
2 — *History of the Arabs from the Earliest Times to the Present*. London, 1964.
- Hulzinga, J., *The Waning of the Middle Ages*. London, 1955. (Penguin Books).
- Hussey, J. M., *The Byzantine World*. London, 1957.
- Jones, A. M. H., *Constantine and the Conversion of Europe*. London, 1961.
- Katz, S., *The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe*. New York, 1960.
- Ker, W. P., *The Dark Ages*. London, 1955.
- King, E. J., *The Knights Hospitallers in the Holy Land*. London, 1931.
- Lacroix, P.,
1 — *Vie militaire et religieuse au moyen âge et à l'époque de la renaissance*. Paris, 1873.

- 2 La chevalerie et les croisades. Féodalité, Blason, Ordres Militaires. Paris, 1887.
- La Monte, J. L., The World of the Middle Ages. New York, 1949.
- Lane Poole, St.,
- 1 — A History of Egypt in the Middle Ages. London, 1936.
- 2 — The Story of Cairo. London, 1924.
- Lewis, B., The Arabs in History. London, 1950.
- Ludlow, J. M., The Age of the Crusades. Edinburgh, 1897.
- Mahmud, S. F., The Story of Islam. Karachi, 1959.
- Masson, G., Mediaeval France, from the reign of Hugues Capet to the beginning of the sixteenth century. London, 1888.
- McKisack, M., The Fourteenth Century (1307-1399). Oxford, 1959.
- Michaud, M., Bibliographie des Croisades. 2 tomes. Paris, 1822.
- Michelet, M., The History of France. Tr. by W. K. Kelly. 2 vols. London, 1844-6.
- Molinier, A., Les Sources de l'Histoire de France des Origines aux Guerres d'Italie (1494). Cf. T. II : Epoque Féodale, Les Capétiens jusqu'en 1180. Paris, 1902.
- Oldenbourg, Z., Les Croisades. Mèyenne (éd. Gallimard) 1965.
- Oman, C.W.C.,
- 1 — A History of the Art of War in the Middle Ages. 2 vols. London, 1924.
- 2 The Art of War in the Middle Ages (A.D. 378-1515). New York, 1960.

Ostrogorsky, G., *History of the Byzantine State*. Tr. by J. Hussey. Oxford, 1956.

Painter, S., *A History of the Middle Ages : 284-1500*. London, 1900.

Paris, G., *Medieval French Literature*. Tr. from the French by H. Lych. London, 1903.

Pirenne, H.,

1 — *Medieval Cities*. Tr. from the French by F.D. Halsey. Princeton, 1948.

2 — *Economic and Social History of Medieval Europe*. Trans. from the French by I.E. Clegg. London, 1961.

Rey, E., *Les Colonies franques de Syrie aux XII^{me} et XIII^{me} siècles*. Paris, 1883.

Riant, P., *Inventaire critique des lettres historiques des Croisades*. Cf. A.O.L., I, pp. 1-224. Paris, 1881.

Rosenthal, E. J. J., *Political Thought in Medieval Islam*. Cambridge, 1958.

Runciman, S.,

1 — *Byzantine Civilisation*. London, 1948.

2 — *A History of the Crusades*. 3 vols. Cambridge, 1954-55.

Schlumberger, G., *Recits de Byzance et des Croisades*. Paris, 1917.

Setton, K. M. (Ed.), *A History of the Crusades — Vol I : The First Hundred Years*. Ed. by M. W. Baldwin. Philadelphia, 1958.

Stanley, A. P., *Lectures on the History of the Eastern Church*. London, 1924.

- Stephenson, C., *Medieval Feudalism*. New York, 1942.
- Stevenson, W. B., *The Crusaders in the East*. Cambridge, 1907.
- Sullivan, R. E., *Heirs of the Roman Empire*. New York, 1960.
- Thomson, D., *World History from 1914 to 1950*. London, 1958.
- Throop, P. A., *Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda*. Amsterdam, 1940.
- Trevelyan, G. M., *A Shortened History of England*. Aylesbury, 1960. (Penguin Books).
- Turberville, A. S., *Medieval Heresy and the Inquisition*. London, 1920.
- Vassiliev, A. A., *Histoire de l'Empire Byzantin*. Traduit du Russe par P. Brodin et A. Bourguina, préface de Ch. Diehl. 2 vols. Paris, 1932.
- Waugh, W. T., *A History of Europe from 1378 to 1494*. London, 1932.

فهرس عام

ابن التلاني ٢٨ ٢٢ ٢٢٩ ح ١	(١)
٢٥٨ ح ١ ٢٦٢ ح ١	٩٥ ٩٢ ٨٤ ٦٦ ٦٤ ٦٢ ٦١
ابن مقلد ٨١ ح ٢ ٨٢ ٨٥	٢١٩ ١٧٢ ١٥٥ ١٤١ ١١٢ ٩٩
ابن واصل ٢٩ ح ٢	٢١١ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٦٢ ٢٤٨ ٢٤
ابن الوردي ٢٠	٢٢٢ ٢٢٩ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢١٢
أبرشامة ٢٩	٢٢٧ ٢٢٦
أبو الفداء ٢٠	أبراهيم أحمد العلوي (المكتور)
أبو الحسن ٢٩	٢٦ ٢٤
أبو اليمن الطيبي ٢٨	ابن الأندلس ٢٧ ح ٢ ٢٩ ٢٥٨ ح ١
أبو ريا ١٢٥	ابن لياس ٢٩
أبيروس ٢١٢ ٢٢٢	ابن إيلك ٢٠
الأنسرك ١ ح ١ ٨ ١٢٩ ١٤٥	ابن جبر ٢٨١ ح ٢ ٨٢
١٤٦ ح ١ ١٦٢ ١٦٤ ١٦٥	ابن الجوزي ٢٩ ٢٥٨ ح ١
١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٨٢ ١٨٥	ابن خلدون ٣٠ ح ١
١٨٩ ١٩٦ ٢٠٧ ح ٢ ٢٠٨	ابن خلكان ٢٩
٢٠٩ ٢١٢ ٢١٥ ح ٢ ٢١٧	ابن دقاق ٢٩ ٢٠
٢٢٢ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٢	ابن رشد (تلامذة) ٩٩
٢٣٥ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٤٠ ٢٤٢	ابن السكنة ٢٨
٢٤٢ ٢٤٦ ٢٤٩ ٢٥٣ ٢٥٤	ابن شداد ٢٩ ٢١
٢٦٠ ح ٢ ٢٧٢ ح ٢ ٢٩٩	ابن العديم ٢٨ ٢٥٨ ح ١
٢٠١ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ح ١	ابن الفرات ٢١
٢١١ ٢١٢ ٢١٥ ٢١٧ ٢١٨	

١٣٣ ٢١٥ ح ١ ٢١٦ ٢٠٣
 ٢٢٩ - أنظر إثنين بلوا
 الأراضي المنخفضة ١٢ ح ٢ ١٣
 ١٤ ١٥ ح ٢ ١٩ ٤٢ ح ٢
 ٤٦ ح ٢ ٥١ ٥٢ ح ١ ٥٣ ٥٨
 ٥٩ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩
 ٧٢ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٨٠ ٨١
 ٨٨ ٩٠ ٩٢ ٩٣ ح ١ ١٠٢
 ١٠٣ ١٠٥ ١٠٧ ١١١ ١٢١
 ١٢٦ ١٤٧ ١٥١ ١٥٤ ح
 ٢ ١٧٢ ١٧٩ ١٨١ ح
 ١٨٢ ١٩٢ ٢٠٦ ٢١٢ ٢٢٢
 ٢٢٥ ٢٣٥ ٢٥١ ٢٦٠ ٢٦٨
 ح ٢ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٩٣
 ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢
 - أنظر اليه للفلس ،
 ولسطين
 الأراضي الواطئة ٢١ ٥٣ ٢٠٩
 ٢١٥ ٢٩٨ ٣٠٠ ٣٠٧
 أريان الثاني (البابا) ٢٢٧ ح ٤٢
 ٥٦ ٥٨ ٤٨ ٤٦ ح ٢
 ٥٧ ٥٨ ٦١ ٦٥ ٦٧ ٧٢
 ٧٢ ١٢٤ ١٣٥ ١٥٠ ١٥١
 ١٥٥ ١٧١ ح ١ ١٧٥ ١٧٨

٢٢٣ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٣١ ٢٣٢ -
 أنظر التركان ، والتركويول ،
 والسلاجقة ، والكرمان
 أترانت (مدينة) ١٩٩
 إثنين بلوا ٢ ٨ ٢١ ح ١ ٥٨
 ١٢٩ ١٣٣ ١٣٩ ح ١ ١٧٨
 ٢١٢ ٢١٤ - ٢١٧ ٢٢١
 ٢٢٧ ح ١ ٢٣٢ ٢٤٢ ٢٥٠
 ٣٠٤ - ٢٢٩ - خطابه إلى زوجته
 أدبل ٢١ ح ٢ ١٢٩ ١٣٣ ح
 ٢١٥ ح ١ ٢١٧ ٢١٧ ٢٩٨
 ٣٠٣ - ٣٢٩ ٣٣٠
 ابد فكري (الدكتور) ٢٨٢ ح
 الاغشيدون (في مصر) ١٤٣
 الأدب الشعبي (في المجتمع العربي
 الوسيط) ٦٤
 أدنة (مدينة) ١٥٢ ١٥٩ ١٨٢
 أدنة (مدينة) ٢٥٤
 أديار ده موني (أسقف مدينة بوى)
 ٦ ٧٤ ١٧٨ ٢٠٤ ٢٠٥
 ٢٠٨ ٢١٢
 إدوارد طيه (الكاتب) ١٠٩ ح ١
 أدبل (زوجة إثنين بلوا) ٢١

١٤١ ١٧٢ ١٧٤ ج ١
٢٠٥ ٢٦٩
الاستثمارية (جماعة الرهبان) ٦٩
٩٠ ٩٢
استرودسكي (جورج) ٢٦
٥٢ ١٤٦ ج ٢ ٢٢٤ ٢٢٥
٢٢٦
استريا ٢٠٧
الاستثمار الأوروبي الغربي ٢٩
٤٠ ٤٢ ج ٢ ١٠٤ ج
١ ١٠٥ ١٠٧ ١٠٩ ١١٠ ج
ج ٢ - ٢ ٢٦٦ ٢٨٢ ٢٨٥
٢٨٧ ٢٨٩ ٢٩٣ ٢٩٤ -
أنظر الاستثمار الصليبي،
والصهيونية في فلسطين
الاستثمار الصليبي ٢٤ ٢٦ ٤٣ ٧٢
٧٤ ٧٥ ٧٧ ج ٢ ٧٨ ٧٩
٨٦ ٨٧ ٨٩ ٩٠ ٩٣ ١٠٢
١٠٣ ١٠٤ ج ١ ٥٠ ١٠٥
١٨٩ ج ٢ ٢٠٦ ٢٦٨ ٢٩٢
٢٩٧ - أنظر الحملات الصليبية،
والسودان الصليبي
الاستثمار الصهيوني ١١٠ ج ٢ -
أنظر الاستثمار الأوروبي،
والاستثمار الصليبي

١٨١ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢١٠ ٢١٥
٢٢٦ ٢٥١ ٢٠٠ ٢٠١ ٢١٠
٢١١ ج ٤ - خطابه في
كليمون ٢٢٧ ٤٢ ٤٦ ج ٤
٥٩ ج ٢ ٦٤ ٧٣ ج ٢ -
أنظر كليمون
أردن (باللوردن السفلى) ١٧٩
الأردن ١٠٩
أورش (ث. ا.) وكينجفورد (ل.)
٣٥ ج ١
أرغوة (بشمال أسبانيا) ١٧٤
الأرمين ٢٦ ٢٢٥ ج ٢ ٢٢٦
٢٢٧ - أنظر أرمينية
أرمينية ١٤٥ ٢٣٥
أرنولف ٢١٥
أرمو (مدينة) ١٤٦ ٢٩١ ج ٢
الأساطير الدينية (في المصور
الوسطى) ٦-٧ ١١ ١٢ ج
٢ ١٦ ٥١ ٥٢ ج ١ ٥٤
٥٥ ٦٠ ٦٤ ٦٥ ٦٧ ١٧٢
١٨٠ ج ٢ ٢٤٣ ٢٥٣ -
أنظر الرهبانيات الدينية
أسبانيا ٤٧ ٥٢ ج ١ ٥٧ ٧٢

في ٩٤-٩٦ ٢٧٩ ح ٢

٢٨٠-٢٨١ - حركة الفتح

١٧٢ ح ١ ١٤١ ١٤٢ ١٧٢

٢٦٩ ٢٧٠ ٢٨٠ ٢٨٩

آسيا ٢٩ ١٩٥ ٢٩٣ ٢١٢ ٢١٣

آسيا الصغرى ٨ ١٣ ٧٣ ٧٤ ٧٧

١٣١ ١٤١ ١٤٢ ١٤٥ ١٤٦

١٥٠ ١٦٠ ١٦١ ١٦٥ ١٦٧

١٦٨ ١٦٩ ١٧١ ١٨١ ح ٢

١٨٦ ١٩٠ ١٩١ ١٩٤ ٢٢٢

٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٣ ٢٢٦

٢٢٧ ح ١ ٢٤٥ ٢٥١

٢٥٢ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦٩ ٢٩٩

٢٢٣ ٢٢٦

الأنثرف خليل (السلطان) ٤٨

٩٣ ٢٧٧

الاصنفاني ٢٩ ٣١

الانحرقي ٥ ٦ ١٣ ١٢ ٢٤ ٢٩

٢٧ ٧٥ ١١٢ ١١٥ ١٢١

١٢٢ ١٢٣ ١٢٣ ١٢٧ ١٤٠

١٥٣ ح ١ ١٧٢ ١٩٦ ١٩٧

١٩٨ ٢٠٣ ٢١٨ ٢٢٧ ٢٢٨

٢٤٦ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٢ ٢٩٠

أنظر البيزنطيون، والروم.

لاستيطان الصليبي (في قسطنطينية)

٨٢ - ٨٦ ١٠٤ ٢٨٨ -

أنظر الاستعمار الصليبي

اسرائيل ١٠٩ ١١٠ ح ٢ - ٤

٢٨٥ ٢٩٤ - أنظر الاستعمار

الأوروبي، والاستعمار الصليبي،

والاستعمار الصهيوني،

والصهيونية في فلسطين.

الأسرة البابيلونية (أو السبي البابلي)

٥٠ - أنظر أفنيون

أسرة دوكس (في يزنطة) ١٤٤

١٤٧

أسرة كورنيل (في يزنطة) ١٤٧

ح ١ ٢٢٤ ٢٣٩ ٢٥٨ ح ١

الأسرة المقدونية (في يزنطة) ١٤٤٥

١٤٤ ح ١ ٢٧٠

أسرة هرقل (في يزنطة) ١١٥

ح ١

الاسكندر المقدوني ٣٧ ح ٤٠

الاسكندرية ٥٩ ١٠٦

الاسلام ٢٩ ٩٠ ٧١ ح ٧٧

٧٩ ٩١ ١٠٠ ١٠٣ ١٤١

١٥٤ ح ٢ ٢٦٥ ٢٩٤ -

التسامح في ١٥٤ ح ٢ - الجهاد

١٢٩ ١٢٧ ١٢٢ ١٢١ ح ١	الأنار ١٤٧ ح ١
١٨٦ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ح ١	أقامية (مدينة) ٢٥٣
١٩١ ٢٠٢ ٢٠٥ ٢٠٦ ح ١	أمرقية ٢٩ - شمال ٢٦ ٢٩ ٤٢
٢١١ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٦ ح ١	٤٤ ح ١ ٥٩ ٦٠ ٦٦ ٨٠
٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ح ١	٨٧ ٨٨ ٨٩ ١٠٦ ١٠٩
٢٢٣ ح ١ ٢٢٥ ٢٢٧	١٤١ ١٩٤ ٢٦٩ ٢٨٨
٢٢٩ ٢٥٦ ٢٠٤ ٢١٩ ح ١	الأفضل بن بندو الخصال (أمير
٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٤ ح ١	الجيش) ٢٦١ ح ١ ٢٦٦ ح ١
٢٣٥ ح ١ ٢٣٤ ح ١	ألوينا (أو فالوينا) ٢٥٥
أكس لا شابل الألمانية (مدينة)	أفنديون (بأبوية) ٥٠ ٦٧
١١ ١٢ ١٧٩	الاقطاع ح ١ ٤٢ ٤٥ ٤٩ ح ١
أكس لا شابل البروفانسية (مدينة)	١ ٦٨ ٧١ ٧٦ ح ١ ٨٦
١١	١٠٤ ١٢٦ ١٣٤ ١٧٦ ١٧٧
أكهارت دورا (المزوخ) ١٤ ١٩	١٧٨ ٢١٩ ح ٢ ٢٥٧ ٢٦٠
٢ ح ٥٨	ح ٢ ٢٦٦ ح ٢ - جيش ١٥١
الارطك القوطي ١٤٧ ح ١	ح ٢ ٢٦٠ ح ٢ - حروب ٤٩ ٧١
ألب أرسلان (السلطان) ١٤٥	ح ٢ ١٢٥ ١٤٤ ١٥١ ١٧٦
ألبانيا ٢٠٧	١٧٩ ٢١٩ ح ٢ - الميسد
أليوت دكنس (المزوخ) ١١-١٣	والاكتسان ٨٦ ١٣٤ ١٥٥
٢١ ح ٥٥ ١ ٢١ ١٢٣ ١٥٢	١٧٦ ١٧٧ ١٨٥ ٢١٩ - كبلر
ح ٢ ١٥٢ ح ١ ١٥٦ ١٥٧	رجال الاقطاع ٨٧ ١٢٣ ١٢٥
١٦٦ ح ١-٢ ١٦٨ ١٨٠	١٥٠ ١٥٢ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٩
ح ٢ ١٨١ ١٨٢ ١٩٠ ح ١	١٨٦ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢١٠
٢١٤ ح ٢ ٢٢١ ٢٢٧ ح ١	عين التسمية والولاء ١٢٩ ١٣٠

ج ٢٤٣ ٢٩٧ ٢٩٨ - ٣٠٠

٣٠٧ - ٣٠٩ - والحروب

الصليبية ٥٢ - ٥٤ - أنظر

الالكسياد، وأن كومنين

الكسيس الثالث (الامبراطور) ٧٨

الكسيس الرابع (الامبراطور) ٧٨

الألفين ١١٩ ١٦٢ ١٧٨ ٢١٠

٢٥٥ ٢٢٩

المانيا ١٥ ج ٢ ١٥٧ ١٧٩

١٩٢ ٢١٠

الالبانة والادريسي ٢٧ - أنظر

هوميروس

إما (اخت بوجيند) ١٩٥ ج ٤

أمانق (مدينة) ٢٨٨ ج ٩٣ ١٩٢

امبراطور (لقب) ١٨١ ج ٢

امبراطور الاغريق (لقب) ١٨١ ج ٢

الامبراطورية الرومانية الشرقية

١١١ ١١٧ ١٢٠ ج ١ ١٤٦

ج ١ ١٤٧ ج ١ ٢٠٤ ٢٠٧

ج ١ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٠٧ ٢١١

ج ١ ٢١٨ ج ١ ٢٢٠

٢٢٦ - أنظر بزنطة، ودولة

الروم

الامبراطورية الرومانية الغربية

المجددة ٤٥ ١١٧ ١٧٩

٢٥٨ ج ١ ٢١٢ ج ١ ٢١٨

ج ٢ ٢٢٤ ج ١

الالبجيون ٥٠

المونس ده بواتيه ٢٢٨ ج ٢

الالكسياد ٢٣ - ٢٥ ١٢٠ ج ٢

١٥٥ ج ٢ ٢٢٤ ٢٩٧ ٢٩٩

٣٠٢ - ٣٠٣ ٢١٢ ٢٢٠

ج ١ ٢٢٢ ج ١ - أنظر آن

كومنين

الكسيس الأول كومنين (الامبراطور)

ج ١ ١ ١٢ ١٨ ٢١ ج ٢

١ ٢٢ ج ١ ٥٢ - ٥٤ ٧٥

٧٨ ١٢٤ - ١٢٣ ١٢٥ ١٢٧ -

١٤٠ ١٤٤ ١٤٧ - ١٥٠

١٥٣ ١٥٦ ١٥٨ - ١٦١ ١٦٤ -

١٧١ ١٨١ - ١٨٢ ١٨٥ -

١٩٢ ١٩٤ - ٢٠٥ ٢٠٧ ج ١

٢٠٩ ٢١٧ ٢١٩ - ٢٢٢ ٢٢٥ -

٢٢٩ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٧ - ٢٢٩

٢٤٢ ٢٤٥ - ٢٥٢ ٢٥٨ - ٢٥٥

٢٩٠ ٢٩٨ ٣٠٠ - ٣٠٢ ٣٠٥

٢١٢ ٢١٨ ج ٢ ٢٢٠ ج ١

٢٢٦ ج ١ ٢٢٧ ٢٢٩ ج ٢

٢٢٢ - خطاب إلى أمير

الأراضي الرومان ٢١ ج ١

٥٢ - ٥٤ ٦٣ ١٢٢ ج ١ ١٥٠

٢٣٩ ٢٤٤ - معكدة ٢٠١ ٢٠٤

٢٥٨ - ٢٣٨ ٢٣٧ ٢٠٦

٢٥٩ ٢٩٠ ٢٠٣ - أنظر

الكيس الأول ، وبرمبند

آن كومتين (الأميرة) ٢٢ ٢٣ ٢٤ ١ ح

١٢٠ ٧٨ ١ ح ٥٥ ٥٤ ١ ح

١٣٥ ١٣٤ ١٢٧ ١٢٩ ١٢٧

١٦٢ ١٢٨ ١٤٧ ١٥٥ ١ ح ٧

١٦٨ ١٦٧ ١٦٩ ١ ح ١

١٨٥ ١٨٢ ١ ح ١٨١ ١٦٩

١٩٨ ١ ١٩٦ ١٩٢ ١ ح ١

١٩٩ ٢٠٠ ٢٠٣ ٢٠٤ ١ ح ١

٢١٤ ٢ ٢١٩ ٢٢١ ٢٢٣

٢٥٥ ٢٢١ ٢٢٧ ٢٢٤ ١ ح

٢٩٧ ٢٥٧ ٢٥٨ ١ ح ١

٢٩٩ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢١٢ ٢١٣

٢ ٢١٨ ٢ ح ٢٢٠ ١ ح ١

٢٢١ ١ ح ٢٢٤ ١ ح ١

٢ - أنظر الألكياد

أفوسنت الثالث (البابا) ٥٩

٦٧ ٦٥

أفوسنت الرابع (البابا) ٤٣ ٢ ح

٥٠ ٦٧ ٢٣٨ ٢ ح ٢ -

أهل القرب ٢٦ ٢٧ ٢٢ ٤٥ ٥١

٥٢ ٥٤ ٦٣ ٦٤ ٦٧ ٧٢

الامبراطورية الرومانية القديمة ٢٨

١١٢ ١١٧ ١١٩ ٢٠٧ ١ ح ١

امبرواز (المؤرخ) ٧١ ٢ ح ٢

١ ح ٥٢ ١ ٦١ ٢٤٥ ١ ح

أموري الأول ٧٤

أميان (بفرسا) ١٥٤

إميك (كرنت) ١٢٠

أناثوليا ٢٩١ ٢ ح

الأناضول ١٨٩ ٢٦٠

الجلترا ٤٩ ١ ح ١ ٦٠ ٤ ح ١٠٧

١٠٨ ٢ ح ١٠٩ ١٧٦

الاندلس ٥١

نطاكية ٤ ح ١ ٧ ٢٠ ٨ ٥٤

١٤٣ ١٢٨ ١٢٥ ٨٨ ٦٥

٢١٤ ٢٠٥ ٢٠١ ١٨٩ ١٤٦

٢ ح ٢١٥ ١ ح ٢١٩ ٢ ح

٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣

٢ ح ١ ٢٢٩ ٢٤٠ ٢٤٢ ٢٤٣

٢٤٤ ٢٤٥ ١ ح ١ ٢٤٦ ٢٤٧

٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢

٢٥٤ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢ ح

٢٥٩ ٢٦٠ ٢ ح ٢ ٢٦١

٢٦٢ ٢ ح ٢٢٤ - إملة ٧٥

أولندبورج (ذوى) ٢ ح ٢١٣
أومان (شارل) ١ ح ١١٠
١٤٦ ح ١ ٢٥٩ ٢ ح ٢٦٠
أيرين (الامبراطورة اليرنطية) ١١٦
أيرين دوكلان (دوجة الكسيس
كوسنن) ١ ح ٢٢٢

ايسورية ٢٠٨

ايطاليا ٣ ٩٩ ١٠٩ ١١٦ ١٤٧
ح ١ ١٥٩ ١٩٢ ١٩٣ ٢١٥
٢٥٧ - جنوب ١٧ ٤٩ ح ١
٩٩ ١١٦ ١٤٤ ١٧٢ ١٧٤
١٩٣ ٢٩٤ ٢٧٠ - شمال ٢٠٧
ايليريا (اظيم) ١٧٨

الايوبيون (في مصر) ٢ ح ٢٩ ٨٦
٢٧٧ ٢٧٦
ايوجين الثالث (البابا) ٦٧

(ب)

البابوية ٤٣ ح ١ - ٤٦ ح ٤
٤٩ ٥٠ ٥٧ ٦٣ ٦٧ ٦٩ ٧٠
٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٦ ح ١ ٨٧
٩٩ ح ٢ ١٠٢ ١١٥ ح ٢
١١٦ ح ١ ١١٩ ١٢٢ ١٢٦ ح ١
١٥٠ ١٥١ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٧

ح ٢ ٧٧ ٧٨ ح ١ ٨٠ ٨٢
٨٢ ٨٤ ح ٢ ٨٥ ٨٦ ٩٧
١٠٢ ١٠٧ ١٠٨ ١١١ ١٢١
١٢٢ ح ١ ١٢٦ ١٤٤ ١٤٧
ح ١ ١٧٢ ٢١٩ ح ٢ ٢٢٢
ح ١ ٢٢٥ ٢٢٢ ٢٤٣ ٢٥١
٢٦٦ ٢٦٨ ٢٧٠ ٢٧٧ ٢٨٧
٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٥
٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٢ ٣٠٥ ٣٠٦
٣٠٨ ح ١ - ٣١٢ ٣١٣ -
انظر القرنج ، واللاتين

اورديك ليتال ١٧

اورشليم - انظر بيت المقدس

اورليانز (مدينة) ١٦

اوروبا ٢١ ٢٤ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٤١
ح ٢ ٤٥ ٤٩ ح ١ ٥٦ ٥٧
٦٣ ٧٠ ٧٢ ٧٤ ٨٤ ح ٢ ٨٩
٩٨ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧
١١٩ ١٤٤ ١٥١ ١٥٢ ١٥٤
ح ٢ ١٥٦ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٧
١٧٨ ١٩٢ ٢١٥ ح ١ ٢١٦
٢٥١ ٢٥٥ ٢٥٨ ح ١ ٢٦٨
٢٨٩ ٢٩٣ ٣٠٠ ٣٠٥ ٣١٠
٣١٢ - انظر القرب الاوروبى

أنظر الأتراك ، والتركات ، والتركوبول	١٧٨ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٧٧ ٢٩١
البحر الأبيض المتوسط ٤٩ ح ١	٢٩٢ - والامبراطورية ٤٢ ٥٠
٥٧ ح ٦٠ ٤ ٨٢ ٢٦٨ ٢٦٩	١٤٧ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٩ ٢٠٥
٢٧٠ ٢٧٥ ٢٨٢ ٢٨٩	- والحركة الصليبية ٦٧ - ٧٢
البحر الأحمر ٨	١٣٦ ح ١ - أنظر الكنيسة الرومانية
البحر الأدرياتي (الأدياتيكا)	بادث (العالم) ١٠ ١١ ١٥ ح ٢
١٤٤ ٢١٢	باركر (لوكس) ٢٣ ٣٩ ٥٢
بحر مرمرة ١١٨ ١٦٢ ١٨٢	٦١ ٧٩ ح ١ ١٠٤ ح ٢
البرابرة - أنظر الجرمان	١١٠ ح ١ ١٣٥ ح ١
البرانس (جبال) ٢٧٠	بارمي (مدينة) ١٤٤ ١٤٥ ١٩٦
براي (٠١) ١٦٦ ح ١	باريس (مدينة) ١٥ ح ٢ ٧٨ ح ١
برايان ١٧٩	باريس (جاستون) ٥٢
برتراند منغوت ١٧٦	بازيل الأول (الامبراطور) ١٤٢
برسباي (السلطان) ٧٧	بازيل الثاني (الامبراطور) ١٤٢
برقارد دوق لانس (البطرك اللاتيني)	٢٢٤
٢٤٨ ٢٥٣	باسيليوس (قصب) ١٨١ ح ٢
برقارد دوق كيرفو (قديس) ٥٨ ٩٧	بال (سويسرا) ١٥ ح ٢
برنديزي (مدينة) ١٩٦ ٢١٥	بايزيد الأول (السلطان) ١٠٦
بروفانس ٢٠٤	باني (أوجس) ٢٥
البروقساليون ١٧٨ ٢١١ ٢١٢	البعاناكية (لو البتنج) ١٢٨ ح ١
بريطانيا - أنظر إنجلترا	١٤٦ ح ١ ٢٠٧ ح ١ ٢٠٩
	٢٠٧ ٢٠٩ ٢٣٢ ح ٢ -

بلدوين الثالث ٢٠	بريه (لويس) ح ١ ٢٤ ٦٢
بلدوين د هانو ٢٤٦	اليسفور ١١٨ ١٢٥ ١٦١ ١٦٦
البغار ١٤٧ ح ١ ٢٠٧	١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٩١ ٢٠٢
بلفراد (مدينة) ١٥٧ ١٨٢	٢٢٧ ٢٩١ ح ٢ ٢١٥ ح ٢
بلفور (آرتوجيس) ١٠٧ - ١٠٨	٢١٨ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢١ ح ٢
١٠٧ ٢٨٥	٢٢٢ ٢٢٣
البلقان (شبه جزيرة) ٧٩ ١٠٦	بطرس (القديس) ٩٨ ٢٢٧ ٢٢٨
١٤٤ ١٤٩ ١٥٧ ح ٢ ١٨١	بطرس يوتوماوس ٩ ٦٥ ٢٤٢
٢ ح ١٩٤ ٢١٥ ٢٢٦ ح ٢	بطرس التاسك ١٢ ٥٥ ح ١ ٥٨
بلقان (مدينة) ١٩٠ ٢٢١ ٢٢٠	٦٤ ٦٥ ح ١ ٦٧ ١٢٢
٢ ح ٢٢٢ ٢٢٨	١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٣٠
بلوا (مقاطعة) ٨ ٢١ ١٢٩ ١٣٣	١٢١ ١٢٢ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ -
١٧٨ ٢١٣ ٢١٥ ٢١٦ ٢٢١	١٧٠ ١٧١ ٢٥١ ٢٠٣ ٢٠٤
٢٢٢ ٢٢٩	٢١٢ ح ١ - ٢ ٢١٥ ٢١٦
بلوى (ل) ٢٥	٢١٧ ٢١٨ ٢٢١ - ٢٢٢
بمبيلية (مدينة) ٣٠٨	بغداد ١٤٣ ١٥٠ ١٦٠
البنادقة ٧٨ ح ١ ٨٨ ح ٢ ٨٩	البلاكرون (قصر) ١٨٩
٩٠ ٩٢ ١١٠ ح ١ ١٩٢ ح ١ -	بلاكرونيس (باب) ١٨٧
أنظر البندقية	بلدوين (مارشال) ٢٥ ١١٧ ٢٢٦
البندقية ٨٨ ح ٢ ٨٩	بلدوين الأول (شقيق جوطرى) ٨
بنطش ٣٠٨	٩ ٥٨ ٧٤ ٨٣ ١٢٥ ١٢٦
يوتومايت (أحد خواص الكيس)	١٢٩ ١٧٦ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠
كومنجن ٢٢٨ ٢٢١	١٨٩ ١٨٧ ١٨٩ ٢٢٦ ٢٢٧
	٢٤٦ ٢٢٢ ٢٢٣

١٩٧ ١٩٦ (نمر)	٢١٩ ٢٠٧ ٢٠١ ١٩٣
٢٠٨	٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٢ ٢٢١
بيتر (صيدى) ١٧٢ ٢٥	٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٢ ٢٢١
بينز (نورمان) ٣٩ ١٣٦ ١ ح	٢٥٠ ٢٤٩ ٢٤٧ ٢٤٥ ٢٤٠
٢٢٢ ح ١ - وموس ٣٩	٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٣ ٢٥١
(ت)	٢٥٨ ٢٥٨ ٢٢٠ ١ ح
تاتيكوس (أحد القوادى الجيش	٢٩١ ٢٨٩ ٢٢٠ ٢٠١ ٢٠٠ ٢٩٩
البيزنطى) ٢٢٨ ٢٣٩ ٢٤٠	٢١٨ ح ٢ ٢٢٤ ح ٢ - أنظر
٢٥٠	الامبراطورية الرومانية الشرقية،
التاريخ - بطريرك ١٠ ٣٠ ح ١	ودلة الروم
٢٢ - كتاب ٢٢ ح ٢ ٢٧	البيزنطيون ٤ ٩ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٦
٢ ح	١١٩ ٢ ٧٥ ٩٩ ١١٥ ح ١١٩ ٢
التجارة (فى الصور الوسطى)	١٢٣ ١٢٢ ١٢٢ ١٢٢ ١٢١
٩٢ ٩٠ - ٨٧	١٣٧ ١٣٩ ١٤٢ ١٥٣ ح ١
ترقية ١٩٧ ٢٠٨	١٦١ ١٥٨ ١٥٧ ٢ ح ١٥٤
الترك - أنظر الأتراك ، والملاحة	١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٧٠ ١٦٧
الركن ٥٤ ١٤٥ ١٤٩ ١٥٤ ح ٢	١٩٤ ١٩٧ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٩
٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢٧ ١٨٩ ١٦٦	٢١٢ ٢١٤ ح ٢ ٢١٥ ح ١
٢٦٠ - أنظر	٢١٦ ٢١٨ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٥
الآراك ، والركوبول ،	٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
والسلاجقة ، والكرومان	٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨
الركوبول ١٢٨ ٢ ح ٧ ٢٠٧ ح ١	٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٤٩ ٢٤٨
٢٢٢ ح ٢ - أنظر الآراك ،	٢٥٥ ٢٥٧ ٢٥٨ ح ١ ٢٦٠
	٢٩١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٧
	٢ ح ٤ - ٥ ح ٢٢٧ ١ ح ٢٢٦
	٤ - أنظر الأتراك ، والروم

والركان، والسلاجة، والكومان

تريقلان (سورج) ١٠٤ ٤ ح ٦٠

التنبؤات (في المصور الوسطى) -

أنظر الأساطير ، والرؤيات

الهائية

تسكريد (ابن اخيه بومبند) ٣

١٩٥ ١٧٨ ١٢٩ ٥٨ ١٨ ١٤

٢٣٣ ٢٢١ ٢٠٢ ١٩٧ ٤ ح ٢

٢٤٦ ٢٣٧ ٢٤٥ ح ١ ٢٤٦

٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٤ ٢٥٣

تودان شاه (الملك العظيم) ٢٩ ح ٢

تولوز ٥ ٥٥ ١٧١ ح ١ ٢٠٢

٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٤ ٢٠٣

٢٢٨ ٢٢١ ٢١٢ ٢١١

توما (بطرس ده) ٥٩

تولس ٨٠ ١٠٩ ٢٨٨

تويني (أدولف) ٢٨ ح ١

تيدبرغه (بطرس) ٢ ح ١ ٤ ١٣

١٤ ٥٦ ٦١

التيوتونية (جماعة القترسان) ٦٩

٩٠ ٩٣

(ث)

تروب (بالر) ٩٤ ح ٣

ثورة ٢٣ يوليو ٢٩٤

ثورس الأوميني (الملك) ٢٣٦ ح ١

(ج)

البحاليات الايطالية التجارية ٨٧ -

٩٠ ٢٧٥ - أنظر البنادقة ،

والليارة ، والجنوية

جالديرس ١١٣

الجامعات (فناء) ١٠١

الجامع الأزهر ٩٤ ٢٧٩

جنان ده برين ٧٩ ٢٦٥ ح ١ - أنظر

الحللات الصيفية (الحلة الخامسة)

جب (سورحاملتون) ٢٥

الجرمان ٤٥ ٨٧ ١١٣ ١٧٦ ٢٠٧

١ ح ١ - غروات ٤٥ ٦٨ ١١٢

١١٤ ١١٩

جرسيه (دينه) ٢٥ ٤٠ ح ١

٤٦ ٦٣ ٧٠ ٧٨ ح ١ ٧٩

١٠٣ ١٠٤ ح ١ ١٦٤ ح ١ ١٦٨

١٨٠ ١٩٢ ح ٢ ١٩٤ ٢٢٧

٢٤٨ ٢٤٧ ٢٤٥ ٢٣٢ ح ١

٢٦٥ ٢٦٨ ح ٢ ٢٧٢ ح ٢ ٢٧٣

٤ ح

جرونيالوم (جوستاف فون) ٢٨٢

جريموار الأوميني (المؤرخ) ٢٥ ح ٢

جوتيه المنعم ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥
١٥٣-١٥٤ ١٥٦ ١٥٩ ١٧١
جودفري ده بويون ٨ ٩ ١١ ١٢
ج ٢ ٤٩ ج ٢ ٥٨ ٥٥ ٧٤
٧٦ ١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٥
١٢٩ ١٣٩ ١٧٨-١٩١
٢٠٢ ٢ ٩ ٢١١ ٢١٢ ٢١٤
٢٢٠ ٢٢٦ ٢٤٤ ٢١٥ ٢٦٦
٢٠٤ ٢١٨ ج ٢ ٢١٩ ٢٢٠
٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ - ٢٢٤
٢٣٥

جودج (لود) ١٠٨

جوسلين الثاني ٢٣٦ ج ٢

جوتو الباديس (المؤرخ) ٢٠

جوليسكار (دوبرت) ٤٩ ٧٣ ٧٩
١٢٠ ١٢٥ ١٢٦ ١٤٤ ١٤٩
١٩٠ ١٩١ ١٩٣ ١٩٩ ٢٠١
٢٠٣ ٢٥٥ ٢٠٢ ٢٢٦ ج ١
٢٢٤ ج ٢ - أنظر العكس
كوميون، وبوهيمند

جويرت ده فوجان (المؤرخ) ١٤
١٧-١٨ ٥٤ ٩١ ١٧٩ ج ١
٢٠٠ ٢٣١ ج ٢

جيون (انداد) ٢٥ ج ١

جيوليسين (باب) ١٨٧

جريحوري الأول الكبير (الباب) ١١٥ ١٧٥

جريحوري الثاني (الباب) ١١٥

جريحوري السابع (الباب) ١٤٦ ١٧٥
الجزائر ١٠٩

الجزيرة البريطانية - أنظر انجلترا
الجزيرة العربية ٢٩ ١٤١

جستيان (الامبراطور) ٢٢٤

الخدمات الرهبانية العسكرية ٦٨ ٦٩
٨٧ ٩٠-٩١ ٩٣ ٢٧٥ -

أنظر الاسبنتارية، والتبوتونية
والداوية

جمال الدين الفيال (الدكتور) ٢٩
ج ١-٢ ٢٠ ج ٢ ٢٤ ج ١
جمال عبد الناصر (الرئيس) ٧٢ ج ٢
١٠٨ ج ١ ١١٠ ج ٢ ٢٨٦

جنوة ٨٨ ج ٢ ٨٩ ١٧١ ج ١
الجنوية ٨٨ ٩٣ ١٧٠ ج ١

جوانفيل (جله ده) ٢١ ٢٢ ج ١
٦٦ ٦٧ ٩٢

جواتشالك ١٥٢ ١٧٠

جوتيه للاستشار (المؤرخ) ١٤
٩٩ - ٢٠

حسن جنى (الكتور) ٧٧ ٢٣

٢ ح ٢٣٢ ١ ح ٢٧٢ ٢ ح

٢٢٢٠٤

حسن مؤنس (الكتور) ٢٦

حطين (مرفقة) ٢٧٧

حطب ١٤٢ ٢٥٢ ٢٥٩ ٢٦٠

الحلات الصليبية ٦ ٧ ١٢ ٢ ح ١٨

٢١ ح ١ ٢٢ ٢٤ ٢٦ - ٢٨

٢١ - ٢٥ ٢٧ ٢٩ - ٣١ ٤٣

٢ ح ٢ ٤٥ - ٤٧ ٥٠ - ٥٢ ٥٤

٥٥ ٥٧ ٦٠ ٦٢ ٦٥ ٦٧ -

٧٢ ٧٤ ٧٨ ٧٩ ٨٢ ٨٥ ٨٨

٢ ح ٩٠ ٩١ ٩٧ ٩٩ ١٠٢

١٠٤ ١١٠ ١٢١ ١٢٦ ١٣٢

١٣٦ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٦٠

١٨٩ ١٩٢ ١٩٣ ٢١٢ ٢٢٥

٢٣٥ ٢٣٦ ٢٦٠ ٢٦٨ ٢٧٩

٢٨١ ٢٨٧ ٢٨٩ ٢٩٨ ٣٠٢

الحلة الأولى ١ ٢ ٣ ح ٢ ٧٦

١ ح ٩ ١٢ ٢ ح ١٣ ١٦ ١٩ -

٢١ ٢٢ ٢٤ ٢٦ ٢٣ ح ٢٢

٤٩ ٥٢ ٥٣ ح ١ ٥٤ ٥٥

٥٨ ح ٢ ٦٤ ٦٥ ٦٧

٧٢ - ٧٥ ٧٩ ٨٢ ١١١ ١١٥

١٢٠ ١٢٣ ١٢٥ ١٣٤ ١٤٠

١٤٤ ١٤٧ ١٥١ ١٥٢ ١٦٦

(ح)

الحجاج النريون (إلى الأراضي

القدس) ٢٧ ٦٩ ٨٩ ١٣١

١٥٤ ح ٢ ١٦٠ ٢٧٥ ٢٨٧

٣٠١

الحج إلى الأراضي المقدسة (حركة)

١٥ ح ٢ ٢٠٢

حران (مدينة) ٢٥٤

الحرب (في المصور الوسطى) ٤٢

٨٧ - أنظر الاطلاق، والفروسية

الحرب العالمية الأولى ١٠٧ ١٠٨

الحركة اللاأيقونية ١١٥ ح ٢ ١١٦

الحركة الصليبية - الباعث الشخصي في

قيامها ٥٦ - ٥٧ العامل الذي

قتل زائف ٣٦ ٢٨ ٤٠ ٥٠

٦٩ - ٧٠ ٧٢ ٧٣ ٧٧ ٧٨

٨٦ ٨٧ ٨٩ ٩١ ٩٣ ٩٤ ٩٧

٩٩ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥

١٠٩ ١٣٦ ١٥٢ ١٨٦ ح ٢

٢٠٦ ٢٤٣ ٢٦٨ ٢٨٥ ٢٨٧

٢٨٨ - والحروب البيزنطية ٤٣

ح ١ ٤٥ ٤٦ ح ٤ - أنظر

الاستعمار الصليبي، والاستيطان

الصليبي، والحلات الصليبية

(خ)

خسرو (ملك القرم) ٢٨

خلفيدونية ١٩٢ ٢٢٠ ح ١

خيوس (جزائر) ٢٠٨

(د)

الذانوب (نهر) ١٤٧ ح ١ ١٥٨

دأوس (البرايوت) ٢٩٧

الداوية (سجادة الرمان) ٦٩ ٩٠

٢٦٣ ٩٢ ح ٩١

دداكون (نهر) ١٦٥ ٢١٧

دوبول (مادى) ١٩٦ ٢٣٨

درويش التخييل ٣٤ ح ١

دقاق (صاحب دمشق) ٢٥٩

دقلبيانوس (الامبراطور) ١١٣

دلاشيا ٢٠٧

دماليوم ٢٢٧

دمشق ٢٢ ٢٥٩ ٢٦٠

دمياط ٢٨١

دورا خيوم ٣١٤ ٢٢٤

دوراثو (عينة) ١٧٨ ١٩٦ ٢٠٧

٢١٥ ٢٥٥

دوريطيوم (اسكى شهر) ١٣١ ١٤٦

١٧٥ ١٧٧ ١٧٩ ١٨٠ ١٩١

روح ١ ١٩٤ ٢٠٢ ٢٠٤ ٢٠٦

٢٣٦ ح ٢ ٢٤٩ ٢٥٧ ٢٦٨

٢٧٠ ٢٧١ ٢٩٠ - ٢٩٣ ٢٩٧

٢٩٨ ٣٠١ - ٣٠٤ ٣٢٠ ح ٢ -

الحلة الثانية ٥٨ ٦٧ ٧١ ٧٩

٢٥٨ ح ١ - الحلة الثالثة ٢١ ح ٢

٦٧ ٧٦ ٧٩ ٢٤٥ ح ١ - الحلة

الرابعة ٥٩ ٦١ ح ١ ٦٧ ٧٧

روح ٢ ٧٨ ٧٩ ١٢١ ح ١

١٢٥ ١٤٧ ح ١ ٢٥٨ ح ١

٢٩١ ٣٠٢ - الحلة الخامسة ٧٨

ح ١ ٧٩ ٣٦٥ ح ١ - الحلة

السادسة ١٠٠ ح ١ - الحلة

السابعة ٢٩ ح ٢ ٢٤٣ ح ٢ ٥٩

٦٧ ٧٩ ٨٠ ١٠٠ ٢٦٥ ح ١

٢٨١ - الحلة الثامنة ٥٩ ٦٧

٨٠ ح ٥ - الحلة التاسعة ٥٩

٢٧ ٨٠ ٢٨٨ - الخلاصة المتأخرة

٥٩ ٢٨٩ ح ١ ١٠١ ح ١ ١٠٦ -

صليبية الأطفال ٧٨ ح ١ - أطر

الاستعمار الصليبي ، والاستيطان

الصليبي ، والحركة الصليبية ،

والعدوان الصليبي

دير القديس رعى ١٤ ١٥ ح ١	١٨٩ ٢٢٢ ٢٥٩ - موقفة ٢١٥
ديشن (الملم) ٢ ح ٨	ح ١ ٢٢٢ ٢٢٥
ديفر (أدوين جون) ١٣٦	دول (مدينة) ١٦
ديفر (س. و. كارلس) ٢٤ ٥٢	دولة الخديين ١٤٢
١٠٤	دولة الروم ٢٢ ٢٥ ٢٨ ٤٥
ديل (شارل) ٢٥ ٥٢ ٦٢ ١٢٩	٥٢ ٥٦ ٧٢ ٧٨ ٧٩ ١٠٢
ح ١ ١٨٠ ٢٠٤ ح ١ ٢٢٢	١٠٢ ١١١ ١١٦ ١١٩ - ١٢٢
٢٤٩ ٢٤٨	١٢٥ ١٢٦ ١٢٨ ١٢٢ - ١٢٩
(٥)	١٢٨ ١٢٩ ١٤٢ ١٤٤ ١٤٥
النبي ٢٠	١٤٧ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٦
(٦)	١٧٥ ١٧٧ ١٧٨ ح ٢ ١٨١
واجوردا ٢٠٧	ح ٢ ١٨٩ - ١٩٥ ٢٠٢ ٢٠٤
دانسيان (مليفن) ٢٥ ٢٦ ٥٢	٢١٨ ٢١٩ ح ٢ ٢٢١ ٢٢٢
١٧٨ ١٦٨ ١٤٥ ١١٧ ٦٢	ح ١ ٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢٨ ٢٤٥
ح ٢ ٢١٤ ٢ ح ٢٢٧ ح ١ ٢٦٥	٢٥٢ ٢٥٦ ٢٦٩ ٢٩١
٢ ح ٢١١	٢٩٢ ٢٩٧ - ٣٠٢ ٣٠٧ ح ٤
داؤول ده كان (المؤرخ) ٤ ١٤	٢٢٦ ح ١ - أنظر بزنطية
١٨ - ١٩ ٥٢ ٦١ ١٩٧	والامبراطورية الرومانية الشرقية
ح ٢٥٨	الدولة الباسية ١٤٢ ٢٦٠ ٢٧٠
الراين (نهر) ١٢ ١٧٩	المدلة العربية (في الصور الوسطى)
دنيف (وليم) ٩٨ ٩٩ ح ١ ١٠١	٣٩ ١٤٢ ٢٧٠
ح ١ ٢١٨ ٣٠٥ ٢٢٦ -	الهوميبيكان (الرميان) ٧٠
٢٢٧	ديورا (بطرس) ٥٩
	ديرسنوك ١٤ ١٥ ح ١

رويس (دانيال) ٦٢ ٢٧١ ح ١	روملان (صاحب حلب) ٢٥٩
٢٨٨	رفع ٧٤
روتلان (للزوخ) ٢٢ ح ١	الرملة (وقف سنة ١١٠٢) ٢١٥ ح ١
روجر (عامل في خدمة الكسيس	الرملة - إمارة ٨ ١٨٠ ٢٢٤ ٢٣٩
كومنن) ١٨٣ ح ٢	روح - مدينة ٢٥ ٧٤ ١٨٩
روجر الأول (صاحب صفية) ٢٠	٢٣٦ ٢٣٧ ٢٥٤
١٩٢	الرهبة (في المنصور الوسطى) ١٦
روجر يورسا (آخر يوهينند	١٨١ - أنظر الجابرية، والكهننة
التورماندي) ١٩٣	الرومانية
رودس ٢٦٩	رهشت (ر .) ٢٤ ٢٥ ح ١
روستو (مدينة) ٢٠٩	٥٣ ٦١
الروس ١٤٧ ح ١ ٢٠٧ ح ١	روبرت الأول (أمير الأراضي
روما ١٩٧	الواطنة) ٢١ ٥٣ ٥٨ ١٢٢
روسكوي (مدينة) ٢٠٨ ٢١٠	ح ١ ٢١٥ ح ٢ ٢١٣ ٣١٨
روميل ده بايل ١٩٤ ح ٢	٢٩٩ ٣٠٠ - أنظر الكسيس
رول بيلديلو (عامل في خدمة	الأول كومنن
الكسيس) ١٨٣ ح ٢	روبرت الثاني (أمير الأراضي الواطنة)
الروم ١ ٧٨ ٢٩ ١١١ ١٤٠ ١٤١	٢٠٩ ٢١٢ ٢١٥ ح ٢ ٢٤٥
ح ١ ١٤٢ ١٤٤ ١٤٥ ١٦٨	٣٠٧ ٣٢٥
١٧٤ ١٧٨ ٢٣٨ ٢٥٩ ٢٧٠	روبرت الرابع (للزوخ) ١٤٤ -
٢٨٩ ٢٩٠ ٣٩٧ - أنظر	١٦ ٢٠ ٥٤ ٢ ح ٥٦ ٢١
البيزنطيون، والأفريق	١٢ ٣٠٠ ح ٢
روما ٢٨ ٤٣ ٤٥ ٦٨ ٦٩ ٧٠	روبرت كوفت نورمانديا ٨ ٥٨
٧١ ١٠٢ ١١٢ ١١٣ ١١٤	١٢٩ ٢٠٢ ٢١٣ ٢١٤ -
	٢١٧ ٢٢١ ٢٤٤ ٢٤٥

١٧٨ ١ ١٧١ ١٣٦ ١٢٩

- ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ١٨٠

٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢١٤ ٢١٢

٢٤٥ ٢٤٤ ٢٤٣ ٢٢٣ ٢٢٢

٣٢٧ ٢٦٦ ٢٥٤ ٢٤٨ ٢٤٦

٢٢٥ ٢٢٢

ريوس (العالم) ٢ ح ١٢

رينو (من زعماء اخلة الأولى

القصية) ١٦٢ - أنظر بطرس

الناسك

رينوده شايرون ٨٥

(س)

الساف (نهر) ١٥٣ ١٥٧

سالونيك ٢١٥ ٢٠٨

سارديمو (اتفاقية) ١٠٩

ستيفنسون (كابل) ١٢٨ ٦٢

ستيفنسون (وليم) ٢٤ ٢٨١ ح ١

سميد عبد الفتاح عاشور (الذكور)

٢٤ ٢٣

سكوتزى ٢٠٧

السلاجقة ٥٣ ٧٥ ١٠٢ ١٢٥ ١٢٩

١٤٧ ١٤٦ ١ ح ١٤٥

١ ح ١٥٠ ١٥٤ ح ٢ ١٦٤

١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ح ٢

١٥٠ ١٤٦ ١٢٢ ١١٩ ح ٢

٢٠٠ ٢٦٥ ٢١٥ ١٧٢ ١٥١

٢١٠

الرومان القسطنطين ٢٣ ح ٢ ٢٧ ٤٠

٢٨٧ ١١٢ ٩٩ ح ١

رومانوس الثاني (الامبراطور) ١٤٢

رومانوس الرابع ديوجينيس

(الامبراطور) ١٤٥

الرثبات الديفية (في المصور الوسطى)

٦٤ - ٦٧ - أنظر الاساطير

الديلية

ريان (بول) ١٩ ح ٢ ٢٠ ح ١

٢٤ ٢٥ ح ١ ٥٣ ٥٤ ٦٢ ٢٠٠

ريتشارد قلب الأسد (ملك إنجلترا)

٧٦ ٧٧ ٢٤٥ ح ١ - أنظر

الغلات الصليبية (الحملة الثالثة)

ريز (مدينة) ١٤ ٨٣

ريمون داجيل (للورخ) ٥٢ - ٧

١٤ ١١ ١٢٢ ٢٠٦ ٢٠٩

٢٠٤ ٢٦٥ ٢٢٦ ح ١ ٢٢٧

٢٢٧ ح ١

ريمون الرابع د سان جيل (كرنت

تولوز) ١٨ ٦٢ ح ٥٥

السيد عبد العزيز سالم (المتكورد)

٢٤

سرا (مدينة) ١٩٧

سيف الدولة الخملق ١٤٢ - أنظر

دولة الخمانين

سيلغري (مدينة) ١٨٢ ١٨٣

(ش)

شارتر (مدينة) ٢٢٧ ٨ ٢١

٨٢ ١٣٣ ٢١٥ ٢٢٢ ٢٢٩ -

مدينة ٢٢٧

شارلده بروغانس ٢٢٨ ٢٢٧

شارلان ٥١ ٥٢ ح ١ ١١٦ -

امبراطورية ١١٩ ١٧٢ -

أسطورة حج ٥٩-٥٢ ٦٣ -

أنشودة رولان ٥٩-٥٢ ٦٣

شالنتون (فرديناك) ١٢ ح ٢ ٢٤

٢٥ ح ١ ٢٦ ٥٢ ٥٤ ح ٥

١٦٩ ١٦٠ ١٥٧ ١٢٦ ٦٢

١٩٢ ١٨٨ ١٨٦ ١٨٢ ١٨٠

١٩٦ ح ١ ١٩٧ ٢٠١ ٢٠٦

٢٠٠ ٢٤٧ ٢٢٣ ٢١٠ ٢٠٩

٢٠١ ٢٠٢ ح ٢ ٢١٨ ح ٢

القمام (بلاد) ٤٤ ح ١ ٥٩ ٧٤

٧٩ ٨٠ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ح ٢

١٦٥ ١٦٦ ح ٢ ١٦٨ ١٧٠

١٧١ ١٩٤ ١٩٥ ٢١٠ ٢٢٢

٢٢٥ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٢ ٢٣٥

٢٣٨ ٢٥٠ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١

٢٧٠ ٢٧٢ ح ٢ ٢٩١ ح ٢

٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٧

٣ ح ٣٠٩ ح ١ ٣١٧ - أنظر

الأزالك، والتركا ن والتركو بول،

والكومان

السلاف ١٤٧ ح ١

سلم لك ٨٧ - أنظر البابوية ،

والكنيسة الرومانية

سليمن (مدينة) ١٥٢ ١٥٦ ١٥٧

١٥٩

سميل (د) ٢٤ ح ١

سواسون (مدينة) ١٨

سورية ١٩ ٢٠ ٢٠ ٧٧ ٩٣

١٠٠ ١٠٩ ١٩٣ ٢٢٦ ٢٤٩

٢٥٢ ٢٨٨ ٢٢٨ ح ٢ - أنظر

القمام

سومرفيل (د.س) ٢٨ ح ١

سويرا ١٥ ح ٢

سميل (السالم م) ١٢ ح ٢

السيد البلاز المريني (المتكورد)

٢٣ ٢٤ ٢٥

٢٥٨ ح ١ ٢٥٩ ٢٦٥ ح ٢

٢٦٨ ٢٧١ ٢٨١ ح ١ ٢٨٢

٢٨٧ ٢٩٢ ٢٩٩ ٣٠١-٣٠٢

٣٠٦ ٣٢٨ ح ٢ ٤٠٦

الشمس اللاتينية ١٠ ١١ ١٨ ١٩ -

أنظر اللاتينية الوسيطة

تلومبرجيه (جوستاف) ٣٥ ٣٦

(ص)

الصالح نعم الدين أيوب (الملك)

٢٩ ح ٢ ١٠٠

صقلية ٤٧ ٤٩ ح ١ ١٠٠ ١١٦

١٤٢ ١٧٢ ١٧٤ ١٩٢ ٢٧٠

صلاح الدين الأيوبي ٢٥ ٣١ ٧٧

٢٧٦ ٢٧٧ ٢٨٠ ٢٨٧ ٢٩٣

المليبيون ١٢ ٣٠ ٤٦ ٦٥ ٦٩

٧٠ ٧٢ ٧٥ ٧٨ ح ١ ٨١ ح ٢

٩٢ ١١١ ١٢٠-١٢٢ ١٢٦-

١٢٦ ١٢٩ ١٤٧ ح ١ ١٥٦-

١٥٩ ١٦٤ ١٦٧ ١٦٩ ١٧٠

١٨٣ ١٨٥ ١٨٧-١٩٠ ١٩٥

٢٠٤ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٩ ٢٢١

٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٢

٢٣٣ ٢٣٥ ح ٢ ٢٣٧ ٢٣٨

٢٤٠ ٢٤٢ ٢٤٦-٢٥٠ ٢٦٠

٩٠ ٩١ ١٠٩ ح ١ ١٤١ ١٤٢

١٤٥ ١٤٦ ح ٢ ١٦٠ ٢٦٨

٢٦٩ ٢٧٢ ٢٧٦ ٢٨١ ٢٨٢

- شمال ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٧٢ ح ٢ -

فصائل ٩٥ ح ٢ - أنظر سورية

شبه الجزيرة الأيبورية ٤٩ ح ١ ٧٣

١٧٤

شبه جزيرة المغرب ١١٠ ح ١

شجر اللد ٢٩ ح ١

شخصية الفرد (ظهور) ١٠١

الشرق الأقصى ٧٠ ٨٩ ٢٩٣ -

أنظر المغول

الشرق العربي ٢ ٤ ٥ ح ٢ ٩

٨ ٩ ١٢-١٦ ١٨ ٢١ ٢٦

٢٢ ٢٧-٤٠ ٤٢ ٤٩ ٥١

٥٢ ح ١ ٥٤ ٥٦ ٦٠ ٦٤

٦٦ ٦٧ ٦٩ ٧٠ ٧٢-٧٥

٧٧-٨٥ ٨٧-٨٩ ٩١ ٩٤

٩٩ ١٠٢ ١٠٤ ح ٥ ١٠٥

١٠٦ ١٠٨ ح ٢ ١١٠ ح ٢

١١١ ١٢٥ ١٤٤ ١٥١ ١٥٤

١٥٦ ١٧١ ح ١ ١٧٧ ١٨٠

١٨١ ١٩٣-١٩٦ ٢٠٠ ٢٠١

٢٠٦ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٦ ٢٣٠

٢٢٦ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٤٢ ٢٥٥

(ع)

العالم العربي ٢٦ ٢٧ ٢٢ ٥٦ ٥٨
 ج ٢ ٢٧ ٦٨ ٧٠ ٧١ ٨١
 ج ٢ ١٠٢ ١٠٥ ١٠٧ -
 ١١٠ ١١٢ ج ١ ١٢٢ ١٤٧
 ١٥٠ ١٥١ ١٧٢ ١٧٨ ٢٠٥
 ٢٩٠ ٢٩٥ ٢٧٠ ٢٧٢ ٢٧٧
 ٢٨٠ ٢٨٢ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩
 ٢٩٢ ٢٩٧ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٣٧
 ج ١ - أنظر الشرق العربي

العالم الغربي - أنظر الغرب

عبد الحيد حدي محمود (الدكتور) ٣٤
 عبد الرحمن زكي (الدكتور) ٣٢
 عبد العزيز توفيق جاويد ٢٩
 عبد المنعم ماجد (الدكتور) ١٧
 ج ٢ ٢٤

العثمانيون ١٠٦ ١٠٧ ٢٩١

العنوان الصليبي ٥٢ ٦٢ ٧٨ ج ١
 ج ٢ ١٠٥ ١١٠ ج ١ ١٧٢
 ٢٦٦ ٢٧٩ ج ١ ٢٨٠ ٢٨١
 ج ١ ٢٨٥ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٢
 ٢٩٤ ٢٩٧ ٣٠٢ ٣٠٦ ج ١
 ٣١٢ ٣١٤ ٣٣٧ ج ١ - وحشية
 ١٦٢ ١٦٥ ج ٢ ٣١٥ - أنظر

٢٧١ ج ١ ٢٧٨ ج ٢ ٢٧١
 ٢٧٢ ج ٢ ٢٧٣ ج ٤ ٢٧٥
 ٢٧٩ ج ٢ ٢٨٠ ٢٨٥ ٢٢٠
 ج ١ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٨ ج ٤ -
 مستعمراتهم في الشرق العربي
 ٢ ٤٨ ٦٩ ٧٥ ٨١ ٨٨ ٩٢
 ج ١ ١٠٣ ١٢٥ ١٧٩ ١٨٠
 ٢٢٢ ٢٥٢ ٢٦٠ ٢٦٨ ٢٧٠
 ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٦ ٢٨١ ج ١
 ٢٩٣ - أنظر أصل الغرب،
 والفرنج، واللاتين

الصهيونية (في فلسطين) ١٠٩-١١٠
 أنظر الاستعمار الصهيوني،
 واسرائيل

صود ١٠

صوليا (مدينة) ١٥٣ ١٥٩ ١٦٧

(ط)

طرابلس الشام ٢٠٦ ٢٢٤ ٢٥٤
 ج ١ ٢٥٧
 طرسوس (جبال) ٢٣٥
 طرواده (حروب) ٢٧
 طابطة (مدينة) ١٧٤
 الطولونيون ١٤٣

(ظ)

الظاهر بيبرس ٢٤٨

٢٧٠ ٢٨١ ٢٩٣ ٢٩٤ ٣١٠

٣١٣ ٣٢٨ ج ٢ - أنظر عائلة

الفرنسيسكان (الرحبان) ٧٠

الفرنسية القديمة (القة) ١١ ٤٦

ج ٢ ٥٨ ٩٨ ٢٠٥ ٣٣٦ ج ١

الفرنسية ٤٧ ٨٧ ١٨١ - الفارس

الاقطاعى ١٧٩ ١٩٤ ٢٠٣

٢٠٤ ٢٠٦ - أنظر الاقطاع،

رشاوان (أنفودة رولان)

فرجية (مدينة) ٣٠٨

فرجية الصغرى (طروادة) ٢٠٨

قصر (٠٥) ٢٤

الفسكة الصليبية ٤٨ ٥٦ ٥٩ ٦٩

٧٠ ٧٤ ٧٥ ٨٦ ٩٨ ١٠١

١٠٦ ١١٠ ١٧٧ ١٩٢ ٢٧٧

٢٩٢ ٢٩٧ ٣٠٠ ٣٠٥ ٣٠٦

٢٣٦ ٣٣٨ - أنظر الاستعمار

الصليبي، والاستيطان الصليبي،

والبنوان الصليبي

فلاتندز - أنظر الاراضى الواطنة

فلسطين ١٤ ١٩ ٤٨ ٧٤ ٧٥ ٩٢

٩٥ ١٠٤ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩

١١٠ ج ٢ ٢٢٦ ٢٧١ ٢٨٠

٢٨٥ ٢٨٧ ٢٩٣ ٣٠١ - أنظر

الاراضى المقدسة

٩٦ ١٠٤ ١٠٦ ١١٩ ١٢١

١٢٣ ١٢٨ ١٣١ ١٣٣ ١٣٥

١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ج ١ ١٤٦

١٥٨ ١٥٧ ١٥٣ ج ١ ١٥٨

١٦١ ١٦٢ ١٦٥ ١٦٦ ج ٢ ١٦٧

١٧٠ ١٧٩ ١٨٠ ١٨٢ ١٨٥

١٨٨ ١٩٤ ١٩٦ ٢٠١ ٢٠٢

٢٠٥ ٢٠٧ ج ١ ٢٠٩ ٢١٥

٢١٨ ٢١٩ ج ٢ ٢٢١ ٢٢٣

٢٢٦ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٣ ٢٣٥

٢٤٠ ٢٤٦ ٢٤٨ ٢٥٠

٢٥٢ ٢٥٩ ٢٦١ ٢٦٣

٢٦٦ ج ١ ٢٦٩ ٢٧١ ٢٧٣

٢٧٧ ٢٨٠ ٢٨٢ ٢٩٠ ٢٩١

ج ٢ ٢٩٢ ٣٠٤ ٣١٣ ٣١٧

٣٢٠ ٣٢١ ج ١ ٣٢٣ ٣٢٤

٣٢٦ ٣٢٨ ٣٣٣ - الفرنج الشرق

٣٦ ٨٥ ٣٧٥ - أنظر أهل الغرب،

والصليبيون، واللاتين

فرنسا ٥ ٦ ٧ ج ٢ ١٤ ١٧ ١٨

٤٢ ٤٤ ج ١ ٥٣ ج ١ ٥٨ ٥٧

ج ١ ٥٩ ٦٠ ج ٢ ٧٦ ٧٩

١٠٧ ١٠٨ ج ٢ ١٠٩ ج ١

١٥٤ ١٥٦ ١٧٤ ١٧٦ ١٩٢

٢٠٤ ٢٠٧ ٢١٣ ٢١٩ ٢٥٥

فيليب الرابع (الجيل) ٥٩	القلعك (بلاد) - أنظر الأديني
فيليب السابع ٧٩	الوطاشه
فيليب يوايس ١٥٩	فسان ده بوفيه ١٧
(ق)	فؤاد محمد شبل ٢٨ ح ١
القاضي الفاضل ٣١	فوشيه ده شادتر (المؤرخ) ٧ ٢ -
القاهرة ٢٧٩	٧٣ ٩١ ٢ ح ٥٦ ٢٠ ٩١
قبة المنيرة ٢٦٣	١٤٢ ٢ ح ٨٤ ٨٢ ٢ - ١٤٢
قبرص ٧٧ ١٠٦ ١١٠ ح ١ ١٤٢	٢١٦ ٢١٥ ٢٠٩ ح ١ ١٦١
٣٦٩ - والحروب الصليبية ٧٧	٢٢١ ٢٢٧ ح ١ ٢٥٨ ح ١
القبر المقدس (لوقا المسيح) ٩٢	٢٦٥ ٢١٧ ٢٩٨ ٢٠١ ٢٠٤
٩٤ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٦٤ ٩٢	٢١٠ ٢١١ ح ٢
١٩٣ ١٩٢ ١٥٤ ١٠٢ ١٠٢	فواككار ١٥٢ ١٧٠ ١٧١
٢٩٩ ٢٨٧ ٢٦١ ٢٠٢ ٢٠٠	فيثري (جارك ده) ٩٣ ح ١
٢١٤ ٢١٢ ٢ ح ٢٠٩ ٢٠١	فيروز (أحد ضباط سامية انطاكية)
٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٥ ٢٣٥ -	٢٤٠
أنظر بيت المقدس	لبنانيه (مدينة) ٢ ح ٥
القدس - أنظر بيت المقدس	فيكتور الثالث (البابا) ١٧٥
القرآن الكريم ١٠٠ ٢٦٩	فيلها ردوان (جوفروا ده) ١٦١ ح ١
قرطاجه ٨١	فيليب أوغسطس ٥٨ ٧٦ - أنظر
القرن الثاني ١٨٦ ١٨٧	احداث الصليبية (الحلة الثالثة)
قطنين الأول (الكبير) ٢٨ ٩٨	فيليب الأول (ملك فرنسا) ٥٨
٢٢٨ ٢٩٠ ١١٨ ١١٢	١٧٦ ١٨٢ ٢١٣ ٢١٩ ٢٥٥
قطنين الرابع (الامبراطور)	٢١٠
١١٥ ح ١	

قائمة ١٧٤	قسطنطين السابع (الامبراطور) ١٤٢
القسطنطينية العربية الكبرى (١٠٥٤ م)	قسطنطين كسار كالون ايرفوريينوس
٧١ ١١٧ ح ٢ ١٢٢ ١٤٦	٣١٧
ح ٢ ٢٢٥ ٢٩٠	القسطنطينية ٥٣ ٧٨ ح ١ ١٠٢
تلج أرسلان ٢٣٣	١١٤-١٢٣ ١٢٥ ١٢٧ ١٣٠
القوط الغربيون ١٤٧ ح ١	١٣٥ ١٣٦ ح ١ ١٣٨ ١٤١
القوميات (في الحصور الوسطى)	١٤٤ ١٤٦ ١٥٠ ١٥٢ ١٥٩-
٦٨ ١٠١	١٦١ ١٦٦ ح ٢ ١٦٧-١٦٩
القرمية العربية ٢٨٢-٢٨٤	١٧١ ١٧٨ ١٨٣ ١٨٧ ١٨٨
أنظر الوحدة العربية	١٩٠ ١٩٤ ١٩٧ ١٩٨ ٢٠٢
قونية (مدينة) ٢٢٥ ٢٥٨ ح ١	٢٠٩-٢١١ ٢١٢ ٢١٥ ٢١٦
قيسارية ٩٢	٢١٨ ٢١٩ ٢٢١-٢٢٣ ٢٢٣
(ك)	٢٤٥ ٢٤٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ح ١
الكاثوليكية ٦٩ ٧٠ ١٠٢ ١٠٥	٢٦٠ ٢٦٩ ٢٩٠ ٢٩١ ح ٢
٢٦٥-٢٩٠ - أنظر بابوية روما،	٢٩٩ ٣٠٢ ٣٠٤ ٣٠٧-٣٠٩
والكنيسة الرومانية	٣١٣ ٣١٤ ح ١ ٣٢٣ ٣٢٣
كانادو الجنوبي (للروح) ١٤ ١٩	٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٤
١٧٠ ح ١	٣٣٥ - اتفاقية مايو ١٠٩٧ م
كالتروب (م) ٢٥ ح ١	٧٥ ١٢٧ ١٨٩ ٢٠٣ ح ١
كامبل (ع) ٣٥ ح ١	٢٢٢-٢٢٣ ٢٢٨ ٢٢٢ ٢٣٦
الكامل محمد (الملك) ١٠٠	٢٣٧ ٢٤٠ ٢٤٥ ٢٤٩ ٢٥٠
كان (مدينة) ١٨	٢٥٦ ٢٥٨ ح ١ - (ماره اللاتين
	٧٨ ١٢٦ ٢٥٨ ح ١ - مجمع
	القسطنطينية للسكوني سنة ٦٨٠ م
	١١٥ ح ١

٢٥٧ ٩٦ ٩٤ ٧٣ ١٥١
 ١٥٥ ١٩١ ح ١ ٢٠٥ ٢٠١
 ٢١٥ ٢١١ ح ٢-٤
 كندر (ج) ٢٥ ح
 كتيبة أيا صوفيا (بالةسطينية)
 ٢٥٦
 الكنيبة الرومانية اللاتينية ٢١
 ٢٢ ح ٢٢ ٤١ ٤٢ ٤٥ ٤٩ ح ١
 ٥٧ ٦٧-٦٩ ٧١ ٧٣ ٨٧
 ٩٨-١٠١ ١١٣-١١٥ ١١٧
 ٢٩٢-٢٩٠ ٢٢٥ ١٧٣ ٢ ح
 ٣١٠ ٢٢٨- أسلحة ١٤ ٤١
 ٤٢ ٥٠ ٥١ ١٠٠ ١٧٥ ١٧٦
 ٢١٣- لاهور وفساد ٩٨ ٩٩
 ١٧٢ ٢٧٧ ٢٠٦ ٢٣٦ ٢٣٨
 - رجال الدين ٤ ١٦ ٤١ ح ٢
 ٧٦ ٩٨ ٩٩ ١٠٢ ١٢٢ ١٨١
 ٢٥٥ ٢٠٥ ٢١٠ ٢٣٨ ح ٥-
 نفوذ ٤٢-٤١ ١١٣ - والحركة
 الصليبية ٦٧-٧٣ والحروب
 الغربية للكنيسة ٢٠٥ - وسياسة
 التبشير ٦٩ ح ٢ ٧٠ ١٠٥
 ٢٩٢- ونظرة السيادة البطرسية
 ١١٤ ١١٧ ١٤٦ ح ٢

كاتودونيش (٠١) ٢٤٩٩ ح ٢
 كانوسا (حادثة) ١٧٥
 كاهن (كلود) ٢٨٢ ٢٥
 كبادوكية الصفري ٢٠٨
 كبادوكية الكبرى ٢٠٨
 الكتاب المقدس (الانجيل) ٤ ١٠٠
 الحكمتي ٢٠
 كربوها (حاكم الموصل) ٦ ٥٤
 ٢٥ ٢٤٢ ٢٤٤ ٢٥٠
 كرفو ٢٥٥
 كروانجا ٢٠٧
 الكرواتيون ٢٠٧
 كريت ١١٠ ح ١ ٢٧٠
 كستوريا (مدينة) ١٩٦
 كسريهودوس (مدينة) ١٦٢ ٣١٦
 كلاري (دوبرت) ٢٤٧٧ ح ١ ١٣٦
 كلمنت الثالث (البابا) ٦٧
 كلوني (جماعة) ٥٧ ٧٣ - الإصلاح
 الكلوني ١١٧
 كليرمون (مدينة) ١٧ ٥٨ ح ١
 ٧٢ ١٠١ ٢١١ - مؤتمرة
 ١٠٩٥ م ٢٤٧ ١٥ ح ٢ ١٦
 ٤٢ ٤٣ ٢٤ ٤٤ ٤٨ ٥٦

كيليكية (مدينة) ٢٥٤ ٢٢٧ ٢٢٦

٢٥٧ ٢٥٦

(ل)

اللاتين ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧

٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤

٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١

٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨

٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥

٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢

٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩

٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦

٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣

٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠

٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧

٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤

١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١

١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨

١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥

١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢

١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩

١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦

١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣

١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠

١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧

١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤

الكنيسة الشرقية (البيزنطية) ١٤٣ ح ١

١٤٤ ح ١ ١٤٥ ح ١ ١٤٦ ح ١

١٤٧ ح ١ ١٤٨ ح ١ ١٤٩ ح ١

١٥٠ ح ١ ١٥١ ح ١ ١٥٢ ح ١

كنيسة القديس بطرس (بأنطاكية)

٢٤٤

كنيسة القيامة (في بيت المقدس) -

أنظر قبر المسيح

كنيسة كونت تولوز ٢ ح ٥

كوبلانك (ج. و.) ٢ ح ٢٦٦

كوجلر (للعالم ب.) ٢ ح ١٣

كوليس (خريستوف) ١ ح ١١٠

كولنجورد (د. ج.) ٢ ح ٢٢

كولومان (ملك المجر) ٢ ح ١٥٢

١٥٧

كولونيا (مدينة) ٢ ح ٢٠ ١٧٩

الكومان ١٢٨ ح ٢ ٢٠٧ ح ١

٢١٠ - أنظر الأتراك، والتركمان،

والتركبول

كونراد الثالث (إمبراطور ألمانيا) ٧٦

كونراد الرابع (الإمبراطور) ٥٠

كير (و. ب.) ٥٢ ح ١

كيمينوت (أو جيونوس) ١٦٢

١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠

١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧

١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤

١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١

اللاتينية الكلاسيكية (اللغة) ٢
اللاتينية الوسيطة (اللغة) ٢ ١ ح ٥

لويس (برقرد) ٢٥ ١٠٤ ٢٨٨

لويس الثاني دوق بوديون ٥٩ ١٠٩

٢٨٨

لويس السابع (ملك فرنسا) ٥٨

٢٥٨ ح ١ - أنظر المحصلات

الصليبية (الحملة الثانية)

لويس التاسع (ملك فرنسا) ٢٩

٢ ح ٢٥٨ ٢ ح ٤٢ ٢ ح ٤٤ ١ ح ٥٨

٥٩ ٦٥ ٦٦ ١ ح ٧٩ ٨٠

٩٢ ٩٣ ١٠٠ ٢٦٥ ١ ح ٢٦٩

١ ح ٢٨١ ٢٨٨ ٢٢٨ ح ٢ -

أنظر الحملات الصليبية (الحملات

السابعة والثامنة والتاسعة)

ليياقتو (واقعة) ١ ح ٤٠

لييا ١٠٩

ليدينة (مدينة) ٣٠٨

ليزياردوس (أسقف مواسون) ١٧

ليزيار التودي ١١

ليكة (مدينة) ٣٠٨

لين بول (ستاق) ٢ ح ٣٧٢

ليو الثالث الأيسودي (الامبراطور)

١١٥ ١١٦ - أنظر الحركة

اللايقونية

ليو الثالث (البابا) ١١٦

٧ ١٠ ١٤ ١ ح ١٥ ٢ ح ٤٥

٤٦ ح ٢ ٦٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢٩

١٧٣ ١٥٨

اللاذقية (مدينة) ٢٥٣ ٢٥٤

٢٥٦ ٢٥٧

لاريسا (مدينة) ٣١٩

لال (رامون) ٥٩

لامب (مارك) ١ ح ٣٥

لاجهويدوق (مقاطعة) ٢٠٤

لبنان ٦٠ ١٠٩

لعلي عبد الوهاب يحي (الدكتور)

٢ ح ٢٨٣

لجارديا ٢٥٧ ٣١٤ ٢١٥

النجارديون ١٢٣ ١٤٦ ح ١ ١٦٠

٢٥٥ ٣٣١ - أنظر لجارديا

النجو باردبون ٣٣١

لوتار هيا السفلى - أنظر اللورين السفلى

اللوثرانجيون ١٧٨ ١٨٧

لودلو (ج. م.) ١ ح ٣٥

اللورين السفلى ١١ ٥٥ ١٣٠ ١٧٣

١٧٨ ١٧٩ ١٨٩ ١٩٢ ٢٦٩

٣٠٤

لوسيان (بطرس الأول) ٥٩ ١٠٦

محمد (عليه السلام) ٢٦٩
 محمد أبو ذهرة (الشيخ) ١ ح ٩٥
 محمد بكر خليل ٢ ح ٢٢
 محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر
 (صاحب تونس) ٨٠
 محمد عبد الحارث نصر (الدكتور)
 ٢ ح ١١٠
 محمد العروسي الطوي ٢٢
 محمد مصطفى زيادة (الدكتور) ٣٠
 ٢ ح ٢ - ٢٢ ٢٤
 محمد يوسف زايد ٢٦
 المثنى ٢٧
 للنن (نور) ١٠١
 للرابطون ١٧٤
 مراکش ١٠٩
 مرسيليا ٩٢
 منجيه (فيليب د) ٥٩
 للسادة الشريفة (في المصدر الوسطى)
 ١ ح ١ ١١٢
 المسجد الأقصى ٢٦٢
 مسجد ديباط ١ ح ٢٦٥
 مسعود (سلطان قونية) ١ ح ٢٥٨
 للسلون ٤٧ ٧٠ ١٦٢ ٢٢٦ ٢٥٤
 ٢٦٢ ٢٦٩ ٢٠٢

ليو التاسع (البابا) ١١٧
 ليون (مدينة) ١٧٤ - مجمع ليون
 للكلمى سنة ١٢٥٤ م ٢ ح ٤٢

(م)

مارتين (العالم) ٢ ح ٨
 مارتنين (من رؤساء الأديرة) ١ ح ٧٨
 مارتنين الأول (البابا) ١١٥
 ماريوتيه (بفرنسا) ١٤
 ماري الأنطاكية (الأميرة) ١ ح ٢٥٨
 ماسون (المؤرخ ج ٠) ٢٩٧
 ماكستيروس (الإمبراطور) ١١٢
 مالمسبورى (وليم) ٢ ح ٣١١
 مامسترا (مدينة) ٢٥٤
 مافويل الأول (الإمبراطور) ١ ح ٢٥٨
 متى البادري (المؤرخ) ٢ ح ٢٢
 ٩٨ ١٠١ ١ ح ٢٩٨ ٣٠٥
 ٣٣٨ -
 متى الرامى الأرميني (المؤرخ) ٢٥
 ٢ ح ٢ ٢٣٦ ٢٥٨ ١ ح
 المجر (بلاد) ١٥٢ ١٥٦ ١٥٧
 ١٧٠ ١٧٨ ١٨١ ٢١٥
 المجر يرون ١٥٢ ١٥٦ ١٥٧ ١٨١ ٢ ح

٢٨٠ ٢٧٩ ٢٧٦ ٢٧٣ ٢ ح	المسيح (عليه السلام) ٧ ٢٨ ٦٢
٢٢٣٢٨ ٢٢٣٢٦ ٢٨٨ ٢٨٧	١١٢ ٧٦ ٢ ح ٧٢ ٦٥ ٦٤
الصربون ٧٨	١٤٨ ١٣٤ ٢ - ١ ح ١١٥
مصطفى طه بدر (الدكتور) ٣٦	٣٢٤ ٢٠٧ ٢٩٩ ٢٤٣ ١٧٣
معامدة ديفول (١١٠٨) ٢٥٦ -	المسيحية ٢٨ ٤١ ٤٥ ٧٠ ٨٠
١ ح ٢٥٨ ٢٥٧	١٨١ ١٣٦ ١١٨ ١١٣ ١١٢
معبد السيد ٢٦٣	٢ ح ٢٩٠ ٢٦٥ ٢٢٥ ١٩٣ ٢
معبد سليمان ٢٦٣	٣١٠ ٣٠٧
النارية ٢٨٣	المسيحيون الشرقيون (الأرثوذكس
المغرب العربي ٥٧ ٧٠ ١٠٣ ١٠٦	الاعريق) ٢١ ٢٢ ٢٣ ٧٠
٢٨٧ ٢٨٢	١٢١ ١١٦ ١١١ ١٠٣ ٧٨
المنزل ٧٠ ٢٨٠ - أنظر الشرق	٢٩١ ١٧٠ ١٦٢ ٢ ح ١٥٤
الأصلي	٢١١ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٢ ٢٩٢
مقدونية ١٤٧ ١ ح ١ ١٩٦ ٢٠٧	المسيحيون الغربيون (الكاثوليك
المقريدي ٢٠ ٢ ح	اللاتين) ٢٢ ٢٣ ٢٧ ١٠٣
مكبرك (ملك) ١٠١ ١ ح	١١٦ ١١١ ١ ح ١٠٩ ١٠٦
ملاذكرد (موقفة) ١٤٥ ١١٦ ١ ح	٢٩٣ ٢٩١ ١٥٠ ١٢١
٢٤٥ ٢٢٥ ٢٢٤ ١٩٤ ١٨٩	المشرق العربي - أنظر الشرق العربي
ملك الاعريق (لقب) ١٨١ ٢ ح	مصر (أو الديار المصرية) ٢٩ ٢ ح
ملك شاه (السلطان السعدي) ١٥٠	٤٤ ١ ح ٥٩ ٦٠ ٧٢ ٧٤
الماليك (في مصر) ٨٦ ١٠٦ ١٠٧	٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧
٢٧٧ ١ ح ٢٩٣	٢ ح ١٠٠ ١٠٨ ١٠٩
ميجورج (ب .) ٣٥ ١ ح	٢٤٧ ١٥٠ ١٤٣ ١٤١ ١٣٥
	٢٧٢ ٢٦٩ ٢٦٨ ٢٦١ ٢٦٠

ميشو (التورخ .١) ١٥ ١٢ ٦	المنصورة (مدينة) ٢٨١
٢ ح ١٨ ١٧ ٢-١	المهنية (مدينة) ٢٨٨ ١٠٦ ٥٩
ميلان (مرسوم) ١١٣	المرحلون ١٧٤
(ن)	مورافا (نهر) ١٥٧ ح ٣
ناظر ١٧٤	المؤرخ (في المصود الوسطى) ٢٢
ناجيو (بارتفوس ٨٥) ١٠	٢ ح - أنظر التاريخ
نظير حسان سعادوى (الله كثور) ٣٣	المؤرخ المجهول ٢-٥ ١٣ ٦ ١٤
نقفور برنبوس (زوج آل كومنجن)	١٢٢ ٦١ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥
١ ح ٣٣	١٦٨ ١٦٧ ٢ ح ١٦٦ ١٦٢
نقفور لوكاس (الامبراطور) ٤٢	١٩٧ ١٩٦ ٢ ح ١٩٢ ١٨٨
١ ح ١٤٣ ١٤٢ ٤ ح ٤٦	٢٢٧ ٢ ح ٢١٤ ٢٠٩ ٢٠٣
النهضة (عصر) ٢٧٧ ٢٩	٢٠٤ ٢٩٨ ٢٤٤ ٢٤٠ ١ ح
نور الدين محمود ٢٩٢ ٢٧٦	٢ ح ٢٣١ ٢-١ ٢٣٢
النورمان ٤٩ ح ١١٩ ١٣٣	٢ ح ٢٣٢ ٢-١ ٢٣٢ ٢٠١
١٢٥ ١٢٤ ١١٥ ١٢٩ ١٥٠	المرسل (مدينة) ٢٤٢ ٦٥ ٥٤
١٧٨ ١٧٤ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣	مريلييه (١) ١٥ ح ٢
١٩١ ح ١ ١٩٢ ح ١	مينيلينا (جزائر) ٢٠٨
٢٠٧ ح ١ ٢٠٤ ح ١ ١٩٦-١٩٥	مينائيل السابع (الامبراطور)
٢٢٩ ح ٢ ٢١٩ ح ٢	١٥٠ ١٤٦
٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢٥٤ ٢٥٢	مينائيل السورى (التورخ) ٢٥
٢٠٦ ح ١ ٢٠٨ ح ١ ٢٠١	٢ ح ٢٠٦ ٢٠٨ ح ١ ٢٠١
٢٠٦ ح ١ ٢٠٨ ح ١ ٢٠١	مينائيل كيرولاديس (البطريك)
٢٠٦ ح ١ ٢٠٨ ح ١ ٢٠١	١١٧
نورمانديا (مقاطعة) ١٦ ١٢٩	

(٥)

ماجيناير (٥٠٠) ٢ ح ١ ح ٢ ١ ح ٣ ١ ح ٤
 ٥٣ ١ ح ٢٠ ٢ ح ١٩ ٢ ح ٨
 ١ ح ٢٠٧ ١ ح ٢١٣ ١ ح ٢٢٩
 ٢٢٢ ١ ح ٢٢٢ ١ ح ٢٢١
 ٢-١ ح
 ماسكنز (شارل مورس) ١٩٢ ح
 ١٩٣
 ماسي (ج.م.) ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٥
 مالفن (لويس) ١ ح ٤٩
 مانو ١٧٩
 مبيت (٥٠٠) ٢ ح ٢١
 مدقة الله ٨٧- أنظر البابوية
 والكثيرة الرومانية
 المرافقة ٢١ ٥٠ ١٠٢ ١٧١ ١٢٩
 ١٢٧ ١٦٢ ١٩٦
 المرفقة ١٠٠ ١٥٥ ١ ح ١
 مرقل (الامبراطور) ٢٨ ٤٥ ٤٩
 ٢ ح ٤ ٢٢٤
 مرقلية (مدينة) ٢٣٥
 مينيوليس (مدينة) ١٦٥ ٢١٥
 ٢١٧ ٢١٦

٢١٦ ٢١٢ ٢٠٢ ١ ح ١٩١
 ٢٢١
 النويري ٢٧ ح ٢
 نوردن (الامبراطور) ١١٢
 نيش (مدينة) ١٥٢ ١٥٧ ٢ ح ٢
 ١٥٨ ١٥٩ ١٦٧ ١٨٢
 نيفوميديا (خليج) ١٦٢ ٢٢٨
 ٢٢٠ ح ١
 نيقية (مدينة) ٨ ٢١ ح ٢ ١٢١
 ١٢٣ ١٤٦ ١٦٢ ١٦٤ ١٦٥
 ١٦٦ ٢ ح ١٦٧ ١٦٩ ١٨٩
 ٢٠٢ ٢١٢ ٢١٤ ٢ ح ٢١٥
 ١ ح ٢٢٨ ٢٢٩ ٢ ح ١ ٢٣١
 ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٧ ٢٥٩ ٢٩١
 ٢ ح ٢٠٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢٢٠
 ١ ح ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩-منجعة
 ١٦٤-١٧٠ ٢٠٤ ٢١٥-٢١٥
 ٢٣٢-٢٣١ ٢٣٧
 نيكيتاس (الحاكم البيزنطي على
 مقاطعة الدانوب في عهد الكيسس
 كومنن) ١٥٨
 نيكيتاس (أحد شهود العيان للعملة
 الرابعة) ٧٨ ح ١
 النيل (نهر) ١١٠ ح ٢ ٢٧٦

وليم الثاني (ملك إنجلترا) ١٧٦	هنري الرابع (الامبراطور) ١٤٧
وليم ديه مستغرات ٨٥	١٧٩ ١٧٥
وليم دوفوس ٢١٤ ج ٢	الحناف ٢٠٧ ج ١ ٢١٠
وليم الصوري (الخوارج) ١ ج ٧	هرميروس ٣٧ ٣٢١ - أنظر
١٢ ج ٢ ١٧ ٢١ ج ٢ ٤٥	الالبانة والأردنية
١ ج ٤٦ ج ٢ ٥٥ ج ١	هير (فردريك) ٢ ج ٤٣
٥٩ ٦١ ٦٧ ٨٨ ج ٤٥ ١٥٣	هيو ج ديه ليرماندا ٥٨ ١٢٩ ١٧٦
١ ج ١٧٩ ج ١ ١٨٠ ج ٢	١٨٢ ١٨٥ ١٨٩ ٢١١
٢٦٥	٢١٢ ٢١٣ - ٢١٤ ٢١٩
وليم الفانج ٢١٤ ج ٢ ٢١٥ ج ١	٢٢٠ ٢٢١ ٢٤٦ ٢١٨ ٢١٩
وليم كونت برونه ٢١٥ ج ١	(و)
(ي)	وايزمان (حايم) ١٠٨ - أنظر
ياغي سيان التركي ٢٣٨	الاستعمار الصهيوني ، وبلفور ،
البرموك (واحدة) ٤٦	والصهيونية في فلسطين
يزيد بن عبد الملك (الخليفة) ١١٥	الوثائق المزودة (في المصور الوطني)
٢ ج	٥٤ - أنظر الكيس الأول
الخليفة العربية (حركة) ٧٧ ٢٨٤ -	كرومين (خطابه إلى دوبرت أمه
أنظر القومية العربية ، والوحدة	الأراضي الرامطة)
العربية	أونيه ٤٠ ٤١ ١١٢ ج ١١٥
اليهود ١٠٨ ١٠٩ ٢٨٥ - أنظر	الوحدة العربية ٧٧ ج ١ ٢٨٢ -
اسرائيل ، والاستعمار الصهيوني ،	٢٨٤ ٢٩٣ ٢٩٤ - أنظر
والصهيونية في فلسطين	القومية العربية
يوحنا تريمكيس (الامبراطور)	الولايات المتحدة ٣٥

يوجنا (نـ) ٢٥ ج ١	١٤٣ ١٤٢ ٤ ج ١ ١٦ ج ١
اليونان (بلاد) ٢٠٨	يوجنا الرابع (البطريق البيزنطي)
اليونان القمام ٢٢ ج ٢ ٢٣ ج ١	٢٥٣ ٢٤٧
٢٨٧ ١١٩ ٩٩ ج ١ ٤٠	يوجنا كرمين (الامبراطور) ٢٣
اليونانية الرسيطة (المنة) ٢٢ ج ١	١٤ ٢٠٧ ٢١٤ ج ٢ ٢٥٨ ج ١
٢٩٧ ٢٥٣ ١١٩	يوجنا هس (المصلح البوهيمي) ٥٠

محتويات الكتاب

ملحة

ج - د

هـ - ز

مقدمة الطبعة الثانية

مقدمة الطبعة الأولى

الفصل الأول

مصادر الخلافة ومناصبها

١ - ٢٦

دراسة تحليلية مقارنة

أهمية الموضوع - المصادر اللاتينية المعاصرة : المؤرخ المجهول ،
ريجون داجيل ، فوشيه ده شارتر ، ألبرت دكس ، بطرس تيهوديه ،
روبرت الزاهب ، يودوي ده بورجي ، جيجرت ده فوجان ، داؤول
ده كاف ، الأسقف أكهات دودا ، كلنلور الجنوي ، جوتيه
المستشار - بعض المختصرات من الخلافة الأولى - الرسائل والمكتابات -
المصادر اللاتينية المتأخرة - أنا كومينا وكتاب الإسكباد -
المصادر الأرمنية : متى الزهادي ، جريجوار الزاهب ، مينائيل
السوري - الأصول والمناصب العربية : نوارينخ المدن والبلدان ، السيد
والتراجم ، المكتب الجامعة وتواريخ العدل والممالك - المراجع
الثانوية العربية والأجنبية .

الفصل الثاني

الفكرة الصليبية هل حقيقتها

٢٧ - ١١٠

الحروب الصليبية وفكرة الصراع بين الشرق والغرب - الدافع
الشخصي في قيام الحركة الصليبية - فرقا النوع الصليبية الكبرى

مسة

في أوروبا - أثر العامل الديني في قيام الحركة : استغلال الدين للعبادة والإثارة والتعريض ، الأساطير والخرافات والتنبؤات الدينية ، الجماعات الرهبانية العسكرية ، الفكرة التبشيرية ، دور البساوية والكنيسة اللاتينية - الاتجاهات الاستعمارية في الحركة الصليبية : الحروب القروية ضد العرب في أسبانيا ، خطبة أربان ، أطامح الفاتنة الصليبيين ومنازلهم ، الأهداف التوسعية كما تكشف عنها الحركة في شتى مراحلها ، الاستيطان الصليبي في الشرق العربي ، الجاليات التجارية ، تطلب الصفوة المادية على الجماعات الرهبانية المسلحة ، التدهور الخلقى بين القرويين - الجهاد عند العرب - تشكل الأحرار والمتعطلين من أهل الغرب في جددى الحركة الصليبية - الصهيونية امتداد طبيعي للاستعمار الصليبي .

الفصل الثالث

الروم واللاتين

١٤٠-١٤١

احتكاك اللاتين بالروم الإغريق في الحملة الأولى - أوجه الخلاف بين الطرفين : المسائل الدينية المنهية ، الصراع السياسى ، روما الجديدة ، الناحية القنوية ، التباين الحضارى - سياسة الكسبيس كومتين حيال الصليبيين : المحافظة على يوزقة ، حماية القسطنطينية ، الإستماعة باللاتين لحدمة مصالح يوزقة السياسية - الومائل التي استعان بها الامبراطور لتتخذ سياسته : الدين والدبلوماسية والعداء ، المال ، عين التبعية والولاء ، فرض الرقابة ، سلاح التمويل ، استخدام القوة -

صفحة

آراء اللاتين في الكيس والبيزنطيين - موقف الصليبيين من
 بزنطة : طبيعة العناصر المشتركة في الحملة ، تشابك مصالح المرفين ،
 أخلاق اللاتين وسلوكهم من أقوال أنا كومنينا .

الفصل الرابع

الحملات الشعبية والكيس كومنين ١٤١-١٧٠

الدولة البيزنطية قبيل الحركة الصليبية - الأتراك السلاجقة في آسيا
 الصغرى - حملة جوتيه للمسلم - حملة بطرس الناسك . شخصيته
 وصفاته الجنائية ، الرحلة إلى القسطنطينية ، بطرس في العاصمة ،
 المعاصيات الشعبية تثير فسادا في العاصمة وضواحيها ، بطرس
 ورجاله في كينيوت ، مذبحة نيقية وآراء المؤرخين القدامى والحديثين
 فيها - الحملات الألمانية الشعبية .

الفصل الخامس

الحملات النظامية في بزنطة ١٧١-٢١٨

الغرب الأوروبي قبيل الحملة - حملة جودفري دوق اللورين السفلى .
 شخصيته وآراء المؤرخين فيه ، قيام الحملة ، الكيس وجودفري ،
 معجم الجيش الروماني على العاصمة ، جودفري يحلف اليمين -
 حملة بوهيمند النورماندي : بوهيمند والحركة الصليبية ، الطريق
 إلى القسطنطينية ، اشتباكات بين الفرنج والبيزنطيين ، بوهيمند في
 العاصمة ، قصة القاء يته وبين الكيس ، الأمير النورماندي يحلف

ملحة

عني الاخلاص ، بوهيند كما وصفته أنا كومنيتا - حقة ويمون ده
سان جيل : شخصيته ، قيام الخلا ، مناوشات في الطريق ، كونت
تولود في القسطنطينية ، الكونت يرفض أداء اليمين - الخلا القرونية :
وصول ميروج ده فيرماندوا إلى العاصمة البيزنطية ، رحلة دوبرت
كونت نورمانديا والين كونت بلوا ، رأى فوشيه ده شادتر في
البيزنطيين ، خطاب اتين إلى زوجته أديل .

الفصل السادس

٣٥٨-٣٦٩ اتفاقية القسطنطينية ومشكلة الانطاكية

الفرنج في القسطنطينية - أداء يمين التبعة والولاء بين يدي
الكيس - اتفاقية مايو ١٠٩٧ - رحيل الفرنج عن العاصمة -
الاستيلاء على ليقية وإعادتها إلى بزنطة - تصليبيون في آسيا
المغرى - تنكريد وبلدوين يجرمان وراء أطاعهما - مشكلة انطاكية
والحقن البيزنطي - آراء الكتاب اللاتين في الكيس والبيزنطيين -
بوهيند حل حقيقته - تطور المسألة الانطاكية .

الفصل السابع

٢٨٩-٢٥٩ حركة البنتة العربية في القرن الثاني عشر

الموقف في العالم العربي وقت الخلا - الاستيلاء على بيت المقدس -
نصب الفرنج ووحشيتهم - تأسيس المستعمرات اللاتينية في
الأراضي المقدسة - الوحدة وحركات البحث العربي : موقف العرب
في انقسامهم واتحادهم من العدوان الصليبي ، عدم توافر مقومات

مقدمة

الدول والحكومات في المجتمع العربي ، اليقظة العربية في القرن
الثاني عشر ونتائجها ، الجهاد ضد التتلة ، مصر ومثل المروية ،
توحيد الجبهة العربية مرحلة سابقة للجهاد الأكبر ، المقاومة الشعبية
في الوطن العربي ، الوحدة العربية حقيقة تاريخية - حركة التاريخ
ودوريتها .

٢٩٤-٢٨٧	مقدمة
٣٣٨-٢٩٥	اللائحة
٣٦٢-٣٣٩	المراجع
٣٩٨-٣٦٣	فهرس عام
٤٠٣-٣٩٩	محتويات الكتاب
٤٠٥-٤٠٤	المقالات واللوحات

بيان الخرائط واللوحات

الخرائط

- ١٦٣ صفحة (١) خرائط التوسيطية ونيقية زمن الخلافة الصليبية الأولى .
- ١٨٤ (٢) طريق الجيوش الصليبية النظامية في أواخر الدولة البيزنطية .
- ٢٣٠ (٣) خط سير الصليبيين في آسيا الصغرى وشمال الشام .
- ٢٤١ (٤) رسم تخطيطي لمدينة انطاكية (عام ١٠٩٨) .
- ٢٦٧ (٥) دولة الغزاة في الشرق العربي (بان الدولان الصليبي .
- ٢٧٤ (٦) الشرق الأدنى العربي في أواخر القرن السادس الهجري
(أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) .
- ٢٧٨ (٧) دولة المماليك البحرية في أواسط القرن الثامن الهجري
(أواسط القرن الرابع عشر الميلادي) .

اللوحات

- ١٤٨ (١) الامبراطور البيزنطي الكيس حكومتين أمام المسيح
والصورة مأخوذة من كتاب :
Runcaman, Hist. of the Crusades, I, Plate II,
facing p. 150.
- ٢٣٤ (٢) موقعة دوريطيوم
وهذه الصورة في خطوط باسم :
"La Très noble et excellente histoire des saints
Croisades" بالمكتبة الأهلية يادريس . وهي مأخوذة من
عن: Grousset, L'Épopée des Croisades, facing p. 32

ملحة

٢٦٢

(٣) يدها المقدس من جبل الزيتون .

Runciman, Hist. of the :
Crusades, II, facing p. 10,
والصورة مأخوذة من كتاب :

٢٦٤

(٤) استيلاء الصليبيين على يدها المقدس .

وتوجد هذه الصورة في المخطوط المشار إليه في الفهرسة رقم ٢
وهي مأخوذة تقلا عن :

Grousset, L'Épopée des Croisades, facing p. 48.

رفع
مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك